

رقم القيد:

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de L'enseignement Supérieur et de La Recherche Scientifique

جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب

Universite Ain Témouchent-Belhadj Bouchaib



كلية: الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية
قسم: اللغة والأدب العربي
مخبر: الخطاب التواصلية الجزائري الحديث



أطروحة

مقدمة من أجل نيل شهادة الدكتوراه

ميدان: اللغة والأدب العربي

شعبة: دراسات لغوية

تخصص: لسانيات عامّة

من إعداد: غالمي نورية

العنوان

جدل الحداثة والتراث في الكتابة اللسانية المغاربية الحديثة - قراءة وصفية تحليلية في نماذج مختارة-

ناقش علنا، بتاريخ / / ، أمام أعضاء لجنة المناقشة المكون من :

الاسم و اللقب الرتبة	الصفة	مؤسسة الانتماء
أ.د حبيب بوسغادي	أستاذ التعليم العالي	جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب
أ.د جلال مصطفىاوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب
أ.د وهيبة بن حدو	أستاذ التعليم العالي	جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان
أ.د محمد نجيب مرني صنديد	أستاذ التعليم العالي	جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب
أ.د عز الدين حفار	أستاذ التعليم العالي	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
أ.د عيسى خثير	أستاذ التعليم العالي	جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب

السنة الجامعية: 2024/2023

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

بداية أحمد الله الواحد القهار العزيز الغفار، أحمدُهُ أبلغَ حمد وأزكاه، وأشمله وأتماه، وأصلي

وأسلم على خير الأنام، وعلى آله وصحبه الأخيار.

لقد تمّ هذا العمل بفضل الله عزّ وجل، وطاعة لله الذي وصّى الإنسان بوالديه إحساناً،

أهدي أسمى معاني الشكر والامتنان إلى والديّ الكريمين، وإلى والد زوجي، وأدعو الله لهم

بالشفاء العاجل، كما أدعو الله لأمّ زوجي أن يتغمّدها برحمته ويسكنها فسيح جنانه،

إليكم - يا وصيّة الله - أقول ربّ ارحمهم كما ربّونا صغاراً.

إلى زوجي سندي في الحياة، إلى أطفالي: أمراة وأمين، وبشرى فاطمة الزهراء، بارك الله

فيكم، وأدام عليّ وجودكم بالستر والعافية.

إلى كلّ عائلي صغيرها وكبيرها، أقول جزاكم الله عني كلّ خير.

وإلى كلّ من ساعدني ولو بكلمة طيبة.

شكر و تقدير

أحمدُ الله العظيم الذي وفّقني في إعداد هذا العمل، حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، و أصليّ و أسلّم على خير الأنام محمد بن عبد الله و على آله وصحبه الأخيار.

ثمّ إنّّه من دواعي سروري أن أتقدّم بشكري الخالص إلى الأستاذ الدكتور جلال مصطفىاوي الذي أشرف على هذا البحث، ولم يدّخر جهد في توجيهي؛ كما أشكر الأستاذة الدكتورة وهيبة بن حدّو على حلمها وصبرها ووقوفها معي لإنجاز هذا البحث؛

والشكر موصول إلى الأستاذة سعيدي منال التي ساعدتني في مجال الترجمة؛

كما أشكر أعضاء اللجنة الموقرة على قبولهم تقييم وتقويم هذا العمل؛

وإلى جميع الأساتذة و الطاقم الإداري لجامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب

بكلية الآداب و اللغات و العلوم الاجتماعية، على حسن المعاملة؛

و إلى كلّ من أسهم في هذا العمل ولو بكلمة طيّبة؛

ولا أنسى في هذا المقام الأستاذة حلّيمة بن عزوز على مساعدتها لي كذلك في

مجال الترجمة، وأدعو الله عزّ وجل أن يتغمّدها بواسع رحمته ويسكنها فسيح

جنانه—آمين—

مقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم ما لم نعلم، ونبّه بأثاره الدّالة سلوك الطريق الأقوم، وأصلي أذكى الصلاة والسّلام على سيّد الأنام، ولبنة التمام محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه الأخيار أمّا بعد:

فإنّ المجتمع الغربيّ قد عرف نهضة فكريّة ساعدت على تطوّره في شتى المجالات؛ ممّا مكّنه من غزو المجتمعات الأخرى، منها المجتمع العربيّ تحت مُسمّى "الحداثة"، ليُنْتِجَ بعد ذلك جدل كبير يجمع بين ثنائية الحداثة والتراث؛ باعتبارها نسيجاً معقّداً من المفاهيم تنتظم ضمن عدّة مجالات، وعلى رأسها المجال اللّغوي أو كما اصطلح عليه بالمجال اللّساني.

و بموجب هذا التحوّل قد عرف العالم العربيّ كذلك يقظة عربيّة، ربّما تأخّرت زمنياً في الدّول المغاربية بسبب الحملة الاستعمارية، التي كادت تعصف بالتراث اللغوي العربيّ و الهوية العربية، ممّا نتج عنه بعثات علميّة إلى الجامعات الغربية، إنّها خطوة علمية لاسترجاع مقومات الحضارة المسلوّبة، تمثّلت في كتابات لسانية مغاربية حديثة.

تلك هي النقطة التي انعقد فيها نسيجُ الحداثة والتراث في الفكر المغاربي؛ ليُشكّل صورة نمطية بأبعاد ثلاثة:

بُعدٌ تُظهر فيه الحداثة قطيعةً مع التراث، يكون بينهما سهم ذو حدّين؛ يتّجه الحدّ الأول إلى الحداثة لتتقطع به عن التراث، و حدّ ثانٍ يتجه إلى التراث فينغلق به على نفسه، و يجافي الحداثة؛

و يُعدّ آخر تكون فيه الحداثة امتداداً للتراث، أو تُمثّل وجهه الحاضر في أحسن الأحوال؛

وبعد ثالث يُشبه النسيج الذي يربط بين الوجهين، ساطع أحياناً، قويّ الوشائج غليظ الميثاق، وأحياناً أخرى يَضْعُفُ خيط هذا النسيج؛ حتى يكاد يتلاشى على الرّغم من جهود التوفيقين في شدّه، والمقصود هنا خصوصية اللّغة العربية في مقابل المعتقد المادي الحر الحداثي الذي تنادي به بعض النظريات اللسانية الغربية.



هذه الأبعاد الثلاثة دفعتنا للتفكير في الوقوف على أبرز ما خطّه لسانيو المغرب العربي المحدثين في ضوء هذه الجدلية اللسانية، باعتبار أنّ كتاباتهم اشتملت على التراث اللغوي العربي وعلى المناهج اللسانية الغربية الحديثة (الوصفية- التوليدية التحويلية- التداولية) في خطوة لدراسة اللغة العربية وترقيتها، وكذا قراءة هذا التراث، قراءةً تُزيح عنه الجمود أو تُخلّصه من بعض التعقيدات التي عُرف بها. و من هنا كان عنوان هذه الدراسة: جدل الحداثة والتراث في الكتابة اللسانية المغاربية الحديثة -قراءة وصفية تحليلية في نماذج مختارة-

ويستقي هذا الموضوع أهميته من المكانة التي تحتلّها ثنائية الحداثة والتراث، التي ما تنفكّ تمثّل أوسع الثنائيات طرحاً وأشملها مساحة؛ الأمر الذي مكّنها من ولوج المجال اللغوي الإنساني عموماً والعربي خصوصاً.

أمّا الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع؛ فعلياً بداية أن نشكر الأستاذ مصطفى جلال الذي أشار إلينا بموضوعين كلٍّ منهما صالح لأن يكون عنواناً مهمّاً للبحث اللساني، وقد ساعدنا على اختيار هذا الموضوع بحكم خبرته الواسعة في هذا المجال، كما نشير إلى أنّه أثرى الساحة العلمية بمقال مهمّ في الحداثة و التراث بعنوان "جدل التراث و الحداثة في الكتابات اللسانية النصية العربية"، و من ثمّ نقول أنّ هناك أسباب أخرى، منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي؛

* الأسباب الذاتية: هي مكانة اللغة العربية في نفسي، وحسبنا من القول أنّها لغة القرآن

الكريم، وأنّ الاشتغال بها -فيما يخدمها- عبادة.

* الأسباب الموضوعية: هي عديدة نذكر منها:

- إنّ ثنائية الحداثة والتراث هي من أكثر الثنائيات جدلاً في الفكر العربي المعاصر وقد وطّعت

المجال اللغوي ممّا أوجب استجلاء جدلها اللغوي المغاربي بخاصّة.



- أنّ الكتابات اللسانية المغاربية قد كثرت بشكل يصعبُ الإحاطة بتوجُّهها، إلاّ إذا وُضعت تحت مصفأة الحداثة والتراث، لنلني أماناً أنواعاً من الكتابات يمكن الإحاطة بها وبالهدف المرجوّ منها.

- هناك جهود لسانية مغاربية عُرف أصحابها بامتلاكهم لوعي فكريّ لما تحمله الحداثة من مخاطر، وجعلوا منها أداة طيِّعة لخدمة اللّغة العربية والتراث اللّغوي العربي عموماً، ممّا أوجب علينا قراءتها قراءة فاحصة موضوعية؛ لاستجلاء النظرة الأمثل، بغضّ النظر عن منبع منهجها الواصف.

ومن ثمّ تهدف هذه الدراسة إلى استشراف الجانب الجدلي للحداثة والتراث في الكتابة اللسانية المغاربية الحديثة، وهو جانب واسع تتجلّى فيه فسيفساء الفكر العربي، وذلك من خلال الإجابة عن الإشكال المحوري:

ما هي تجلّيات جدلية الحداثة والتراث في الكتابة اللسانية المغاربية الحديثة؟

ويتفرّع هذا الإشكال إلى إشكالات أخرى:

- كيف تجلّت ثنائية الحداثة و التراث في الكتابات اللسانية المغاربية لكلّ من : الطيب دبّ، و صالح الكشو، و صالح سليم الفاخري؟

- ثمّ هل التّأليف اللساني المغاربي - بالنظر إلى هذه النماذج المختارة- كان تعصّباً للتراث اللّغوي العربي مع مجافاة لما هو حدائثي غربي، أم كان غير ذلك؟

- و إذا تُبّتَ تَقَبُّلُ اللسانيين المغاربة للحداثة، هل وُفِّقوا في تمثّل المناهج والنظريات اللسانية الغربية، وهل كان توخّي العلميّة قائماً في بحوثهم أثناء دراستهم للظاهرة اللّغوية، أم أنّه مازال منشوداً؟

- إن لم يكن هناك تعصّب للموروث اللّغوي، ولا إقبال كليّ على النظريّات الغربيّة؛ هل كان هناك توفيق بينهما في هذه الكتابات؟

- للغة العربية نظام متميّز وخاصّ باعتبارها لغة اشتقاقية، قد يتنافى مع بعض النظريات اللسانية الغربية مثل قضية التحليل التقطعي Analyse segmental، والإشكال المطروح هو: هل وضع لسانيو المغرب نظيرا لسانيا خاصّا باللغة العربية يُراعي هذه الخصوصية وغيرها؟

إن المنهج المتّبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي الذي نعزّزه بآليات التحليل والنقد، لوصف كتابات اللسانيين المغاربة (كتابات: الطيب دبه، و صالح الكشو و صالح سليم الفاخري) في ضوء هذه الجدلية، كما نروم مساءلة هذه الكتابات لاستشراف الطرف الغالب على منهجها؛ أكان تراثيا أم حداثيا وفق تحليل ونقد موضوعيين.

كما اعتمدنا على المنهج التاريخي باعتبار أنّ هذه الثنائية الجدلية كان سببها التثاقف بين حضارتين العربية و الغربية؛ ممّا تطلّب العودة إلى إرهاباتها الأولى، كما حضر هذا المنهج في أثناء حديثنا عن نشأة اللسانيات الغربية والعربية على حدّ سواء.

لقد تضمّن البحث خطة مكونة من مدخل وثلاثة فصول وخاتمة.

جاء المدخل بمثابة: عرض تمهيدي لمفاهيم أساس في جدلية الحدّثة والتراث تطرّقنا فيه لمفهوم: التراث والجدل والحدّثة، وعدّة مفاهيم تشترك أو تتداخل مع مفهوم الحدّثة مثل: التجديد، والمعاصرة والتحديث، وهذا من شأنه أن يوضّح الفرق بينها والمقصود منها أيضا، كما تطرّقنا إلى نقد الحدّثة الذي كان سببا في ظهور ما بعد الحدّثة، إلى جانب حديثنا عن بدايات المثاقفة العربية وما نجم عنها من ترجمة وحدّثة في الفكر.

أمّا الفصل الأوّل فكان بعنوان: اللسانيات العامّة واللّسانيات العربية الحديثة - من النشأة إلى النموذج البديل - : تطرّقنا فيه إلى تاريخ اللّسانيات وإلى مفهوما وموضوعها ومنهجها، ودفعنا هذا إلى الحديث عن النموذج في الحدّثة العربية، الذي يقابله الحديث عن اللّسانيات العربية باعتبارها لسانيات خاصّة تعتمد في وصف اللغة العربية على المبادئ التي تقدمها لها اللّسانيات العامّة، وهنا

يظهر جدل حول موضوع اللسانيات العربية، ممّا استوجب التطرّق إلى اللسانيات العربية التراثية كمنظومة علمية قائمة بذاتها، وعرضنا أيضا لقضية المنهج بين تجاذب قراءة التراث ومعالجة اللغة العربية، وما نتج عنه من اتجاهات في اللسانيات العربية.

وجاء الفصل الثاني بعنوان: **البحث اللساني في المغرب العربي - تجلياته وإشكالاته -** ؛ حاولنا أن نترصد بؤادر النشأة، ومراحل تلقي المغرب العربي للسانيات؛ والمتمثلة في مرحلة اكتشاف آراء سوسير اللسانية ومرحلة ما بين القبول والتشكيك، ومرحلة تشكّل خطاب لساني مغاربي التي استوجبت استحضار ابستمولوجيا اللسانيات العربية، كما تحدّثنا عن تجليات اللسانيات العربية في المغرب العربي، لنثمّن بعد ذلك بعض جهود أعلام الكتابة اللسانية المغاربية، و تطرقنا إلى صدى السوسيريّات الجديدة في هذا القطر، وصولا إلى الحديث عن إشكالات البحث اللساني في ربوعه، وعلى رأسها إشكالية المصطلح، التي أتبعناها ببعض المقترحات والحلول لدحض هذه الإشكالية.

أمّا الفصل الثالث فكان بعنوان: **تجليات جدل الحداثة والتراث في الكتابة اللسانية المغاربية الحديثة - قراءة وصفية تحليلية في نماذج مختارة -** ؛ تطرّقنا فيه إلى نماذج ثلاث من الكتابات اللسانية المغاربية: للطيب دّبّه من الجزائر، وصالح الكشو من تونس، وصالح سليم عبد القادر الفاخري من ليبيا، وذلك بقراءتها قراءة وصفية تحليلية لاستجلاء جدل الحداثة والتراث فيها. و اشتملت خاتمة البحث على أهمّ النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة.

و تتقاطع دراستنا مع دراسة أخرى تطرقت إلى الحداثة والتراث، من جانبها التوافقي؛ نذكر البحث الذي تقدّمت به الدكتورة معالي هاشم أبو المعالي بعنوان "الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة، الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنموذجا، عام 2014م/1435هـ بجامعة بغداد، ، و قد أفدنا منه كثيرا ، وتجدر الإشارة إلى أنّ الاختلاف بين هذه الدراسة وبين



دراستنا هو اختلاف مبني على العموم والخصوص، فقد حدّدنا مجال البحث بالقطر المغاربي، كما تركنا المجال مفتوحاً أمام ما تملّيه جدلية التراث والحداثة من مواقف متباينة.

واستعنا في عرض هذا البحث بمجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها:

- بشير إبرير: اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية.

- مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية.

- الطيب دبة: مبادئ اللسانيات البنوية دراسة تحليلية استمولوجية.

- صالح الكشو: مدخل في اللسانيات.

- عبد القادر سليم الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية.

أمّا الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث، فمنها ما هو خارجي؛ تمثلت في صعوبة الوصول إلى بعض المراجع المهمة في البحث، وصعوبة من داخل البحث تمثلت في اتساع الموضوع الذي ارتبط باتساع الجدلية، إضافة إلى المفهوم الهلامي لمصطلح الحداثة عند اللسانيين المغاربة، المتراوح بين التجديد والتحديث والحداثة العربية والغربية؛ ممّا صعّب من مهمّة إدراك توجه الكتابة.

ولا ندّعي فضل السبق في كثير من جوانب هذا البحث، كما لا نظنّه خالياً من الأخطاء،

وحسبنا من القول أنّنا بذلنا فيه ما استطعنا، والحمد لله في الأوّل والآخر الذي تمّ هذا العمل بفضلته.

كما نتوجّه بشكرنا الخالص إلى الأستاذ الدكتور "جلال مصطفاوي" المشرف الرئيس على هذا

البحث، والذي ساعدنا على تخطّي صعوبات البحث، وخاصّة ما تعلق بتحديد مجاله، في وقت كاد

التفكير يزيغ عن لب الموضوع، ويضيع فيه عن الهدف، كما ساعدنا للوصول إلى أهمّ مصادره النادرة

في المكتبات الجزائرية وحتى الإلكترونية - جزاك الله عنّا كل خير أستاذنا الفاضل -.

كما نشكر جزيل الشكر الأستاذة الدكتورة "وهيبة بن حدو" مساعدة المشرف، على صبرها وحلمها وحسن أخلاقها، فقد كانت لنا سندا منذ بداية التحضير لمسابقة الدكتوراه، - جزاك الله عنّا كل خير أستاذتنا الكريمة- .

ولا يفوتنا أن نوجّه شكرنا الخالص أيضا إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة المحترمين، على قبولهم تقويم هذا البحث وتقييمه، بارك الله فيكم.

والشكر موصول إلى كل من ساعدنا في هذا البحث، ولو بكلمة طيبة، ونسأل الله العظيم التوفيق والسداد فهو من وراء القصد، والحمد لله رب العالمين.

نورية غالمي تلمسان يوم: 23 سبتمبر 2023 الموافق لـ 3 ربيع الأول 1445هـ

ملخص:

عرض تمهيدى لمفاهيم أساسى فى جدلية الحدائنة والتراث

تمهيد:

إنّ طبيعة الموضوع الذي سأتناوله بالتحليل تقتضي إبراز المعنى اللّغوي و الاصطلاحي لكلمتي (التراث والحداثة) لما فيهما من متاهات معرفيّة في حقل العلوم الإنسانيّة، فالّتراث بهذا لن يكون مجرد رؤية في غياهب التّاريخ ولا الحداثة تتمثّل سطح الزّمن الحاضر، ومن ثمّ فهما قضيتان تتعلّقان بكلّ حضارة سابقة وحضارة لاحقة.

إنّ المهمّ في نظرنا هو فهم التّراث أوّلاً، واستيعاب عدّة قضايا متعلّقة به، ومعرفة تمام المعرفة عن أيّ تراث نتحدّث هل عن التراث المادّي أم التراث المعنوي؟، كونهما لبنتان أساسيتان في كلّ حضارة وهل هما منفصلتان حقّاً في أثناء الحديث عن علم اللّغة؟ نعم ربّما يكون التراث المعنوي من صميم هذا العلم ومن أساسياته، إذ يعتبر الانطلاقة الرسميّة في كثير من القضايا اللّغويّة، كقضيّة النّحو والبلاغة والصّرف ... ولكن كثيراً ما نتوقّف عند حدود التراث المعنوي المتمثّل في الكتب والمخطوطات والمجلّدات التي هي بدورها كانت وعاءً للتّراث المادّي، من خلال توثيق لأحداث تاريخية ومواقع جغرافيّة، وحرف ملموسة وصنائع ملبوسة، كلّ هذا يمثّل حقّاً التراث الذي سيشكّل في الأخير لسانيات عربيّة كانت أم غربيّة، بدليل أنّ الغرب أيضاً عكفوا على دراسة تراثهم في الأيام الغابرة.

أولاً: مفهوم التراث والجدل والحداثة:

1. مفهوم التراث:

أ. التراث لغة:

كلمة "تراث" من "ورث" وهو جذر ثلاثي، ورد في لسان العرب لابن منظور معنى التراث: «توارثناه: ورثه بعضنا عن بعض قدماً»¹، وجاء في المنجد في اللغة والأعلام: «يَرِثُ وَرَثًا وَإِرْثًا وَإِرْثَةً، وَرِثَةٌ وَتَرَاثٌ فَلَانًا: انتقل إليه مَالُ فَلَانٍ بعد وفاته، يُقال: ورث المال والمجد عن فلان، إذا صارَ مَالُ فَلَانٍ ومجده إليه»².

ولفظ "التراث" ورد في القرآن الكريم مرّة واحدة في قوله تعالى ﴿ (16) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (18) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (19) وَتَحِبُّونَ الْأَمْالَ حُبًّا جَمًّا (20) ﴾³.

وفي تفسير "الزّخشي" لهذه الآية الكريمة (أَكْلًا لَمًّا): «دَالِمٌ، وهو الجمع بين الحلال والحرام، يعني أتهم يجمعون في أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم»⁴.

في هذا القول لا يوجد فرقٌ بين الميراث والتراث، ولقد أشار "الجابري" إلى أنّ لفظ "التراث" والصّيغ التي يمكن أن تُشتقّ منه، كانت في الخطاب العربي القديم تعني المال أو الحسب، في حين أنّ

¹ - ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ج 3 مادة (ورث) ص 907.

² - المنجد في اللغة والأعلام، ط 26، دار المشرق، بيروت، 1973، ص 895 مادة (وذم- ورد)

³ - سورة الفجر، الآيات: 17- 18- 19- 20.

⁴ - الزّخشي (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي): الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، شرح يوسف الحمادي، (ب ت)، ج 4، مكتبة مصر، (شرح سورة الفجر)، ص 590.

مدخل: عرض تمهيدي لمفاهيم أساس في جدلية الحداثة والتراث

مفهومها الذي يرتبط بالمنجز الفكريّ، فقد غاب تماما عن المجال التداولي العربي القديم وحضر فقط في خطابنا العربي المعاصر وبالتحديد بعد اليقظة العربيّة الحديثة¹.

ب. التراث اصطلاحا:

إنّ المعنى الاصطلاحيّ لكلمة "تراث" ليس ببعيد عن المعنى اللّغوي، فهو يمثّل أيضا تلك الملكية التي يحقّ للأحق أن يأخذها عن السّابق أو هو «جملة ما خلفه السّلف من أمور مادّية ومعنويّة»².

أي أنّ لفظ "التّراث" سيتمدّ إلى أن يشمل المفهوم المعنويّ ليكون بذلك «الموروث الثقافي والفكري والدّيني والأدبي، والفنيّ، وهو المضمون الذي تحمله هذه الكلمة داخل خطابنا المعاصر»³، وهذا قول من بين عدّة أقوال قد تشترك في نقاط وتختلف في أخرى، ومنها قول حسن حنفي حينما عرّف التراث على أنّه: «كلّ ما وصل إلينا من الماضي داخل الأطر الحضارية السائدة، فهو إذن قضية موروث، وفي نفس الوقت قضية معطى حاضر على عديد من المستويات»⁴.

وعندما يُثار موضوع التراث على عدّة مستويات سيحيلنا ذلك إلى عدّة مفاهيم للتّراث، ولا تخرج عن كونه إمّا مادّي، وإمّا معنويّ، ولكن في نظر حسن حنفي فالتراث و على الرغم من وجوده على عدّة مستويات فهو: «ليس مخزونا مادّيّا في المكتبات وليس كيانا نظريا مستقلا بذاته، فالأول

¹ - ينظر: محمّد عابد الجابري: التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1991، ص 22-23.

² - حسن محمّد سليمان: التراث العربي الإسلامي: دراسة تاريخية ومقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988، د ط، ص 13.

³ - محمّد عابد الجابري: التراث والحداثة، ص 23.

⁴ - حسن حنفي: التراث والتجديد (موقفنا من التراث القديم)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 5، 2005، ص 13.

مدخل: عرض تمهيدي لمفاهيم أساس في جدلية الحداثة والتراث

وجود على المستوى المادّي والثاني وجود على المستوى الصوري، فإنّ التراث في الحقيقة مخزون نفسي عند الجماهير»¹.

الملاحظ أنّ لفظ "التراث" في خطابنا العربي المعاصر قد أخذ عدّة صيغ وذلك بعد النهضة التي عرفها العرب أو كما يلقبها "الجابري" اليقظة العربية الحديثة²، ثمّ إنّ هذه الصيغ "أكّدت تطوّر مفهوم النهضة نفسه، الذي جرى توسيعه ليستوعب عناصر كثيرة من الثقافة الغربية الحديثة، ثمّ تأصيلها بواسطة المقارنة بينها وبين عناصر مماثلة لها وأخرى قريبة إليها من التراث العربي الإسلامي"³. وستكون هذه المقارنة بمثابة جسر يربط بين الثقافة الغربية والثقافة العربية، ممّا يستدعي بالضرورة التأصيل لمفهوم التراث، والأمر ليس بالهين كونه يمسّ الأساس الفكري العربي، إن لم نقل الهوية العربية.

1.1 قراءة التراث- بين المقدّس والتاريخي:-

من القضايا الخطيرة التي تُثار حول التّراث، قضية المقدّس والتّاريخي، التي كان على الباحثين العرب الفصل فيها مثل ما فعل الأستاذ "بسّام جرّار" في كتابه "دراسات في الفكر الإسلامي" وكذا الأستاذ "فهمي جدعان" في كتابه "نظريّة التراث" والخروج بنتيجة مفادها أنّ «كلّ ما هو تراث قابل للمراجعة وغير متّسم بالعصمة، على خلاف النصّ القرآني الكريم والسنة النبويّة الشريفة، وما يتعلّق بهما من اللّغة العربيّة، فكلّ ذلك مقدّس»⁴، وأنّ التّراث «هو في كلّ الأحوال عمل أو إنجاز إنسانيّ

¹ - حسن حنفي: التراث والتجديد، ص 15.

² - ينظر: محمد عابد الجابري: التراث والحداثة، ص 23.

³ - محمد الطيب قويدري: مفهوم التراث في النقد العربي القديم، دار إي كتب، ط 1، 2018م، ص 139.

⁴ - بسّام جرّار: دراسات في الفكر الإسلامي، مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية، البيرة فلسطين، 2017، ص 382-

مدخل: عرض تمهيدي لمفاهيم أساس في جدلية الحداثة والتراث

خالص، فنحن لا نستطيع أن نتكلم على التراث إلا حين نكون بصدد مبدعات إنسانية، الإنسان فيها هو الصانع وهو السيد وهو المتمثل وهو المورث للآتي من بعده»¹.

وبهذا تكون الصورة قد اتضحت على الأقل على المستوى الصوري، أما على المستوى المنهجي فلا بد لنا من التسلح بالعلم الكافي للنظر في هذا التراث، واستيعابه كما ينبغي فهو يحتاج إلى وقت وإلى معرفة متخصصة كونه مليء بالمصطلحات العلمية مثل ما يحمله علم الأصول، فنساق إلى تحميل التراث من الدلالات ما لا يحتمله، وبالتالي يجب مراجعة التراث بتلك المنهجيات التي يمكن من خلالها «تعزيز الإيجابيات ونفي السلبيات، ويبقى للتراث وظيفة جمالية وأخرى نفسية وثالثة عملية»²، مما يستدعي حقاً الوقوف عليه بنظرة تأملية عميقة، أي أنه «نقطة البداية لمسؤولية ثقافية وقومية»³، تقوم على قراءة هذا التراث ولكن ليست كلها في صف واحد، فمثلا يرى الجابري أن هناك ثلاث قراءات، منها القراءة السلفية للتراث أو كما تسمى السلفية الدينية «التي رفعت شعار الأصالة والتمسك بالجدور والحفاظ على الهوية...»⁴، وبذلك يعتبرها الجابري «قراءة لا تاريخية، وبالتالي فهي لا يمكن أن تنتج سوى نوعا واحدا من الفهم للتراث: هو الفهم التراثي للتراث، التراث يحتويها وهي لا تستطيع أن تحتويه لأنها التراث يكرر نفسه»⁵.

¹ - فهمي جدعان: نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى، دار الشروق، عمان، الأردن، ط 1، 1985، ص 17.

² - بسام جزار: دراسات في الفكر الإسلامي، ص 383.

³ - حسن حنفي: التراث والتجديد، ص 13.

⁴ - محمد عابد الجابري: نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، ط 6، 1993، بيروت، الدار

البيضاء، المغرب، ص 13

⁵ - المرجع نفسه ص 13

مدخل: عرض تمهيدي لمفاهيم أساس في جدلية الحداثة والتراث

وهناك «القراءة الاستشراقية التي تتخذ امتداداتها إلى الأساتذة العرب شكّل سلفية استشراقية، تقدّم نفسها كقراءة عملية "تنوّحي" الموضوعية و"تلتزم" الحياة و"تنفي" أن تكون لها أية دوافع نفعية أو أهداف أيديولوجية»¹.

وهذا قول يشتمل على ثنائية نفسية؛ الأولى هي النفس العربية والثانية هي النفس المقلدة للغرب، ويرى الجابري أنّها كوّنت فكراً ليبرالياً* عربياً يتّسم بأوروبّاوية النزعة ممّا سيؤدّي إلى أن يأخذ من المستشرقين الرّؤية مع المنهج في قراءة هذا التّراث².

وهناك قراءة ثالثة لهذا التّراث وقد عبّر عنها الجابري بـ"القراءة اليسارية" أو "السلفية الماركسية" وتعني عنده «محاولة لتطبيق طريقة تطبيق "السلف الماركسي" لـ"المنهج الجدلي" وكأنّ الهدف هو "البرهنة" على صحّة "المنهج المطبق" لا تطبيق المنهج»³. هذا تفسير فلسفي لقراءة فلسفية، كيف لا وهي تحتوي المنهج الجدلي الذي يعود بجذوره إلى الفلسفات الأولى، ونقصد بالقول فلسفة أفلاطون كما سنرى هذا لاحقاً.

وخلاصة هذه القراءات الثلاث: «أنّ التيار السلفي في الفكر العربي الحديث والمعاصر التيار الذي انشغل أكثر من غيره بالتّراث وإحيائه»⁴، وعلى الرّغم من الانتقادات التي وُجّهت له إلاّ أنّه

¹ - محمّد عابد الجابري: نحن والتّراث، ص 14.

* الليبرالية: مصطلح أجنبي معرّب مأخوذ من (liberalisme) في الفرنسية وهي تعني التحررية من (liberate) ومعناها الحرية: وهي مذهب فكري يركّز على الحرية الفردية، ينظر موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة الدّر السنّية:

<http://www.dorar.net>

² - ينظر: محمّد عابد الجابري: نحن والتّراث، ص 14.

³ - المرجع نفسه، ص 16.

⁴ - محمّد عابد الجابري: نحن والتّراث، ص 12.

مدخل: عرض تمهيدي لمفاهيم أساس في جدلية الحداثة والتراث

سيمثل المدرسة التي «تمارس إعادة النظر بجرأة مصحوبة باحترام، وتُعيد صياغة الأمور بحدوء وأتزان، بعيدا عن التشنج والإدانة»¹.

مما سيؤدّي إلى استخلاص النتائج التراثية، وتطويرها في قوالب للعمل بالقدر الذي تنفع به المعرفة المعاصرة. هذا حينما يكون النظر إلى التراث بنزعة تراثية عربية محضة لا يشوبها الحاضر الغربي الأوروبي، أمّا إذا كانت غير ذلك، فهي في نظر الجابري إمّا سلفية استشراقية وإمّا سلفية ماركسيّة². وفي رأي "فهيمي جدعان"، فتوجد زاويتين للنظر إلى التراث، لا ثالث لهما «الأولى تُعبّر عن سلفية مطلقة والثانية تعبّر عن ليبرالية لا تعرف أحدا»³.

أمّا السلفية المطلقة فلها نظرة إجلال للحضارة العربية الإسلامية، ومن ثمّ فهي تُمجّد تراثها، ولا ترى بأنّ هناك خيرا في حضارة أخرى، أمّا الليبرالية فهي عكس السلفية ترى أنّ المعوق الوحيد لتطور الإنسان هو ارتكازه على التراث السالف، وأنّه لا مجال لتطوره إلّا إذا تخطى هذا التراث وتجاوزه⁴. وهاتان النظريتان تستحقّان التقدير، لأنّ كلاّ منهما ارتمت إلى أقصى الجانبين يمينا أو شمالا، وعليه ظهرت أنماط أخرى من النظر في التراث، تنتظم تحت ثلاثة مواقف رئيسة وهي: إحياء التراث واستلهاام التراث وإعادة قراءة التراث⁵.

1.1.1. إحياء التراث: الذي يمثل صورة من النظرة السلفية للتراث.

2.1.1. استلهاام التراث: وهو موقف يعبر عن علاقة تفاعلية وتعايش بين التراث والمعاصرة.

¹ - بسام جرار: دراسات في الفكر الإسلامي: ص 382.

² - ينظر: محمد عابد الجابري: نحن والتراث، ص 14 و16.

³ - فهيمي جدعان: نظرية التراث، ص 23.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 23.

⁵ - المرجع نفسه، ص 24 - 26 - 28.

3.1.1. إعادة قراءة التراث : على عديد من المستويات، فتحت بذلك عدّة قراءات قراءة:

فينومينولوجية، ولسانية وبنويّة وعقلانيّة وماديّة وبراجماتيّة ...

ومن ثمّ يمكننا القول بأننا نعيش واقع حضارة معاصرة، لها إنجازاتها الماديّة والفكريّة التي إذا مرّ عليها زمان ستعتبر هي أيضا تراثا لأنّ «صنع التراث لا يتوقّف، فنحن على الدوام، وفي كلّ العصور نصنع عناصر تراثية جديدة ونورثها لمن يأتي من بعدنا، وموقفنا الطّبيعي هو أنّنا في الوقت نفسه الذي نتلقّى تراثا فإننا نضع تراثا آخر جديدا، يعني التراث الذي تلقّيناه أو ورثناه، بحيث يصحّ القول أنّ مهمّتنا لا تنحصر في تلقّي التراث وإثما أيضا وربما بقدر أكبر في إبداع التراث»¹.

وذلك من خلال إعادة قراءته وصياغته تماشيا مع متطلّبات العصر، لأنّه في نظرنا عمل مشروط لاستمرار الفكر الإنساني، فقد زاد الوعي بالتراث العربي، في ظلّ التطور اللغوي الحاصل على مستوى العالم ونعني به "علم اللّغة" أو "اللسانيات"، وهي قضية سطع وميضها تزامنا مع مشروع الحداثة الغربيّة، كما برز جدل واسع بينها وبين التراث اللغوي العربي فما هو الجدل يا ترى؟؟

2. مفهوم الجدل:

أ. الجدل لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور أنّ مفهوم الجدل هو: "اللدّد في الخصومة والقدرة عليها، وقد جادله مجادلة، وجدالا، ورجل جدل ومجدل ومجدال شديد الجدل، ويقال جادلت الرجل فجادلته جدلا أي غلبته،... والاسم الجدل، وهو شدّة الخصومة، الجدل: مقابلة الحجّة بالحجّة، والمجادلة المناظرة و المخاصمة"².

¹ - فهمي جدعان: نظرية التراث، المرجع نفسه، ص 31-32.

² - ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري): لسان العرب، المجلد الحادي عشر، دار صادر بيروت لبنان، 2010، مادة (جدل) ص 105.

مدخل: عرض تمهيدي لمفاهيم أساس في جدلية الحداثة والتراث

وجاء في كتاب مقاييس اللغة، جدل الجيم والدال واللام أصل واحد وهو من باب استخدام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام¹.

وجاء في المنجد في اللغة أن جدل: جدولاً الشيء صلب وقوي فهو جدلٌ وجدلٌ... وجدلٌ جدلاً، جدلاً، جدلاً، الحبل: قتله، جدل الشعر: ضفره... وجدل جدلاً: الرجل اشتدت خصومته... الجدل شدة الخصومة².

وبهذا يكون الجدل بمعنى التنازع والمشاادة بين الأطراف، كما يُقتل الحبل ويظفر الشعر ولا يكون هذا إلا إذا تعددت الأطراف وتشعبت الحصلات.

ب. الجدل اصطلاحاً:

يتبين من خلال المعنى اللغوي للفظ "الجدل" أنه ذو مجال لغوي بين طرفين متنازعين، يصبو كل منهما إلى إقرار منهجه ورأيه في مسألة ما.

هذا ما يجعلنا نستحضر فكرة أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان وفطره على عدة طبائع، والجدل هو واحد منها، بل هو الصقُّ الطبائع به لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (54)﴾³، وقد جعل الله سبحانه وتعالى لهذه الطبيعة معياراً فقال عز وجل ﴿(124) ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125)﴾⁴

¹ - أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ط 2، 1389هـ/ 1969م، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ج 1، ص 433.

² - المنجد في اللغة والأعلام: الطبعة 26، دار المشرق، بيروت، 1973، مادة (جدف)، ص 82.

³ - سورة الكهف، الآية 54.

⁴ - سورة النحل، الآية 125.

والجدل بالحسنى أدبٌ وأخلاقٌ¹.

ولأنّ الجدل منبعه فكر الإنسان وتدبره، سيُمثّل الموضوع الحدث في كثير من المواقف عند الفلاسفة بدءًا من أفلاطون الذي يرحّب أنّه أوّل من استعمل كلمة جدل صراحة في مُحاوراته²، أمّا سقراط فالجدل عنده يعني فنّ الحوار أو البحث عن الحقيقة عن طريق السّؤال والجواب³. أمّا عند العرب فقد أشار ابن رشد إلى أنّ الجدل: «إنّما يدلّ على مخاطبة بين اثنين، قصد كلّ واحد منهما غلبة صاحبه بأيّ نوع اتّفق من الأقاويل»⁴.

وبالتّالي لا يوجد أيّ فرق في تعريف الجدل عند الفلاسفة عربيًا كانوا أم غربيين، فالتّنازع والخصومة في الأفكار والمفاهيم، والحلّ هو عبارة عن حوار يتّفق عليه الطّرفان على أن يأتي كلّ منهما بالحجج والبراهين، وبالتالي سيمثّل عند بعض النفوس التي ترجو غلبة رأيها في مقابل دحض الرّأي الآخر هدفًا لا بدّ له من سبيل ومن ثمّ يمكن تعريف الجدل بأنّه «علم باحث عن الطّرق التي يقتدر بها على إبرام أيّ وضع أريد وعلى هدم أيّ وضع كان»⁵.

أي أنّ المجادل عن جهالة هو الخاسر على الأرجح، إذ لا بدّ لأيّ قضية جدليّة من دلائل ومُسوّغاتٍ عقليّة يتّخذها صاحب القضية لنُصرتها.

¹ - ينظر: يوسف عمر لعساكر: الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته (جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجًا) دراسة لغويّة دلاليّة، رسالة ماجستير، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة الجزائر يوسف بن خدة، 2004-2005، ورقة المقدمة.

² - ينظر: إمام عبد الفتاح: تطوّر الجدل بعد هيجل: جدل الفكر، دار التنوير، ط1، 1984، بيروت، ص 08.

³ - مروان عطا مجيد: مفهوم الجدل في الفكر الإسلامي، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقيدة والفكر الإسلامي، العراق، 2019م/1440هـ، ص 05.

⁴ - ابن رشد: تلخيص كتاب الجدل، تحقيق تشارلس بتروث، وأحمد عبد المجيد هريدي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1979، ص 70.

⁵ - أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده (ت 968هـ): مفتاح السعادة ومصباح الحياة في موضوعات العلوم، تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثّة، القاهرة، 1/304.

3. مفهوم الحداثة:

1.3 مفهوم الحداثة في اللغة العربية (المفهوم اللغوي):

ورد في القرآن الكريم لفظ "أحاديث" في قوله تعالى: ﴿ (18) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19) ﴾¹.

أي "أخبارا وعبرا يتمثل بهم في الشر"²، ووردت في الحديث النبوي الشريف بصيغة أخرى في قوله صلى الله عليه وسلم: "إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"³.

وجاء في لسان العرب: «حدث: الحديث نقيض القديم، والحدوث نقيض القدمة، حدث الشيء حدثا وحدثته، وأحدثه، فهو محدث، وحديث، والحديث: الجديد من الأشياء»⁴.

وجاء في القاموس المحيط: «(حدث) حدثا وحدثته نقيض قدم»⁵.

ومن خلال هذه التعريفات اللغوية يظهر لنا «أنّ الحداثة في أصلها اللغوي هي ضدّ القديم، وأنها تستعمل في الأشياء الحسنة والقبیحة، والمعنى المراد يحدده السياق العام، وهو مصدر حدث، وصيغة فعالة تدلّ على الحرفة، والصنعة، والمزاولة إذا كانت مكسورة الفاء مخففة العين، مثل تجارة وزراعة

¹ - القرآن الكريم: سورة سبأ، الآية 19

² - فخر الدين الطريحي (الشيخ) ت 1085هـ: مجمع البحرين، بيروت، دار مكتبة الهلال (ب.ط) 1985م، ج 2، ص 244

³ - الترمذي في السنن: كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة (43/5) رقم 2676، وقال عنه حديث حسن صحيح (القاهرة: مصطفى الباي، تحقيق إبراهيم عطوة)، ط 1، 1382هـ، 1962م.

⁴ - ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري): لسان العرب، بيروت دار صادر، الطبعة الأولى 2000م ج 3 ص 53.

⁵ - الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب) ت 817هـ: القاموس المحيط، بيروت، دار الجيل، (د.ط)، (ب.ت)، ج 1، ص 170.

وصحافة، وتدلّ على اسم الآلة بفتح الفاء مع تشديد العين، ممثل: ثلاجة وسيارة ويزادة، وأخذت دلالتها من صيغة المبالغة، ويصعب توجيه هذا الاصطلاح حسب قانون اللغة والصرف، والخلاصة: أنّ الجدر اللغوي بمعنى الجدّة والحدوث، ولكن يلاحظ عن الترجمة من اللغات الأجنبية الغربية نجد اللبس والغموض والاضطراب والتفاوت.¹

ولذلك من الجدير أخذ مفهومه من البقعة الأصلية التي نبت فيها، حتى يحسن فهمه بدون تأويلات خاطئة قد تؤدّي بالباحث إلى أخطاء منهجية.

2.3 مفهوم الحداثة في الثقافة الغربية والعربية:

1.2.3 أصل الحداثة:

إنّ مصطلح الحداثة غربي المنشأ، وليسهل علينا معرفة مفهومه الحقيقي علينا العودة إلى المعاجم التي كونتها الثقافة الغربية، فعلى سبيل المثال لا الحصر؛ الحداثة «تشير بشكل أو بآخر، إلى رموز الزمن، فمن خلال الصّفة "حديث" تشير إلى نظام جديد، وإلى تسارع وإلى القطيعة، وإلى ثورة في الزمن وعندما تظهر كلمات "حديث"، "تحديث"، "حداثة" نحدّد من باب التضاد ماضيا قديما ومستتبّا... فهي كلمة تشير إلى كسر في السّير المنتظم للزمن وتشير أيضا إلى معركة فيها المنتصرون والمنهزمون»²، مع حمل راية الانفصال عن كلّ البدايات.

أمّا مفهوم "الحداثة" في قاموس لاروس العالمي الصادر عام 1874 على أنّها تعني: «من يقوم بتقدير الأزمنة العصرية أكثر من الأزمنة الحديثة، أو أنّها تشير إلى فيلسوف أو مؤرّخ ينكر الأزمنة

¹ - محمد محمود سيد أحمد طه نور: أعداء الحداثة، مراجعات العقل الغربي في تأزم فكر الحداثة: دار الوعي للنشر والتوزيع، ط 1، 1434هـ، (مركز الفكر المعاصر)، ص 16.

² - برينولا تور: لم تكن حداثيين أبداً، ترجمة إياس حسن وعدنان محمد، دمشق، دار المدي للثقافة والنشر، ط 1، 2000م، ص

مدخل: عرض تمهيدي لمفاهيم أساس في جدلية الحداثة والتراث

القديمة للحضارات الصّينية والهندية والمصرية بينما ينظر إلى اليونانيين على أنّهم المؤسسون الحقيقيون للحضارة العامّة»¹.

وتكون "الحداثة" هي «المقابل العربي لمصطلح "Modernité" أمّا مصطلح "Modernisme" فيترجم إلى الحداثويّة، العصريّة، التّجديد»².

هذا الاقتفاء المعجمي لكلمة "الحداثة" سيُظهر معناها الاصطلاحي بعد أن يتحوّل من معنّى جامدٍ أصليّ إلى معنّى متحرّكٍ بإضافة اللّواحق في آخر الكلمة.

كما نجد أنّ المعجم الفلسفي الذي أصدره مجّمع اللّغة العربيّة في مصر، قد ترجم مصطلح "Modernisme" إلى "تجديد"، وعرّف المصطلح على أنّه: «نزعة تأخذ بأساليب جديدة في نواحي الحياة الفكرية والعلميّة، ومنه التّجديد المتطرّف»³.

من خلال هذه التعريفات نلتبس تداخلاً في عرض المصطلحات القريبة من مصطلح الحداثة، وهذا راجع إلى ظلال المعنى اللّغوي الذي استطلّت به كلمة الحداثة، فنجدها تارة تعني التّجديد وتارة المعاصرة، إلّا أنّ التّعريف الذي نأخذه هو «امتدادٌ طبيعي للقلق الأوروبي، لاضطراب أفكاره ومبادئه وفلسفاته، وآدابه، ذلك القلق الذي كانت بدايته من عصر الظلمات، إلى الكلاسيكية والرّومانية مروراً بالواقعية والبرناسية، وصولاً إلى الرّمزيّة والسّرّبالية والوجوديّة»⁴.

¹ - زينب عبد العزيز: هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة - الحداثة والأصولية - ط 1، سوريا، 2004، دار الكتاب العربي، ص 35.

² - ينظر: سمير حجازي: المتقن: معجم المصطلحات اللّغوية والأدبيّة الحديثة، د. ط، لبنان، د. س، دار الراتب الجامعية، مادّة .Modernité.

³ - مجّمع اللّغة العربيّة المعجم الفلسفي، د. ط، مصر، 1983، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميرية، مادة تجديد.

⁴ - ينظر: عدنان رضا النحوي: الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، ط 2، الباب الرابع، الفصل الأول، ج 1، دار النحوي، السعودية الرياض 1987، ص 179 - 211.

إدًا تعريفها يجب أن يتّصل بمنشئها الحقيقي، الذي يتّسم بنوع من الضبابية، فمن الباحثين من حدّد بدايتها، وفصل في القول بأنّها تجمع خمسة قرون كاملة «بدءً من القرن السادس عشر، بفضل حركة النهضة، وحركة الإصلاح الديني، ثم حركة الأنوار، والثورة الفرنسية تليها الثورة الصناعيّة، فالثورة التّقانية، ثمّ الثورة المعلوماتيّة، ومنهم من جعل هذه الحقبة التاريخيّة أدنى من ذلك، حتى نزل بها إلى قرنين فقط»¹.

والبعض الآخر يوضّح بدايتها أكثر؛ فيقول أنّها بدأت عام 1830 في باريس ورأى بعضهم أنّها ابتدأت مع (إيميل زولا) في كتابه "الرواية التجريبية" سنة 1880، وبعضهم يعتبر مؤسسها (بودلير)، ويعتبر (سيرل كونلي) أنّ فرنسا هي مهد الحداثة الأنكلو أمريكية، فمنها انتقلت بطيئة إلى إنجلترا، ثمّ ازدهرت في أمريكا...، أمّا (فرجينيا وولف) فإنّها تُنتخب سنة (1910م) كنقطة بداية للحداثة، فهي تقول: «إنّه حدث تغيير كبير في العلاقات بين الناس؛ بين السيّد والمسود، والزّوج والزّوجة، والابن وأبويه...»².

بهذا فالحداثة هي من أصل غربيّ لا علاقة له بالفكر العربيّ، بل وجدت كمرحلة تالية للمراحل التي سبقتها مع أمل في أن تكون المنيقذ والمسعف ممّا عاشه الإنسان الغربيّ على مرّ تلك الحقبات من ظلم في التسيير وظلمة في التفكير، غير آبه إلى ما سينجرّ عنها.

2.2.3 أسباب الحداثة:

كلّ حضارة على وجه الأرض تتّسم بالزّمنية والتّاريخيّة، بحسب ما تقتضيه نوامس الكون الإجماريّة، وبموجبها يعيش الإنسان مرحلة ماضيّة، ومرحلة حاضرة، ويتشكّل عنده وعيٌّ كافٍ بواقعه

¹ - طه عبد الرحمان: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلاميّة، المركز الثقافي العربي، منتدى سور الأزبكية، (المغرب- بيروت - لبنان)، ط 1، سنة 2006، ص 3.

² - عدنان علي رضا التّحوي: الحداثة من منظور إيماني، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض السعودية ط 1، 1988م/ 1409هـ، ص 32.

مدخل: عرض تمهيدي لمفاهيم أساس في جدلية الحداثة والتراث

الذي يحاكيه، وكذا ماضيه الذي لا ينفك يراوده، ويلزم فكره، إنها قضية مفهوم "الحداثة"، تلك القضية الواقعية التي نريد أن نستخلصها لأنفسنا طبقاً للصيغة التي يبني عليها بحثنا، وتماشياً مع السجل القائم مع قضية التراث؛ فنجد عدة مفاهيم في الساحة العلمية، بعدة مستويات، وهذا راجع للأهداف التي ترمي إليها "الحداثة" في كونها ثورة ضد كل ما هو ماضٍ، دون وضع حدود لما يقتضيه هذا الماضي.

ويقول آخر «إنها شغف بالمجهول يؤدي إلى تحطيم الواقع، نعم إنها شغف بالمجهول، بالتّي، بالظلام، شغف يحطم الواقع ويدمره، ولكن لا ينقلك إلى واقع أفضل، إلا في خدر السكر، وغيوبة المخدرات، وأحلام السكرى فلا عجب إذن أن يحسب بعضهم أن أصولها تعود إلى شاعر المخدرات الفرنسي - شارل بودلير - 1821-1867»¹.

لقد لخص الدكتور النحوي أسباب ظهور الحداثة في العالم الغربي منها سيطرة الفكر الوثني وأدبه على اليونان فترة طويلة، وكذا فشل المسيحية التي ظهرت في الأوساط الأوروبية فشلاً كبيراً في تقديم البديل العلمي الناجح للوثنية اليونانية، كما مثل حرمان أوروبا من المد الإسلامي الشرقي أو الغربي سبباً رئيسياً في تأزم الفكر الغربي وظهور الحداثة² كخطوة مدمرة لا كخطوة مصلحة، «فالحداثة تبدأ حالما ينفصل المكان والزمان عن التجربة المعيشة، وحالما ينفصلان عن بعضهما البعض، إذ يسهل التنظير لهما باعتبارهما مقولتين مستقلتين، ومتباينتين للاستراتيجية الفعل، وهي تبدأ حالما يتوقف الزمان، والمكان عن الوجود على الحالة التي كان عليها على مدار قرون عديدة في أزمنة ما قبل الحداثة، عندما كانا يتلاحمان ويتشابكان بحيث يتعذر التمييز والفصل بينهما داخل التجربة المعيشة»³.

¹ - عدنان علي رضا النحوي: الحداثة من منظور إيماني، ص 30.

² - المرجع نفسه، ص 30.

³ - زغمونت باومان: الحداثة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2016، ص 50.

مدخل: عرض تمهيدي لمفاهيم أساس في جدلية الحداثة والتراث

بهذا المفهوم، نحن أمام مرحلتين، مرحلة ما قبل الحداثة التي تمثل التراث باعتباره تجربة قد عاشها الإنسان، ومرحلة الحداثة التي لن تبدأ إلا إذا تمّ الانفصال التسلسلي المتمثل في انفصال المكان والزمان "عن التجربة المعيشة" ومن تمّ انفصالهما عن الحالة التي وجدا عليها، وهذا ما يُنفي تماما الفكر العربي المسلم الذي يعتبر التراث جزءا من هويته بل جزءا من كينونته.

ومن ثمّ «فالحداثة هي ظهور ملامح المجتمع الحديث المتميّز بدرجة معينة من التقنيّة والعقلانيّة والتفتّح، والحداثة كونيّا هي ظهور المجتمع البرجوازي الغربيّ الحديث في إطار ما يسمّى بالنّهضة الغربيّة أو الأوروبيّة، هذه النهضة التي جعلت المجتمعات المتطوّرة صناعيّا تحقّق مستوى عاليا من التطوّر، مكّنها ودفعها إلى غزو وترويض المجتمعات الأخرى»¹.

فيظهر السبب الرئيس وراء هذا المصطلح، وهو سبب سياسيّ يحمل شموليّة في الطّرح، تقتضي هدم ماضي المجتمعات، كل ما يحمله الماضي من معنى، امتثالا لمنهج الترويض.

3.3 نقد الحداثة:

مصطلح الحداثة، مصطلح جديد كباقي المصطلحات التي تشهدها الساحة العلمية، وهذا لتداخل العلوم وزيادة اتّساعها باتّساع المعرفة الإنسانية، كون هذه الأخيرة غير محدودة، ومن خلال تقّي الأثر المفهومي لمصطلح الحداثة، وجدنا أنّ هناك صفة واحدة قد ترتبت عن هذه المفاهيم كلّها، فمنهم من يقول: «إنّها "قطع الصلّة بالتراث"، أو إنّها "طلب الجديد" أو إنّها "محو القدسيّة من العالم" أو إنّها "العقلنة" أو إنّها "الديمقراطية" أو إنّها "حقوق الإنسان" أو "قطع الصلّة بالدين" أو إنّها

¹ - محمد سيّلا: مدارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2009، ص 23.

مدخل: عرض تمهيدي لمفاهيم أساس في جدلية الحداثة والتراث

"العلمانية" وأمام هذا التعدد والتردد في تعاريف الحداثة، لا عجب أن يقال كذلك إنها "مشروع غير مكتمل"¹.

فالتطور الحضاري يكون في الانتقال من السّيء إلى الحسن ومن الحسن إلى الأحسن وبهذه القاعدة تعتبر الحداثة بناء بلا قواعد لفقدانه ذلك التسلسل المعرفي الذي تقتضيه كل المجالات وعلى رأسها المجالات الإنسانية وما يرتبط بها من علوم «من المعروف أنّ المشروع الإنساني بأسره يستند إلى اللّغة وسيلة للتواصل بين البشر، وللاحتفاظ بثمرة تفاعلهم مع الطبيعة، حتى لا تبدأ كلّ تجربة مع الطبيعة، وعالم الأشياء من نقطة الصّفر»².

وكمثال مبسّط ننظر إلى المنجز اللّغوي في أيّ مجتمع، نلاحظ أنّه تراكميّ بدءاً من معرفة كنه الأشياء وتسميتها ومن ثمّ إنشاء النظريات والقواعد التي تحكم هذه اللّغات، كذلك فيما يخصّ المنجز العلمي رياضياً كان أم تكنولوجياً؛ سنجد أنّه أيضاً تراكمي باعتبار أنّ القاعدة الأولى سيترتب عليها عدّة قواعد أخرى لاحقاً، بغضّ النظر عن نسبتها أحياناً، إلاّ أنّه لا يمكن نكران كلّ المنجز من أوّله، وإلاّ عاد الإنسان إلى نقطة الصّفر النقطة المدومة، فثُعدم بها المعرفة الإنسانية، ومن هنا فالقطيعة التي نادت بها الحداثة، غير منطقيّة وغير عقلائيّة، ذلك أنّ الإنسان الأوروبي الغربي الذي سيتبّى هذا التصوّر، وبعد أن «كفر باللّه كفراً صريحاً، وحمل المادّية التاريخية والجدليّة، وبدأ يكفر بها، قال إنّ الفنّ للفنّ، ثمّ كفر بذلك، دعا إلى الحرّية والإخاء والمساواة، دعوة طلاء وغشاوة، حتى جاءت الوجودية فأزالت الطلاء والغشاوة، وجعلت الحرّية فوضى، والالتزام تفلّتا والإيمان بأيّ شيء كفراً، فلم يعد في حياة الغربيّ، إلاّ أن تنفجر هذه المذاهب انفجاراً رهيباً يحطّم كلّ قمّة، لتعلن يأس الإنسان الغربيّ

¹ - طه عبد الرحمان: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلاميّة، المركز الثقافي العربي، منتدى سور الأزبكية، ط 1، 2006، (المغرب - لبنان)، ص 23.

² - عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، 2003، ص 30.

مدخل: عرض تمهيدي لمفاهيم أساس في جدلية الحداثة والتراث

وفشله في أن يجد أمنا أو أمانا، لقد كانت الحداثة تمثل هذا الانفجار الرهيب -الانفجار- اليأس¹.

بهذا المفهوم سيتحوّل أمل الإنسان في الحداثة إلى خيبة تمسّ إنسانيّة وأدبه الذي عهد،
"وينطلق أدب اللامعقول" و"اللاتخطيط"، و"اللارواية" و"اللافن"² ليتنقل بذلك إلى عالم التيه
والجهالة، والنكوص على الأعقاب.

إنّ الحديث عن الحداثة الغربية يطول، ولا تكفيه فصول أو أبواب بل مؤلفات بعينها، المهم في
الأمر هو أن ندرك منشأها والأهداف التي ترمي إليها وأنها تمسّ مختلف المجالات، سياسية، اقتصادية،
اجتماعية، أدبية فنية... وغيرها، وأنها تنادي إلى القطيعة مع كلّ ما هو ماضي وتاريخي أو بالأحرى
تراثي، كما أنّها تتهاجم المعتقدات، وتطلق العنان للانحرافات الأمر الذي أدّى بنقدها ورفضها حتى من
طرف روادها الذين تبنّوا آراءها.

وكما كان الاختلاف حول نشأتها، فهناك اختلاف أيضا حول موتها الذي بدأ يُعبّر عنه بـ«ما
بعد الحداثة Post modernisme، ولعلّ المستقبلية الروسية كانت تمثل شكل الحداثة التي ظهرت في
روسيا، حين منح "فلاديمير ماياكوفسكي" نفسه لقب "زرادشت زماننا الصّحاب" بحدود سنة
1915، إلاّ أنّه مع سنة 1930، كانت الحداثة الرومنسية تنتهي مع انتحار ماياكوفسكي نفسه،
وما بين 1919-1922، كانت الدادائية*، تنتهي كذلك في زيوريخ وبرلين، وكولون³.

¹ - عدنان علي رضا التّحوي: الحداثة من منظور إيماني، ص 5.

² - المرجع نفسه، ص 29.

* الدادائية: تعتبر مذهباً أو حركة أو نموذجاً من نماذج الحداثة، وهناك أيضاً الحركة الرمزية والحركة الانطباعية والحركة المستقبلية في
إيطاليا، والحركة المستقبلية في روسيا، والحركة التعبيرية، كما أنّ هناك السريالية التي نبعت من قلب الدادائية وكلّ هذه الحركات
انتهت في بلادها الواحدة تلو الأخرى. ينظر: من كتاب النحوي، الحداثة من منظور إيماني، ص 69-83.

³ - عدنان علي رضا التّحوي: الحداثة من منظور إيماني، ص 32.

هكذا تكون نهاية التيه والظلال، نهاية انتحارية مأساوية، نجمت عن بداية مظلمة قد كفرت بكل ما هو موجود، حتى الكفر بالذات الإنسانية التي حاولوا التحرر من أجلها.

4.3 ما بعد الحداثة:

تعتبر "الحداثة" مرحلة متطورة عن عدة مراحل عاشها الإنسان الغربي، خلال محاولته التفكك من الظلم الذي لاقاه في مجتمعه، فاتخذ من مبادئ الحداثة متنقسا له لبرهه، ولكن سرعان ما تبين له أنّها ليست الحلّ الذي كان يطمح إليه، فأراد تخطي هذه المرحلة إلى مرحلة - ما بعد الحداثة - التي تتخذ عدة تعريفات تُبين مفهومها الفلسفي الغامض الذي يستدعي بالضرورة مختصين في الفلسفة مُرفقين بمعاجم للمصطلحات التي تتناولها مفاهيمها، حتى يتجلى لنا بوضوح الهدف الخفي وراءها، وهناك عدة مؤلفين عرب، قد تناولوا هاتين المرحلتين - الحداثة وما بعد الحداثة - بطريقة مبسطة يفهمها القارئ العربي، ممّا فتح آفاقا أمام عدة باحثين في تناول مثل هذه المواضيع الشائكة والمتشعبة.

إنّ مصطلح "ما بعد الحداثة" هو مصطلح نفي سلمي، وهو ترجمة لمصطلح (Post modernisme أو Postmodernism)، وقد استعملت كلمة Postmodernity لتدلّ على الشيء نفسه، وفي بعض الأحيان يُطلق على مصطلح (ما بعد الحداثة) تعبير (ما بعد البنيوية بالإنجليزية Post structuralism)، باعتبار أنّ فلسفات ما بعد الحداثة قد ظهرت بعد ظهور وسقوط (الفلسفة البنيوية)¹.

وبما أنّ اللسانيات البنيوية التي تنسب إلى دي سوسير هي اللسانيات المنطلق والأصل للسانيات التي تلتها، فإنّ ما بعد البنيوية ستجُث ما قبلها أي البنيوية وما تفرّع عنها، من هنا هل يمكن القول بأنّه لن يبقى أثر للسانيات الغربية وإذا كان الأمر كذلك، فما البديل الذي سيحلّ ما بعد البنيوية؟ وكأنّه منهج تفكيكي ينفي ذلك الترابط الذي تنادي به المعرفة الإنسانية، وهذا المفهوم

¹ - عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان،

مدخل: عرض تمهيدي لمفاهيم أساس في جدلية الحداثة والتراث

نجم عن مقارنة وضعناها بين كلمة بنيوية وكلمة تفكيكية، فإذا نُفِيت البنيوية تحلّ التفكيكية وفق المفهوم المعجمي لهما.

إذن هناك تداخل في فهم المصطلحين (التفكيكية) و(ما بعد الحداثة) «إلا أن (ما بعد الحداثة): هي الرؤية الفلسفية العامة، أما (التفكيكية) فهي بالمعنى العام أحد ملامح وأهداف هذه الفلسفة»¹.

وللغوص أكثر في المفهوم الحقيقي (لما بعد الحداثة) أو ما نجم عنها من أهداف فلسفية، علينا أن نخوض في غمار فلسفي عميق مع انغماس في الميتافيزيقا، يتخطى كلّ التعاليم الإسلامية.

والحديث عن ما بعد الحداثة، سيجرّنا إلى الحديث عن العنصر الأساسي في قضية (الحداثة) وهو عنصر التحديث الذي يختصّ بـ«تحديث الآليات والتكنولوجيا العصرية، ويمكن القول أنه الجانب الإيجابي الوحيد في الحداثة كونه لم يمس بكرامة الإنسان بل ساعد على تطوره»²، وفي هذا العصر، "عصر التحديث والصلابة كان من الممكن ترتيب الواقع ترتيباً هرمياً من خلال المعيارية التي يستمدّها الإنسان من ذاته ومن الطبيعة، أمّا عصر ما بعد الحداثة فليس هناك أيّ نظام أفقي أو رأسي، فلا تظهر معيارية وإمّا تظهر القوة (النيتشوية)* والتكيف (البرجماتي)، وتظهر الذاتية المطلقة المنغلقة على ذاتها، وتظهر التسوية الكاملة بين الكائنات؛ أيّ تساوي كلّ الكائنات من جميع الوجوه (النساء، اليهود، العجر، القرود، الشواذ جنسيا) فهو عالم غير هرمي، إمّا أن يتحكّم فيه الإنسان تماما أو يخضع له تماما»³.

¹ - عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص 81.

² - المرجع نفسه، ص 216.

* النيتشوية: نسبة إلى نيتشه: فيلسوف التقد والتهدم، وهو من دشّن حركية انخيار ركائز الفكر الحديث، وهو الأوّل الذي أظهر تلاشي الرّوح الحديثة، من كتاب الحداثة وما بعد الحداثة، ص 16 من المرجع نفسه.

³ - عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي: الحداثة و ما بعد الحداثة، ص 220.

أي أنّ ما بعد الحداثة ستزيد من شدة التأزم الذي وقع فيه المجتمع الغربي مع الحداثة ومبادئها، ذلك لأنّ ما بعد الحداثة قامت على «تدمير قواعد ثلاث، كانت تتأسس عليها الحداثة، من حيث هي فكرة وتوجّه إيديولوجي تنويري، وهذه القواعد الثلاث قد تمثّلت في: الذات، الحقيقة، والوحدة»¹.

وهي قواعد إنسانية، ولكن بنظرة إحاديّة من طرف الحداثة وما بعدها، فالتصوّر بداية أنّ الحداثة وقعت في أزمة منهجيّة، وأزمة تطبيقيّة، وجاءت حركة ما بعد الحداثة لرفع التأزم، إلاّ أنّها «لا تُعدّ فكرة مجدّية في تحليلنا لتأزم الحداثة، فرغم ما يوجد فيها من فوضويّة، ونقدية، وتعابير جماليّة، ودعوة الإبداع والخلق في كلّ الميادين، إلاّ أنّها تبقى في آخر الأمر دعامة إيديولوجيّة لمجتمعات الوفرة والاستهلاك، ولذلك الأفضل ترك استعمالها جانبا واستعمال مفهوم آخر يُفيد الإشكالية سابقة الذكر ويُعيد صياغة التقدّم من جديد ونعني به مفهوم التّحديث الذي يُعدّ بوضوح حركيّة دينمية تغييرية، قد تكون تطوريّة، ولكنّها لا تلغي كرامة الإنسان أخلاقيا وأنطولوجيا»².

إذن القضية المطروحة، هي قضية مفاهيم ومصطلحات، وتعتبر من أخطر القضايا، لأنّها تمسّ العقول فتحوّل مسارها التفكيري، وبالتالي يتحرّك الفعل الإنساني أينما وُجد، ولذلك حرّي بنا في هذا البحث التطرّق إلى بعض المفاهيم، التي لطالما تفاعلت معانيها مع ذكرنا لمصطلح "الحداثة"، منها: التّجديد، المعاصرة، التّحديث، حتى يتبيّن لنا الفرق الشّاسع بينها.

ثانيا: مفاهيم متداخلة مع مفهوم الحداثة:

1. مفهوم التّجديد:

¹ - ينظر عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي: الحداثة و ما بعد الحداثة ، ص 216 - 217 - 218 - 219.

* أنطولوجيا: دراسة الكائن، مبحث الوجود، قسم من الماورائيات قوامه التساؤلات عن كيفية تحديد ما هو الموجود وما هو الكائن وبذلك يسعى لبلوغ الأشياء في ذاتها من خلال المظاهر الخارجيّة ينظر المرجع نفسه، ص 221.

² - المرجع نفسه ، ص 221.

أ. التجديد لغة:

نجد في المعنى اللغوي لكلمة "تجديد" وهي على وزن تفعيل، ويحمل معنى الحركة والعمل، «وهو من جدّ - جدّة الثوب: صار جديداً، جدّد وأجدّ الشيء: صيّرّه جديداً، فتجدّد»¹.

وفي المعجم الأدبي فكلمة «تجديد Innovation: هي إتيان بما ليس شائعا أو مألوفاً، وهو على نوعين:

- أ - ابتكار موضوعات أو أساليب تفكير أو تعبير تخرج من النمط المعروف والمتفق عليه جماعياً.
- ب - إعادة النظر في الموضوعات والأساليب الرائجة، وإدخال تعديل عليها بحيث تبدو للعيان مبتكرة»².

والتجديد بهذا المعنى اللغوي، يختصّ بكلّ ما هو جديد.

ب. التجديد اصطلاحاً:

التجديد كمصطلح لا يخلو منه أي مجتمع إنسانيّ، الغربيّ منه أو العربيّ، فالتجديد مثلاً عند الغرب، كان عن طريق النظر في المسلّمات التراثية، وإعادة تجديدها، ولكن بنزعة فيها من النرجسيّة أحياناً، «فقد نظروا إلى القدامى على أنّهم قليلو الحظّ من الدّوق، ورهافة الحسّ حتّى أنّ أحدهم قال عن هوميروس إنّه مجرّد مُنشدٍ جوّال، محدود الأفق، خائر الخيال»³، وهذا تعبير عن العزوف عن الأدب الماضي كتمهيد للكفران بأركانه وأساسياته.

¹ - المنجد في اللّغة والأعلام، ط 26، دار المشرق، بيروت، 1973، ص 81.

² - جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط 1، 1979، ص 58.

³ - جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ص 210.

مدخل: عرض تمهيدي لمفاهيم أساس في جدلية الحداثة والتراث

أمّا التّجديد عند العرب؛ فهو شيءٌ مشروعٌ، فقد جاء في الحديث الصّحيح: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: {إنّ الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كلّ مائة سنة من يجدّد لها دينها} ¹.

معنى القول الشريف «أنّ الله سبحانه وتعالى يبعث في كلّ قرن من هذه الأمّة من يحمل راية الاجتهاد والتّجديد، لإحياء النّظر وإعمال الفكر» ²، وقال الجاحظ: "ليس ممّا يستعمل النّاس كلمة أضرّ بالعلم والعلماء، ولا أضرّ بالخاصّة والعامة من قولهم: ما ترك الأوّل للآخر شيئاً" ³.

وهذا المعنى نلتمسه عند المدرسة المحافظة التي تأبى التّجديد بحجّة تقديس كلّ ما هو تاريخي بدون تمييز بينه وبين المقدس المعصوم.

ويقول بعض الفضلاء: «التّصنيف على سبعة أقسام، لا يصنّف عالم عاقل إلّا فيها، وهي إمّا شيءٌ لم يسبق إليه فيخترعه أو شيء ناقص فيتمّمه، أو شيء مغلق يشرحه ويبينه، أو شيء طويل فيختصره، أو شيء مترق يجمعه، أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مؤلّفه فيصلحه» ⁴.

لقد جمعت صور العالم المجتهد المجدّد في هذا القول، فلا عيب في التّجديد لما فيه من فضائل تعود على صاحبها بالخير وعلى المجتمع بالرفقي.

¹ - محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الصّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1413هـ رقم (599)، وقال رواه أبو داود وأبو عمرو الداني في الفتن، ص 148.

² - أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي: أدب الدين والدنيا، دار المنهاج، ط 1، لبنان، 2013، ص 11.

³ - الجاحظ عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ، تحقيق د. علي أبو ملحم، طبعة دار و مكتبة الهلال (الطبعة الأخيرة) سنة 2002، ص 232.

⁴ - أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي: أدب الدين و الدنيا، ص 11.

مدخل: عرض تمهيدي لمفاهيم أساس في جدلية الحداثة والتراث

كما أنّ لفظة التجديد قد شاعت «للدلالة على النزعة التي تمثلت في بعض المدارس التي وقفت في وجه التقليديين، وحاولت إعادة النظر في أصول فنّ من الفنون، واتّخاذ مواقف متميّزة منها، واعتماد تقنيات مبتكرة»¹.

هذا قول يدخل التجديد كمصطلح حيّز المناوشة مع مصطلح -القديم- بالرغم من أنّهما في ميزان زماني عادل إلاّ أن يشوب هذا القديم أخطاءً لا يتمّ السكوت عنها كالبدع الدّينية مثلاً. ومن ثمّ فمصطلح التّجديد بدأ ينحو منحى آخر، بعد الحرب العالميّة الأولى «فقد تدفّق الغرب على البلدان العربيّة تدفّقاً كاسحاً في عاداته، وأنماط عيشه وأساليب تفكيره، ومذاهبه الفلسفيّة والأدبيّة، والفنيّة والتعبيريّة، وناصره عددٌ لا يُستهان به من خريجي الجامعات الغربيّة، ومُحبّذي التطوّر السريع، وتصدّى له من الجانب الآخر كلّ المحافظين على جذورهم الدّينية، والاجتماعية، والثّقافية»²، هذا التصدّي سيولّد ثنائية "التراث والحداثة" ثنائية "الأنا والآخر"، "الأصالة والمعاصرة".

2. مفهوم المعاصرة:

أ. المعاصرة لغة:

من عاصر معاصرةً عاصره: كان في عصره وزمانه، ومعاصيرُ، العصر، أعصُرُ، وعصُورُ: الرّهط والعشيرة... وجمع أعصار، أعاصير: الدّهر³.

ب. المعاصرة اصطلاحاً:

¹ - جبور عبد النور: المعجم الأدبي، قسم (جدلية - جرس)، ص 83

² - المرجع نفسه، جزء (قديم، جديد)، ص 211.

³ - المنجد في اللّغة والأعلام، ط 26، بيروت - لبنان، جزء (عَصَّ، عصر)، ص 509.

نجد الدكتور "محمد عمارة" يعرّف المعاصرة بقوله: «أما المعاصرة فإنّها المفاعلة، أي التفاعل بين الإنسان -أو الثقافة أو الحضارة- وبين العصر أي الزمن المعيش، فإذا تمايزت الأمم في ثقافتها، لتمايز هذه الثقافات، فإنّها ولا بدّ متميّزة مع العصر الذي تعيش فيه»¹.

والتفاعل أمر مشروط في المجتمعات والجميل أن «يعيش المرء في عصره عارفا بزمانه، مقبلا على شأنه بأصالته، آخذا بمقتضيات عصره»².

فكلمة "المعاصرة" لا تذكر إلاّ وهي تنجذب إلى تلك اللفظة التي تشكّل معها ثنائية زمنيّة متمثّلة في "الأصالة"، التي يدلّ عليها اسمها على أنّها شعور الإنسان، أو اقتناعه العميق وانتسابه إلى مجموعة بشريّة هي أمّته، مع مبادئ تفرضها عليه هذه الأصالة بأن يكون هو، هو³.

ونجد الدكتور "محمد رأفت سعيد" يعبر عن "المعاصرة" بقوله: «إنّ المعاصرة لا تكون بغير أصالة، وإن وُجد في عصر من العصور معاصرة بغير أصالة، كانت أهواءً، ومفاسد تنخر في عصرها، وإذا كانت هناك أصالة حقًا فمن مقتضيات المعاصرة»⁴.

تظهر ثنائية "الأصالة والمعاصرة" بهذه المفاهيم بريئة من المعنى الذي تحمله الحداثة التي تجافي ماضي الأمم وتراثها، وقد يصل بها الأمر إلى سحقه وتدميره بتعاليم رسمتها، حتى يستقرّ كيانها في النفوس قبل البلدان.

3. مفهوم التحديث:

أ. التحديث لغة:

¹ - محمد عمارة: أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، دار الشروق الأوسط للنشر، القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، ص 25.

² - محمد رأفت سعيد: الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط 1، 2000، ص 9.

³ - ينظر: مولود قاسم نايت بلقاسم: أصالية أم انفصالية، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 1، 1991، ص 91.

⁴ - محمد رأفت سعيد: الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي، ص 49.

التحديث من: «حدّث: عن فلان: روى وأورد الحديث، وكذا وبكذا أخبره به، حادثة كالمه، تحدّث بالشّيء وعن الشّيء: تكلم وأخبر»¹.

ب. التحديث اصطلاحاً:

مصطلح التحديث في مجمل التعاريف التي أعطيت له تدلّ على التنمية والتطوير في الآليات والتكنولوجيا مما ينتفع به الفرد والمجتمع، وهذا المصطلح قد ترجم هو الآخر عن الحداثة الغربيّة، كما ترجمت لفظة المعاصرة في المقابل باللّغة الإنجليزيّة (Modernism)، ووقع الفكر العربي في صراع بين مفاهيم ثلاث (الحداثة، المعاصرة، التحديث) أيّهما الأنجع والأصلح والأنسب في النهوض بالأمة العربيّة الإسلاميّة، مع العلم أنّ مصطلح "الحداثة" في أصوله الغربيّة يعني التّجديد الذي لا يمتّ للأصل بصلة في شتّى المناحي والمجالات حتى العقائدية منها، ومع ذلك وقع الخلط بين هذه المفاهيم، والسبب في نظرنا يعود إلى قضيّة الترجمة من اللّغة المصدر إلى اللّغة الثانية (اللّغة العربيّة)، وكذا ثراء اللّغة العربيّة بالمفردات ممّا زاد من تشوّش ذهن المترجمين، (مع عدم التّدقيق السّوي).

نحن لا ننكر فقه أدباءنا الكرام للمعاني الإسلاميّة، والمبادئ الشرعية التي ينادي بها دينهم الحنيف، فقد حرصوا على اختلاف مشاربهم الثقافية على أن تكون هناك ريادة لمجتمعهم، مع الأخذ بأسباب التطوّر والرّقي.

والمهم هنا أن نعرض مصطلح "التحديث" بشفافية، فكثيراً ما يخرج معناه عن السيطرة، لذلك علينا ضبطه فهو: «التعرّض للأمور المستحدثة في حياتنا العلميّة، وبيان حكم الإسلام فيها، فإذا وافقت هذه الأمور القواعد الإسلاميّة، فإنّها تكون مشروعة، وما لم توافق، فإنّها تكون غير مشروعة،

¹ - المنجد في اللّغة والأعلام، قسم (حدّأ، حدر)، ص 121.

لقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ} ¹ وفي رواية مسلم {من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ} أي أنّ كلّ أمر مستحدث وليس له سند شرعي من كتاب الله وسنة رسوله، فإنه يكون مردوداً ويُعدُّ مرفوضاً².

وهذا يخصّ التحديث في الآلات الصناعية أو التنمية التي في ظاهرها منافع للناس، إلا أنّها تستعمل في غير رضا الله عزّ وجلّ، وتعود على مستعملها بالضّرر، والإسلام لا ينافي المبادئ العلمية، فقد جاء لينادي بالعلم من المهد إلى اللّحد وقد أكّد العلماء ما للإسلام من علم أزلّي جاءت نصوصه في القرآن الكريم من علم الفلك والرياضيات، وعلوم الأحياء، وغيرها ممّا يسمح للمجتمعات بالتّمو والتطوّر، ومن هنا يكون التحديث هو المصطلح القريب إلى الفكر العربي والأصلح له كبديل عن مصطلح الحداثة، بالإضافة إلى «أن تبني المنهج العلمي ساعد على اكتشاف العناصر التي تشترك فيها كل المجتمعات، ممّا عاون على صياغة تعريف مقبول لمفهوم التحديث، فأصبح يشير إلى نموذج محدّد للتغيير يظهر في المجتمع، أو العملية المعقّدة التي تستهدف أحداث التغييرات في جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والأيدولوجيّة»³.

ثالثاً: التثاقف بين اللسان العربي و اللسان الغربي:

1. بداية المثاقفة العربية:

¹ - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت 256هـ) صحيح البخاري، تقديم: أحمد محمد شاكر، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط 1، 2010، رقم الحديث 2697، كتاب الصلح، ص 318.

² - عكرمة صبري: التجديد والتحديث: بحث مقدّم في المؤتمر العام التاسع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية المنعقد في القاهرة، جمهورية مصر العربية، في 8-11 ربيع الأول 1428هـ الموافق ل 27-30 مارس 2007م، ص 3.

³ - جهينة سلطان سيف العيسى: قضية التحديث في ضوء الاتجاهات المعاصرة لعلم الاجتماع، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد الأول 1979م/ 1399هـ، ص 135.

لقد قام الصليبيون بحرب في حطين وما بلغوا من مُناهم إلا أن تكبدوا خسائر جسيمة، انتهت الحرب، ورجع الأوروبيون إلى أوطانهم، وقد احتكوا بالمسلمين مما رفع من مستواهم المعرفي، ونعني هنا مسلمي الأندلس وهم في كفة العلماء والمجتمع الراقي، حيث تتلمذ الغربيون على يد هؤلاء العلماء ودرسوا في جامعاتهم، ولم يمض من الوقت الكثير في نظر التطور الزمني حتى بدأ الغربيون في النهوض نتيجة تأثرهم بالمسلمين، وفي المقابل بدأ المسلمون يتراجعون شيئاً فشيئاً، حتى دخلوا مرحلة الانحطاط التي عرفت بمرحلة التخلّف والأمية، وشاء الله تعالى، أن يكون اللقاء بالغربيين مرة أخرى، ولكن بانقلاب الموازين، والأحوال والمستويات، فالغربي قد نظّم نفسه، ربّب ذهنه، طور جهازه بالتكنولوجيا، واستطاع بذلك غزو المجتمع العربي واستعمارها بعد أن تخلّف وتراجعت قواه¹.

هذه المرحلة الالتقائية هي مرحلة الثقافة العربية التي تمثل مظهر الانبهار حيناً أو موقف العرب الذين تقبلوا الحضارة الغربية، فذابوا فيها واختلط عليهم الإحساس بماضيهم والشعور بواقعهم، ثم تمثل هذه الثقافة حيناً آخر موقفاً نقيض الموقف الأول: «فهؤلاء رفضوا الحضارة الغربية بخيرها وشرها، خلّوها ومُرّها، وتَفَوَّقُوا على أنفسهم، وكانوا دُعاةً للتمسك بكلّ قديم، ورفض كلّ جديد يأتي من جهة الغربيين، وساد مثل هذا الموقف في بلد كأفغانستان واليمن ... وكان من نتيجته أن بقي أصحابه في تخلفهم وأميّتهم، وتجاوزهم قطار التقدم، في المقابل استطاع هؤلاء بتفوقهم أن يحفظوا أنفسهم من مفسدات الغرب وضلالاته، فلم يأخذوا من خيره ولم يتأثروا بشرّه»²، هذا موقف سيمتد ليُمثّل موقف المتمسكين بتراثهم أو الأصوليين كما رأينا ذلك سابقاً.

أمّا الموقف الوسطي الذي لا يخلو من أيّة قضيّة، فنجد أصحابه يوازنون بين ماضيهم وبين واقعهم وحاضرهم، بثقافة عربية سوية يُدرك العربيّ من خلالها المفاهيم التي تقتضيها الحضارات.

¹ - ينظر: بسام جرار: دراسات في الفكر الإسلامي، مركز نون للأبحاث والدراسات القرآنية، البيروت، فلسطين، 2017، ص

367.

² - المرجع نفسه، ص 368.

وحتى لا يتكوّن لدينا خلط بين كلمة الثقافة والمثاقفة، تُعرّف الثقافة التي ارتبط معناها بالتحضّر والارتقاء على أنّها تخصّ الشخص المتعلّم هذا هو المعنى الذي أصبح لصيقا بها، إلا أنّها تعني عند الباحثين «البيئة التي يخلقها الإنسان لنفسه، والتي تتضمن الصّورة المتكاملة والمعقدة، بيئة الإنسان في مجتمع معيّن يتألّف من علوم ومعتقدات وفنون وقيم، وقوانين، وعادات وغيرها، وهي أيضا تلك الأشياء الماديّة التي يضعها الإنسان، والنماذج المختلفة التي يصبّب فيها الأفراد سلوكهم، وتصرفاتهم والمعارف التي يدركها أو يكتشفها البشر والأديان التي يعتنقونها»¹.

في المجال اللّغوي نعتبر أنّ لفظة "المثاقفة" مشتقة من "ثقافة"، وكما هو معروف في الصّيغ الاشتقاقية، فإنّ الكلمة المشتقة تُأخذ من المعنى الأصلي للكلمة المشتقة عنها، إلا أنّنا في هذا البحث نتعامل مع مصطلحات مترجمة عن لغة أصل وهي اللّغة الأجنبيّة الغربيّة، وبذلك تُكوّن المثاقفة بحسب البيئة وكذا المجال عدّة معاني وعدّة أشكال، «فقد اقتبس مفهوم "المثاقفة" من علميّ الأنثروبولوجيا والسّوسولوجيا، وكان الأنثروبولوجيون الأمريكيون أوّل من ابتدع مفهوم "المثاقفة"، أمّا الإنجليز فأطلقوا عليه مصطلح "Acculturation, 1980"، وراه الإسبان على أنّه التحوّل الثقافي Cultural Exchange أو التبادل الثقافي Transculturation، وفضل الفرنسيون مصطلح (تداخل الحضارات) Interpénétration des civilisations»².

والمثاقفة لفظ عربيّ، يحمل معنى المفاعلة والتفاعل الاختياريين، وبشكل طوعيّ، لا يتمّ ولا تُجنّى ثماره إلا برغبة متبادلة بين المثاقفين، بعيدا عن الإرغام والقهر الناتج عن الحروب أو الغزو، ممّا سيخلّف بدل المثاقفة تشوّهات ثقافية³، تُنسب إلى المجتمعات الضعيفة التي تمّ احتلالها، ومن هنا نريد أن نستخلص المعنى الأصلي للمثاقفة، ذلك المعنى الذي تتساوى فيه الأطراف المثاقفة، من دون

¹ - محمد جمال برعي: فن التدريب الحديث في مجال التنمية، مكتبة القاهرة الحديثة، الطبعة الأولى، 1970، ص 29.

² - سارة بوزرور: الترجمة وفعل المثاقفة في ترجمة رواية الزلزال للطاهر وطّار، ترجمة مارسيل بوا -أمودجا- مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، كلية الآداب واللّغات والفنون، قسم الترجمة، جامعة وهران، 2009-2010، ص 61.

³ - ينظر المرجع نفسه، ص 61.

إهمال للثقافات السائدة، الواحدة منهما على حساب الأخرى، تُريد من المثاقفة أن «تُمثّل التفاعل بين الذات والآخر، من أجل صياغة جديدة تعكس رؤية تطورية، وحضارية للعالم، وتلاقح ثقافات مختلفة، تقوم على أساس من الشراكة الضمنية بين الأنا والآخر، بُغية إنتاج معرفة موضوعية، تهدف إلى الالتقاء بالإنسان وشروط حياته، كما تُعنى بالتواصل الثقافي بين الأمم، والثقافات، وهو ما ذهبت إليه الكثير من الكتابات الفكرية التي تحتزل واقع التعايش الأنثروبولوجية»¹.

يبدو التعريف جميلا يحمل معه ذلك الأمل في التطور المنشود، إلا أنه حقيقة سيتحوّل - في غياب الجهود لنصرة الثقافة والانتماء التاريخي - إلى «مقولتي الأقوى والأضعف، والغالب والمغلوب ... كل ذلك أدى بالفكر الغربي في عملية المثاقفة إلى تقسيم العالم إلى ثنائية قطبية "نحن - هم" وجعلها قسمة ثابتة مستقرة، لا تقبل التبدّل أو التغيّر، هذا التصوّر المتشبع بالهيمنة والقهر والتعالّي والاعتزاز بالذات، وتحقير الآخر أفضى إلى اجتثاث شروط المثاقفة، وفرض مرجعا ثقافيا وحيدا، يحقّق للإنسان المتفوّق إخضاع الآخر والتصرّف فيه»².

والمثاقفة بمفهومها الطبيعي البعيد عن لغة الأقوى والضعيف لها وجهان مثاقفة محلية داخلية، وهنا يتصدّر اللسان العربيّ هذه الفاعلية، وتبقى فقط تلك الرتوشات الاختلافية، الجغرافية أو الأيديولوجية المجتمعية بين بلد وآخر، أو حتى بين أصحاب البلد الواحد، وفي هذه الحالة ففضية المثاقفة أو الثقاف ليست خطيرة بل نعتبرها واجبة بحكم ما تقتضيه الحضارات من تفاعل، عكس ما تقتضيه المثاقفة الخارجية من حذر وهي من صميم بحثنا، وتعني أيضا المفاعلة³ بين اللسان العربيّ واللسان الغربيّ، لأنها «ستتعمّد من خلال الانفتاح على العالم الخارجي، وعلومه، وأفكاره، ونظرياته

¹ - نصر محمد عارف: الحضارة الثقافية المدنية دراسات لمسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، منشورات الفكر الإسلامي، الرياض

للكتاب الإسلامي، والولايات المتحدة الأمريكية، الدار العالمية 1995، ص 34.

² - لصير نور الدين: المثاقفة بين غياب الأنا وحضور الآخر، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب واللغات،

العدد 20 جوان 2018، ص 100.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 99.

مدخل: عرض تمهيدي لمفاهيم أساس في جدلية الحداثة والتراث

الأشدّ خطورة»¹، ونقصد هنا موضوع الحداثة التي جاءت بمبادئ تتنافى مع المبادئ العربيّة الإسلاميّة ولا ننفي الاحتكاك بالعلوم التي حازت عليها الدول الغربيّة، لأنّ الإسلام لا يتنافى مع العلم، كما نؤكد على عدم الخلط بين "المثاقفة" و"التمائل" الذي «يجب أن يفهم على أنّه المرحلة النهائية من مراحل "المثاقفة" وهي مرحلة يُنذرُ بلوغها، وهي تقتضي غياب ثقافة الجماعة بشكل نهائيّ مع استبطان تامّ لثقافة الجماعة المهيمنة»².

والحديث عن "المفاعلة" بين اللسان العربي واللسان الغربي، يُحيلنا إلى الحديث عن الجسر الذي سهّل عملية هذا التفاعل -المثاقفة- والمتمثل في جسر الترجمة.

2. الترجمة جسر للمثاقفة:

إنّ لفظ الترجمة، من الألفاظ العربيّة الأصيلة، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور: «والتّرجمان: المفسّر، وقد ترجم كلامه إذا فسّره بلسان آخر ومنه التّرجمان والجمع التّراجم»³.

أمّا اصطلاحاً فنجد معنى "الترجمة" يسير وفق المعنى اللّغوي الذي وُضع له فقد عرّفها "الزّرقاني" بقوله: «هي نقل الكلام بأنواعه المختلفة، من لغة إلى أخرى، ومعنى نقل الكلام من لغة إلى أخرى: التّعبير عن معناه بكلام آخر من لغة أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده، كأنّك نقلت الكلام نفسه من لغته الأولى إلى اللّغة الثانية»⁴.

أي أنّ لكلّ لغة تركيبية خاصّة بها تميّزها عن لغة أخرى، كأن يُقدّم الاسم على الفعل في اللّغة الفرنسيّة مثلاً عكس ما هو في اللّغة العربيّة الحالة الطّبيعيّة للجملّة الفعليّة هي تقديم الفعل على الاسم بغضّ النظر عن شساعة اللّغة العربيّة وثنائها من حيث المادّة والمعنى، ففي حالة الترجمة من أيّ

¹ - سارة بوزرزور: الترجمة وفعل المثاقفة في ترجمة رواية الزلزال للطاهر وطّار، ترجمة مارسيل بوا-أمودجا- مرجع سابق، ص 67.

² - المرجع نفسه، ص 63.

³ - ابن منظور: لسان العرب، بيروت، لبنان، مادة (عجم).

⁴ - الزرقاني محمّد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، القاهرة، (دون تاريخ)، ص

مدخل: عرض تمهيدي لمفاهيم أساس في جدلية الحداثة والتراث

لغة إلى اللغة العربيّة سنصطدم بحقيقة الاختلاف التركيبي للكلام أو اللغة المنقولة عنها، كما تتدخل أيضا الصبغة الثقافية التي يصطبغ بها ذلك الكلام، وكذا الصبغة العقائديّة، وفي هذا الصدد نذكر التّرجمة التي خصّص القرآن الكريم وكذا الانتقادات التي وجّهت إليها بأنّها ترجمات ليست بالمعنى الدّقيق الذي يحتويه القرآن الكريم¹ ... وغير هذه الأمثلة كثير.

ومن هنا، تعتبر قضية الترجمة في نقل العلوم والأخبار أو الثقافة بصفة عامّة قضية ذات أهميّة بالغة، مرفقة بخطورة واردة، لذلك وُضعت للمتّرجم مؤهلات عدّة تضبطه أهمّها²:

1. مخزون لغوي كبير من مصطلحات، وإطلاع واسع على ثقافة اللغة المترجم منها وإليها.
2. استعدادٌ نحويّ وبلاغيّ وبيانيّ وأسلوبيّ، فلا يترجم من يتكلّم لغتين ولفظاً.
3. التمتع بصفات ذهنيّة وشخصيّة كبيرة، كالذكاء وسرعة البديهة والصبر، وروح المبادرة، والتحمّل والوفاء بشروط الترجمة والرّسالة المقدّسة للمتّرجمين والترجمة (الأمانة والنزاهة المعرفيّة).
4. البعد عن الانحراف والانصراف إلى مستويات مستهترة، بواعثها الافتقار إلى القاعدة الصّلبة والأساس المتين في اللغة.
5. روح المراجعة والمطالعة وامتهان ثقافة الحاسوب والمعلوماتية.
6. الحاجة والهمّة، شرطان لازمان، وتأتي بعدهما المواظبة على درس ما تُرجم وشرحه وتلخيصه³.

¹ - ينظر سريسر مليكة: ترجمة معاني القرآن الكريم عند دونيز ماسون - دراسة تطبيقية - بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم الترجمة مدرسة الدكتوراه للترجمة، 2012، 2011، ص 49.

² - ينظر: الحميدان عبد الله: الترجمة بين متناقضات النظريّة إلى ضوابط التّطبيق العلمي، إصدارات مركز البحوث كلفة اللّغات والترجمة السعودية، 1994، ص 10.

³ - ينظر: الديدواوي محمد: منهاج المترجم بين الكتابة والاصطلاح والهواية والاحتراف، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 1، 2005، ص 359.

7. الاحترافية أساس الترجمة: لا يضع المترجم المحترف سلسلة من الرموز والتراكيب اللفظية بشكل منفصل بعضه عن بعض، بل يصيغ قولاً مترابطاً قوامه مكونات متماسكة وواردة في قالب بنية الجملة ذاتها.

ومن الجدير بالذكر، أنّ الثقافة العربيّة الإسلاميّة، عرفت مرحلتين أساسيتين: وهما مرحلة الترجمة في العصر العبّاسي، إبان حكم المأمون الذي سهّل عملية ترجمة أمّهات الكتب، من اليونانية إلى العربيّة، وفي مختلف المعارف والمجالات، وهي لحظة عبّرت عن قوّة العرب في مقابل الغربيّ، ممّا جعل العربيّ يأخذ من هذه الحضارة العريقة، ومن علومها، إلى ثقافته عبر الترجمة، والمرحلة الثانية؛ كانت في أواخر القرن التاسع عشر، أي بعد حركة النهضة التي تميّز فيها العرب بالضعف، في مقابل الغربيّ القوي¹.

بهذا تكون "الترجمة" عملية حتميّة في معظمها قد نجمت عن مرحلة الاصطدام التي وقع فيها العرب في عصر النهضة، وقد سمّيت بصدمة الحداثة، وهذه الصدمة قد تطول مدّتها، وقد تقصر بالدخول في مراحل أخرى، وهذا راجع إلى الإرادة المجتمعية².

ويؤكّد طه عبد الرّحمان في كتابه "فقه الفلسفة والترجمة" (1995): أنّ هناك ثلاثة أنواع في الترجمة: الترجمة التحصيلية التي يتمّ فيها تحصيل المعاني المفردات والجمل، والترجمة التوصيلية وفيها يتمّ توصيل المعنى إلى القارئ، والترجمة التّأصيلية التي تقوم بتأصيل النصّ المنقول أو الثقافة المستقبلية ليصبح جزءاً منها³. والمرحلة أو النوع الثالث من الترجمة، هو الذي يعني بحثنا، مع أنّه لا يستغني عن الأنواع الأخرى، أي أنّ الترجمة تبدأ صغيرة استكشافية وتنتهي بالتّأصيل الذي بدوره سيتطلّب الحرص

¹ - ينظر: إبراهيم أولحيان: منتدى العلاقات الدولية العربية، الترجمة وإشكالات المناقفة وسؤال الهوية الثقافية، إعداد وتقديم مجاب الإمام ومحمد عبد العزيز، الجلسة الثالثة، الترجمة والأدب، قطر 2014 ص 249.

² - ينظر المرجع نفسه، ص 250.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 252.

مدخل: عرض تمهيدي لمفاهيم أساس في جدلية الحداثة والتراث

في انتقاء المصطلحات، وهذا ما شكّل أزمة لا تزال إلى يومنا هذا تُعاني منها العلوم الإنسانية واللّسانية بخاصّة.

رُغم المخاطر التي قد تنجم عن الترجمة الخاطئة، إلا أنّها وبيعضٍ من الحرص والمعرفة، «سَتُبَدَّد المسافة الموجودة بين الذات والآخر، وتُذيب هذا التباين الموجود بين اللّغات، والثقافات في العالم، وهي الأداة التي بها يمكن اختبار هذه الذات، لأنّ الترجمة تضعنا على حافة المعارف لتمتحننا، فتتصدّع لغتنا، وترتجّ ثقافتنا، وتنتقل من موقع اليقين إلى الارتباك والشكّ، من الطمأنينة إلى اللّاطمأنينة، مسترّ حافلٌ بالمخاطر والمهالك، وعلينا أن نعبره، هكذا تبدو الترجمة... فكم من نصوص ومن معارف في ثقافتنا لم نرجع إليها، إلاّ بعد معرفتنا بثقافة الآخر، الذي جعلنا ننتبه إليها»¹.

إذن "الترجمة والمثاقفة" عمليتان متلازمتان، ومن متطلّبات السيرورة الحضارية، ولهما من الأهميّة ما لا يمكن نكرانه، ولكن يجب أن يكون هناك وعيٌ وتمحيص، بما تُقدّمه لنا هذه المفاعلة، لا الانبهار والدّوبان في ثقافة الآخر، حتى نستطيع أن نكوّن منها ارتقائيا للفكر العربي على جميع الأصعدة.

خلاصة:

بموجب ما سبق ذكره، فإنّ التراث أصلٌ وهويّة الإنسان العربي، والحداثة تلوح في الأفق العربي الحاضر اضطرارا جراء المثاقفة العربية، وذلك لتداخل مقتضيات العصر مع التطوّر الحضاري الذي يُلزم كينونة الإنسان العاقل، ومن ثمّ فإنّ جدلية (التراث والحداثة) هي جدليّة أوسع ممّا نتخيّل، لأنّها تحمل في داخلها نسيجا معقّدا من المفاهيم كانت سليلة هذه الجدليّة، وبحثنا هذا لن يسعها كلّها ولكن، نأخذ منها ما يوضّح هذه العلاقة التي اختلط فيها الزّمان والمكان، والوفود والتّصدير، هذا هو التّفاعل

¹ - إبراهيم أولحيان: منتدى العلاقات الدولية العربية، ص 248.

مدخل: عرض تمهيدي لمفاهيم أساس في جدلية الحداثة والتراث

بحد ذاته، الذي تقتضيه الحركة الحضارية، من تواصل بين ثقافات الشعوب، وعليه وجب على الباحث العربي الذي يسعى إلى تطوير اللغة العربية من خلال تلاقح المعارف، أن يولي اهتماماً بالغاً للجانب المفاهيمي المصطلحي في مثل هذه القضايا الشائكة والخطيرة.

الفصل الأول:

اللسانيات العامة واللسانيات العربية الحديثة - من النشأة إلى النموذج البديل -

تمهيد:

مجال حديثنا هو اللّغة، تلك الفطرة التي لا تنفك تخالج صدر الإنسان وتحرك لسانه وتشغل تفكيره منذ زمن بعيد، الأمر الذي جعله يُقيم حولها هالة من التّخمينات والتّساؤلات، تطوّرت لأن تصبح دراسات حقيقية ذات نتائج تختلف باختلاف مبدأ البحث فيها.

استمرّ البحث في اللّغة، وتنوّعت أسبابه إلى أن وصل عتبة العصر الحديث، الذي بدوره شهد أحداثا زاخرة سياسية واقتصادية ودينية تحوّلت بموجبها دراسة اللّغة تحولا يشهد له العالم كلّهُ.

ربّما هذا الانتقال من مرحلة إلى أخرى؛ سيؤدّي بنا إلى القول أنّهُ تشكّلت لدينا معرفة جديدة مخالفة تماما عما عهد من قبل، ومع ذلك لا يمكن الجزم بأنّ هذه المعرفة قد جاءت من فراغ، وإتّما هي وقفة فكرية ذات ارتكاز معرفي سابق ولقطة نقدية بنّاء ارتآها الفكر تصحيحا لما سبق، ونقصد هاهنا فكر دي سوسير (1857-1913) الذي تتلمذ على يد علماء درسوا اللّغة خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر، وراح ينقد أعمالهم، مع عدم رسم قطيعة مع المراحل الثلاث الأساسية التي وضعها اللّغويون القدامى والمتمثلة في النّحو التّقليدي (Grammaire) والفيلولوجيا (La philologie) والنّحو المقارن أو الفيلولوجيا المقارنة (La philologie comparée)¹، ليخلص إلى نتيجة مفادها أن اللّسان لا يمكن دراسته بدقّة بعيدا عن الأهواء والذاتية إلا عن طريق منهج علمي دقيق والذّي تمثله اللّسانيات.

أولا: بين اللسانيات العامّة والحداثة العربية - نظرة في مسار النموذج وتحوّله -

1. مفهوم اللّسانيات:

¹ - ينظر: مصطفى غلفان: في اللّسانيات العامّة: تاريخها - طبيعتها - موضوعها - مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، 2010، ط 1، ص 96-97.

منذ أن طرحت فكرة دراسة اللّغة دراسة مغايرة لما كانت عليه من قبل أو كما اصطلح عليها بـ "اللسانيات"، والباحثون يجتهدون في توضيح هذه التعريفات، وفق ما جاء به صاحب هذه الفكرة ملخّصًا في كتابه محاضرات في اللّسانيات العامّة، وعليه سنعرض بعض التعريفات التي أتى بها ثلّة من الباحثين العرب، حتى نستطيع معرفة المشترك بينها وتظهر لنا بوضوح صورة هذا العلم الحديث.

نجد الأستاذ أحمد محمّد قدّور يعرفها فيقول: «اللسانيات (Linguistique) هي العلم الذي يدرس اللّغة الإنسانيّة دراسة علميّة تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيدا عن النزعة التّعليمية والأحكام المعياريّة»¹.

ويوافقه في تعريفه هذا عدّة باحثين من بينهم محمّد السّراقبيّ في كتابه «الألسنيّة»².

ويعرفها الأستاذ أحمد حساني فيقول: «تعرف اللّسانيات بأنّها: الدّراسة العلميّة والموضوعية للسان البشري من خلال الألسنة الخاصّة بكلّ مجتمع»³.

يوافقه في هذا التّعريف الكثير من الباحثين من بينهم نصر الدّين بن زروق في كتابه "محاضرات في اللّسانيات العامّة".

ويعرفها الأستاذ محمّد محمّد يونس علي في كتابه "مدخل إلى اللّسانيات" بقوله: «تعرف اللّسانيات (Linguistics)، ويسمّى أيضا الألسنية، وعلم اللّغة، بأنّها "الدّراسة العلميّة للّغة" تميّزها عن الجهود الفرديّة، والخواطر والملاحظات التي كان يقوم بها المهتمّون باللّغة عبر العصور»⁴.

¹ - أحمد محمد قدور: مبادئ اللّسانيات، طبعة مزيدة منقحة، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008، ص 15.

² - ينظر: وليد محمد السّراقبيّ: سلسلة مصطلحات معاصرة (29): الألسنية مفهومها مبانيها المعرفية ومدارسها، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ص 14.

³ - أحمد حساني: مباحث في اللّسانيات سلسلة الكتاب الجامعي، منشورات كلية الدّراسات الإسلاميّة والعربيّة - دبي - الإمارات العربيّة المتّحدة، ط 2، 1434هـ - 2013م، ص 24.

⁴ - محمّد محمّد يونس علي: مدخل إلى اللّسانيات، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، ط 1، 2004، بنغازي - ليبيا، ص 9.

ومن خلال هذه الأقوال الثلاث يتّضح لنا أنّهم يشتركون كلّهم في اعتبار اللسانيات علماً يدرس اللسان البشري بطريقة علمية وموضوعية، عكس ما كانت عليه دراسة اللسان سابقاً، ولو أنّ هذا القول سيجد انتقاداً وردّاً واضحاً بخصوص السّبق في هذه الدّراسة مع ما أنجزه اللّغويون العرب القدامى من دراسات تُشهد لها أيضاً بالعلميّة والموضوعيّة¹.

أمّا بخصوص التعريف المشترك لللسانيات في كونها «الدّراسة العلميّة للسان»²، فنجد للأستاذ "مصطفى حركات" رأياً آخر مغايراً. ففي نظره أنّ هذا التعريف هو عامٌّ جدّاً، ولا يُحدّد اتجاه هذه الدّراسة ونوعها واهتماماتها، وأنّه ليس كلّ ما يدرس بطريقة علميّة جانباً من جوانب ما ينتجه البشر من كلام يُعدّ جزءاً من اللّسانيات³، ودليله في ذلك هو أنّ «اللسانيين أنفسهم يرفضون إدخال الصّوتيات الفيزيائية حتّى وإن استعملوا الكثير من نتائجها، ضمن مواد علمهم، كما أنّهم همشوا الدراسات الاجتماعية الخاصّة باللّغة والدّراسات النفسية التي تهتمّ بالكلام، ففضلوا أن تكون الأولى اختصاصاً سمّوه علم اللسان الاجتماعي (Sociolinguistique) والثانية ميداناً لُقّب بعلم اللّغة السيكلوجي (Psycholinguistique)»⁴.

ومن خلال هذه النّظرة الخاصّة في تعريف اللّسانيات يمكن أن نخلّص إلى ما خلّص إليه صاحب هذه الوجهة: «أنّ اللّسانيات علم قائم بذاته حتى وإن استفاد من بقية العلوم وهو يستعمل منهجيّة خاصّة ويهدف إلى أغراض معيّنة»⁵.

¹ - ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية، الجزء 1، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ص 14، وكذا رشيد العبيدي: في الألسنية المعاصرة والعربية، الذخائر، العدد 1، شتاء 1420هـ - 2000م.

² - مصطفى حركات: اللّسانيات العامّة وقضايا العربية: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط 1، 1418هـ / 1998م، ص 13.

³ - المرجع نفسه، ص 13.

⁴ - المرجع نفسه، ص 13.

⁵ - المرجع نفسه، ص 13.

وبما أنّ اللسانيات توصف بالعملية في كلّ حين، فيكون لزاماً عليها أن تستوفي أربع خواصّ وهي: الوضوح والنظامية والموضوعية وإمكانية التطبيق¹:

- الوضوح: أن تكون الفكرة المطروحة واضحة، و مسجّلة بصورة سهلة خالية من التعقيد قدر الإمكان.

- النظامية: هي وثيقة الصلة بالخاصية الأولى، و هي الوضوح، و تعني باختصار شديد الأخذ بمنهج محدد في النظر إلى المادة المدروسة من جمع و ترتيب و تفسير و تحليل.

- الموضوعية: يشكّ بعض الدارسين في إمكانية تحقيق الموضوعية تحقياً دقيقاً في الدرس اللغوي.

- إمكانية التطبيق: هي في الواقع خاصّة مترتبة على تحقيق الخواص السابقة، و هي نتيجة طبيعية لها.

و هذه الخواصّ معقّدة وغاية في الصّرامة إذا ما طبّقت في أثناء الدّراسة اللّغوية، ويبقى لنا أن نتخيّل دقّة النتائج المتوصّل إليها، إلّا أنّ «هذه الأمور في جملتها عصيّة المنال في حال النّظر في اللّغة»². ومع ذلك فإنّ «الثقات من اللّغويين في العصر الحديث متفقون على تحقيق هذه الخواص الأربعة في البحث اللّغوي، ليستقيم لهم رأيهم في حسابان الدّرس اللّغوي علماً له استقلاله وحدوده»³. ومن ثمّ المسارعة في تقصّي الحقائق اللّغويّة وحلّ المشكلات المطروحة حولها.

2. تاريخ اللسانيات:

إذا نحن سلّمنا بفرضيّة أنّ المعرفة هي «ذلك الرّصيد الذي تمّ تكوينه من حصيلة البحث العلميّ والتّفكير والدّراسات الميدانية، وتطوير المشروعات الابتكارية وغيرها من أشكال الإنتاج

¹ - كمال بشر: التفكير اللّغوي بين القديم والجديد، دار غريب، القاهرة، ب. ط، سنة 2005، ص 53، 54، 55.

² - المرجع نفسه، ص 59.

³ - كمال بشر، التفكير اللّغوي بين القديم والجديد، ص 55.

الفكري للإنسان عبر الأزمان»¹. واعتبرنا أنّ اللسانيات هي شكل من أشكال المعرفة حينها فقط يمكن القول بأنّ اللسانيات لها إرهاصات وجذور في عمق التاريخ وأنها كما عبّر عنها جورج مونان (1910-1993) Georges Mounin: «لم تنبثق فجأة في القرن التاسع عشر كما تنفجر العاصفة في سماء صافية، لقد مهّدت لظهورها آراء سابقة في اللّغة على الأقلّ منذ مصرّ القديمة»². وهذا قول يؤكّده روبنز Robins بقوله: «إنّ اللسانيات اليوم مثلها مثل فروع العلم والمعرفة الإنسانية الأخرى، ومثل كلّ مناحي الثقافات الإنسانية، عبارة عن نتاج ماضيها، وعبارة عن مادّة لمستقبلها»³.

واستنادا على هذين القولين وعلى غيرهما ممّن يعتمدون الفكرة نفسها؛ قام الباحثون غربًا كانوا أو عربا بالبحث عن جذور اللسانيات وتاريخها، ومن الإنصاف أن نذكر بداية أقوال الباحثين الغرب باعتبار أنّLinguistique أو اللسانيات هي وليدة بيئتهم، وبالأخصّ ما قاله جورج مونان بأنّه: «... يرجع تاريخ استعمال هذه اللفظة لأوّل مرّة منذ عام 1833 في حين وردت كلمة (اللساني) على لسان رينوار [F. Raynour: choix des poésies troubadours] منذ سنة 1816 في كتابه منتخبات للشعراء المتحوّلين ج 1. ص 1...»⁴.

والملاحظ من خلال القول أنّ المتتبّع في تاريخ اللسانيات هاهنا هو المصطلح وليس اللسانيات كعلم، وهذا التوجّه نجده أيضا في قول أحمد حساني «أنّه أوّل ما ظهر [مصطلح اللسانيات] في ألمانياLinguistik لكن لفظ Sprach Wissens Chaft كان أقدم منه وأكثر استعمالا ثم استعمل في

¹ - المغربي عبد الفتاح: نظم المعلومات الإدارية، المكتبة العصرية للطباعة والتوزيع، جامعة المنصورة، 2002، ص 132.

² - مصطفى غلفان: في اللسانيات العامّة: تاريخها- طبيعتها- موضوعها- مفاهيمها، ص 95-96.

³ - روبنز: موجز تاريخ علم اللّغة: ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة، المجلس الأعلى للثقافة، رقم 227، الكويت، تشرين الثاني/نوفمبر 1998، ص 9.

⁴ - جورج مونان: تاريخ علم اللّغة منذ نشأته حتى القرن العشرين، تر: بدر الدين القاسم، د. ط، سلسلة الكتب العلمية، دمشق، سوريا، 1982، ص 1.

الفصل الأول: اللسانيات العامة واللسانيات العربية الحديثة - من النشأة إلى النموذج البديل -

فرنسا Linguistique ابتداءً من سنة 1826 ثم في إنجلترا (Linguistics) ابتداءً من سنة 1855¹.

والثابت من خلال القولين أنّ مصطلح اللسانيات قد استعمل بعدّة صيغ وفي مواطن مختلفة من العالم وفي أزمنة مختلفة أيضاً؛ الأمر الذي يوحي بتاريخية هذا العلم، هذا من جانب ارتباطه بـ«القرن الثامن عشر حين اكتشفت اللّغة السنسكريتية عام 1786 واتخذت أساساً للمقارنة العلمية واكتشاف اللّغات الهندية الأوروبية وبروز المنهج المقارن على يد بوب وشليجل وغيرهما من علماء اللّغة نحو 1816...»².

وإذا نظرنا إلى هذا القول بنظرة رياضية حسابية واعتبرنا أنّ الأحداث اللسانية تجري في خطّ تراتيبيّ، فسيكون القرن الثامن عشر النقطة الأقرب إلى النقطة الفاصلة، والتي يُمثّلها القرن التاسع عشر، إلّا أنّ هناك من يذهب إلى أبعد نقطة على مستوى الخط التراتيبيّ؛ ممّا سيوقع اختلافاً في تحديد تاريخ اللسانيات و«عليه فإنّ اللسانيات قد تكون نشأت حوالي القرن الخامس قبل الميلاد (يشير إلى اللّغوي الهندي الشهير Panini بانيني) أو مع فرانز بوب Franz Bopp (1791-1867) سنة 1816، أو سوسير (1857-1913) سنة 1916 أو تروبسكوي Nikolai Seguéieritch (1890-1938) سنة 1926، أو تشومسكي Naom Chomsky (1928 ابتداءً من سنة 1956»³.

¹ - أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، منشورات كلية التربية الإسلامية والعربية، دبي - الإمارات العربية المتحدة، ط 2، سنة 2013م/1434هـ، ص 23.

² - أحمد قدور: اللسانيات والمصطلح: مجلة مجمع اللّغة العربية بدمشق، المجلد 81، الجزء 4، ص 1.

³ - مصطفى غلفان: جدلية العلم وتاريخه - اللسانيات والتراث اللّغوي العربي نموذجاً: منشورات جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد (28)، العدد (8)، سنة 2020 بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، الدار البيضاء - المغرب، ص 243.

وحيثما نقول أنّ تاريخ اللسانيات قد يعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، فهذا يعني أنّها ذات بداية ضاربة في عمق التاريخ وبالرغم من ذلك استطاع الباحثون اللسانيون أن يحدّدوا معالمها وكلّها لا تكاد تخرج عن كونها تمثل قسمين من الزمن:

1.2 القسم الأول:

يمثّل تاريخ ما قبل التاسع عشر أي كما أشرنا سابقا ما قبل النقطة الفاصلة والذي يعبر عنه الباحثون بـ: النحو التقليدي (Traditional Grammaire)¹، والذي يضمّ العصور القديمة ثمّ نظرية الصينيين، فالهنود بزعامه بانيني أي القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد ويأتي بعدها نظرية الفينيقيين والعبريين وتليها الحضارة الرومانية، وصولاً إلى العصر الوسيط الذي يمتدّ بين القرن الرابع والقرن الرابع عشر من التاريخ المسيحي. وفي هذه المرحلة قد أُغفل الكثير من العطاء اللغوي العربي الذي لا يمكن تجاهله فهو يُعدّ حلقة من حلقات التفكير اللساني الإنساني التي لو أنّ الغرب استثمروا في مساحتها اللسانية لكان ذخرًا لهم في كثير من المواقف التي استوقفت هذا العلم الحديث².

وبعد هذه الحلقة العربية يستمرّ التاريخ للسانيات حتى يصل عتبة «العصور الحديثة منذ النهضة في العالم الغربي ابتداءً من القرن الخامس عشر ويقف المؤرخون عادة على ظهور النحو الفلسفي أو العقلاني»³.

وهكذا تظهر لنا الدّراسة اللّغوية أو اللّسانيات، وكأنّها مشعل يتداوله اللاحقون عن السّابقيين على اختلاف انتماءاتهم الفكرية والعقائدية وبغضّ النظر عن المواصفات التي اتّصفت بها هذه

¹ - أحمد مؤمن: اللسانيات النشأة والتطور، دائرة الإنجليزية، معهد اللغات الأجنبية - جامعة قسنطينة، ط 2، 2005، من ورقة المقدمة.

² - ينظر: عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط 2، 1986، ص 21 - 22 - 23.

³ - المرجع نفسه، ص 22.

الدراسة في هذه الحقبة الزمنية ونخصّ بالذكر لسانيات أوربة فهي تعدّ ركيزة من ركائز اللسانيات الحديثة.

2.2 القسم الثاني:

في هذا القسم ستكون اللسانيات قد قطعت شوطاً كبيراً من التبلور والتحوّل إلى أن تصل إلى النقطة الفاصلة وهي مطلع القرن التاسع عشر وتستمر إلى العصر الحالي¹ هذه الفترة عرفت «اللسانيات التاريخية والمقارنة Historical and comparative linguistics» وكذا «اللسانيات الآنية Synchronic linguistics أو اللسانيات الوصفية؛ وتعنى بدراسة اللّغة كما هي مستعملة في مكان وزمان معينين وخاصّة في الزمن الحاضر وذلك لوصف مستوياتها المعجمية والصّوتية والصّرفية والتّركيبية والدّلالية بطريقة علمية»².

وتماشياً مع ما تمّ ذكره سابقاً بأنّ مصطلح اللسانيات قد عرف شذرات لغوية هنا وهناك وفي أزمنة مختلفة مثلها القسم الأوّل، يمكننا القول - في هذا القسم الذي يمثّل القرن التاسع عشر وما تلاه - أنّ اللسانيات بدأت تعني ذلك الاستعمال الحقيقي المقصود، والاصطلاح المطلوب حتى يلائم الدرس اللغوي المنشود ونعني به اللسانيات العامّة «التي لم تصبح علماً قائماً في ذاته إلاّ في بداية القرن العشرين مع دروس دي سوسير ما بين 1906 - 1911، وعلى أبعاد تقدير مع نشر هذه الدروس سنة 1916»³.

¹ - ينظر: وليد محمد السرايبي: الألسنية مفهومها مبانيها المعرفية ومدارسها، مرجع سابق، ص 24.

² - أحمد مؤمن: اللسانيات النشأة والتطور، من ورقة المقدمة.

³ - المرجع نفسه، من ورقة المقدمة.

وهذا قول يشترك فيه معظم الباحثين اللسانيين: كما أنّهم يعدّونه «الأب الحقيقي للسانيات لأنّه وضّح اختصاصها ومناهجها وحدودها»¹، وحفّز من حوله بدراسة هذه اللّغة دراسة علميّة ترقى من خلالها إلى مصافّ العلوم الدّقيقة.

3. موضوع اللسانيات:

لنحدّد موضوع اللسانيات يتطلّب الأمر العديد من الشّواهد والأقوال التي ذكرها علماءنا الكرام، ولكن قبل ذلك علينا أن نتّجه صوب مؤسّسها الأوّل (دي سوسير) وهو يحدّد موضوعها بقوله: «يتكوّن موضوع علم اللسان أوّلاً من جميع مظاهر اللّغة الإنسانية وتعبيراتها سواءً منها لغة الشعوب البدائية أو الشعوب المتحضّرة، وسواءً تعلق الأمر بالعصور المغرقة في القدم نقصد العصور الكلاسيكية أو عصور عهد الانحطاط، آخذين بعين الاعتبار بالنسبة لكلّ مرحلة لا اللّغة السليمة واللّغة الممتازة فقط، بل جميع أصناف التّعبير وأشكاله»².

أي أنّ اللّغة الإنسانية كيفما كانت، وعلى اختلاف مظاهرها ستكون محلّ الدّراسة والوصف تحت مشروع كبير وضخم، يلزمه الكثير من الحذر والحيلة إضافة إلى التّحقّق والتحرّي، ومن ثمّ إطلاق الأحكام والنظريات، ولنا أن نتخيّل حجم المسؤولية، ومع ذلك يعتبر قول دي سوسير مرجعاً للعديد من الباحثين اللسانيين في تحديدهم لموضوع اللسانيات، فمثلاً يذكر الأستاذ محمود السّعران في كتابه "علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي" خلاصة ما ذكره دي سوسير عن موضوعها فيقول: «إنّ موضوع علم اللّغة الوحيد والصّحيح هو اللّغة معتبرة في ذاتها ومن أجل ذاتها»³، ويضيف قائلاً: «واللّغة التي يدرسها علم اللّغة ليست الفرنسية أو الإنجليزية أو العربية، ليست لغة معيّنة من اللّغات

¹ - مصطفى غلفان: في اللسانيات العامّة، ص 94.

² - فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة عبد القادر قنيني، مراجعة أحمد حبيبي، إفريقيا الشرق، 1987،

مكتبة طريق العلم في سلسلة البحث السيميائي، ص 14.

³ - محمود السّعران: مقدّمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، (ب ت)، (ب ط)، ص 49.

إنما هي "اللغة" التي تظهر وتحقق في أشكال لغات كثيرة ولهجات متعدّدة وصور مختلفة من صور "الكلام" الإنساني¹.

من خلال هذا الطرح وكنظرة أولية نفهم أنّ موضوع اللسانيات هو اللغة، وليس ببعيد عن هذا الطرح بل ويشاطره فيه الأستاذ رمضان عبد التّواب الذي نجده يقول: «علم اللغة هو العلم الذي يبحث في اللغة ويتّخذها موضوعاً له، فيدرسها من النّواحي الوصفية والتّاريخية والمقارنة كما يدرس العلاقات الكائنة بين اللّغات المختلفة أو بين مجموعة من هذه اللّغات، ويدرس وظائف اللّغة وأساليبها المتعدّدة وعلاقتها بالنّظم الاجتماعية المختلفة»².

يظهر لنا التوافق في تحديد موضوع اللسانيات مع بيان مهامّ هذا العلم اتّجاه هذا الموضوع الذي هو اللغة إلى حدّ الآن.

والمفهوم نفسه نجده عند الأستاذ عبد السلام المسدي بقوله الواضح أنّ: «اللسانيات علم موضوعه اللغة»³.

هذه الأقوال على قلّتها هي بمثابة معطيات لسانية تعتبر "اللغة" الموضوع الحقيقي لللسانيات، وفي المقابل توجد معطيات لسانية أخرى تعتبر "اللسان" هو موضوع اللسانيات، وسأخذ على سبيل المثال لا الحصر: قول الأستاذ أحمد حساني، بعد أن اعتمد هو الآخر على المعنى الذي ارتضاه دي سوسير في هذا الصّدّد، فنجده يقول: «اللسانيات بوصفها علماً موضوعه اللغة البشرية تمتلك كل الخصوصيات المعرفية التي تميّزها عمّا سواها من العلوم الإنسانية الأخرى من حيث الأسس الفلسفية،

¹ - المرجع نفسه، ص 49.

² - رمضان عبد التّواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللّغوي، ط 3، سنة 1417هـ / 1997م، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 1.

³ - عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، المكتبة الفلسفية الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 23.

الفصل الأول: اللسانيات العامة واللسانيات العربية الحديثة - من النشأة إلى النموذج البديل -

والمنهج والمفاهيم والاصطلاحات والإجراءات التطبيقية»¹ ويضيف قائلاً في الصّفحة نفسها:
«وموضوع اللسانيات هو اللّسان»².

وبالتالي وقبل أن نجزم بالقول أنّ اللّسانيات موضوعها هو اللّغة، سيثبت غير ذلك وهو أنّ موضوعها هو اللّسان، والأمر في نظرنا لا يخصّ جوهر القضية، فالاتّفاق عليها أمر غير مشكوك فيه - ونقصد هاهنا موضوع اللّسانيات فقد حدّد من طرف مؤسّسها الأوّل - وإمّا يخصّ الصّبغة التي تصطبغ بها هذه القضية بعد أن تأثرت بالترجمة الموجهة لثنائية (اللّغة واللّسان) (Langue/ Langage)، فقد تُرجمت كلمة "لغة" في الفرنسية بـ(Langage) وكلمة "اللّسان" ترجمت بـ(Langue) وتُعتبر الترجمة الأولى ذات مفهوم واسع بالمقارنة مع الترجمة الثانية فهي تُمثّل جزءاً منها، كما يمكن أن تُترجم هذه الثنائية بطريقة عكسية³.

وبالتالي سيواجه الباحث غير المتخصص عدّة صعوبات سواءً في التّعامل مع معطيات البحث أو مع نتائجه، مع العلم أنّ قضية تغيير لفظ "اللّغة" إلى "اللّسان" مشهورة في العرف اللّغوي العام إذ كثيراً ما يُشار إلى الاسم باسم آتته على ضرب من المجاز⁴. وهذه النقطة قد أثارها العديد من الباحثين حينما تتبّعوا معجمياً هاتين اللفظتين وظلال المعاني التي لازمتها والاستعمالات اللّغوية التي تبنتهما.

وعليه يمكن القول أنّ اللّسانيات باعتبارها علماً ستوضع له تقنيات خاصّة للتّعامل مع مصطلحاته الأمر الذي يستدعي الاطّلاع عليها لتفادي الوقوع في الارتباك.

¹ - أحمد حساني: مباحث في اللّسانيات، مرجع سابق، ص 23.

² - المرجع نفسه، ص 23.

³ - ينظر: مصطفى حركات: اللّسانيات العامّة وقضايا العربية، المكتبة العصرية، ط 1، 1998، ص 7- 8.

⁴ - كمال بشر: التفكير اللّغوي بين القديم والجديد، دار عريد، القاهرة، ب، ط 2005، ص 64.

ومن ثمّ فالسؤال المطروح: ما هو موضوع اللسانيات؟ هل هو "اللغة" أم "اللسان" بداية نقول بأنّ هذه القضية تطرّق إليها صاحب هذا العلم وكأنّه كان يُحدّر من المتاهات التي من الممكن أن يقع فيها من تجاهل خباياها بقوله: «لا ينبغي الخلط بين اللغة واللسان فما اللغة إلّا جزء محدّد منه»¹، أي «أنّ اللسان - وهو نظام اللغة المقصود (التحتي) - هو الموضوع الصّحيح للدراسات اللغوية - لأنّه يشتمل على أنماط منتظمة يرغب علماء اللغة البنيويون اكتشافها ووصفها»².

والذي خفي على الباحث غير المتخصّص هو أنّ لفظ "اللسان" قد استعمل بمعنى "اللغة" والدليل في هذا هو أنّه قد ورد في أكثر من موضع من المواضع اللغوية على أنّه "اللغة" كما أنّه ورد في القرآن الكريم للدلالة على التسق التّواصل المتداول بين أفراد المجتمع البشري»³. ممّا أدّى إلى القول أنّ «موضوع اللسانيات هو اللسان»⁴. أي أنّه محمول على المعنى الضيق الذي تتقبّله اللغة. كونها تستعمل للكلام على لسن قوم ما، كأن نقول اللغة العربية واللغة السويدية، أمّا المفهوم الواسع للغة فهو ينطبق على نظام من الإشارات ووظيفته الأساسية هي التّواصل⁵.

بالإضافة إلى أنّه «بين المعنى الواسع والضيق يشير اللسانيون إلى القدرة الخاصّة بالبشر للتّواصل بواسطة الأصوات وهو ما يسمّونه باللسان البشري، ولكنهم يتناسون في جلّ الأحيان النّعت ويستعملون فقط كلمة (Langage) للدلالة على المفهوم المجرد للغة»⁶. وبالتالي فاللسانيات تتعامل مع «اللغة البشرية بوصفها نظاماً علامياً Semiotic System فيمكن عدّه فرعاً من فروع علم

¹ - أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 123.

² - أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص 21.

³ - رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 3، 1417هـ / 1997م، ص 184.

⁴ - أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص 19.

⁵ - ينظر: مصطفى حركات: اللسانيات العامّة وقضايا العربية، ص 7.

⁶ - المرجع نفسه، ص 7.

العلامات Semiotics»¹. إذا الأمر كلّه كان ينقصه الترجمة الدقيقة للمصطلح العلمي والتي ستؤدّي دوراً مهماً في تحديد موضوع العلم نفسه، وهذا ما لمُسْنَاه في هذه الجزئية فلا مجال للخلط بين الثنائيتين (اللغة واللسان) فلكلّ منهما معنى خاص تؤدّيه وإذا كان هناك تبادل في الأدوار فهو على سبيل المجاز لا غير.

وبموجب هذا الطّرح نقول نحن أيضاً أنّ موضوع اللسانيات هو اللسان.

4. منهج اللسانيات:

نحن أمام مجال علمي لا محالة؛ وما من علم إلا وله منهج يسير وفقه لتحقيق النتائج المرجوة، ومنهج اللسانيات لم يوضع بين عشية وضحاها، بل كان نتاج خطوة علمية قام بها دي سوسير بهدف تحديد الإطار الفكري والمعرفي للدراسات اللغوية؛ بداية بمرحلة النحو مع اليونانيين مروراً بمرحلة الفيلولوجيا التي تُعنى بدراسة الخطاب المكتوب، وصولاً إلى مرحلة الفيلولوجيا المقارنة التي تختصّ بالبحث عن الصفات المشتركة بين اللغات، على المستوى الصوتي، والتركيب، والدلالي².

ومّا لاحظته خلال بحثه هذا، هو أنّ المنهج التاريخي المتبع في تلك المراحل؛ لم يرق إلى المنهج العلمي الذي ارتضاه لدراسة اللغة، وبذلك اقترح نظراً لسانية جديدة تُمثّل «بإجراءاتها التطبيقية وخصائصها المنهجية الرافد المرجعي الذي بإمكانه أن يقدم التفسير الكافي لبنية اللسان، بوصفه نسقا تواصلياً يمتلكه كلّ فرد ينتمي إلى مجتمع لغوي متجانس»³. وهذا كلّه وفق منهج وصفية «يعني بوصف اللغة من حيث هي تنظيم قائم بذاته»⁴، بحيث «يفترض أنّ هناك (سكوناً) ضمن مرحلة زمنية محدّدة فيدرس الظواهر اللغوية في المرحلة الزمنية المقصودة، من غير التفات إلى ارتباطها بغيرها

¹ - محمد محمد يونس علي: المدخل إلى اللسانيات، ص 12.

² - ينظر: أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص 30-31.

³ - المرجع نفسه، ص 31.

⁴ - علي الزوين: منهج البحث اللغوي: بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، ط 1، 1986، ص 10.

عبر الزمن، كذلك يحدّد المنهج الوصفي البنية التي تنتمي إليها الظواهر المدروسة، وهدفه من ذلك كلّ أن يكون البحث محدّدا وخاصّا بقطاع من اللّغة، حتى تكون النتائج صحيحة ودقيقة قدر الإمكان»¹.

إنّه منهج علمي حقيقي يتعامل مع الظاهرة أيّة ظاهرة، وهي منعزلة عن غيرها من الظواهر إضافة إلى افتراض السّكون والمتابعة والتّحقيق، يحاول دي سوسير من وراء تبني هذا المنهج أن يجعل اللّسان البشري ظاهرة تصدق عليها التجربة العلميّة، وذلك باتخاذ ثلاثة طرق متكاملة في تحليلها (الظاهرة اللغوية) وصولا منه إلى تعييدها وهي: «استقراء المادّة اللغوية مشافهة، ثم تقسيمها أقساما، وتسمية كلّ قسم منها، ثم وضع المصطلحات الدّالة على هذه الأقسام لنصل بعد ذلك إلى وضع القواعد الكليّة والجزئيّة التي نتجت عن الاستقراء، فيكون البدء بالاستقراء وتسجيل الظواهر من أهمّ الأسس التي يعتمد عليها الوصف بخلاف المعيار الذي يبدأ بالتععيد...»².

ولتكتمل صورة هذا المنهج نذكر القواعد العلميّة التي على عالم اللّغة الوصفي أن يتّبعها ليحلّل الظاهرة اللّغوية، وهي كالتالي³:

- 1 الاهتمام الخاص بالأصوات والصّيغ النحوية للّغة المتكلّمة.
- 2 معرفته بالأسس الفونيمية والمورفيمية التي تسمح بوصف تفصيلي دقيق إلى حدّ كبير لا يقارن بما يمكن أن يحققه منهج يقوم على الأذن غير المدربة أو الاستنتاجات العشوائية.
- 3 أنّ مجال بحث عالم اللّغة الوصفي يتمثّل في حقل اللّغات الحيّة، حيث يمكن تزويد الباحث بأحد أبناء اللّغة الذين يتكلّمون بها، وهو الذي يعرف فنيا باسم الراوي اللّغوي Informant.

¹ - أحمد محمد قدّور: مبادئ اللّسانيات، ص 28.

² - علي الزوين: منهج البحث اللّغوي: بين التراث وعلم اللّغة الحديث، ص 11.

³ - المرجع نفسه، ص 11 - 12.

4 والخطة المزدوجة التي تجمع بين جمع المادة ثم فحصها، ومقارنتها تبدأ على شكل أسئلة صيغت خصيصاً يمكن عن طريق توجيهها إلى الراوي أن تكشف عن كيفية التعبير عن أشياء معيّنة في لغته.

بعد هذا الطرح العلمي بزعماء المنهج الوصفي، نقول أنّ دي سوسير لم يكن ليعارض المنهج التاريخي في دراسته للغة، لولا ذلك الخلط الذي وقع بين دراسة بنية اللغة في مرحلة زمنية معيّنة، ودراسة تاريخ تلك اللغة وتطورها أو كما يسمّى التمييز بين الدراسات التعاقبية والدراسات التزامنية، مما أدى به إلى التشديد على مفهوم البنية والنظام في اللغة¹.

أي أنّ منهج الوصف سيطلق على البنية والنظام في اللغة ولتوضيح الفكرة أكثر سنعرض مفهوم هذين الأخيرين.

1.4 مفهوم النظام:

يُبيّن الأستاذ عبد العزيز حليلي بقوله: «النظام أو النسق / Le système مجموعة من العناصر (بالمعنى الرياضي لمصطلح مجموعة) تسهم متضافرة في إقامة هذا النظام؛ ولا يمكن وصف وتصنيف هذه العناصر إلاّ بالكشف عن مكوناتها البسيطة، وتحديد العلاقات والروابط التي توجد بين هذه الأخيرة من جهة وبين العناصر والمجموعات داخل النظام من جهة أخرى»².

2.4 مفهوم البنية:

هي أعمّ من مفهوم النظام لأنّها تشمل أركانه فهي: «نظام يشتغل حسب مجموعة من القواعد المضبوطة واشتغالها هذا يحفظها من التلف ويضمن تطورها ويغنيها عن الاحتياج إلى الاستعانة بعناصر

¹ - ينظر: محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، ص 65.

² - عبد العزيز حليلي: اللسانيات العامة واللسانيات العربية: تعاريف، أصوات، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، دراسات شال، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 1991، ص 9.

الفصل الأول: اللسانيات العامة واللسانيات العربية الحديثة - من النشأة إلى النموذج البديل -

خارجية؛ فالبنية منغلقة على نفسها مكتفية بالعناصر المكونة لها وهي بهذا المعنى نظام يتّصف بالكلية والتّحولية والضّبط الدّاحلي»¹.

والبنية بهذا المفهوم هي بدورها ستكون تحت راية اللّسانيات، بل وتمثّلها خير تمثيل، وتقترن بتعريفها، باعتبار أنّ اللّسانيات «العلم الذي يدرس اللّغات الطّبيعية الإنسانيّة في ذاتها ولذاتها مكتوبة ومنطوقة كانت أم منطوقة فقط ... ويهدف هذا العلم أساسا إلى وصف وتفسير أبنية هذه اللّغات واستخراج القواعد العامّة المشتركة بينها والقواعد الخاصّة التي تضبط العلاقات بين العناصر المؤلّفة لكلّ لغة على حده»².

حين نضع هذه المشاهد الجزئية بجوار بعضها (النظام - البنية - اللّسانيات - الوصف) يشدّ انتباهنا ما ينطق به المشهد الإجمالي من تحوّل في الرّؤية، تعرّضت فيه الدّراسات اللّغوية إلى عملية التّرشيح لتخليصها من رواسب المنهج التاريخي الذي لازمها ردحا من الزّمن؛ لتتوجّ بالمنهج البنيوي الوصفي كبديل علمي دقيق، وسيظلّ هذا البديل «ثاويّا وراء حلبة المعارف في تصارعها وفي تكاملها إلى أن تتضافر الرّوافد عليه، ليبرز على ساحة المعرفة، فيمسك بأزمة العلم اللّغوي، ويجرّ إلى نهجه سائر العلوم بما سيولده من رؤية جديدة للتّواهر هي الرّؤية البنيوية من حيث هي المركب الفلسفي الذي محرّكه الآنية»³.

من خلال هذا القول يظهر لنا أنّ المنهج البنيوي هو ألصق ما يكون باللسانيات منذ أن نادى به دي سوسير، و استمرّ إلى وقت ليس بالقصير إلى أن ظهر منهج آخر في دراسة اللغة البشرية و

¹ - المرجع نفسه، ص 10.

² - عبد العزيز حليلي: اللّسانيات العامّة واللسانيات العربية: تعاريف، أصوات، ص 11.

³ - عبد السلام المسدي: اللّسانيات وأسسها المعرفية: الدار التونسية للنشر - تونس، 1986، ص 121.

الفصل الأول: اللسانيات العامة واللسانيات العربية الحديثة - من النشأة إلى النموذج البديل -

هو المنهج التحويلي، و هذا تزامنا مع نشر كتاب " البنى النحوية Syntactic Structures لتشومسكي سنة 1957، والذي سيمثل نقطة تحول في لسانيات القرن العشرين"¹.

ولم يقف التطور اللغوي عند هذا الحد، بل ظهر منهج جديد ينظر إلى الوظيفة التي تؤديها اللغة، وكذلك برز اهتمام عدد من اللسانيين أمثال (أوستين، وسيرل، وغرايس) بالجانب الدلالي التداولي للغة، وهو قريب من المنهج الوظيفي، لينتج لنا دراسة لغوية متكاملة الأطراف؛ ولو انتقد بعضها بعضا باعتبار أنّ المنهج البنوي - وهو يوضّح حدود كلّ بنية لغوية - لا يمكنه الاستغناء عن المنهج التوليدي التحويلي؛ الذي يهتم بطرائق توليد الجمل اللغوية، وهذا الأخير لا يمكنه أيضا الاستغناء عن المنهج التداولي (التخاطبي)² الذي يختصّ بتمثّلات اللغة في المقام التخاطبي، والنتيجة هي وصف اللسان البشري وصفا شاملا الأركان.

وبقدر ما إنّ التدقيق في منهج هذا العلم مهم، فإنّ التدقيق والتّركيز على بلوغ غايته أهمّ وأجلّ شأنًا، ومن هنا فلا غنى لنا ونحن بهذا الصّدّد أن نقف على «الغاية من اللسانيات»، والتي تتحدّد فيما يلي³:

- 1 وصف ما وصل إلينا من اللّغات البشرية، والتأريخ لها، وتقسيم اللّغات إلى فصائل وعائلات، وإعادة صوغ اللّغات الأم لكل هذه الفصائل على قدر الإمكان.
- 2 للبحث عن القوى المؤثّرة في حياة اللّغات في كلّ مكان، واكتشاف القوانين العامّة التي تفسّر الظواهر اللّغوية الخاصّة بكلّ لغة.
- 3 تحديد مجالات علم اللّغة، والبحث عن تعريف مناسب لهذا العلم.

¹ - ينظر: محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت ط1، 2004، ص 82،83.

² - ينظر المرجع نفسه، ص 58.

³ - رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللّغة: ص 8.

بعد أن استقلت اللسانيات من حيز الفلسفة، تبدو هذه الأهداف والغايات التي وضعها أصحابها أقرب للواقع، بل إنّ هناك من العلماء من أثبت أنه قد تمّ الوصول إليها حقيقة بعد استخدامهم للآلات والأجهزة الحديثة في بعض مجالاتها؛ كالمجال الصوتي مثلاً، والذي أدى إلى القول بأنّ اللسانيات علم يجاري العلوم الدقيقة¹، وهي من نتائج الحداثة التي ستنتقل إلى بلاد العرب، والتي تتطلب الكثير من الوعي المعرفي بالنموذج المناسب؛ حتى يمكن القول أنّ هناك لسانيات عربية أصيلة.

5. النموذج الغربي:

باعتبار أنّ الحداثة هي اعتراض ورفض لما سبقها من النظريات والعلوم عامّة، سيكون لها اتّجاه له أهداف ومبادئ تختلف تماماً من حيث الرؤية والمنهج، ومن هنا، فالعلم بهذا المفهوم «يُسيّره منطق الثورات، والذي نعني به الانتقال من نموذج إلى آخر، وما يصحبه من تحولات حقيقية في رؤية العالم للمشكلات المعالجة والتحوّل الصّارم في جملة المفاهيم والأسس، التي تقوم عليها المعرفة التي كانت سائدة سابقاً»².

ولكن ليس كلّ ما أنتجه العلماء سابقاً غير صالح لأن نبي عليه تصوّراتنا إلاّ أنّه، وبمنظور ثوريّ إلى هذا المنتج الماضي ستتغيّر المعتقدات بل حتى النظريات، ويعتبر "توماس كون" واحداً من مؤسّسي هذا الاتّجاه، بحيث «قدّم صورة جديدة عن العلم، من خلال بلورته لمنهج جديد قادر على حلّ مشكلات تقدّم العلم والاستجابة للتطوّرات العلميّة، المتواصلة، واستيعاب كلّ التغيّرات، لقد أدرك كون أنّ روح العلم مجسّدة في منهجه، وبحث في التّاريخ عن العوامل المحكّمة في تطوّره»³.

¹ - ينظر: غازي مختار طليمات: في علم اللّغة: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط2، 2000، ص 17.

² - نصيرة جعيداني: إشكالية تطوّر العلم عند توماس كون، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر 2، أفكار وآفاق، المجلد 8، العدد 2، سنة 2020، ص 137.

³ - المرجع نفسه، ص 137.

ومصادقية نظريته مرهونة بما تُقدّمه من طروحات سليمة، تُوصّل إلى وضع نظريات تفيد العلم من جميع جوانبه، دون احتمالية الفشل، فيصير الأمر أعظم بعد أن هُدم ما مضى وخُرب ما هو حاضر، مع العلم أنّ توماس كون قد أدرك أهمية سيرورة العلم وأهميّة تراكمه، فنجدّه يقول: «لقد وصل العلم إلى حالته الرّاهنة عن طريق سلسلة من الاكتشافات والابتكارات الفرديّة، التي تؤلّف جماع المعارف التقنيّة الحديثة، ويفيد عرض الكتاب المدرسي ضمناً، أنّ العلماء جاهدوا منذ بداية المشروع العلمي من أجل الأهداف الخاصّة المحدّدة التي تجسّدها النماذج الإرشادية التي نعرفها اليوم، واستطاع العلماء الواحد بعد الآخر، تماماً مثل عمليّة البناء التي نضع فيها لبنة فوق أخرى، أن يضيف كلّ منهم حقيقة جديدة أو مفهوماً، أو قانوناً، أو نظريّة، إلى هيكل المعلومات التي تعرضه النصوص الدراسيّة المعاصرة عن العلم»¹.

يبدو القول بسيطاً في مجمله، يُبيّن أنّ العلوم تصلنا بالتراكم، ولكن السؤال المطروح هو ما مفهوم النموذج عند توماس كون؟

1.5 مفهوم النموذج عند توماس كون:

إنّ أصل هذه الكلمة هو اللّغة الإغريقيّة "Paradigme" وتعني المثال والنموذج والمنوال².
«كما يطلق أيضاً على المعاني المتصوّرة، وبخاصّة على المثل الأفلاطونية القائمة بذاتها، أي يفهم من الباراديغم، أنّه مثال الشيء في صورته المختارة فنجد أفلاطون يعتبر الباراديغم المثال الأصلي، ومبدأ للوجود المحسوس القائم بذاته»³.

¹ - كون توماس: بنية الثورات العلميّة، ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، سنة 1992، ص 182.

² - كانغيلام جورج: دراسة في تاريخ العلوم وفلسفتها، ترجمة محمد بن ساسي، ط 1، 2007، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، ص 623.

³ - نصيرة جعيداني: إشكالية تطوّر العلم عند توماس كون، مرجع سابق، ص 141.

لقد استعمل توماس كون مصطلح النموذج في كتابه "بنية الثورات العلميّة" كما أنّه ذكر تجارب فيزيائية وعلميّة ذات أهميّة في تاريخ البشريّة، وأعطى عدّة مفاهيم لمصطلح النموذج، فيقول: «إنّ مصطلح "نموذج" إرشادي في الاستعمال العادي نموذجاً أو نمطاً مقبولاً، وفي ضوء هذه الدلالة آثرت مصطلح "نموذج إرشادي" هنا، نظراً لافتقاري إلى كلمة أفضل»¹.

ونجده يقول أيضاً في تعريفه للنموذج: «إنّ النموذج يعبر عن جماع المعتقدات والقيم المتعارف عليها والتّقنيات المشتركة بين أعضاء مجتمع بذاته»².

من خلال هذا المفهوم يتّضح أنّ مصطلح النموذج لا يمكن استعارته من مجتمع آخر بغرضه الاستفادة منه في هذا المجتمع، ونقصد هنا المجتمع العربي وهو في حالة تبني المنهج والرؤية الحدائيه، فهذه عملية تحمل من السّموم والمخاطر ما قد يدمر قيمنا ومبادئنا ومعتقداتنا الإسلامية.

6. الحدائيه العربية والنموذج:

حديثنا عن منهج اللسانيات، جعلنا نغوص أكثر في الحديث عن آثار الثقافة والتي هي بدورها كانت سليله الترجمة، وبالأخصّ قضية الحدائيه التي وفدت إلينا عبرهما، وما تحمله هذه الحدائيه من مبادئ خطيرة فقد جمع الباحثون العرب أفكارهم، وقرروا أن يسايروا هذا الرّكب الحضاري الذي لا بدّ منه حقيقة، بعد أن ظهرت الحدائيه الغريبيه، وذاع صيتها غزوا لا انتقالاً، من بقعة إلى أخرى، حتى وطأت بأصولها البلاد العربيّه، وبهذا، انقسم العرب إلى فريقين، كلّ منهما كالطّود العظيم، فكان منهم التّراثيون، وإن بنوا لأنفسهم منهجاً سُمّي بـ"ما بعد التّراث" لدراسة التّراث، والفريق الآخر هم الحدائيون، الذين ظهروا إبان هزيمة العقل العربي سنة 1967، أي أنّه «حينما حدث العدوان على العراق، وسقطت بغداد في بداية العصر الإمبراطوري الأمريكي، كشف ردّ فعل العربيّ العاجز على كافيّة المستويات، أنّ العقل العربي عام 2003م كان أكثر تخلفاً وتمزّقا، وتشتتاً، ممّا كان عليه ذلك

¹ - كون توماس: بنية الثورات العلميّة، ص 53.

² - المرجع نفسه، ص 247.

الفصل الأول: اللسانيات العامة واللسانيات العربية الحديثة - من النشأة إلى النموذج البديل -

العقل عام 1967 أين ذهب التحديث إذا؟ لقد تحوّل الحداثيون العرب إلى نُخبٍ تحالفت مع السّلطة الحاكمة ضدّ الجماهير التي جاء الحداثيون لتنويرها»¹.

بهذا يُمكن أن نُوصّل للحداثة العربيّة بالقول: «إنّ نقطة البدء، أو البذرة الأولى للحداثة، تكمن في اللقاء الاستعماري الحضاري مع الغرب، فقد دخل الغرب مستعمرا، ومن النافذة نفسها تدفقت منجزاته الحضاريّة، وهو ما أدّى إلى انشطار الدّات زمنيّاً (نحو الماضي) ومكانيّاً (نحو الغرب) ... هذا الاحتكاك خلخل القيم المحليّة، وجعل الشّخصية المحليّة تهمتر لأوّل مرّة، وتبدأ بالبحث عن الدّات»².

وهذا القول يبدو منطقيّاً، ولكن حينما ندقّق في المعنى نجد أنّ فيه خلط كبير على حدّ تعبير "عبد العزيز حمودة"، هذا الخلط هو بين "التحديث" و"الحداثة"، باعتبار أنّ التحديث هو: «الحفاظ على منجزات العقل العربيّ مع الاستفادة من منجزات العقل الأوروبيّ في العلوم والتكنولوجيا»³.

ولفهم هذه الصّفقة التّنمويّة، علينا فهم استراتيجيات الحروب أوّلا، وكيفية السير بها لشاطئ الاستقلال، كالحرب على مصر مثلا، أمّا الحداثة فهي من منظور عبد العزيز حمودة: «لا تتمّ إلّا بتحقيق القطيعة المعرفيّة مع التراث»⁴.

وهذا الخلط بين المفاهيم والمصطلحات، هو ما سيؤدّي بالفكر العربي إلى الانسياق لأهواء الغرب في محو الهوية العربيّة، والمتمثلة بالدرجة الأولى في اللغة العربيّة.

¹ - عبد العزيز حمودة: الخروج من التّيه: دراسة في سلطة النصّ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، عدد 298، عام 2003، ص 274.

² - شكري عزيز الماضي: من إشكاليات التّقد العربي الجديد، بيروت، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، 1997، ص 180-181.

³ - عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربيّة، عالم المعرفة، مطابع الوطن، الكويت، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عدد 272، 2001، ص 50.

⁴ - المرجع نفسه، ص 51.

ربّما سيسمح لنا بالقول بأنّ هناك حداثة عربيّة، لأنّ: «رفض الحدّثة الغربيّة كاختيار وحيد، سوف يؤدّي كما أدّى في مناطق معروفة من العالم - إلى الانعزالية والانغلاق، والتزمّت أو التشدّد الأصولي، لهذا فإنّ الرّفص في حدّ ذاته ليس خيارا مطروحا»¹.

ويضيف عبد العزيز حمّودة قائلا: «لكن يجب أن يكون هناك اختيار ثالث يُحقّق "التحديث" بل حتى تحديث العقل العربي ذاته في آليات ومناهج أدائه، دون أن يؤدّي ذلك بالضرورة إلى قبول مقولات الحدّثة الغربيّة، من ناحية أو أصوليّة متزمّنة تقهر الذات وحرية التفكير والتعبير من ناحية أخرى»².

يستعمل عبد العزيز حمّودة المصطلحات بدقّة متناهية، فهو حينما أراد أن يُمهّد للبديل الحدّثي، ذكر كلمة "تحديث"، ولكن ليس تحديث الوسائل التكنولوجية أو الحرّيّة، بل تحديث آليات العقل ومناهج أدائه، ليتصدّى كذلك للهجمات التّغريبية الحدّثية.

والعجيب في الأمر أنّه عندما شارفت الحدّثة على الانتهاء أو قُلّ قد انتهت ونفض الغرب أيديهم منها، وظهرت بوادر لما بعد الحدّثة، تبنّاها المفكّرون العرب، باسم "الحدّثة العربيّة"، وإن كان هذا المصطلح فيه نظر، لما لاقاه من انتقادات، فقد تميّزت الحدّثة وهي في حُضنِ العرب بأنّها «جمعت سموم النّظريات المادّية، كالمادّية الجدليّة، والمادّية التّاريخية، وسموم النّظريات الرّأسمالية، جمعت هذا وذاك، بأسلوب يبدو محيّرا أحيانا، لا تكاد تعرف معه حقيقة اللّون والطّعم، إلّا أنّه لون معتم على كلّ حال، وطّعم مُرّ وشرّ كبير على الإنسان في الأرض كلّها»³.

ولشّساعة الميدان الحدّثي فإنّ الحدّثة الغربيّة «لم تَفِدْ إلينا موجة واحدة مفاجئة، ولكنها حاولت التسلّل إلى ديارنا، وعقولنا، وقلوبنا، على دفعات ومراحل، ولم تأت كذلك بزّي واحد ثابت

¹ - المرجع نفسه، ص 103.

² - المرجع نفسه، ص 103.

³ - علي رضا التّحوي: الحدّثة من منظور إيماني، ص 33.

الفصل الأول: اللسانيات العامة واللسانيات العربية الحديثة - من النشأة إلى النموذج البديل -

نعرفه، ولكنها حملت أزياء الوطنية والتقدمية، وتزيّنت بزخرف الحرّية والعدالة والإنسانية، وصبغت نفسها بأصباغ الفكر والفلسفة والسياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والتربية، وجاءتنا كذلك في أزياء وزخارف وأصباغ الأدب، من جميع أبوابه، دون أن تفقد صلتها وارتباطها بجذورها الفكرية»¹.

بهذا المفهوم، فالحادثة كلفظ وافد إلينا يحمل معه كلّ ما ينفي هويتنا سيصطبغ بهذه المفاهيم الجميلة حتى ينال شرف مصطلح "الحداثة العربية".

فالحداثة عند العرب، وعلى اختلاف توجهاتهم، ستكون منهم ثلاثة فرق؛ الفريق الأول يمثلون "أعداء الحداثة"، فهم يزوّنون أنّ «أنصار الحداثة في بلاد العروبة والإسلام، يريدون تقليداً أعمى للمسيرة الحضارية الغربية، ظانين ظنّ السوء، أنّها كفيلة بتحقيق سعادتنا، وطموحاتنا ! هكذا يبشّر أنصار الحداثة، يريدون نقل مفهوم الحداثة الغربية المشتمل على تأليه العقل، وفصل الدّين عن الحياة، فلا سلطان على العقل إلاّ بالعقل نفسه، والقول بالمرجعية الإنسانية وأورثته البلاد الإسلامية، حقاً إنّها السنن التي أخبر عنها المعصوم صلّى الله عليه وسلّم ، إذ يقول: {لَتَتَّبِعَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ}»².

هذا قول يمثّل الفريق الذي ينادي بالعداوة ومقاطعة الحداثة، وذلك لأنّ مفهومها مرتبط «أساساً بالحضارة الغربية، وبسياقها التاريخي، وما أفرزته تجاربها في مجالات مختلفة، أمّا تاريخ الحداثة

¹ - المرجع نفسه، ص 33.

² - البخاري عبد الله بن محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عند بني إسرائيل (3 / 1274)، ج (3269)، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه.

³ - محمد محمود سيد أحمد طه نور: أعداء الحداثة مراجعات العقل الغربي في تأزم فكر الحداثة، دار الوعي للنشر والتوزيع، الرياض، 1434هـ، ط 1، ص 07.

الفصل الأول: اللسانيات العامة واللسانيات العربية الحديثة - من النشأة إلى النموذج البديل -

العربية فمشروط بوجود سابق للحادثة العربية - وامتداد قنوات التّواصل بين الثقافتين¹، وبالتّالي فالمتّبع لمسار الحادثة العربية في هذا الفريق سيّنتابه إحساسٌ بالتّفور اتجاهها، ولو حملت من الخير الكثير، لما عرفه من ضلال عن الغريبيين.

ونجد أيضا الأستاذ "حلمي محمد القاعود" في كتابه "الحادثة العربية" يبيّن للقارئ العاديّ، أنّ الحادثة كما هي في العالم العربيّ «ليست إلاّ مصطلحا مُراوعًا، يضمّ تحت رداءه نُجبة من أصحاب الفكر، ومُحتري الأدب، الذين يتّفقون فيما بينهم على قطع صلة العربيّ المعاصر بماضيه تماما ... سواء كان هذا الماضي العقيدة الإسلاميّة أو التاريخ، أو التراث اللّهمّ إلاّ ما اتّفق من هذا التراث أو ذلك التاريخ مع مناهجهم، سواءً تمثّل في الحركات الشّعوبيّة، أو الباطنيّة أو الإلحاديّة [الزنادقة] أو غير ذلك ممّا يتناقض بالضرورة مع الإسلام وتصوره الصّحيح»².

كما نجد في كتابه "الحادثة العربية" يبيّن أبرز روادها في العالم العربيّ والمتمثّل في [أدونيس] وغيره، ممّن سيمثّلون الفريق الثاني الذين انسلخوا عن كونهم مثقّفون بمبادئ عربيّة، ليتبنوا الحادثة العربيّة بحذافيره، أي أنّهم في موقف انبهار بالعقل العربيّ، بل وصل الأمر بهم إلى «احتقار العقل العربيّ والعبث به، والتّعالى عليه، فدعوا إلى القطيعة المعرفيّة مع الماضي، وتعمّدوا الغموض والمرأعة والإبهام ممّا عجلّ بإفراز الثورة أو التمرد الحداثي العربيّ من مضمونه، بعد أن حولتنا الحادثة العربيّة ... إلى قطع من الشطرنج تُحرّكها مصالح الإمبرياليّة الجديدة، تحت عباءة الكونيّة، والعولمة، وإلى راقصين يتواثبون في فوضى مع أنغام عازف دفعت أجره مبكرا ومقدّما المخابرات الأجنبيّة العربيّة والشرقيّة على سواء»³.

¹ - ينظر: جمال سعيد، وليد قصاب: خطاب الحادثة في الأدب، الأصول والمرجعيّة، دار الفكر، دمشق، ط 1، 2005، ص 105.

² - حلمي محمد القاعود: الحادثة العربية، دار الاعتصام، 1998م/1418هـ، ص 5-6.

³ - عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة - نحو نظرية نقدية عربيّة - سلسلة عالم المعرفة، العدد 232، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001، ص 25.

إنّه قول يبيّن منهج المفكرين الذين يدعون إلى الحدّثة العربيّة، منهج فيه من الغموض في تحليل النظريّات العربيّة وكيفية إسقاطها على المادّة العربيّة في جميع المناحي ولا نخصّ فقط الجانب اللّغوي، باعتبار أنّ الحدّثة تخصّ جميع المجالات، أي أنّها «أكثر من حدّثة»¹، وباعتبار أنّها ثورة على كلّ ما يحمله التراث من مجالات، والنتيجة ستكون عالم عربيّ بواقع عربيّ.

والانتقاد الذي سيوجّه لهذا الحدّثي العربي هو: «أنّه يستعير المفاهيم لدى الآخرين، ويقتبس من المدارس الفكرية العربيّة، ويحاول في جهد توفيقى بالدرجة الأولى تقديم نسخة عربيّة خاصّة به، إنّها كلّها عمليات اقتباس، ونقلٍ وترقيع، لا ترتبط بواقع ثقافيّ أصيل، ومن هنا تجيء الصّورة النهائيّة، مليئة بالثقوب، والتناقضات»².

صورة لا تحاكي الأصول العربيّة ولا تتمثّل في تفاصيلها المدارس العربيّة، ذلك أنّ هذه الصّورة التي أنتجها الحدّثي العربي هي سلبية ثقافة متصدّعة، أو هي كما عبّر عنها "عبد العزيز حمّودة" بـ "ثقافة الشّرخ" ثقافة يعيش أصحابها بأجسامهم في بلد عربيّ، أمّا عقولهم ومشاعرهم في أوروبا³، ومن الأسباب أيضا في اختلال الصّورة النهائيّة لهذه النسخة الحدّثية العربيّة هو تبنيّ «النتائج النهائيّة للحدّثة العربيّة، دون أن نعيش مقدماتها، النتائج الوحيدة التي كانت أمامنا هي التي تعتمد على مقدمات التراث العربيّ»⁴، ذلك التراث الذي يمثّل «شيطان العقل العربيّ، شيطان الجاحظ وقدامة بن جعفر وابن طباطبا العلوي، وعبد القاهر الجرجاني، وحازم القرطاجني»⁵، إنّها شيطان «قريبة أقرب ممّا

¹ - المرجع نفسه، ص 51.

² - لطفي فكري محمد الجودي: نقد خطاب الحدّثة في مرجعيّات التنظير العربي للحدّث، ط 1، 2011، مؤسسة المختار، القاهرة، ص 116.

³ - ينظر: شكري عياد: المذاهب الأدبيّة والتّقديّة عند العرب والغربيين، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1993، ص 45.

⁴ - عبد العزيز حمّودة، المرايا المقعّرة، ص 57.

⁵ - المرجع نفسه، ص 14.

الفصل الأول: اللسانيات العامة واللسانيات العربية الحديثة - من النشأة إلى النموذج البديل -

يتصوّر الكثيرون من العقل والقلب»¹، ولكن تمّ الحكم عليها بأنّها كثيرة المغالقات والغموض، حُكِّمَ فيه جهلاً لما تحويه من مفاتيح للعلوم، وربما نجم هذا الحكم عن قصد لتضليل العامة من الناس بطلبٍ من الحداثة الغربيّة.

ثمّ نقف برهة لنحدّد الوجهة التّالية للحداثة عند العرب، إنّها وجهة تمثّل الفريق الثالث، الفريق الوسط بين الفريقين السّابقين، الذي لا يُلغى أيّ تفاعل قد ينتج عنه من الخير الكثير، ولا يُدوّب في ثقافة الآخر ممّا قد يتسبّب في التّبعيّة الثقافيّة أو ثقافة الشّرخ، التي بدورها ستفرض استنساخ النموذج الغربيّ حتى تتمّ الحداثة بأركانها.

فلفظ "النموذج" في تجربة تيار الحداثة العربيّة، سيفتقد إلى المفهوم الأصليّ له، إذ أنّ العرب استوردوا القالب (النموذج) والمحتوى على أن يُوظّف لأهداف، فيها من الرّقي والتقدّم للحضارة العربيّة، «إلا أنّ تجربة تيار الحداثة حقّقت نقيض تلك الأحلام، حين استسلمت الثقافة العربيّة للثقافة المهيمنة، وأسلمت لها قيادتها، وقبلت النّفي إلى أطراف الذاكرة»².

إذن بفعل هذه المثاقفة نتجت فكرة تنادي بمعياريّة اللّغة العربيّة، وأنّه يجب تصحيحها بالقول: إنّها وصفيّة، امثالاً للمنهج العلميّ الذي أرسّت دعائمه الثقافة الغربيّة، إنّها فكرة واحدة ضمن مجموعة من الأفكار أو قُلْ مجموعة من الأهداف التي تسعى الحداثة إلى تحقيقها، ناهيك عن الفكرة التي تقول بنهاية التّاريخ ومعناه «أنّ النموذج الغربيّ قد وصل إلى منتهاه، واكتماله، وما على الثقافات القوميّة الأخرى إلاّ اتّباع هذا النموذج طوعاً أو كرهاً، من أجل تحقيق الحداثة»³.

¹ - عبد العزيز حمودة، المرايا المقعّرة، ص 14.

² - المرجع نفسه، ص 48.

³ - العيد حنكة: خطاب الحداثة، قراءة في مشروع عبد العزيز حمودة النقدي، مجلة القارئ للدراسات الأدبيّة واللّغويّة والتّقديّة،

المجلد 04، العدد 01، سنة 2021، ص 62.

هذه الحادثة التي ستصطبغ بصبغة عربيّة إلا أنّها «هي الأخرى تؤمن أنّ التاريخ قد انتهى، وأنّ النموذج الغربيّ العقلانيّ قد حقّق انتصاراً كلياً، فلماذا لا يتمّ استيراده باعتباره نموذجاً نهائياً؟»¹.

هذه هي عواقب التبعيّة الثقافية التي ستؤدّي إلى فشل الحادثة العربيّة في التموقع والكينونة وذلك «عندما تحوّلت الحادثة العربيّة من الاتّباع والاقتداء إلى تبعيّة كاملة للحادثة الغربيّة، حينما أصبح التّحديث مقترناً بالقطيعة المعرفية مع الجذور والتراث الماضي كلّه، على غرار النموذج الحداثي الغربيّ كشرط لتحقيق الحادثة»².

هذا نموذج لا يتماشى والقيم العربيّة معتقداً وثقافة، و يُجِبّ كلّ ما هو ماضي، القريب منه والبعيد، و«المشكلة الفعلية تبدأ عندما يتمّ الخلط بين التّحديث الذي هو إجراء فعليّ وبين الحادثة التي هي حال ونتيجة، إنّ مسألة الرّبط بين الاثنين والخلط بينهما هو ما أوقع الحادثة العربيّة في الخطأ وعرض مشروعها للفشل»³.

وفي حقيقة الأمر تبدو أنّها أزمة في المنهج، كما قد تكون أزمة في الرّؤية أو حتّى أزمة مصطلحات كما رأينا سالفاً، ففهم المصطلح يوضّح الرّؤية والمنهج معاً.

7. النموذج البديل للحادثة العربيّة:

بداية لقد تتبعنا مسار الحادثة الغربية، من جذورها، كما أنّنا أدركنا فشلها في بيئتها الأصلية وقامت مقامها نظرة "ما بعد الحادثة"، وتيقّنا أنّ كلاًّ المرحلتين لم تنل شرف القبول، إلاّ تلك الحركة الفضوليّة التي يبادر بها أولئك الذين تتوق أنفسهم إلى البديل عن وضع قد صُعّب تقبّله أو رفضه مطلقاً، وقامت عملية التثاقف أو المثاقفة كنتيجة للاستعمار، ونجم عنها وفود أفكار غربيّة منها فكرة

¹ - عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة - نحو نظرية نقدية عربيّة - مرجع سابق، ص 103.

² - العيد حنكة: خطاب الحادثة، المرجع نفسه، ص 22.

³ - حميد سمير: خطاب الحادثة، قراءة نقدية، مجلة روافد، ط 1، مارس 2009، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، الكويت، ص

الحدائثة وما بعد الحدائثة، كما انبثق عن ذلك تشطّي الأفكار العربيّة، إلى فكرة القبول لهذه الحدائثة والذوبان فيها، وكذا فكرة مُعادتها ، وفكرة أخرى تنادي بجلّ وسط، تمثّلت في مشاريع واستراتيجيات أفرزتها نظرة عربيّة لها منالوعي والتمحيص، نأخذ على سبيل المثال لا الحصر بعض الآراء العربيّة التي مثلت هذه المشاريع.

1.7 الحدائثة العربيّة عند الجابري:

ينتقد الجابري تلك النظرة الأيديولوجية إلى التراث، وفي نظره هي ليست من متطلّبات الحدائثة التي «تُجاوز هذا الفهم التراثي للتراث إلى فهم حدائثي، إلى رؤية عصريّة له، فالحدائثة في نظرنا، لا تعني رفض التراث ولا القطيعة مع الماضي، بقدر ما تعني الارتفاع بطريقة التّعامل مع التراث إلى مستوى ما نسميه بالمعاصرة أعني مواكبة التّقدّم الحاصل على الصّعيد العالمي»¹.

عند التّمعّن في قول الجابري يظهر لنا في الوهلة الأولى ذلك الخلط المصطلحيّ بين الحدائثة والمعاصرة، مع العلم أنّ الحدائثة لا يمكن أن تستعمل إلّا في سياقها الغربيّ وبالأصول الغربيّة المعروفة التي تمثّل رفض وقطع كلّ ما هو تراثي، إلّا أنّه يدرك تماما معنى الحدائثة وهذا في قوله عنها بأنّها: «تستوحي أطروحتها وتطلب المصدقيّة لخطابها من الحدائثة الأوروبيّة هذه تمثّل اليوم حدائثة "عالمية"، فإنّ مجرّد انتظامها في التّاريخ الثقافي الأوروبي، ولو على شكل التّمرد عليه، يجعلها حدائثة لا تستطيع الدّخول في حوار نقديّ تمرديّ مع معطيات الثقافة العربيّة لكونها لا تنتظم في تاريخها، إنّها إذ تقع خارجها وخارج تاريخها، لا تستطيع أن تحاورها حوارا يحرك فيها الحركة من داخلها، إنّها تهاجمها من خارجها ممّا يجعل ردّ الفعل الحتمي هو الانغلاق والنكوص»².

¹ - محمد عابد الجابري: نحن والتراث: قراءة معاصرة في تراثنا السّلفي، المركز الثقافي العربي، (مرجع سابق)، ط 6، 1993، ص

16.

² - المرجع نفسه، ص 16.

إنّه قول يرسم فيه خطأ تاريخيا للثقافة العربيّة، وما نتج عنها من تمرّد حدثي في توازي مع خطّ ثقافي عربيّ تاريخي، والخطّان لا يتقاطعان بحكم المنطلق المختلف والهدف المختلف إلاّ أنّهما بإمكانهما المناظرة والاستفادة منها «لذلك كانت الحداثة بهذا الاعتبار تعني أولاً وقبل كلّ شيء حدثاً المنهج وحادثة الرؤية، والهدف تحرير تصوّرنا ل"التراث" من البطانة الأيديولوجية والوجدانيّة التي تضيف عليه، داخل وعينا، طابع العام والمطلق وتنزع عنه طابع التّسببية والتّاريخية»¹ مع الحرص في التعامل مع ما هو مقدس منه كما رأينا سالفاً.

بمعنى أنّ هناك حداثة عربيّة تخصّ العرب وتاريخهم وتراثهم ومعتقدهم وربّما الجابري يقصد التّجديد بهذا المعنى لأنّه يراها بمنظور فيه من ضلال المعنى الذي تحمله لفظة الحداثة في المعاجم العربيّة، فنجدّه يقول: «فنحن عندما نتحدّث عن "الحداثة" فيجب أن لا نفهم منها ما يفهمه أدباء ومفكّرو أوروبا، أعني أنّها مرحلة تجاوزت مرحلة الأنوار، ومرحلة "النهضة" التي تقوم أساساً على "الإحياء" إحياء التراث والانتظام فيه نوعاً من الانتظام»².

يريد الجابري حقّاً إحياء التّراث ولكن بنظرة عصريّة تُواكب بها التطوّر العالمي الذي ينادي بالحداثة، إلاّ أنّها ستكون حداثة عربيّة بعقلانيّة وديمقراطيّة؛ ممّا سيؤدّي إلى تأسيس حداثة خاصّة بالعرب³.

من هنا نحن لا ننفي على العرب المفكّرين اعترازهم بتراثهم ووعيهم بأهمّيته وحرصهم على إحيائه، بل ولكن نحن نخشى الفهم الخاطئ للمصطلحات، وكذا توظيفها في غير محلّها، ممّا قد ينجم عنه تضليل للقراء المراد توعيتهم؛ وبالتالي الانصراف عن قراءة وفهم التراث إلى بناء قطيعة معه.

2.7 الحداثة العربيّة عند طه عبد الرحمان:

¹- المرجع نفسه، ص 16.

²- محمد عابد الجابري: نحن والتراث: قراءة معاصرة في تراثنا السلفي، ص 16.

³- المرجع نفسه، ص 17.

من خلال التعريفات التي أسندت إلى مصطلح الحادثة، وما حملته من معاني الدمار والخراب، يرى طه عبد الرحمان أنّه وقع تحويل لهذا المفهوم وتشويهه، وخلط بين جانبيين اثنين في هذا المصطلح، وهما: "روح الحادثة" و"واقع الحادثة"¹.

فهو يتعامل في نظرنا مع المفهوم اللغوي أو ظلال معنى كلمة الحادثة وهي في مقابل القديم، وكأنّه ينجح إلى التجديد بهذا المفهوم، وفصل "واقع الحادثة" واقعها الغريبي، وأصولها المظلمة عن روحها، التي كان يجب أن يؤخذ بها كمنهج للتطور السويّ، أي أنّ واقع الحادثة لم يكن يُعبّر عن روح الحادثة، على أنّ لروح الحادثة مبادئ متمثلة في: "مبدأ الرشد" و"مبدأ التقد" و"مبدأ الشمول"².

ولقد طالب المفكرون العرب بعدم المجازفة بالتراث الهائل الذي رفعت به الهمة العربيّة منذ بدايته، والسبيل إلى ذلك هو الأخذ بالتّحديث بدل الحادثة، والتّحديث في نظر روح الحادثة هو «تحديث الفكر الإسلاميّ العربيّ وهو الاشتغال بتحديثه»³.

أي أنّ الفكر العربيّ الإسلاميّ لا بدّ من أن يتجدّد ولا ضير في ذلك، بل هو حقّ شرعيّ، أمّا الأمر المنهي عنه، هو عندما يكون هذا التّجديد أو التّحديث عن طريق نسخ لنموذج غربيّ، لا تتماشى معطيّاته الفكرية مع المعطيّات الفكرية الإسلاميّة، و«بيان ذلك من جهتين اثنتين: إحداهما؛ أنّ عمليات التّحديث تتمّ بواسطة الأفكار، بل الأنساق الفكرية، التي يقتبسها من عطاءات، وإبداعات الثقافات الغربيّة، على اعتبار أنّ هذه الأنساق الفكرية سبب في تقدّم أهلها، وتحضّرهم وتحصيلهم للحادثة، والثانية: أنّ هذه الأنساق الفكرية المقتبسة تصبح بين يديه بمنزلة نماذج مخصوصة

¹ - طه عبد الرحمان: روح الحادثة، ص 24.

² - ينظر: طه عبد الرحمان: روح الحادثة ص 24.

³ - المرجع نفسه، ص 154.

يتعيّن عليه أن يحتذي حذوها في تجديد الفكر الإسلامي العربيّ، حتى ينال نصيبا من الحداثة لاحقا بعصره»¹.

ينوّه طه عبد الرحمن بهذا القول إلى «مرحلتين قد مرّ بهما الفكر العربيّ وهي مرحلة الانبهار، ومرحلة الاتّباع باستنساخ النموذج، والمراد هو حداثة عربيّة أو تحديث للفكر الإسلامي العربي، مع الإصرار على إثبات الهويةّ برداء الإبداع الذي يكون موصولا بما ثبت نفعه في تراث الأئمة عاجلا أم آجلا، والتجديد مع الابتعاد عن الهويةّ السائلة أو المائعة التي قد تكون مغتربة أو هويّة قلقة أو تائهة»²، حتى يحسن بها قراءة التراث ويحسّن بها بناء الأمة التي كانت وسطا بين النَّاس، والتي جعلها الله سبحانه وتعالى شاهدة على بقية الأمم.

3.7 الحداثة العربية عند عبد العزيز حمّودة:

يعتبر عبد العزيز حمّودة من المفكرين العرب الذين يعتزّون بالتراث العربيّ، وينشدون إحياءه وتجديده، كما أنّه مدرك تماما للواقع العربيّ فنجدده يقول: «إنّ الواقع الثقافي العربي يؤكّد عدم صحّة المقولة التي يردّها البعض، والتي ترى أنّنا تحوّلنا من استهلاك الحداثة الغربيّة في الثمانينيات إلى إنتاج حداثة عربيّة خاصّة بنا في تسعينات القرن العشرين»³.

بهذا تتبيّن حقيقة الحداثة العربيّة التي لم يُجسّد بعد، على الأقل على الصّعيد الثقافي، فالعرب يريدون حقيقة أن تكون لهم حداثة عربيّة بكلّ معالمها وبتفرد نموذجيّ خالص، محليّ غير مستورد.

إنّ الحلقات التطوّرية التي عاشها الإنسان بداية من تكوين نفسه ثقافيا جنبا إلى جنب مع مجتمعه الذي يحضّنه، وبناء تراثه الذي يتقاسمه معه، وتجاذب أطراف المثاقفة مع غيره كرها أو طوعا وامتنالا لضرورة الاتّصال بالترجمة أو بالتّغريب أحيانا، وُصولا إلى الحلقة الصّعبة التي تمثّلت في صدام

¹ - المرجع نفسه، ص 154.

² - ينظر: طه عبد الرحمان: روح الحداثة، ص 158.

³ - عبد العزيز حمّودة: المرايا المقعرة، ص 13.

النّهضة، الذي ولّد الحداثة كلّ هذا شكل الواقع الثقافي العربي، بتلك الصّورة المتصدّعة والمتخلخلة والتي تحمل معها كلّ الثنائيات والمتناقضات منها ثنائية الأصالة والمعاصرة، العقل واللاعقل، والإسلام والغرب، التراث والحداثة.

هذا ما سمّاه عبد العزيز حمّودة "ثقافة الشّرخ"، ففي نظره كان على المفكّر العربي أن يجد مخرجاً لأزمته الثقافية أو إلى "النموذج البديل"، والذي تمثّل عنده بالانتقال من بحر التبعيّة الثقافيّة التي لطالما عانى منها العرب، وأفقدتهم هويّتهم الإسلاميّة والعربيّة، إلى شاطئ التكافؤ الثقافي والإعراض عن التّهميط مع إعمال مبدأ التّكامل¹.

ووفقاً للمفهوم الذي اتّخذه مصطلح النموذج عند العرب، على أنّه اتّجاه ثوري يتنافى مع مسلمات سابقة، سيكون حرص العرب على وضع نموذج عربي، بديل، وهو «نموذج نقديّ وبنّاء في الآن ذاته فهو يحلّل وينقد خصائص النموذج الغربيّ، ثمّ يبسط الخصائص والخطوط العريضة في النموذج البديل، وهي خصائص تتجنّب عيوب النموذج الغربيّ ونقائصه، وإنّه ليس قائماً على السّلبية التي تكتفي بالاستبعاد والإقصاء بل يقوم على الإيجابيّة التي تقدّم الخصائص الفكرية، التي تعوّض العناصر الأحاديّة الماديّة التي يتّسم بها النموذج الغربيّ»².

إذن الحداثة العربيّة عند معظم المفكّرين منهم من ذكرنا ومنهم من لم نذكر؛ لها دعامة وركيزة لا يمكن التخلّي عنها؛ وهي قضية الاعتزاز بالتّراث وبالهويّة العربيّة، وبقينا بأنّ هناك ما يجب تحديده في هذا التراث، كما أنّ هناك ما يجب تقدّسه كوننا مسلمين نؤمن بأنّ لهذا الكون خالق واحد سبحانه وتعالى، فالغرب لهم من التجارب ما يوصلهم إلى عنان السّماء لولا أن كفروا برّب السّماء، ومن هنا فالدين الإسلامي جاء ليعزّز العلوم، كما لم ينف التعارف بين الأمم والشّعوب، ولكن هناك مبادئ يقتضيها التراث، وللحداثة أيضاً مبادئ، ونعود لنقول أنّ بين هاتين القضيتين جدل واسع مسّ معظم

¹ - ينظر: العيد حنكة: خطاب الحداثة، ص 67.

² - المرجع نفسه، ص 67.

المجالات، إن لم نقل كلّها، من اقتصادية، واجتماعية، وعلمية، وأدبية... فقد مسّ أيضا الدراسات اللغوية العربية.

وحدثنا سوف يطول عن هذا الجدل لأهميته في الدرس اللغوي اللساني، ذلك أنّه أحسنا بوجود تضارب في الآراء، وكذا تباين في الرؤية والمنهج، ومن ثمّ اختلاف في المرجعيات المعتمدة في الكتابات اللسانية العربية عامّة، والمغربية خاصّة، فنجد فريقا يمجّد التراث، ولا سبيل لحلّ المشكلات اللغوية الآتية في نظره إلاّ بالعودة إلى الحلول الجاهزة التراثية، وإن لم توجد؛ فعليه بالتّجديد من داخل التراث، وفريق ارتقى في حضان الحداثة الغربية، وبالرّغم من أنّها مشروع فاشل بتقرير زعمائها، إلاّ أنّها في نظرهم كانت السبيل الوحيد لدراسة اللّغة العربيّة وحلّ مشكلاتها وترقيتها بتلك المناهج الغربيّة التي ادّعت معيارية اللّغة، وتنادي بوصفيتها، اتّباعا لنظرة "دي سوسير" ومن والاه، أمّا الفريق التوفيقى، فيعتبر نفسه ذلك الجسر الذي لا ينفي الرّوابط التراثية، ولا ينفي الأواصر الحداثيّة، في سبيل خدمة اللّغة العربيّة، وموقفهم هذا مشفوع بذلك الحرص على أن يتبنّوا النموذج البديل بمحتوى عربيّ إسلاميّ.

ثانيا: اللسانيات العامّة واللّسانيات الخاصّة (الوصفية):

تمثّل اللّغة في أفقها الواسع الفطرة التي فطر عليها الناس جميعا، وسرعان ما تتحدّد إذا وجّهت إليها نظرة مخصّصة، الأمر الذي استدعى وجود فروع مختلفة للّسانيات باعتبارها العلم الذي يدرس هذه اللّغة، تلك الفروع التي شكّلتها عدّة مدارس أشهرها: التوزيعية والوظيفية والتوليدية، كما أنّ لها عدّة تخصّصات منها اللّسانيات العامّة، واللّسانيات التّطبيقية، واللّسانيات الاجتماعية، واللّسانيات النفسية، واللّسانيات الجغرافية¹، والذي يهمنّا هاهنا فرعين رئيسيين تمثلهما اللّسانيات العامّة واللّسانيات الوصفية (الخاصّة) حتى نصل إلى مفهوم واضح نبرز من خلاله ماهية اللّسانيات العربية.

¹ - ينظر: عبد العزيز حليلي: اللّسانيات العامّة واللّسانيات العربية: تعاريف أصوات: منشورات دراسات شال، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 1991، ص 13.

1. مفهوم اللسانيات العامة واللسانيات الخاصة:

اجتهد الباحثون اللسانيون في إعطاء تعريف واضح لللسانيات العامة، واتبعوا في ذلك التمييز «بين ما يعرف عندهم باللسانيات العامة General linguistics، واللسانيات الوصفية descriptive linguistics، ويعنى الأول بدراسة اللغة من حيث وصفها ظاهرة بشرية تميز الإنسان عن الحيوان، ونظاما يتمييز عن الأنظمة الإبداعية الأخرى، في حين يتناول الثاني وصف لغة ما كالعربية أو غيرها، وكما هو واضح، فإنّ هذا التفريق يتصل اتصالاً وثيقاً بالتفريق بين اللغة بوصفها ظاهرة عامة واللغة المعيّنة»¹.

هذا القول يتم فيه تحديد مهام أو وظائف اللسانيات العامة واللسانيات الخاصة، ومن خلال هذا التحديد أيضا يتضح مفهوم كل فرع منهما، وهناك قول أكثر دقة لروبير مارتان على أنّها و- يقصد اللسانيات العامة - «تندرج بطبيعتها في الكلّي من الأمور، في ما وراء الألسن الخاصة»². أي أنّها تصادر على «وجود وظيفة كلية تسمى اللغة وتمكّن جنسنا البشري من إعطاء شكل للأفكار وتبليغها، فليست الألسن سوى إنجازات خاصة، تعتمد فرضية الكلية على ملاحظة أنّ الألسن يمكن ترجمة بعضها إلى بعض، فلا بدّ إذا من وجود أنواع من التشاكل القويّ بينها، وهذه الأنواع من التشاكل المسماة "بكليات اللغة" تكون نواة اللسانيات العامة»³.

أي أنّ التشاكل وما يحمله من صيغ التفاعل بين اللغات الخاصة وما ينتج عنه من موافقة بين أجزائها؛ لا ينفكّ يمثّل كليات اللغة المشكّلة لنواة اللسانيات العامة، وما يعزّز هذه الفكرة هو قول الأستاذ رمضان عبد التواب عن هذا الفرع العام بأنّ اللغة التي يبحث فيها «هي اللغة التي تظهر

¹ - محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، ص 13.

² - روبير مارتان: مدخل لفهم اللسانيات، ايسيتيمولوجيا أولية لمجال علمي: تر: عبد القادر المهيري؛ مركز دراسات الوحدة

العربية، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط 1، 2007، ص 89.

³ - المرجع نفسه: ص 89.

الفصل الأول: اللسانيات العامة واللسانيات العربية الحديثة - من النشأة إلى النموذج البديل -

وتتحقق في أشكال لغات أخرى كثيرة ولهجات متعدّدة وصور مختلفة من صور "الكلام" الإنساني، مع أنّ اللغة العربيّة تختلف عن الإنجليزية وهذه تختلف عن الألمانية فإنّ هناك أصولاً وخصائص جوهرية تجمع ما بين هذه اللّغات...»¹.

وإذا ما حدّدت هذه الخصائص الجوهرية التي تسمّى أيضاً بكليّات اللّغة، يُحدّد أيضاً الإطار النظري العام الذي يشتمل على المادّة النظرية والمنهجية والاصطلاحية؛ ليبدأ بوصف وتفسير البنى اللّغوية المتنوّعة الصّرفية والتّركيبية والدلالية والتداولية مع تركيز مسبق على العلاقة اللّغوية الجوهرية التي تربط بين المعنى في اللّغة وكيفية التّعبير عنها نحويًا وصوتيًا².

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأنّ مفهوم اللّسانيات العامّة أفصح لنا عن مفهوم اللّسانيات الخاصّة (الوصفية) وما يشتغل عليه من لغات كاللّغة العربيّة أو الإنجليزيّة أو الألمانيّة، لتصطبغ هذه اللّسانيات بإحدى هذه اللّغات إذا ما هي عكفت على وصفها وتفسيرها، ومن هنا تشكّل اللّسانيات العربيّة كفرع خاصّ يستقي من اللّسانيات العامّة المفاهيم والمقولات Catégories لتحليله في مقابل تقديم المادّة التي تؤيّد أو تدحض القضايا والنظريات التي تناولها هذا العلم العام³.

وبعد أن تتبّعنا مفهوم اللّسانيات العامّة، أدركنا أنّها توقّر للّسانيات الخاصّة أو كما تسمّى اللّسانيات الوصفية، الأدوات والإجراءات اللازمة لوصف لغة معيّنة مثل العربيّة، وبالتالي إمكانية القول بأنّ هناك لسانيات عربيّة.

2. اللّسانيات العربيّة القديمة (منظومة علمية قائمة بذاتها):

¹ - رمضان عبد التّواب: المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، ص 07.

² - ينظر: حُسنّي خالد: مدخل إلى اللّسانيات المعاصرة، مكتبة نوميديا 56، مطبعة آنفو - جرائد، فاس، (د، ت)، (د، ط)، ص 15.

³ - ينظر: محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللّسانيات، ص 13.

للهولة الأولى ونحن نقرأ هذه العبارة، وارتكازا على ما سبق من مفاهيم، نلاحظ أنّ هناك مزيج معرفي وزماني بين الغرب بزعم اللسانيات وبين العرب وتفكيرهم اللغوي القديم، إلا أنّ هذه العبارة تعني عند الأستاذ صلاح الدين الشريف غير ذلك، فلا وجود لللسانيات الغربية هاهنا، وبالتالي فاللسانيات العربية القديمة تعني «كلّ التفكير اللغوي الذي قام به الأعلام باللسان العربي عن اللسان العربي وعن اللّغة البشرية عموما من النّصف الثاني من ق 1هـ إلى ق 11هـ الموافق لما بين (ق 8م وق 18م). إلا أنّ هذه التسمية قابلة للتوسعة، لتضمّ كلّ نشاط لغوي مواصل له غير مختلف عنه كتحقيق نصوصه، وكالتعريف بها، وبمفاهيمه ومناهجه دون أيّ مجاوزة لمضامينه ولتضمّ أيضا كلّ نشاط لغويّ قام على هذا التفكير أو تأثر به في تلك الفترة، وتناول لسانا آخر غير العربية كوصف اللسان العبريّ وألسنة ساميّة أخرى، وكوصف التركيّة أو الفارسيّة وغيرهما»¹.

وبهذا المفهوم فإنّ الأستاذ صلاح الدين الشّريف لا ينفي صفة العلميّة عن اللّسانيات العربية القديمة مادامت في نظره تصف اللسان العربي أو غيره من الألسنة باللسان العربي، ويضيف قائلا: «وما نعينه باللسانيات العربية القديمة تناظره أنشطة فكرية أخرى في حضارات أخرى صينيّة وهنديّة وأوروبيّة، وتجمعها مبدئيا عبارة "اللسانيات التقليدية" وإن كانت هذه العبارة أكثر جريانا على الغربية منها»²، وهذه المناظرة كما عرضها الأستاذ هي في نظرنا مجازفة كبيرة قد تضع الكثير من نتائج الفكر اللغوي العربي القديم على المحك، بل وتجعله في مصاف الدّراسات القديمة التي عرفتها سالف الحضارات الأخرى.

ورأي الأستاذ من اللّسانيات العربية القديمة بذلك المفهوم إنّما كان نتيجة لمقارنة وضعها بين هذه اللّسانيات ولسانيات دي سوسير، ليخلص إلى فكرة مفادها أنّ الاختلاف يكمن «في نقطة

¹ - محمد صلاح الدين الشريف: قراءة اللّسانيات العربية القديمة في ضوء المناهج اللّسانية الحديثة، بحث مقدّم بكلية اللّغة العربية والدّراسات الاجتماعية، الملك فهد ضمن بحوث محكمة في المؤتمر الدولي الثالث (التراث اللغوي والأدبي في ضوء المناهج الحديثة) قراءات معاصرة لقضايا في التراث اللغوي والأدبي والبلاغي بريدة 1440هـ/ 2019م، ص 199 - 200.

² - المرجع نفسه، ص 200.

الفصل الأول: اللسانيات العامة واللسانيات العربية الحديثة - من النشأة إلى النموذج البديل -

جوهرية نظرية عملية في آن واحد، وهي أمّا (ويقصد اللسانيات الحديثة) تصف جميع الألسن بدون تفضيل ولا تميز عنصري وهي فكرة علمية رائدة في القرن التاسع عشر، سادت بعض العلوم الطبيعية والإنسانية وهي ذات جذور بفلسفة الأنوار* رغم العقائد العنصرية السائدة في الأوساط الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمستمرة نسبيًا إلى اليوم»¹.

إذًا ما دامت "اللسانيات" فكرة علمية مرتبطة بالقرون المتأخرة ومرتبطة أكثر بفكر غربي يحمل من العنصرية ما يحمل، فلا داعي في نظرنا إلى أن ننسب مصطلح "اللسانيات" إلى الفكر اللغوي العربي القديم حتى لا نقع في مثل هذه المتاهات المعرفية التي من شأنها أن تحط أفكارًا وترفع أخرى، فنظّم بها أقوامًا قد اجتهدوا في دراسة لغتهم، وحسبنا من القول ما قاله الأستاذ رشيد عبد الرحمن العبيدي عن الدراسات العربية الأصيلة أمّا «قد آتت أكلها، وخدمت الحرف العربيّ خدمة لا مثيل لها، وأبرزت خصائص هذه العربية إبرازًا متكاملًا»².

وبذلك هو يعتمد تسمية الدراسات العربية الأصيلة بدل اللسانيات العربية القديمة، وهذا أرحم باللغة العربية في نظرنا؛ فالتخوف في هذا الموقف هو من اختلاط المعارف والمبادئ التي تنادي بها اللسانيات الحديثة في مقابل ما عهدناه من تفكير لغويّ لعلمائنا العرب.

أمّا المصطلح المتداول في الساحة الثقافية فهو اللسانيات العربية القديمة، أو اللسانيات التراثية أو (الكلاسيكية أو التقليدية، السلفية...) وهي الجهود العلمية التأسيسية التي قام بها الخلف الأوائل من العلماء ورجالات العربية في مختلف ميادين البحث اللغوي العربي، والتي تمثل صفحا في مجموعة من الأعمال الجليلة التي يمكن تصنيفها -الآن من زاوية علمية محددة- إلى علوم وأجناس معرفية؛

* تطلق فلسفة الأنوار على تفكير يبدأ في النصف الثاني من القرن 17 وساد القرن الثامن عشر (18) بالخصوص، وأثر في توجه التفكير الغربي نحو تصوّرات فكرية إنسانية كونية. (من المرجع نفسه ص 200).

¹ - محمد صلاح الدين الشريف: قراءة اللسانيات العربية القديمة في ضوء المناهج اللسانية الحديثة: ص 200.

² - رشيد عبد الرحمن العبيدي: الألسنية المعاصرة والعربية، الأبحاث والدراسات، الذخائر، شتاء 1420هـ/ 2000م، ص 22

فنقول في بعضها الفكر الصوتي والمعجمي، وفي أخرى دلالية وصرفية ونحوية، أو في البلاغة، وفقه اللغة وأصول النحو... إلخ¹، وفي مجملها تعرف ضمن حيز التراث.

من خلال تعريفنا السابق لمصطلح "التراث" اتضح لنا أنه يمثل ذلك الموروث المادّي والمعنوي الذي خلفه السلف، وبموجب ذلك؛ فإنّه يكتسي أهمية بالغة في حياة الفرد والمجتمع، وتزداد هذه الأهمية حينما نتيقن أنّ هذا التراث بشقيّه، له حضورٌ دائمٌ في نفسية وحياة الإنسان، والذي يختصّ به بحثنا هذا هو الجانب المعنويّ الذي نقصد به المنجز الفكريّ، الذي سهر على تأليفه ثلّة كبيرة من أسلافنا، على مراحل متتالية من تاريخ أمتنا العربيّة، مع تعدّد مناحي هذا المنجز الفكريّ، وتنوّعه إلى حدّ الغزارة²؛ غزارة إنّما عُرف مداها لما نزل القرآن الكريم، هذا النزول المبارك الذي تشرّفت به البلاد العربيّة، وعلاصيتها، وتألّأت نجوم علمائها، عدد ما خطّوا من كلمات في سبيل تفسير هذا المقدّس الكريم، فنشأت العلوم في جميع المجالات، وعلى رأسها المجال (اللّساني)، كون الرسالة المحمّدية الشريفة تمحورت حول معجزة لغويّة ما كان للعرب، وعلى رأسهم قريشا أن تأتي ولو بآية من مثله، أضف إلى ذلك ما تعرّس عليهم فهمه الأمر الذي أدّى بعلماء العرب على اختلاف مشاربهم العلميّة، إلى دراسة هذا المنزل الشريف، تفسيراً وبلاغةً، وكذا صون اللسان العربيّ من اللحن بتقعيد القواعد العربيّة، فالقرآن الكريم جاء ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾³.

يقول الزمخشري، وهو يكشف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل عن هذه الآية الكريمة، «إمّا أن يتعلّق بالمنذرين، فيكون المعنى: لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان، وهم خمسة: هوذ، وصالح، وشعيب، وإسماعيل، ومحمد، عليهم الصلّاة والسّلام، وإمّا أن يتعلّق ب(نزل)، فيكون المعنى نزله

¹ - عبد الغاني قبائلي: أثر اللسانيات الغربية على اللسانيات العربية الحديثة - التفسيرية، عيّنة - أطروحة دكتوراه من جامعة باتنة كلية اللغة والادب العربي والفنون، قسم اللغة والادب العربي سنة 2017، 2016، ص 51-52.

² - ينظر: يوسف وسطاني: اللسانيات العربية في ضوء التراث ومقتضيات التطبيق المنهجي: مجلة إشكالات في اللغة والأدب، معهد الآداب واللغات - تامنغست، العدد التاسع 2016، ص 275.

³ - سورة الشعراء: الآية 195.

الفصل الأول: اللسانيات العامة واللسانيات العربية الحديثة - من النشأة إلى النموذج البديل -

باللسان العربي لتُنذِرَ به، لأنَّه لو نَزَّلَه باللسان الأعجمي لتجافوا عنه أصلاً، ولقالوا ما نضع به؟ لا نفهمه، فيتعدَّر الإنذار به، وفي هذا الوجه أنَّ تنزيله بالعربيَّة التي هي لسانك ولسان قومك، تنزيلٌ له على قلبك، لأنَّك تسمع أجراس حروفٍ لا تفهم معانيها، ولا تعيها، وقد يكون الرَّجل عارفاً بعدة لغات. فإذا كُلمَ بلُغته التي لُقِّنها أولاً، ونشأ عليها، وتطَّبع بها، لم يكن قلبه إلى معاني الكلام يتلقاها بقلبه، ولا يكاد يفطن للألفاظ كيف جرت، وإن كُلمَ بغير تلك اللُّغة - وإن كان ماهراً بمعرفتها - كان نظره أولاً في ألفاظها، ثمَّ في معانيها، فهذا تقريرٌ أنَّه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربيٍّ مبيِّن»¹.

إذن من خلال تفسير الآية الكريمة، يتبيَّن لنا المفهوم العام للسان العربي الذي هو في مقابل الأعجمي، تلك المقابلة التي تنبني على الاختلاف والتمييز فيصطبغ كلُّ لسان بما يميِّزه من خواص، وللعربيَّة خواصها تبعا لهذا المفهوم.

في هذا الصَّد يقول ابن جيِّي: «لو أحسست العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللُّغة، وما فيها من الغموض، لاعتذرت من اعترافها بلغتها، فضلا عن التقدم بها والتَّنويه منها»².

لقد فطن العرب لجمال لغتهم، واعتزَّوا بها قبل مجيء الإسلام، وهذا أمرٌ لا يمكن نُكرانه، لكن بمجيء الإسلام؛ الذي أمر النَّاس بـ"إقرأ"، فعل أمر يَلزُمُ اللِّسان فيتحرَّك، ليُحرِّك العقول بإيعاز منه، ومن ثمَّ التَّدبُّر في هذه اللُّغة، والنتيجة هي دراسات وأبحاث في سرِّها وعظمتها، وقد وصلت إلى حدِّ العلميَّة مع أنَّ الظروف هي غير الظروف المؤهلة لذلك، ونقصد بذلك علم الأصوات الذي برعوا فيه مع عدم وجود الآلات المتطورة التي تكشف عن جهاز النطق البشري.

لقد قام مؤرِّخو اللسانيات إلى بسط خصائص التَّفكير اللُّغوي في تاريخ البشريَّة عامَّة، «فأبجَّهوا وجهة تاريخية استعراضية في كشف مقوِّمات العلم اللُّغوي في القديم، لينتهوا إلى إبراز الفوارق النَّوعية،

¹ - الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي: الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: مكتبة مصر، الجزء الثالث، سورة الشعراء، ص 380.

² - ابن جيِّي: الخصائص: تحقيق علي النجار، ط 3، دار الكتب، مصر، ج 1، ص 242.

والمقابلات المبدئية مما تتجلى به طرافة اللسانيات، فتميّز عن المفهوم الفيلولوجي للمعرفة اللغوية»¹.
إنّ سفر عبر الزمن للماضي، لاستجلاء خصائص التفكير اللغوي، بدقّة وصبر، إلاّ أنّه لا وجود
للدراسات العربية في مصافّ هذا التاريخ اللساني البشري، «وهذه القفزة "الاعتباطية" أو ما يمكن أن
نسمّيه بالثغرة العربية في تأريخ اللسانيات، لا يفسرها جهل المؤرّخين للغة العربية، بما أنّهم يستعرضون
ثمرّة حضارات لا يعرفون لغتها... وليس تراث التفكير اللغوي العربيّ وحده "المنسيّ" في هذا المقام،
بل إنّ العربية ذاتها باعتبارها نمطا لغويًا، لا تجد حظّها عادة عند استعراض اللسانيين لنماذج اللغات
في العصر الحديث»².

تقدّر المدة الزمنية التي تمّ تخطّيها، بل نقول مجافاتها، ما يقارب الثمانية قرون، كلّها اجتهادات
وتعب وسهر، وأسئلة تُطرح، وأجوبةٌ ومحاولات تكتب وتُدوّن؛ إنّ إجحافاً في حقّها، والسبب ربّما
يرجع إلى الوازع الديني، ومعلوم أنّ القضايا اللغوية إنّما نتجت عن تلك الدّراسة التي حقّت الكتاب
المقدّس - القرآن الكريم - وهذا ماثلاً في الحضارات الأخرى أيضاً³، والكثير من العلماء قد وقفوا وقفة
لائمٍ اتّجاه هذا التصرّف، ومن أبرزهم عبد السلام المسدي حينما قال: «النهضة اللاتينية قامت
أساساً على مستخلصات الحضارة العربية، بعد أن أقبلت على ترجمة أمّهات التراث فيها، وقد عمد
الغربُ إبان النهضة إلى نقل علوم العرب، ومعارفهم، وذلك في ميدان العلوم الصحيحة أولاً: من
رياضيات، وفلك، وفيزياء، وكيمياء، وفي ميدان الطبّ ثانياً، ثم في ميدان الفلسفة حتّى كان ابن رشد
مفتاح النهضة الأوروبية إلى تراث اليونان، وخاصّة المعلم أرسطو، فبرزت هكذا: أعلام الحضارة العربية
ركائز للغرب في علومه ومعارفه»⁴.

¹ - عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية: الدار العربية للكتاب، ط2، 1986، ص 21.

² - عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية ص 22.

³ - ينظر المرجع نفسه، ص 23.

⁴ - المرجع نفسه: ص 22 - 23.

بموجب هذا القول فالعرب لم يَكُونُوا بمعزلٍ عن البحوث العلميّة، أو لِثِقَلِ التفكير العلميّ الذي مسّ الجانب اللّغوي أي "الظاهرة اللّغويّة"، فقد «فكّر أعلامها في اللّغة العربيّة فاستنبطوا منظومتها الكليّة، وحدّدوا فروع دراستها بتصنيف لعلوم اللّغة، وتبويب لمخاور كلّ منها، فكان من ذلك جميعاً تراثهم اللّغوي في النحو، والصّرف، والأصوات، والبلاغة والعروض...»¹.

وبالتّالي سيستعملون مصطلحاتٍ؛ تُعبّر عن حركتهم العلميّة، أي إنّ قضيّة المصطلح من القضايا المهمّة التي تتصدّر كلّ بحث، حتى إنّها تعدّ من مفاتيح البحوث والعلوم عامّة، من هنا كان من الواجب علينا أن نتطرّق إلى عدد من المصطلحات كمصطلح العربيّة أو علم العربيّة أو النّحو أو علم اللّغة أو علم اللّسان «التي تتردّد في التراث اللّغوي العربيّ للدّلالة على دراسة اللّغة العربيّة أو بعض جوانبها دراسة علميّة منظمّة»².

مما لا يدع لنا شكّاً في نباهة العرب القدامى وحرصهم على استكشاف كُنه هذه الظاهرة البشريّة، يصيف الأستاذ "نعمان بوقرة" بقوله أنّه «إذا أردنا ترتيب هذه المصطلحات حسب الظهور، وجدنا أنّ مصطلح "العربيّة" أقدم هذه المصطلحات، يلي ذلك مصطلح اللّغة" أو "متن اللّغة"، أمّا مصطلحات "علم اللّسان" و"علم اللّغة" فلم يظهر إلاّ بصورة ضئيلة في كتب تصنيف العلوم، وعند بعض المؤلّفين في القرون المتأخّرة مثل: السيوطي (ت 911هـ) وطاش كبرى زادة (ت 968هـ) والفارابي في كتابه "إحصاء العلوم"³.

والملاحظ من خلال القول أنّ العرب لم تستخدم كلمة "علم" في بداية دراستها للّغة، بل وضعت وصفاً للعملية البحثية، كأن تصف هذه الظاهرة البشريّة بـ"اللّغة" واللّغة هي لغا، لغوة⁴، ومن ثمّ

¹ - عبد السلام المسدي: التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة: ص 24.

² - بوقرة نعمان: محاضرات في المدارس اللّسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار - عنابة، الجزائر، 2006، ص 20.

³ - المرجع نفسه، ص 20 - 21.

⁴ - ابن منظور: لسان العرب: [ل، غ، و].

أعطت هذا المتلفظ به مصطلح العربيّ وِفاء التّسبب فيصبح "عربيّة"، ثمّ أحسنّ علماءها أنّه يوجد دقّة في التّعامل مع هذه اللّغة وهذا من قبيل العِلْم، فكان المصطلح المستعمل هو "علم اللّغة" و"علم اللّسان".

لقد تطرّق عدّة باحثين لمفهوم هذه المصطلحات من بينهم "بوثرة نعمان"، ولأهميّة هذه المفاهيم سنعرضها حتى نتبيّن التّفكير اللّغوي عند العرب.

1.2 المصطلحات اللغوية العربية القديمة:

-العربيّة وعلم العربيّة:

نعود إلى علمائنا القدماء - رحمهم الله - وبالضبط إلى قول "بن أحمد السّجاعي" (ت 1997م) في حاشيته على شرح جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري لمقدمته: قطر الندى وبل الصّدى، فيما يخصّ هذا المصطلح، «وإضافة علم إلى العربيّة بيانية أو من قبيل إضافة العام للخاص، والعربيّة منسوبة للعرب وهي: علم يحتزُّ به عن الخلل في كلام العرب، وهو بهذا المعنى يشمل اثني عشر علماً جمعها بعض أصحابنا في قوله:

صرفُ بيانُ معاني النحو قافية **** شعر عروض اشتقاق الخطّ إنشاء

محاضرات وثاني عشرها لغة **** تلك العلوم لها الآداب أسماء»¹.

يقول الأستاذ "نعمان بوثرة" في تاريخه لهذين المصطلحين. «إنّ مصطلح "العربية" كان أسبق إلى الظهور من "علم العربية" وقد ظهر مع مصطلحات لغوية في النصف الثاني من القرن الأوّل الهجري، للدلالة على الذين اشتغلوا بدرس اللّغة العربيّة كأبي الأسود الدّؤلي وطبقة من قراء القرآن

¹ - أحمد بن أحمد السّجاعي: حاشية العلامة الفاضل مشكور المساعي أحمد بن أحمد السّجاعي المتوفى عام 1197هـ على شرح جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري لمقدمته: قطر الندى وبل الصّدى، الطبعة الأخيرة، منشورات الرضى - إيران، ص 7.

الفصل الأول: اللسانيات العامة واللسانيات العربية الحديثة - من النشأة إلى النموذج البديل -

الكريم، وقال أبو النَّضْر: "كان عبد الرحمان بن هرمز أول من وضع العربية"؛ ثم استقرَّ هذا المصطلح مع طبقة من علماء العربية مثل عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117هـ)، وعيسى بن عمر (ت 149هـ)، وأبي عمرو بن العلاء (ت 154هـ) ويونس بن حبيب (ت 189هـ)، والخليل بن أحمد (ت 175هـ)، وتلميذه سيبويه (ت 180هـ)¹.

إذا دعّمنا هذا القول بقول "بن أحمد السّجاعي" في تعريفه للعربية؛ ندرك أنّ علماء العربية الذين ورد ذكرهم في القول الثاني، لم يكونوا في غفلة من أمرهم وهم يتعاملون مع هذا المصطلح - العربية - لأنّه كان يعني عندهم بالضرورة كما بيّنه "السّجاعي" ذلك العلم الذي يجترّز به عن الخلل في كلام العرب وأنّه يشمل اثني عشر علماً، وبالتالي فقد «درسوا اللّغة العربيّة دراسة علميّة منظّمة، تقوم على جمع المادّة اللّغويّة، وتحليلها واستقراءها من خلال رؤية وصفية، ثم استخلاص النتائج وصياغتها في شكل قواعد فيما بعد من طرف النّحويين، كما اتّسمت هذه الدّراسة بالشمول أي دراسة اللّغة العربيّة صوتياً وصرفياً ونحوياً ودلالياً»²، كما أنّ التحوّل الحضاري للبيئة العربيّة، وازدهار العلوم ساعد في انتشار مصطلح "علم" بين الباحثين والدّارسين في شتى المجالات ومن بينها مجال دراسة اللّغة العربيّة، وفق نظرة شمولية قائمة على أصول ومبادئ نظريّة وتحليليّة، ومن ثمّ وفي حدود القرن الثاني للهجرة ظهور مصطلح "علم العربية"³.

وعندما نذكر دراسة اللّغة لا بدّ أن نأتي بذكر كتاب سيبويه، الذي وُجد فيه مصطلح - العربية - في أوّل كتابه "هذا باب علم ما الكلم من العربية"، وهو كتاب شامل لمعظم الجوانب الدراسية التي

¹ - بوثرة نعمان: محاضرات في المدارس اللّسانية المعاصرة: ص 21.

² - المرجع نفسه، ص 21.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 22.

الفصل الأول: اللسانيات العامة واللسانيات العربية الحديثة - من النشأة إلى النموذج البديل -

تخصّ اللغة العربيّة، كما استعمل مصطلح -العربية أو علم العربية- للإشارة إلى عمل أبي الأسود الدؤلي بالتحديد¹.

يبدو أنّ مصطلح -العربيّة أو علم العربيّة- إنّما استعمله العلماء العرب القدامى ليميّزوه عن مصطلح -عجمي- الذي ساد في الثقافة العربيّة أو لنقل فعل المثاقفة التي كان سببها -مجيء القرآن الكريم ودخول العجم في الإسلام، وهذا حالة اللغة العربيّة حينما نميّزها عن اللغة الفرنسية بإضافة صفة هذه اللغة ونسبتها إلى القوم الناطقين بها.

-النحو:

إنّ التعريف اللّغوي لمصطلح "النحو" يتمثّل في ردّ هذه اللفظة إلى الفعل الذي اشتقت منه وهو "نحا" ينحو، نحوًا، الشيء: قصده، ونحو فلان: قصّد قصده، واقتفى أثره، والنحو، ج: أنحاء: الجانب، الجهة، الطريق، المثل، المقدار².

ويقول الزبيدي: «لم تزل العرب تنطق على سجيّتها في صدر إسلامها وماضي جاهليّتها، حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجا، وأقبلوا عليه أرسالاً، واجتمعت الألسنة المتفرّقة واللّغات المختلفة ففشا الفساد في اللغة العربيّة»³، أي فشا اللحن في اللغة العربيّة.

أمّا قضية نشأة النحو فالآراء متعدّدة غير مجتمعة إلاّ أنّه يرجع إلى بناء قواعد للعربيّة لمجاهة اللحن كما بيّن الزبيدي، و«يقول بعضهم: إنّ علي بن أبي طالب هو الذي أوعز إليه بوضع النحو،

¹ - ينظر: عيسى برهومة: مقدمة في اللسانيات، الجامعة الهاشمية، الأردن، 2005، ص 46.

² - المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، الطبعة 26، مادة نحص - نحو - ص 795.

³ - عبد العزيز مطر: لحن العامّة في ضوء الدّراسات اللّغوية الحديثة، 1966، ص 29، نقلا عن طبقات الزبيدي.

الفصل الأول: اللسانيات العامة واللسانيات العربية الحديثة - من النشأة إلى النموذج البديل -

ومن قائل إنّه عمر بن الخطاب، ومن قائل إنّه عمر بن الخطاب، ومن قائل إنّه زياد بن أبيه، ومن قائل إنّ أبا الأسود فزع بنفسه إلى وضع النحو حين سمع قارئاً يقرأ: (لا يأكله إلاّ الخاطئين ...)»¹.

أيّ إنّ المعنى اللّغوي لكلمة "نحو" هنا والذي مفاده - اقتفاء الأثر أو الطريق أو المثل، سيكون هو ما يعنيه "النحو" كمنهج ونظرية ودراسة للغة حتى تعود مستقيمة بدون لحن، مثلما بدأت أول مرّة، قبل أن يعرفها العجم.

ويرى الأستاذ "بوقرة نعمان" «أنّ مصطلح "النحو" ظهر بعد مصطلح "العربية" أو "علم العربية"، وذلك عندما ظهرت فئة أو طبقة من المعلّمين الذين أخذوا يعلمون الناس قواعد العربيّة لكي تستقيم ألسنتهم بعد تفشّي اللحن فيهم، وكان هذا المصطلح -أول ما ظهر- يشير إلى القواعد التّعليمية التي تعلّمها النّاس لكي يلحقوا بالعرب الفصحاء في إجادتهم العربيّة»².

وهذا القول يعرّزه قول الزّبيدي، أي أنّه عندما سقطت القواعد التي تقوم عليها العربيّة جاء النّحو للنّهوض بها وبنائها حتى تستقيم من جديد.

ويضيف الأستاذ "بوقرة" قائلاً أنّ النّحو يختلف عن العربية أو علم العربية الذي كان يُشير إلى الدراسة العلميّة للغة العربيّة، إلّا أنّنا نجد من يسوي بينهما كأبي حيان الذي يرادف بينهما مستدلاً بقول سيبويه: «هذا علم ما الكلم من العربية»³.

وهنا تظهر أهميّة ضبط المصطلح العلمي حتى لا يحدث تداخل في البحوث ولا يحدث تشويش في فهم نتائجها.

-علم اللّغة:

¹ - أحمد مختار عمر: البحث اللّغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر عالم الكتب، ط6.

² - بوقرة نعمان: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة: ص22.

³ - المرجع نفسه، ص 22.

هو كذلك من المصطلحات التي وجدت عند علماء العرب في هذا الصدد يقول الأستاذ "كمال بشر" «وإنّا لنلاحظ في بعض الآثار اللغوية في القديم استخدام المصطلح "علم اللّغة" بمعنى البحث في الثروة اللفظية على ما نحو ما يجري في المعجمات وما إليها، بالإضافة إلى بحوث تتعلّق بالمفردات ومشكلاتها العامّة، أي لا من حيث معانيها فقط، بل من حيث ما تتّصف به من سمات فرعيّة كالأصالة أو عدمها، وكالترادف، والمشارك اللفظي، والمجاز، والحقيقة والنحت والاشتقاق (غير الصّرفي) وما إلى ذلك من كل ما له صلة بها، بوصفها مفردات لا صيغا صرفية أو وحدات في تركيب الجملة»¹.

وللتوضيح أكثر فقد عرض الأستاذ "كمال بشر" نصوصا في تعريف مصطلح "علم اللّغة" كقول العلامة "شمس الدّين الأکفاني في (إرشاد القاصد إلى أسمی المقاصد): «القول في اللّغة، وهو علم ينقل الألفاظ الدّالة على المعاني المفردة وضبطها وتمييز الخاصّ بذلك اللّسان من الدّخيل فيه، وتفصيل ما يدلّ فيه على الذوات، ممّا يدلّ على الأحداث، وما يدلّ على الأدوات، وبيان ما يدلّ على أجناس الأشياء وأنواعها، وأصنافها بما يدلّ على الأشخاص، وبيان الألفاظ المتباينة والمترادفة والمشاركة»².

كذلك قول الفارابي في هذا الصّدّد: «علم اللّغة هو علم الألفاظ الدّالة عن كلّ أمة، وعلم قوانين تلك الألفاظ، وهو الذي يعطي قوانين النطق الخارج أي القول الخارج بالصّوت، وهو الذي به تكون عبارة اللّسان عمّا في الضمير»³.

وقد تتبّع الأستاذ "كمال بشر" مصطلح "علم اللّغة" فيما أورده "عبد القاهر الجرجاني" فلاحظ «أنّه يطلق المصطلح "علم اللّغة" أحيانا على إطار من الدّرس اللّغوي يكاد يقترب من المفهوم العلمي

¹ - كمال بشر: التفكير اللّغوي بين القديم والجديد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص 75.

² - المرجع نفسه، ص 76.

³ - المرجع نفسه، ص 76.

لهذا المصطلح نفسه في الوقت الحاضر حيث يفهم من مناقشة طويلة له في كتابه "دلائل الإعجاز" أنه يطلق هذا المصطلح على الأصوات والصرف والنحو¹.

وبموجب هذا القول فإنّ "علم اللّغة" بالنسبة لـ"النحو" هو بمثابة العام والخاص، فعلم اللّغة يشمل عدّة جوانب من اللّغة منها النحو.

ويرى الأستاذ "بوثرة" أنه قبل استخدام مصطلح "علم اللّغة" كان هناك مصطلح "اللّغة" الذي «يدلّ على نوع من الدّراسة المنظمة بخاصّة تلك التي تتّصل بعمل المعاجم، وتأليف الرسائل اللّغوية، وبصورة عامّة فإنّه يدلّ على دراسة المفردات ومعرفة الدّلالات، وتنظيم ذلك في صورة كتب أو معاجم، وهو بهذا يختلف عن مصطلح "العربيّة أو علم العربيّة" كما يختلف عن مصطلح "النحو" أيضا واستبدل هذا المصطلح فيما بعد بمصطلح جديد وهو "علم اللّغة"².

وهذا الانتقال من مصطلح إلى آخر عند العرب القدامى؛ إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على وعي فكريّ منهجيّ سيمثّل فيما بعد النظرية اللّغويّة عند العرب.

ومصطلح "علم اللّغة" يشمل دراسة الجوانب التالية³:

1 العلاقة بين اللفظ والمعنى.

2 الأصوات أو الحروف التي تتألّف منها المفردات.

3 المصنّف الصّرفية.

4 الدّلالة الوضعية للمفردات.

¹كمال بشر: التفكير اللّغوي بين القديم والجديد، ص 76.

²- بوثرة نعمان: محاضرات في المدارس اللّسانية المعاصرة، ص 22.

³- المرجع نفسه، ص 23.

هذه الجوانب الدّراسية تشكّل "علم اللّغة" عند العرب القدامى، وهو في نظر الأستاذ "كمال بشر" لا يمثّل "علم اللّغة" بمفهومه الدقيق عند المحدثين، ذلك أنّ علم اللّغة الحديث يختصّ بدراسة اللّغة البشريّة بدون تمييز¹، كما أنّه «علم معياريّ (Prescriptive) أي أنّه يبحث في جوانب الصّواب والخطأ في استعمال المفردات من حيث الدّلالة والبنية، وليس علماً وصفيّاً (Descriptive) يصف المادّة اللّغويّة في ذاتها دون البحث عن الصواب والخطأ في الاستعمال»².

ولا نظراً أنّ صفة "المعيارية" تعيب الجهود اللّغويّة العربيّة القديمة، بل هي جهودٌ جاءت لغرض نبيل وهو صون اللّسان العربيّ؛ وبالتالي وصوله إلينا ونحن في القرن الواحد والعشرين.

- علم اللّسان:

يُعدّ لفظ "اللّسان" من الألفاظ الأصيلّة التي عهدتها العرب في استعمالاتها اليوميّة بالمعنى الحقيقي والمجازي، ففي المعنى الحقيقي تُطلق على «ذلك العضو المعروف من أعضاء النطق، بل هو من أهمّها»³، كما تستعمل عندهم بالمعنى المجازي من ذلك:

- «يطلق اللّسان على "اللّغة" بمعناها العامّ المتضمّن حقيقتها العقليّة والفيسيولوجيّة والفيزيائيّة،

كما في قولنا: "لسان العرب" أو "اللّسان العربيّ".

- يطلق "اللّسان" على الكلام، أي الأداء الفعليّ للّغة.

- استخدام "اللّسان" في لغة العرب بمعنى "الكلمة".

- قد يعني "اللّسان" الرسالة، ولسان القوم، أي متكلمهم.

- قد يخرج استعمال "اللّسان" مجازاً عن دائرة اللّغة بكلّ جوانبها وصورها، فيقال مثلاً: "لسان

النّار"، "لسان البحر" على ضرب من التشبيه»¹.

¹ - ينظر: كمال بشر: التفكير اللّغوي بين القديم والجديد، ص 77.

² - بوثرة نعمان: محاضرات في المدارس اللّسانية المعاصرة: ص 23.

³ - كمال بشر: التفكير اللّغوي بين القديم والجديد، ص 65.

وهناك الكثير من الاستعمالات عند العرب القدامى لهذا المصطلح "اللّسان" إلاّ أنّه ناذرا ما استخدم في الدلالة على دراسة اللّغة في التراث اللّغوي العربي، كما أنّ "الفارابي" (ت 339هـ) هو أقدم من استخدمه في كتابه "إحصاء العلوم" ² ويضيف الأستاذ "عثمان محمّد أمين" قائلا: «ولعلّه أوّل ما كتّب بالعربيّة من هذا القبيل؛ فلا نعرف مؤلّفا عربيّا انتهج هذا المنهج قبل "إحصاء العلوم": ذكر القاضي "أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي" المتوفى سنة 463 في كتابه "طبقات الأمم" عند كلامه على الفارابي ومُصنّفاته ما نصّه: "ثمّ له (أي الفارابي) بعد هذا كتاب شريف في إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها، لم يسبق إليه، ولا ذهب أحد مذهبه فيه، ولا يستغني طلاب العلوم كلّها عن الاهتمام به وتقديم النّظر فيه» ³.

أي أنّ ما ورد في كتاب "إحصاء العلوم" هو مادّة أصيلة ومنها مصطلح "علم اللّسان"، ولكلّ مؤلّف هدف من تأليفه لكتابه، وبالتّسبة "للفارابي" فقد كان هدفه كما يقول: «أن نحصي العلوم المشهورة علماّ علماّ» ⁴.

كما أنّه قسّم كتابه هذا إلى خمسة فصول:

- «الفصل الأوّل: عقده في علم اللّسان وفروعه من نحو وصرف وبيان وشعر وقوانين الكتابة وقوانين القراءة.

- الفصل الثاني: في علم المنطق وأجزائه.

- الفصل الثالث: في علوم التّعاليم أي العلوم الرّياضيّة.

- والفصل الرّابع: في العلم الطّبيعي والعلم الإلهي.

¹ - كمال بشر: التفكير اللّغوي بين القديم والجديد، ص 66-67.

² - ينظر: بوثرة نعمان: محاضرات في المدارس اللّسانية المعاصرة: ص 23.

³ - أبو نصر الفارابي: إحصاء العلوم: صححه ووقف على طبعه وصدّره بمقدمة مع التعليق عليه عثمان محمد أمين، مطبعة

السعادة، سنة 1350هـ - 1931م، ص 4.

⁴ - المرجع نفسه: ص 7.

- والفصل الخامس: في العلوم المدنية (أي علم الأخلاق وعلم سياسة المدنية) وفي علم الفقه وعلم الكلام»¹.

هذا هو تبويب العلوم وترتيبها عند الفارابي «والظاهر أنه لم يكن يقصد هاهنا أن يكتب في ذلك النوع من البحث المعروف عند مؤلفي العرب بتقسيم العلوم أو تصنيفها، وعند الأوروبيين باسم Classification des sciences»².

إلا أنه منهج سويّ في التّبويب والتّقسيم وله أسبابه، فقد «قدّم علم اللّسان وفروعه من نحو وصرف وغيرها وأعقبه بعلم المنطق: وذلك لأنّ علم اللّسان عند كلّ أمة أداة لتصحيح ألفاظها وتقويم عباراتها فوجب تقديمه على سائر العلوم ثمّ هو ممّا لا يستغنى عنه في دراسة أوائل صناعة المنطق...»³.

وهذا ما يبرّر المنهج التّعليمي في كلّ بلد، فالمقدّم في التّعليم هو اللّغة وما يتّصل باللّسان ومن ثمّ الولوج في بحر العلوم، ومفهوم "علم اللّسان" عند الفارابي هو «ضربان: أحدهما حفظ الألفاظ الدّالة عند أمة ما وعلم ما يدلّ عليه شيءٌ منها، والثاني: علم قوانين تلك الألفاظ، أي أنّ علم اللّسان يتفرّع عنده إلى فرعين هما: علم اللّسان الإجرائي ذي الغرض التّعليمي وعلم اللّسان النظري الذي يعنى بالقضايا العامّة في البنية اللّغويّة»⁴.

من خلال ما سبق نستطيع القول بأنّ العرب في تعاملها مع لغتها، قدّمت لنا عدّة مصطلحات كانت ترى أنّها مناسبة لطرق ومناهج تلك الدّراسة المرتبطة بها، وكانت تغيّر المصطلح بين الفينة والأخرى و فقط عندما تحسّ بضرورة ذلك التّغيير.

¹ - أبو نصر الفارابي: إحصاء العلوم ص 6.

² - أبو نصر الفارابي: إحصاء العلوم ، ص 7.

³ - المرجع نفسه ، ص 8.

⁴ - بوثرة نعمان: محاضرات في المدارس اللّسانية المعاصرة: ص 24.

لقد أحبَّ العرب لغتهم قبل الإسلام وافتخروا بها، وزادهم شرفاً أن نزل بها القرآن الكريم، ونجم عن ذلك حركة علمية كبيرة وفي شتى المجالات، والمجال الذي نحن بصدد دراسته هو المجال اللغوي الذي بدأ مبكراً ووصل إلى مرحلة النضج والكمال كما عبّر عنه الأستاذ "أحمد مختار عمر" وأنه «لا يتجاوز ذلك القرن الخامس الهجريّ بأيّ حال من الأحوال، ففي هذا القرن اكتملت الاتجاهات المعجمية، وفي القرن الذي قبله وصل الدرس التحوي والصرفي والأصواتي إلى قمته، ولم يعد ما تلا ذلك من الدراسات أن يكون ترديداً أو شرحاً أو تلخيصاً أو نظماً لأعمال سابقة»¹.

بعد أن عزم العرب على دراسة لغتهم والتدبر فيها وفي تراكيبها، كان عليهم أن يبدؤوا بجمع مادّهم اللغوية من مصادرها الأصلية، التي تمثلت بالدرجة الأولى في القرآن الكريم، والذي يحتلّ أعلى درجات الفصاحة، وخير ممثل للغة الأدبية المشتركة، وكذا القراءات القرآنية، باعتبارها الوجوه المختلفة التي سمح الرسول صلى الله عليه وسلّم بقراءة نصّ المصحف بها، ومن المصادر أيضاً، الحديث النبوي الشريف كونه كلام خير البشرية الذي لا ينطق عن الهوى، ومن ثمّ الأخذ بالشعر والشواهد الثرية، وفي كلّ من هذه المصادر شروط يجب بلوغها عدا القرآن الكريم الذي أجمع اللغويون على الاستشهاد به بل ودافعوا عنه²، أمّا فيما يخصّ الحديث النبوي الشريف فيقول الشيخ الإسكندريّ «مضت ثمانية قرون، والعلماء من أولّ أبي الأسود الدؤليّ إلى ابن مالك لا يحتجّون بلفظ الحديث في اللغة إلاّ الأحاديث المتواترة»³.

أي أنّ العرب بادروا بجمع مادّهم اللغوية ومن ثمّ دراستها، كما أنّ الدراسات اللغوية عندهم ارتبطت بالرسالة الإسلامية، يقول في هذا الصدد السيوطي في كتابه "تاريخ الخلفاء": «إنّه منذ منتصف القرن الثاني الهجري بدأ علماء المسلمين يسجّلون الحديث النبوي، ويؤلّفون في الفقه

¹ - أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، القاهرة، ط 6، سنة 1988،

² - المرجع نفسه، ص 17 - 18.

³ - نقلاً عن أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص 35.

الإسلامي، والتفسير القرآني، وبعد أن تمّ تدوين هذه العلوم اتّجه العلماء وجهة أخرى نحو تسجيل العلوم غير الشرعية، ومن بينها اللغة والنحو¹.

أي أنّ اهتمام علماء العرب المسلمين كان منصباً على دراسة القرآن الكريم وهو الموجه الوحيد لهم، والذي أثار عقولهم لأن يتطرقوا إلى البحوث اللغوية بمنطق سليم وذكيّ في كثير من المواقف، «فقد بدأ في شكل جمع للمادّة اللغوية أو ما يعرف بمثن اللغة، وأن يسبق ذلك الدرس النحويّ، وقد تمّ هذا الجمع أولاً بطريق المشافهة والحفظ، ودون منهج معيّن في ترتيب المادة المجموعة أو تبويبها»². ويوضّح لنا القول أكثر الأستاذ أحمد أمين حينما يقول: «كان المدوّنون الأوّلون للغة في هذا العصر يدوّنون المفردات حيثما اتفق، وكان يتيسّر لهم سماعاً، فقد يسمعون كلمة في الفرس، وأخرى في الغيث، وثالثة في الرّجل القصير، وهكذا، فكانوا يقيّدون ما سمعوا من غير ترتيب»³.

هكذا بدأ البحث اللغوي عند العرب، بحثٌ بكلّ ما تحمله الكلمة من معنى، وكلّ ذلك من أجل جمع المادّة اللغوية، ومن ثمّ تبويبها، ثمّ تُوضع بين يدي النحويّ باعتباره أكثر دراية بهذه المادّة، وبالتالي فالبحث النحويّ «بدأ متأخراً عن جمع اللغة، لأنّه لا يمكن القيام به بدون مادّة توضع تحت تصرّف النحويّ»⁴.

ربّما يتبادر إلى أذهاننا سؤال عن الجوانب الأخرى من البحث اللغوي من أصوات وصرف ومعجم وغيرها، في حين أنّ "النحو" قد ورد ذكره مباشرة بعد جمع المادّة اللغوية كخطوة أولى، وبتلك الصيغة الناضجة التي تضيف عليه طابع العلميّة، والجواب هو أنّ النحو - كما عرّفناه سابقاً - قصدوا

¹ - السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت 911م)، تاريخ الخلفاء، المحقق حمدي الأمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز الطبعة الأولى 1425، 2004م، ص 173.

² - أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص 80.

³ - أحمد أمين، ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة 1997، مهرجان القراءة للجميع، إهداءات 2003، أسرة أ.د. رمزي ذكي القاهرة، برعاية سوزان مبارك (الأعمال الدينية) الجزء الأول، ص 320.

⁴ - المرجع نفسه، ص 81.

به طريقة العرب في نطق لغتهم، هذا ظاهر القول، أما باطنه: فالنحو أو الدراسة اللغوية بجميع مستوياتها إنما هو مادة متماسكة لا يمكن فصل أجزائها بالرغم من أنهم استعملوا صيغا تدل على أنهم يفرقون بين كل مستوى على حدة.

2.2 الدراسة اللغوية العربية القديمة:

1.2.2 دراسة الأصوات:

تعتبر الدراسة الصوتية أولى الخطوات في أي دراسة لغوية، ذلك لأنها تعتمد على أصغر وحدات اللغة، المتمثلة في الصوت، أما اللغويون العرب، فلم ينظروا إلى الدراسة الصوتية بهذه النظرة المتقدمة التي أصبحت لزاما عند اللغويين المحدثين، وإنما خلطوها بغيرها من البحوث، والدليل في ذلك هو أن النحاة وأصحاب المعاجم، وعلماء التجويد، والقراءات القرآنية، وكذا المؤلفون في إعجاز القرآن الكريم، وعلوم البلاغة مع العلم أن لديهم مجالهم الخاص الذي يبحثون فيه إلا أنهم اعتمدوا كثيرا على هذا النوع من الدراسات الصوتية¹.

ويرى الأستاذ "نعمان بوقرة" أن «كتاب سيبويه، وهو أقدم كتاب وصل إلينا في النحو العربي، يضم صفحات قيمة في الدراسات الصوتية، إذ جعل البحث الصوتي وسيلة من وسائل التحليل الصوتي بالدرجة الأولى، ولذلك كان البحث الصوتي عند سيبويه أساسا لتفسير عدد من الظواهر في مقدمتها ظاهرة الإدغام، وكان عند الخليل مدخلا للإعجام، وعند مؤلفي كتب القراءات وسيلة لوصف ظواهرها الصوتية»². أي أن الدراسة الصوتية تعتبر أداة مهمة في يد دارس اللغة عامة.

¹ - ينظر: أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص 93-94-95-96.

² - بوقرة نعمان: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة: ص 26.

ويرى الأستاذ "أحمد مختار عمر" أنّ أول من أفرد مؤلفاً مستقلاً في المباحث الصوتية، ونظر إليها أنّها علم قائم بذاته هو ابن جني المتوفى عام 392هـ في كتابه "سر صناعة الإعراب" والذي تناول الموضوعات الصوتية الآتية¹:

1. عدد حروف الهجاء وترتيبها ووصف مخارجها.
2. بيان الصفات العامة للأصوات وتقديمها باعتبارات مختلفة.
3. ما يعرض للصوت في بنية الكلمة من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف.
4. نظرية الفصاحة في اللفظ المفرد ورجوعها إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج.

وفي هذا الصدد يقول ابن جني في مقدّمة كتابه: «وأذكر أحوال هذه الحروف في مخارجها ومدارجها، وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها، وشديدها ورخوها، وصحيحها ومعتلّها، ومطبقتها ومنفتحها وساكنها ومتحرّكها ... إلى غير ذلك من أجناسها، وأذكر فرق ما بين الحرف والحركة، وأذكر أيضاً الحروف التي هي فروع مستحسنة والحروف التي هي فروع مستقبحة، والحركات التي هي فروع متولّدة عن الحركات كتولّد الحروف عن الحروف، وأذكر أيضاً ما كان من الحروف في حال سكونه له مخرّجٌ فإذا حرّك أفلقتة الحركة وأزالته عن محلّه في حال سكونه»².

قول مفصّل في مجال صوتيّ يدلّ على ذكاء صاحبه، وقد تنبّه الأستاذ "أحمد مختار" من خلال قول "ابن جني" إلى شيئين اثنين³:

1. أنّه كان أول من استعمل مصطلحاً لغويّاً للدلالة على هذا العلم مازلنا نستعمله حتّى الآن، وهو "علم الأصوات".

¹ - أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص 100 - 101.

² - المرجع نفسه ص 101.

³ - المرجع نفسه، ص 101.

2. أن ابن جنّي يعتبر الرّائد في هذه الدّراسة وكان على حقّ في قوله في كتابه: «وما علمت أنّ أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفنّ هذا الخوض ولا أشبعه هذا الإشباع».

وهي شهادة منه على أنّه برع في المجال الصوتي، وفاق أقرانه درايةً بمكثدا علوم إلاّ أنّه لم ينفِ وجود علماء في زمانه قد تطرّقوا لهذه الدّراسة ونقصد بالقول الفيلسوف المشهور ابن سينا، فله من الجهود اللّغويّة التي تدخل «تحت الدراسة الصّوتية وهي رسالته "أسباب حدوث الحروف" التي طبعت بالقاهرة عام 1332هـ بتحقيق محب الدّين الخطيب، وفي طهران عام 1333هـ، وفي غيرها من البلدان، وهذه الرسالة كما وضّح لنا الأستاذ أحمد مختار أنّها مقسّمة إلى الفصول الستّة الآتية:

1. الفصل الأوّل سبب حدوث الصّوت.
2. الفصل الثاني جعل عنوانه "سبب حدوث الحروف"، وفيه يتحدّث عن مخارج الأصوات ومحابسها.
3. وخصّص ابن سينا الفصل الثالث لتشريح الحنجرة واللّسان.
4. وفي الفصل الرابع يعالج ابن سينا الحروف العربيّة ويبين كيفية صدور كلّ حرف منها، ويصف العمليّة العضويّة مع كلّ حرف وصفا مفصّلا.
5. الفصل الخامس خصّصه لأصوات سمعها في لغات أخرى غير العربيّة.
6. وآخر فصل بيّن فيه كيفية إنتاج هذه الأصوات بحركات غير نطقية¹.

من خلال هاته الأقوال يتبيّن أنّ الفكر العربيّ عاش مرحلة من الرّقي في مجال الأصوات أو في غيرها من المجالات كما سنبين ذلك لاحقا ممّا «جعل بعض الباحثين الغربيّين يفترض وجود اقتباس واسع عن حضارات سابقة تتمتع بمفاهيم لسانيّة متطورة كالحضارة اليونانية، والهنديّة»². إلاّ أنّه تمّ تبرئة هذا التّفكير الأصيل من طرف العديد من الباحثين الغربيّين منهم والعرب، ومما يعزّز هذه التّظيرة

¹ - أحمد مختار عمر: البحث اللّغوي عند العرب، ص 101 - 102.

² - بوثرة نعمان: محاضرات في المدارس اللّسانية المعاصرة: ص 28.

هو ما جاءت به جهود العلماء العرب من نتائج فيما يخصّ الجانب الصّوتي وقد عرضها الأستاذ أحمد مختار عمر " بإسهاب مقارنة مع ما عرضه الأستاذ "نعمان بوثرة" في كتابه "محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة" وكذا الأستاذ "عيسى برهومة" في كتابه "مقدمة في اللسانيات"، ونودّ أن نختصر هذه النتائج نحن أيضا فعرضنا قول "بوثرة نعمان" وهي كالتالي¹: (النتائج)

1. وضع أجدية صوتية للغة العربية، رتب أصواتها بحسب المخرج ابتداءً من أقصى الحلق حتى الشفتين.
2. تسمية أعضاء النطق بأسمائها (رئة/ حلق، حنجرة، ...) وتقسيم الحلق إلى: (أقصى، وسط، أدنى)، واللسان إلى: (أصل، أقصى ووسط، ظهر حافة، طرف).
3. تقسيم الأصوات إلى: شديدة ورخوة باعتبار مجرى الهواء ووضع قائمة بأصوات كل نوع.
4. تقسيم الأصوات إلى: مطبقة ومفحمة.
5. تقسيم الأصوات إلى: مجهورة ومهموسة باعتبار وجود رنين يصحب نطق الأصوات.
6. تقسيم الأصوات إلى: صحيحة ومعتلة على أساس اتّساع المخرج مع العلة دون الصحيحة، كما اهتموا إلى الصفات التي تميّز بعض الحروف كالكلام الذي وصفوه بالمنحرف والرّاء التي وصفوها بالمكّرر وغيرها.
7. قسموا حروف العلة (ا و ي) إلى: قصيرة وطويلة وأصول.
8. تحدّثوا عن الائتلاف بين الحروف وكيفية بناء الكلمة العربية.

¹ - بوثرة نعمان: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة: ص 27، وعيسى برهومة: مقدمة في اللسانيات، ص 55، وأحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص 114 - 115 - 116 - 117 - 118 - 119.

وهناك تعقيب على هذه النتائج في معظمه كان عبارة عن نقدٍ، نحسبه نقداً بناءً في المجال اللغوي، جاء به الأستاذ أحمد مختار بعد أن عرض النتائج السالف ذكرها، وقد تمثل هذا التعقيب في¹:

1. إذا تصفّحنا الكتب العربيّة التي عرضت للأصوات وصفاتها وأسمائها، وجدنا أصحابها مقلّدين لا مجدّدين وتابعين لا متبوعين، فهم لم يزدوا على ما وضعه الخليل وسيبويه إلا قليلاً.
2. عدم توحيد المصطلحات بينهم وغموض بعضها ...

وهنا عدّة عناصر أخرى ذكرها الأستاذ "أحمد مختار عمر" كتعقيب، وفي مجملها كان للعرب تفسير واضح عليها، وهذا لا يُنقص من رُقي الفكر العربي بأيّ شكل من الأشكال وإن ذُكر بعض العيوب فليس ذلك من أصل التحقير، بل لتفادي ما وقعوا فيه، والمبادرة بالبحث، على المنهج الذي بدأوا به للوصول باللّغة العربيّة إلى البرّ الذي نرتضيه لها من عزّ وشرف.

2.2.2. دراسة النحو والصرف:

لقد تتبّعنا سابقاً مصطلح "النحو" من خلال استعمال العرب له، وأوضح تعريف له ما ورد عن ابن جيّ حيث يقول عنه: «هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والتكبير، والإضافة والنسب والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللّغة العربيّة بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شدّ بعضهم عنها ردّ به إليها»².

إنّ دراسة النحو والصرف دراسة لغويّة وكما عرّفها العرب قديماً هي من المجالات المشتركة، والتي لا يمكن الفصل بينها، ويظهر هذا جلياً من خلال قول الخُضري في حاشيته على ابن عقيل حينما عرّف النحو بأنّه: «يطلق على ما يعمّ الصّرف تارة وعلى ما يقابله أخرى، ويعرف على الأوّل بأنّه

¹ - أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص 119.

² - ابن جيّ (أبو الفتح عثمان بن جيّ): الخصائص: تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 2003-1424هـ، باب القول على النحو، مج 1، ص 88.

علم بأصول مستنبطة من كلام العرب يُعرف بها أحكام الكلمات العربيّة حال إفرادها كالإعلال والحذف والإبدال وحال تركيبها كالإعراب والبناء والحذف، وما يتبعها من بيان شروط لنحو النواسخ وحذف العائد وكسر إنّ وفتحها، أو نحو ذلك، وعلى الثاني يختصّ بأحوال التراكيب»¹.

بمعنى أنّ "النحو" يشمل علمين متداخلين هو النحو في حدّ ذاته بالمفهوم الذي عهدناه به أضيف إلى ذلك دراسة الصّرف، في هذا الصّد يقول الأستاذ "كمال بشر" أنّ «العلاقة بين الصّرف والنحو هي كالعلاقة بين مادّة البناء والبناء نفسه»².

وإذا ما عُرف "الصّرف" بمعزل عن "النحو" يكون أصله اللّغوي من مادّة (ص. ر. ف) والصّرف ردّ الشّيء على وجهه، صرفه، يصرفه، صرفاً، وهو التقليل وتصارييف الأمور تخاليفها، ومن تصريف الرّيح والسحاب³ أمّا اصطلاحاً «فهو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلّا بها كاسمي الفاعل والمفعول، واسم التفضيل والتثنية والجمع»⁴.

ورغم هذا الفرق في تعريف كل من النحو والصّرف، إلّا أنّ اللّغويين العرب درسوهما ضمن مسمّى واحد وهو "النحو"، وحريراً بنا في هذا المقام أن نذكر التطوّر الذي مسّ هذا الجانب، فقد قام العلماء العرب بإكمال أبوابه وتفصيل مسائله، والبلاد التي احتضنت هذا التطوّر هي بلاد العراق في مدينتي البصرة والكوفة⁵.

وهاتين المدينتين قد عُرفتا بجهود علمائها الذين عكفوا على دراسة النحو العربي دراسة لم يعرف لها مثيل آنذاك، وكان لكلّ من المدينتين «وجهةٌ خاصّة في أساليب البحث النّحوي، وطرق

¹ - حاشية الحضري على ابن عقيل: المطبعة الميمنية، القاهرة، ج 1، سنة 1305هـ، ص 10.

² - كمال بشر: التفكير اللّغوي بين القديم والجديد، دار غريب، القاهرة، سنة 2005، ص 294.

³ - لسان العرب: ابن منظور، مادة (ص ر ف)، دار صادر، بيروت - لبنان.

⁴ - ينظر: أحمد الحماوي: شذا العرف في فنّ الصّرف، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1967، ص 3.

⁵ - ينظر: عبد العزيز عتيق: علم النحو والصّرف، مكتبة منيمنة، بيروت، ط 1، 1/2000 / 11 / 1963، ص 29.

الفصل الأول: اللسانيات العامة واللسانيات العربية الحديثة - من النشأة إلى النموذج البديل -

الاستنباط، ونشأ عن هذا أن أصبح لكلٍ منهما مذهب خاصّ، وتباعدت بينهما مسافة الخلاف في كثير من المسائل»¹.

وكبرت الهوة بين دارسي النحو من المدينتين، هوة ربما مسّت الفروع أكثر ممّا مسّت الأصول في دراسة النحو، وبذلك نشأت للنحاة طبقات أو مدارس متعاقبة، سمّيت كلّ مدرسة باسم المدينة التي تحويها، فكانت مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة و«اعترف جميع الدارسين بمدركتي الكوفة والبصرة، وأقروا بأسبقيتهما في الدراسات النحوية تنظيراً وتطبيقاً، وأضاف آخرون أمثال مهدي المخزومي وبيروكلمان وشوقي ضيف، وطه الراوي وغيرهم مدارس أخرى في بغداد والشام ومصر والأندلس والمغرب»².

والقول عن هذه المدارس يطول ويتسع باتساع الدراسات والمناهج المتبعة فيها، والذي يهمننا بالذكر هو تلك الدراسة اللغوية أو اللسانية النحوية والصرفية عند العرب في هذه الحقبة الزمنية.

ومن هنا يكون لزاماً علينا ذكر النحوي البارز "سيبويه" والذي «يُعدّ إمام النحاة بلا منازع، وقد جمع في مؤلفه المعروف بـ"الكتاب" مباحث النحو والصرف... ومن يراجع موضوعات الجزء الأول من "الكتاب" يجدها خاصّة بالنحو فقد تناول فيه الكلمة والنكرة والمعرفة والأفعال اللازمة والمتعدّية، وأسماء الأفعال إلى جانب الفاعل والمبتدأ والخبر وأيضاً المنصوبات، كالمصادر المنصوبة والحال والمفعول به وإنّ وأخواتها والنداء والاستثناء وغيرها، أمّا الجزء الثاني فجميع أبوابه صرفية وإذا استثنينا الممنوع من الصرف الذي افتتح به الجزء، ومن موضوعاته النسب والتصغير، ونونا التوكيد وجمع التكسير وأوزان المصادر وصيغ الأفعال ومعاني الزوائد واسم الآلة، وأسماء الأماكن وفعل التعجّب والإمالة والوقف والإعلال والإدغام»³.

¹ - عبد العزيز عتيق: علم النحو والصرف، ص 29.

² - بوثرة نعمان: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة: ص 29.

³ - أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص 123 - 124.

بهذا يكون "الكتاب" من الدراسات النحوية وكذا الصرفية التي عرف بها العرب وأظهرت فطنتهم لهذه اللغة، فالفترة التي دُرِس بها النحو في البصرة والكوفة قد تميّزت بـ«ارتقاء البحث النحوي ونضجه بدرجة لم تسمح بجديد بعدها كما يميّزها ظهور الكتب الكاملة التي تعالج النحو بابا ... ويميّزها أيضا اتجاه البحث إلى التقصي والاستقراء للمأثور عن العرب، وإعمال الفكر واستخراج القواعد ... كما يميّزها انفصال الصرف عن النحو على يد أبي عثمان المازني الذي ألف "التصريف"»¹.

من خلال القول يظهر لنا أنّ هناك تصاعد في وتيرة البحث اللغوي عند العرب الذي أدّى إلى ارتقائه ومن ثمّ وضوح في الرؤية المنهجية التي ستساعد على التمييز بين العلوم وعدم الخلط بينها.

3.2.2 الدراسة الدلالية والمعجمية:

أ - الدراسة الدلالية:

إنّ معجزة الرسول صلّى الله عليه وسلّم هي - القرآن الكريم - أنزله الله سبحانه وتعالى ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾²، و على الرّغم من أنّ هذه المعجزة جاءت بلغة العرب إلا أنّ «هذا الإعجاز وهذا التحدي يدلّان على مغايرة هذا النصّ لما تعارف عليه القوم في تراثهم من شعر وخطابة وفكر مع أنّه بلغتهم»³. وفي هذا الصّدّد يقول الدكتور السّعران: «ولغة القرآن الكريم مغايرة منذ نزولها للغة العرب، لم تكن كلغة الشعر الجاهلي، ولم تكن شبيهة بكلام خطباء العرب وكهانهم ولم يشبهها فيما بعد ذلك من زمان كلام من كلام»⁴.

¹ - أحمد مختار عمر: البحث اللّغوي عند العرب ، ص 126 - 127.

² - سورة الشعراء: الآية 195.

³ - أحمد نعيم الكراعين: علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، ط 1، 1993، ص .

⁴ - المرجع نفسه، ص 30.

نتيجة لهذا الإعجاز الكريم، كان على العرب بل العلماء والنوابغ منهم المبادرة إلى فهمه، وفق دراسات «أخذت تتفرّع وتتنوّع بحسب العقليات المتناولة له حسّاً وثقافة واتجاهها، تناولت الألفاظ والمعاني والتراكيب والمباني، مكان النصّ وزمانه وأسباب النزول، حال القوم الذين نزل فيهم، ولغتهم وأساليبهم في التعبير وعلاقاتهم بالأمم السالفة والحاضرة...»¹.

إنّما حركة علميّة كبيرة شهد لها القاصي قبل الداني، وبخاصّة تلك الدراسة الدلالية التي تأسّست على «منهج وصفي استقرائي يتتبع اللّغة في ألفاظها ومواصفاتها قصد تحديد المعاني والتي يتوقّف على فهمها فهم الكتاب [المقدس]»².

وتمثّلت هذه البحوث الدلالية في عدّة مؤلّفات منها:

1. «الغريب في القرآن» الذي ينسب إلى عبد الله بن عباس ونسبته هذه غير مفصول فيها.
3. كتاب "مجاز القرآن" الذي ينسب إلى أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 210هـ) الذي يتناول ألفاظ القرآن بالشرح والبيان مازجا بين علم الدلالة وعلم النحو وعلوم البلاغة، مستشهدا على ما يقول بأقوال العرب وأشعارهم.
4. كتاب "غريب القرآن" المسمّى "نزهة القلوب" لأبي بكر محمّد بن عزيز السجستاني (ت 330هـ) وزمنه الذي عرف فيه هو القرن الرابع الهجري وهو يختلف في ترتيبه للمادّة اللّغويّة عن الكتب السّابقة التي ربّيت ألفاظها على ترتيب السّور حيث يقول: «وبعد فهذا تفسير غريب القرآن ألف على حروف المعجم ليقرب تناوله ويسهل حفظه عن من أراد»³.

¹ - أحمد نعيم الكراعين: علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، ص 31.

² - بوثرة نعمان: محاضرات في المدارس اللّسانية المعاصرة: ص 33

³ - أحمد نعيم الكراعين: علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، ص 35، عن غريب القرآن المسمّى نزهة القلوب، ص 3.

5. كتاب "المفردات في غريب القرآن" للزَّاعب الأصفهاني: عرف في القرن الخامس

الهجري لقد التفت فيه إلى جانب مهمّ وهو التّغيير الدّلالي الذي يصيب الكلمات

نتيجة التّقل الاستعاري، كما ربط الكلمة بمشتقاتها مراعاة للتّأصيل»¹.

وقد مسّت دراسة الدّلالة أيضا الحديث النّبوي الشّريف، كونه وردت فيه ألفاظ غريبة، مثلا عن

ذلك قول أحمد بن محمد الهروي (ت 401هـ) وهو يحدّد دوافعه في مقدمة (كتاب الغريبين): «فإنّ

اللّغة العربيّة إنّما يحتاج إليها لمعرفة غربي القرآن وأحاديث الرسول عليه السّلام والصّحابة والتّابعين

...»²؛ أي أنّه يجب معرفة دلالة الغريبين من القرآن الكريم والحديث الشريف؛ حتى يتمّ إحكام اللّغة

العربيّة وضبطها كما يجب.

ومّا يُعدّ من دراسة الدّلالة أيضا: «إنتاج المعاجم الموضوعيّة ومعاجم الألفاظ وحتّى ضبط

المصحف بالشّكل يعدّ في حقيقته عملا دلاليا، لأنّ تغيير الضّبط يؤدّي إلى تغيير وظيفة الكلمة

وبالتالي إلى تغيير المعنى»³.

في حين يرى كمال بشر أنّ الدّراسة الدّلالية عندهم ضمن ما يسمّى علم العمى (سيمانطيقا)

متمثّلة في علم المعاجم من رسائل صغيرة ومصنفات، وكذا علم المعاني في البلاغة وخاصّة ما جاء به

عبد القاهر الجرجاني⁴.

¹ - أحمد نعيم الكراعين: علم الدّلالة بين النظرية والتطبيق، ص 32-34-35-36.

² - أحمد بن محمد الهروي (401هـ): الغريبين، تحقيق محمود محمد الطناحي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مطابع الأزهر

التجارية، القاهرة، 1970، ص 5.

³ - بوقرة نعمان: محاضرات في المدارس اللّسانية المعاصرة: ص 33، عن أحمد مختار عمر: علم الدّلالة، عالم الكتب، القاهرة، ص

⁴ - ينظر: كمال بشر: التفكير اللّغوي بين القديم والجديد، ص 358-359-366.

كما أنه ظهرت عدّة اهتمامات تدلّ على أنّ اللّغويين العرب وغيرهم من العلماء قد اهتمّوا بالجانب الدّلالي منها على سبيل المثال لا الحصر¹:

1. اهتمامات اللّغويين: تمثّلت في محاولة ابن فارس - في معجمه المقاييس - ربط المعاني الجزئية

للمادّة بمعنى عام يجمعها، وكذا محاولة الزمخشري - في معجمه أساس البلاغة في التفرقة بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية، ومحاولة ابن جيّ في ربط تقلبات المادّة الممكنة بمعنى واحد.

2. اهتمامات الأصوليين وعلماء الكلام والفلاسفة: والتي تمثّلت في: عقد الأصوليين أبوابا

للدلالات في كتبهم وتناولت موضوعات مثل: دلالة اللفظ، دلالة المنطوق والمفهوم ... وكذا دراسات وإشارات كثيرة للمعنى في مؤلفات الفارابي وابن سينا وابن رشد والغزالي والخوارزمي وابن حزم وغيرهم.

3. اهتمامات البلاغيين:

4. تمثّلت في دراسة الحقيقة والمجاز وفي دراسة كثير من الأساليب كالأمر والنهي ... وفي نظرية

النظم للجرجاني التي تعدّ بؤرة الدرس الدّلالي العربي، بالإضافة إلى عنايتهم الفائقة بالمعنى السياقي وعلاقة المقام بالمقال.

من خلال القول يظهر لنا أنّ الظاهرة اللّغويّة عند العرب قد عرفت اهتمامات كثيرة ودراسات

لا يمكن تجاهلها وبخاصّة ما تعلق بالإعجاز القرآني، ذلك أنّ العلماء اللّغويين آنذاك قد خصّصوا بحوثهم لدراسة اللّغة العربيّة التي نزل بها القرآن الكريم دون غيرها من اللّغات.

ب - الدراسة المعجمية:

يعتبر العمل المعجمي من أصعب الأعمال وأدقّها في المجال اللّغوي على الإطلاق ومن مظاهر

هذه الصّعوبة «أنّ المعجمي يعالج ظاهرة مفتوحة لا تستقرّ على حال، ولذا فإنّ أيّ محاولة لحصر

¹ - بوقرة نعمان: محاضرات في المدارس اللّسانية المعاصرة: ص 34.

كلمات أي لغة حيّة مطلباً عزيز المنال، إن لم يكن مستحيلاً، ويظلّ المعجميّ في حالة تساؤل دائم عن مدى تحقيق معجمه للشمول ومقدار قربه أو بعده من الجمع الكامل لمادّة اللّغة»¹.

أي أنّ مرحلة الحصر لهذه الكلمات هي من قبيل جمع المادّة اللّغويّة التي تقتضي بالضرّورة وضعها ضمن دقّي كتاب يدعى بالمعجم، والذي عرفه اللّغويون بأنّه «كتاب يضمّ بين دقّتيه مفردات لغة ما، ومعانيها، واستعمالاتها في التراكيب المختلفة، وكيفية نطقها، وكتابتها مع ترتيب هذه المفردات بصورة من صور الترتيب التي غالباً ما تكون الترتيب الهجائي»².

ومن ثمّ يكون معنى كلمة "معجم" في اللّغة غير بعيد عن هذا المفهوم الاستعمالي: فهي من «(عجم) وهي بمعنى الإبهام والغموض، ففي اللّسان "الأعجم الذي لا يفصح ولا يبين كلامه، وفيه "ورحلٌ أعجمي وأعجم إذا كان في لسانه عجمة (...) فإذا أدخلنا الهمزة على الفعل (عجم) ليصير "أعجم" اكتسب الفعل معنى جديداً من معنى الهمزة (أو الصّيغة) الذي يفيد هنا السّلب والتّقي والإزالة (...) وعلى هذا يصير معنى أعجم أزال الغموض أو الإبهام»³.

وبالتّالي يكون لفظ "المعجم" دلالة على ذلك الجهد اللّغوي الذي قام به علماء العرب ضمن مجموعة من الجهود في عدّة مستويات، كما وأنّه جهد مختلفٌ عن الجهود ومن أصعبها له دوافع وأسباب يمكن تلخيصها كما يلي⁴:

¹ - أحمد مختار عمر: البحث اللّغوي عند العرب، ص 161.

² - المرجع نفسه، ص 162.

³ - المرجع نفسه، ص 164.

⁴ - إيمان صبحي سلمان دلول: معجم محوسب لمعاني الأفعال الثلاثية المجزّدة في اللّغة العربيّة، ماجستير في اللّغة والتّحو والصّرف، كلية الآداب قسم اللّغة العربيّة، 1435هـ - 2014م، غزة، فلسطين، ص 24.

* **الدافع الديني:** يتمثل في الحفاظ على لغة القرآن الكريم، وسلامة مفرداته من أخطاء النطق والفهم، وحماية اللغة العربية من اللحن والفساد، ك: دخول الغريب والحوشي والمبتذل، والحرص على اللغة العربية يأتي من كونها السبيل الوحيد لفهم الدين الإسلامي.

* **الدافع الاجتماعي:** كثرة الأمم ذات الألسنة غير العربية التي دخلت في الإسلام واتخذت العربية لغتها.

* **الدافع الثقافي:** ويتجسد في اكتمال الوعي لدى الرواة واللغويين وحرصهم على جمع مفردات اللغة وحفاظها من الدخيل عليها مما عمل على نضج الفكر والعمل المعجمي لدى العرب.

وصناعة المعاجم تعتبر من الخطوات المهمة في الدرس اللغوي العربي ولقد «بدأت انطلاقاً من رسائل الموضوعات، وهي رسائل صغيرة من حيث كم المادة اللغوية التي تتوافر عليها، ساهمت في نشأة المعاجم الكبيرة مساهمة حالة وذلك في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، ويطلق عليها معاجم المعاني أو المعاجم المبوبة»¹.

أما من الناحية المنهجية ف«الصناعة المعجمية عند العرب سبقت نظيرها، إذ كان همهم في بداية التأليف المعجمي هو جمع فصيح اللغة بين فتي كتاب، لخدمة القرآن والتشريع، فهي غاية جعلت كل مصنف معجمي يتدع وسيلته الخاصة، قصد المادة وترتيبها، مختلفاً كان أو متفقاً مع سابقه أو لاحقه، لأنه لم تكن بين أيديهم معايير منهجية موحدة لصناعة معجمية»².

وبالرغم من ذلك يمكننا القول بأنه قد «برع اللغويون العرب في علم المعجمية وصناعتها»³.

¹ - بوفرة نعمان: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة: ص 30.

² - إيمان صبحي سلمان دلول: معجم محوسب لمعاني الأفعال الثلاثية المجردة في اللغة العربية، ص 12،

³ - المرجع نفسه، ص 12.

وحسب ما تؤدّيه هذه المفاهيم من معان، فإنّ العرب قد أدركوا حقًا هذين العلمين، ثمّ إنهم وضعوا لهذه المعاجم شرطين كان لابدّ من توافرها حتى تستقيم وتفيد قارئها، كونها وضعت لخدمة اللّغة العربيّة ولمّ شتاتها، وهذين الشرطين هما¹:

أ. الشمول: ويعدّ أمرًا نسبيًا تتفاوت المعاجم في تحقيقه.

ب. الترتيب: لابدّ من توفيره، وإلاّ فقد المعجم قيمته.

وإذا وجد هاذان الشرطان سوف يوجد بالضرورة معجم يؤدّي عدّة وظائف وهي²:

- شرح الكلمة وبيان معناها أو معانيها إمّا في العصر الحديث فقط أو مع تتبّع معانيها عبر العصور.

- بيان كيفية نطق الكلمة.

- بيان كيفية كتابة الكلمة.

- تحديد الوظيفة الصّرفية للكلمة.

- بيان درجة اللفظ في الاستعمال ومستواه في سلم التنوّعات اللّهيّة.

- تحديد مكان النبر في الكلمة، والنبر باختصار هو إعطاء بروز معيّن لأحد مقاطع الكلمة دون مقاطع أخرى.

إلاّ أنّ المعجميين العرب كما يقول أحمد مختار عمر «يُهملون بيان موقع النبر في الكلمة»³.

وربّما لم تكن لهذه الوظيفة المعجميّة - تحديد مكان النبر في الكلمة - أهميّة آنذاك، ولو رأى اللّغويون أهميّة لها - في نظرنا - لبأدروا إليها، فهُمْ أَعْلَمُ بمواطن اللّحن ومواضع فساد الألسنة في زماهم من غيرهم من اللّغويين بهذا يكون المجال المعجمي مجالًا لغويًا محضًا يختصّ بالكلمات اللّغويّة من

¹ - أحمد مختار عمر: البحث اللّغوي عند العرب، ص 165.

² - المرجع نفسه، ص 165 - 166.

³ - المرجع نفسه، ص 166.

حيث نطقها، كتابتها، وظيفتها، وقد يُفهم من هنا أنّ اللّغويين هم أول من استعمل لفظ (معجم) في معناه الاصطلاحي، ولكن في الحقيقة لم يكونوا كذلك «إنما سبقهم إلى ذلك رجال الحديث النبوي، فقد أطلقوا كلمة معجم على الكتاب المرتب هجائياً الذي يجمع أسماء الصحابة ورواة الحديث»¹، وعلى رأسهم الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- (194هـ - ت 256هـ) والذي يُنسب إليه أول استعمال لفظة (معجم) حينما وصف أحد كتبه المرتبة على حروف المعجم².

أمّا اللّغويون فقد اكتفوا بذكر المعنى الاصطلاحي للمعجم بدون تصريح منهم أنّه معجم ومثال ذلك قول أبو الطيب عبد الواحد بن عليّ التّحوي في كتاب مراتب النّحويين: «أبداع الخليل بدائع لم يسبق إليها، فمن ذلك تأليفه كلام العرب على الحروف في كتابه المسمى كتاب العين، فإنّه هو الذي رتب أبوابه، وتوفي من قبل أن يحشوه»³.

والمهم هو استشراف الأعمال اللّغوية عند علمائنا العرب بعيداً عن أزمة المصطلحات، إلاّ أنّه تجذّبنا بعضها إلى ذكر مفاهيمها لتُحسن من النظرة اللّسانية في هذا الموضوع، ومن الأعمال اللّغويّة في المجال المعجمي طريقتهم في تقسيم المعاجم إلى قسمين رئيسيين هما⁴:

◀ **معاجم الألفاظ:** وكان مجال تنافسهم واضحاً في هذا القسم، حيث وجدت في داخله طرق متعدّدة.

◀ **معاجم المعاني:** لم يوجد فيه إلاّ طريقة واحدة.

¹ - أحمد مختار عمر: البحث اللّغوي عند العرب، ص 173.

² - المرجع نفسه، ص 173.

³ - عبد القادر بن التواتي: البحث اللّساني عند العرب مناهجه وتطوّره، دار الضحى للنشر والإشهار، الجلفة، الجزائر، ط 2، سنة

2021، ص 11.

⁴ - أحمد مختار عمر: البحث اللّغوي عند العرب، ص 175.

هذا تقسيم ذكي نجم عن معرفة علمائنا العرب بماهية لغتهم، ودراستهم المعجمية اتّسمت بالترتيب الذي يخصّ الجانب اللفظي للكلمة مع العلم أنّ هذا الترتيب له عدّة أشكال يمسّ الأحرف الهجائية متمثلة في¹:

أ - الترتيب الصوتي: الذي يراعي التشابه الصوتي للأحرف وتدرّج المخارج.

ب - الترتيب الألفبائي: الذي يراعي التشابه الكتابي للأحرف فيضع الثلاثيات متحاورة ثم الثنائيات وينتهي بالأحرف المفردة.

ج - الترتيب الأبجدي: وهو أقدم ترتيب عرفه العرب فينيقي، ولم يستخدمه العرب في معاجمهم وإنما استعملوا الترتيب الصوتي والترتيب الألفبائي.

إضافة إلى أنّ عملهم المعجمي جاء منظّما، ضمن مدارس يمكن من خلالها التعرف على لغة العرب بوضوح، وتمثلت هذه المدارس في²:

أ - مدرسة الترتيب الصوتي (أو المخرجي): وهنا حرّى بنا أن نذكر معجم (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي، فما توصّل إليه قد «أثبت صحّته البحث الصوتي الحديث بتقنياته المتطورة، مع أنّه ما امتلك شيئا سوى براعته الذاتية، وموهبته الفائقة، ودكائه الحادّ، ويظهر ذلك جليّا فيما قام به بعد توفّر هذه المادّة اللغوية من تقليبات رياضية»³.

ب - مدرسة الترتيب الألفبائي: التي أخذت خمسة صور هي:

- وضع الكلمة تحت أسبق حروفها الأصلية في الترتيب الألفبائي.

- وضع الكلمة تحت أوّل حروفها الأصلية.

- وضع الكلمة تحت أوّل حروفها دون تجريد.

¹ - أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب ، ص 175.

² - المرجع نفسه ص 178.

³ - عبد القادر بن التواتي: البحث اللساني عند العرب مناهجه وتطوّره، ص 15.

- وضع الكلمة تحت حرفها الأخير دون تجريد.

- وضع الكلمة تحت حرفها الأصلي الأخير (الباب والفصل).

ج- مدرسة الترتيب بحسب الأبنية:

هذا فيما يخص (معاجم الألفاظ) أمّا (معاجم المعاني) فهي معاجم ترتب فيها المادّة اللّغوية بحسب الموضوعات أي على شكل كتيبات صغيرة ذات الموضوع الواحد، ومُن يُنسب إليهم أوّل تأليف معجمي على هذه الطريقة وهما من علماء القرن الثاني للهجرة أبو مالك عمرو بن كركرة الذي ألف خلق الإنسان والخيّل وكذا أبو خيرة الأعرابي الذي ألف: الحشرات، تم استمر هذا العمل خلال القرن الثالث والرابع والخامس هجري؛ ليرتقي أكثر وليكون أكثر شمولاً، والحديث هنا عن المخصص لابن سيده، وكذا كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ لابن الأحديب؛ الذي نفع به اللّغة العربيّة على ما فيه من اختصار¹.

من خلال ما سبق يظهر لنا «أنّ اللّغويين العرب، قد أولوا اللّغة العربيّة أقصى اهتمامهم، وقدموا بالتالي الملاحظات المتعدّدة حول قضايا اللّغة، وآرائهم هذه بالإمكان اعتبارها متطوّرة بالنسبة إلى زمانهم، وبالإمكان لدى العودة إلى مؤلّفات القدامى ملاحظة الجهود الهائل الذي قام به الأوائل في مجال دراسة اللّغة والعناية الدقيقة التي بذلوها في جمع أصول اللّغة ولمّ شتاتها واستنباط أحكامها العامّة، بل أكثر من ذلك بالإمكان ملاحظة المفاهيم المتطورة التي أتوا بها والتي بالإمكان مقارنتها ببعض المفاهيم الألسنية»².

هذا القول هو بمثابة شهادة للعرب بحُسن صنيعهم في المجال اللّغوي، والذي لا يمكن نكرانه، والمؤلّفات التي تركوها لنا لخير دليل على ذلك، والتي مثلت التراث اللّغوي العربي، والذي بدوره

¹ - أحمد مختار عمر: البحث اللّغوي عند العرب، ص 289 - 291.

² - حسام البهنساوي: أهميّة الربط بين التفكير اللّغوي عند العرب نظريات البحث اللّغوي الحديث في مجالي: مفهوم اللّغة والدراسات النحوية)، مكتبة الثقافة الدّينية، القاهرة، 1414هـ - 1994م، ص 34.

الفصل الأول: اللسانيات العامة واللسانيات العربية الحديثة - من النشأة إلى النموذج البديل -

استحقّ أو يُوصَل بالبحث والنّظر فيه بتمعّن لمواصلة الارتقاء باللّغة العربية ومسايرة لمزور الزمن وتطوّر هذه اللّغة.

أي أنّا أمام منظومة علميّة قائمة بذاتها، أو كما عبّر عنها عبد الرحمن الحاج صالح -رحمه الله- بـ«التراث اللّغوي العلمي العربي»¹، وفي هذا الصّدّد يقول: «نعم هناك أسباب دينيّة اجتماعية وهو الاعتناء بلغة القرآن، وهي خارجة عن العلم، لأنّها دوافع ولكلّ حركة علميّة وغيرها دوافع، أمّا أن يقول بأنهم وقفوا من اللّغة موقفا غير علمي فلا، لأنّ العلم لا يتحدّد بالغاية التي يرمي إليها أصحابه انتفاعية كانت أم غير انتفاعية، بل بمقياسين اثنين وهما المشاهدة والاستقراء، والاختبار من جهة والصياغة العقلية من جهة أخرى، فكلّما دقت مناهج المشاهدة والصياغة وأفادت معلومات جديدة وكشفت بذلك عن أسرار الظواهر والأحداث كانت أخرى بأن توصف بأنّها علميّة»².

فوصف هذا المنجز بالعلمي، لأنّه تدرس من خلاله اللّغة العربيّة دراسة علميّة أي أنّ العرب «... لم يقتصرُوا في ذلك على الصّوت والصّرف والنّحو والمعجم فحسب، لا، بل لقد تناولوها تناولاً فريدا باعتبارها ظاهرة إنسانيّة متميّزة، فحلّلوا وفسّروا ووضعوا الفرضيات...»³، وهو جهد يعتزّ به العرب من بعدهم، بل ويجعلونه المرجعيّة الأساس في الانطلاق لدراسة اللّغة دراسة لسانية حديثة، ونقصد هاهنا العرب الذين لم يميلوا كلّ الميل إلى اللّسانيات الحديثة فيذروا التراث اللّغوي العربي معلّقا، ولكنهم حاولوا التوفيق بكلّ حذر وتمحيص بين ما أتت به اللّسانيات الحديثة من نظريات ومناهج وبين ما ثبت عندهم من هذا المنجز اللّغوي العربي لدراسة اللّغة العربيّة دراسة علميّة.

ثالثا: اللّسانيات العربية الحديثة - الحداثة اللّغوية العربية -

¹ - عبد الرحمن الحاج صالح: السماع اللّغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص 7 وكذلك بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج 1، ص 214.

² - المرجع نفسه، ص 214.

³ - هبة خياري: خصائص الخطاب اللّساني، دار الوسام العربي، ط 1، الجزائر، 2009، ص 197..

1. النشأة:

تُعتبر نشأة اللسانيات العربية الحديثة حدثًا بارزًا في الفكر العربي، أدى بالباحثين المهتمين بها إلى التنقيب عنها، وعن بواورها، ومما لاحظه الأستاذ مصطفى غلفان من خلال إطلالته السريعة للبحوث التي أُقيمت حول نشأتها، أنّ الباحثين في هذا الشأن يجمعون على عدم تحديد الفترة الزمنية التي تمّ فيها انتقال التفكير اللساني الغربي إلى العالم العربي، «لكنهم يربطونه بالبعثات العلميّة التي قام بها محمد علي (1769-1849) لفائدة عدد من الطلبة المصريين، وإسهامات رفاة الطهطاوي الذي أوفد إلى أوروبا واعظًا لهؤلاء الطلبة الشباب الذين استفادوا من هذه البعثات»¹، وتُتمُّ فاطمة بكوش الفكرة فتقول: «إذا جاز لنا أن نؤسّس على فكرة أنّ اللسانيات العربيّة، إنّما ارتبطت بنقل نتائج البحث اللساني الغربي الحديث، فإنّنا سنحدّد هذه النشأة بعودة الموفدين المصريين من جامعات الأوروبية، حيث درسوا المناهج اللسانية الحديثة، وبدأوا بنشر بحوثهم اللسانية منذ ذلك التاريخ»².

أي أنّ الفترة الزمنية التي تحدّد بها هذه النشأة إنّما تتّصل بعودة الموفدين المصريين بعد تكوّهم ونهلهم من الفكر اللساني الغربي إلى أرض مصر، وهي وطن عربيّ له روابط وأواصر مع دول عربيّة أخرى، ويشترك معها في أنّه عانى من الاستعمار الغربي، وبالتالي تضيف فاطمة بكوش قائلة: «إنّ تحديد لحظة النشأة، في ما تعلق بالدرس اللساني العربي الحديث، يرتبط برصد ظروفها، وملابساتها من حيث ارتباطها بالضرورة بالمناخ العام الذي حكم الفكر العربي الحديث ابتداءً ممّا عرف به (عصر النهضة العربيّة) أوائل القرن التاسع عشر الذي كان وليد ظروف التدخّل الاستعماري في البلاد العربيّة»³.

¹ - مصطفى غلفان: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: حفريات النشأة والتكوين، ط 1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2006، ص 21-22.

² - فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث: دراسة في النشاط اللساني العربي، ط 1، سنة 2004، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 18.

³ - فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 14.

وبجانب مصر التي عرفت النهضة العربيّة بل وتُعدّ مهدها ومركزها، عرفت لبنان أيضا هذه النهضة الفكرية¹، نهضة كانت ستنتفع العرب لو أنّهم لم يشهدوا عصر الانحطاط، ولكن سبقتهم النهضة العربيّة، التي ساعدت على تطوّر المجتمع الغربيّ في شتى المجالات وعلى رأسها المجال الصنّاعي، ممّا أتاح له الفرصة لغزو المجتمعات الأخرى ومنها المجتمع العربيّ باسم الحداثة والتفتّح².

ليتسنى لنا القول بعد ذلك بأنّ اللسانيات العربيّة الحديثة هي مظهر من مظاهر الحداثة التي فرضها هذا الغزو على المجتمعات العربيّة، وهذا الغزو الغربيّ ربّما لم يأت بصورة ينفر منها العرب، إنّما تشكّل عن طريق التقاء الثقافتين؛ ممّا لم يدع شكّا في أنّه التحضّر أو الارتقاء أو حتّى التحرّر وهذه هي المصيبة التي أدّت بالكثير من العرب آنذاك إلى الانسلاخ عن هويّتهم، والذوبان في هويّة الغير كما رأينا سلفا، وهذا الالتقاء الثقافيّ إمّا عن طريق البعثات العلميّة للطلّبة المصريين إلى أوروبا أو بلاد الغرب عموما أو أنّها عن طريق «الدور الذي أدّاه المستشرقون في نقل المناهج والمعارف الغربية إلى الثقافة العربيّة، عندما قامت مصر باستقدامهم للتدريس في المعاهد والمدارس التي أنشأتها، فكان لهم الأثر الكبير في نشر العلوم والمعارف ونقلها إلى الطلبة الذين لم يكن لهم حظّ الهجرة إلى أوروبا وبقوا يدرسون في المؤسسات داخل الوطن»³.

وكعملية حتمية تقتضيها ضرورة التعليم تأتي مرحلة التدوين لتشكّل لدينا اللسانيات العربيّة في صورة ملموسة، كما ترى فاطمة بكوش: «أنّ الحديث عمّا يعرف باللسانيات العربية أو الدرس اللساني العربيّ الحديث، ينبغي أن يقتصر على جملة من المؤلفات والدراسات اللسانية التي ألفها

¹ - ينظر: عبد الحليم معزوز: المناهج اللسانية العربية بين واقع النشأة وآفاق التطوّر، مجلة ميلان للبحوث والدراسات، المجلد 7، العدد 2/ ديسمبر 2021، ص 180.

² - ينظر محمد سبيلا: مدارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2009، ص 23

³ - عبد الحليم معزوز: المناهج اللسانية العربية بين واقع النشأة وآفاق التطوّر، ص 181.

لسانيون عرب منذ منتصف الأربعينيات من القرن العشرين، وفيها تبوّأ مناهج النظر اللساني الغربي الحديث»¹.

ربّما يتبادر إلى ذهن القارئ من خلال هذا القول أنّ الفكر الغربي في مرحلته المبكرة قد عرف البنيويّة السوسيريّة، ولكن الحقيقة هي غير ذلك بل كان يعتمد على الفكر الفيلولوجي وهو مرحلة كما رأينا سلفاً قد سبقت لسانيات دي سوسير وقد تبناه العرب عن طريق المستشرقين الألمان، فنتج عن ذلك سلسلة من الكتابات اللغويّة العربيّة التي اتخذت من فقه اللّغة عنواناً لها مثل مؤلّف د. علي عبد الواحد وافي فقه اللّغة (1937م)، الأمر الذي أدّى إلى الوقوع في خلط مفاهيمي وعدم التمييز بين مجال الفيلولوجيا وبين ما عرف عند العرب القدامى بفقه اللّغة، إلّا أنّ هذا الخلط وجد طريقه إلى الصّواب مع ثلّة من الباحثين وعلى رأسهم د. محمود السعران في كتابه علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي (1962م) ود. محمود فهمي حجازي في كتابه علم اللّغة العربيّة مدخل (1970)².

هذه هي حلّة اللسانيات العربيّة وهي تتبلور بين أجنحة الزّمان لتتخطّى زمن الفيلولوجيا الغربية إلى البنيويّة السوسيرية وبالضبط «ما بين (1941-1946) وهي المدّة التي يرجع فيها صدور كتاب الأصوات اللّغويّة للدكتور إبراهيم أنيس الذي يعدّ أوّل كتاب عربي حاول تطبيق النظرة البنيويّة في وصف أصوات اللّغة العربيّة»³. ويوضّح القول أكثر ما قاله الأستاذ نعمان بوقرة: «لعلّ أوّل من يبدأ به في سياق وصف المنجز اللساني العربي اللغوي إبراهيم أنيس الذي أدّى دوراً بارزاً منذ بداية مشواره العلمي في الجامعة المصريّة، بدراسة العربية من زاوية المفاهيم اللسانية الأوروبية الوصفية والتاريخية، والتركيز على دراسة البنية الصّرفية والتّركيبية والدلالية للّغة العربيّة، من خلال تقويمه لآراء القدماء في

¹ - فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 12.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 13-14.

³ - المرجع نفسه، ص 18.

قطاعات اللّغة من وجهة نظر اللّسانيات، ويمكن استكشاف ذلك من خلال الاطلاع على كتبه، الأصوات اللّغويّة ودلالة الألفاظ، واللّهجات العربيّة...»¹.

هذا قليل ممّا يمكن ذكره عن نشأة اللّسانيات العربيّة بالمقارنة مع ما طُرِح في السّاحة الفكريّة العربيّة²، ذلك لأنّها حدث عظيم قد غير وجهة العرب نحو تفكير جديد لم يكن ليُعرف عندهم لولا الغزو الثقافي الغربي، ليجد العالم العربي نفسه أمام عدّة تحدّيات لازالت قائمة إلى حدّ الآن، وهذا ما نلحظه من خلال كتاباتهم اللّسانية.

2. ما بين اللّسانيات العربيّة ولسانيات اللّغة العربيّة:

توجد في السّاحة الفكرية العربية عبارتين متداولين للتعبير عن العلم اللّغوي العربي، وقد أخذت حظّها من الاهتمام، سواءً في مواقع التواصل الاجتماعي أو حتى في ما كتبه المختصّون في ميدان اللّسانيات وبالتّحديد عند مصطفى غلفان الذي ما يفتأ يمثّل مرجعا للكثير من الباحثين اللّسانيين، والإشكال المطروح هنا هو هل هناك اختلاف بين هاتين العبارتين؟

وللإجابة عن هذا الإشكال نعرض ما قدّمه مجمع اللّغة العربية على الشبكة العالميّة بالمملكة العربيّة السعوديّة ردّاً على السؤال الذي تقدّم به "علاء الدين فداوي" في هذه القضية: وهذا الرّد هو

¹ - نعمان عبد الحميد بوفرة: الكتابة اللّسانية العربيّة من الرّؤية الغربيّة إلى التّأصيل الإسلامي للمنهج، قراءة وصفية في صور التلقي ونماذج الصّيغة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، مجلة الدراسات اللّغويّة والأدبيّة، 2014، ص 3-4.

² - توجد عدّة مؤلّفات كلّها تحدّثت عن نشأة اللّسانيات العربيّة منها: نشأة الدرس اللّساني العربي الحديث لفاطمة الهاشمي بكوش (مرجع سابق)، اللّسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته لحافظ إسماعيلي علوي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2009، مؤلف مصطفى غلفان: اللّسانيات في الثقافة العربية حفريات النشأة و التكوين

كالتالي¹:

اللسانيات العربية: مصطلح مؤلف من موصوف وصفة، وسواءً أكان يدلّ على أمر موجود أم لم يكن دالاً عليه، فإنه يعني العلم اللغوي الذي كتبه وأنجزه اللغويون العرب المعاصرون، فما أنجزه هؤلاء الباحثون العرب من تأمل لسانيّ وتفكير وكتابة يعدّ لسانيات عربية، ولكن يشترط أن يكون موضوع هذا العلم أو البحث اللغوي يتخذ اللغة العربية أو أجزاءً منها موضوعاً له.

أما لسانيات اللغة العربية : فهو مصطلح يدلّ دلالة مباشرة على العلم الذي يتخذ العربية موضوعاً للدّرس والتحليل، سواءً أنجزه عربٌ أم أنجزه أجنب كقولنا نحو اللغة العربية أي النحو الواصف لها، وقد يجتمع الطرفان إذا تصوّرنا دراسة اللغة العربية بلسانيات عربيّة خالصة، تراعي خصوص الموضوع المدروس.

من خلال هذا القول تظهر لنا كلمات مفتاحيّة في كلا العبارتين:

1. اللسانيات العربية: تعني علم لغوي، أنجزه لغويون عرب، شرط اللغة العربية أو أجزاءً منها موضوعاً للدّرس.

2. لسانيات اللغة العربية: تعني علم لغوي، أنجزه لغويون عرب أو أجنب، شرط اللغة العربية أو أجزاءً منها موضوعاً للبحث.

وبالتالي فالفرق بين العبارتين هو حينما يتعدّى البحث قائمة العرب الباحثين إلى قائمة أخرى تتضمّن باحثين أجنب فنتقل من اللسانيات العربية إلى لسانيات اللغة العربية، وفي هذا الصّدّد يُعلّق الأستاذ الدكتور عبد الحميد النوري -وهو عضو في المجمع- عن قول نائب رئيس المجمع -الأستاذ

¹ - جامعة محمد الشريف مساعديّة - سوق أهراس . قسم اللغة والأدب العربي - المقياس: لسانيات عربية

الفصل الأول: اللسانيات العامة واللسانيات العربية الحديثة - من النشأة إلى النموذج البديل -

الدكتور عبد الرحمن بودرع - بقوله: «أعتقد أنّ الفرق بين اللسانيات العربية ولسانيات اللغة العربية هو فرق ضئيل، والعبارة الأولى توحى بنوع من اللسانيات هي التي صيغت وكتبت باللغة العربية سواءً من قبل العرب أو غيرهم، وقد تشتمل مجالات كثيرة من نحو الازدواجية والاكْتساب والتداخل اللساني وغيرها، في حين أنّ لسانيات اللغة العربية هي أخصّ، إذ هي تقتصر على اللغة العربية وحدها، بما يشمل الأصوات والصرف والتركيب والمعجم والدلالة وما شابهها»¹.

أمّا الأستاذ "مصطفى غلفان" فقد تتبّع تاريخ هاتين العبارتين، وفي هذا الصدد يقول: «مع بداية الثمانينات من القرن العشرين، بدأ استعمال عبارتي "اللسانيات العربية" و"لسانيات العربية" في الانتشار، وقد هيمنت العبارة الأولى تدريجياً على الكتابات العربية التي لها صلة بموضوع الدرس اللغوي العربي قديمه وحديثه، دون أن تختفي العبارات الأخرى نهائياً من سوق الاستعمال»².

و في نظر الأستاذ مصطفى غلفان أنّه ليس من الحكمة «أن نُطلق على التراث اللغوي العربي تسمية اللسانيات مع ما تحمله هذه الكلمة من دلالات نظرية ومنهجية محدّدة زماناً ومكاناً»³.

أي أنّ لفظ "اللسانيات" كما رأينا سلفاً هو غريب النشأة له حدود ومفاهيم خاصّة تميّزه عن التراث اللغوي العربي، كما أنّه مربوط بفترة زمنيّة هي بعيدة نسبياً عن القرون الهجرية الأولى لهذا التراث العربي،

أمّا الفرق الذي اهتدى إليه من هاتين العبارتين هو أنّ «اللسانيات العربية» تهدف إلى الاشتغال باللغة العربية ووصفها في نسقها القديم أو نسقها الحديث أو نسقها الوسيط وكذلك العمل على الفكر المتّصل بهذه اللغة»⁴. وهنا يستحضر التراث العربي الأصيل من أجل وصفه في ضوء اللسانيات

¹ - ينظر المرجع الإلكتروني: <https://www.univ-soukahrar.dz/ar/module/332/question/497>

² - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية وأسئلة المنهج، ط 1، 2013، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ص 43.

³ - المرجع نفسه، ص 44

⁴ - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية وأسئلة المنهج، ص 46.

الحديثة لا من حيث أنه هو اللسانيات في صورتها العربية القديمة، أما "اللسانيات العربية" «فهي ذات مجال مختلف وأوسع، إذ يمكن أن تشمل ما هو مكتوب من اللسانيات الأجنبية، وقد نقصد أيضا باللسانيات العربية ما هو موجود من تصوّر عربيّ للظاهرة اللغويّة»¹.

3. سؤال المنهج في اللسانيات العربية:

لقد اطلعنا على الفرق الذي وضعه المختصون اللسانيون لمفهوم اللسانيات في اندماجها مع لفظة العربية؛ للتعبير عن اللسانيات الخاصة باللغة العربية، بحيث «تكون الزاوية الخاصة مجالا لاختيار المبادئ العامة وميدان تقدير مدى فعالية ما تقترحه الزاوية العامة من قواعد ومبادئ كلية في إطار التطبيق على بنيات لسانٍ محدّدٍ أي ما يسمّى بالنحو الخاص Grammaire particulière»²، واللسان المحدّد في هذه اللسانيات هو اللغة العربية، ومن ثمّ نكون بصدد دراسة علميّة، لها منهج متّبع لا يمكنه الخروج عن «نطاق المناهج العلميّة المتداولة في البحث اللساني العالمي منذ منتصف القرن التاسع عشر مثل المنهج التاريخي والمقارن والوصفي والتقابلي»³، ومن ثمّ فنحن أمام صورة نمطيّة لطبيعة المنهج في اللسانيات العربية ولكن لإدراك المنهج كحقيقة مجسّدة في الميدان اللساني يجب الاطلاع على اتجاهات البحث اللساني العربي.

4. اتجاهات البحث في اللسانيات العربية:

حطّت المناهج اللسانية الحديثة رحالها في البلاد العربيّة بطلب من الحداثة، وما كان للعرب إلا أن يقوموا بواجبهم رفضا أو قبولا لهذا الوافد الجديد، سعيا منهم لتأصيل اللسانيات في شكلها

¹-المرجع نفسه، ص 46.

²-المرجع نفسه، ص 25.

³- مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني - عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 4- ص 92.

الفصل الأول: اللسانيات العامة واللسانيات العربية الحديثة - من النشأة إلى النموذج البديل -

العربي، وبدأت الدراسات والبحوث في وسط غيمة من التساؤلات ذكرها أساتذتنا الكرام*¹ في غير ما مرّة في مؤلفاتهم اللسانية من قبيل:

- أيّ علاقة بين التراث اللغوي واللسانيات؟²

- أين يقف علم اللسانيات الحديث في الوطن العربي في ضوء البعد الفلسفي الذي اقترحه

توماس كون؟ وما هو النموذج الإرشادي السائد حالياً؟³

- هل هناك فعلاً لسانيات عربيّة؟ ما المقصود بها؟⁴

وغيرها من الأسئلة التي تُراود الباحثين العرب فأصبح لزاماً عليهم إظهار توجههم وذلك من خلال ما يخطونه لسانياً، فتعدّدت الكتابات اللسانية العربيّة، كما تعدّدت اتجاهات البحث فيها.

وهذا راجع إلى وقع الحداثة نفسها في البلاد العربيّة، يقول المسديّ في هذا الشأن «إنّ الفكر

الغربي قد شقّ طريقه من المعاصرة إلى الحداثة دون قفز مؤلّد للقطيعة وقد تسوّى له ذلك بفضل

انصهار المادّة الموضوع في تفكير رواده العلمانيين، فكان الصّراع المنهجيّ خصيباً إلى حدّ الطّرفة

أحياناً، ولكن المنظور العربيّ مازال يتصارع والحداثة من حيث هي موقف مبدئيّ»⁵.

¹ - لقد اعتمد بعض اللسانيين طريقة طرح الأسئلة في متن بحوثهم، إنّها أسئلة تزيد من الوعي اللساني، كما أنّها توجّه القارئ إلى وضع تصوّرات مبدئية للعديد من الأجوبة، وقد يجتم المؤلف اللساني بإجابات مباشرة أو غير مباشرة تظهر من خلال بحثه مثل ما يفعله مصطفى غلفان، وحافظ إسماعيلي علوي.

² - مصطفى غلفان: جدلية العلم وتاريخه: اللسانيات والتراث اللغوي العربي - نموذجاً - كلية الآداب والعلوم الإنسانية لمراكش الدار البيضاء المغرب، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانيّة، مجلد 28، العدد 8، سنة 2020، ص 241.

³ - حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط 1، 2009، ص 60.

⁴ - مصطفى غلفان: اللسانيات العربيّة الحديثة: دراسة نقدية في المصادر، ص 9.

⁵ - عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2010، ص 24، 25.

ذلك أنّها تحمل مفهوما قد شاع في الأوساط الثقافية يتماشى و"قطع الصلّة بالتراث" ... أو أنّها "قطع الصلّة بالدّين" أو «إنّما العلمانية»¹، وهذا ما أخاف الكثير من الباحثين العرب، فمعظمهم أصحاب تراث وعقيدة لا يفكّرون في الانفصال عمّا عهدوه، و يرى العبيدي في هذا الصدد أنّ: «... البحث الألسني المعاصر هو بحث أوجدته ظروف اللّغات الأوروبية التي تختلف في انتماءاتها وتكوينها وبيئاتها وشعوبها المتكلّمة بها وتأريخها وطبيعتها عن العربيّة و ظروفها اختلافا كبيرا يجعلنا في موقف رافضٍ لكلّ ما يُراد من الباحثين المعاصرين العرب أن يسلكوه أو يتعاملوا به مع العربيّة»². وهناك من يرى أنّ للمناهج الحداثيّة إيجابيات قد تفيد منها العربيّة، وذلك من خلال انتقاء «لإجراءاتها التحليلية والمنهجية لأنّها تأخذ صفة كويّة وشاملة ما دامت تنطلق من مبدأ تشابه اللّغات، وصدورها عن طبيعة عقلية واحدة في الذات البشريّة»³.

من خلال هذه العينة القليلة من الأقوال اللّسانية، يظهر لنا أنّ الباحثين العرب وهم يحاولون دراسة اللّغة العربيّة دراسة تؤهّلها أن تبلغ مصاف العلوم الحديثة قد مثّلوا ثلاثة اتجاهات:

أ -الاتجاه التّأصيلي: ويعني «الاستعانة بمناهج النّظر اللّغوي الحديث في دراسة التّحو العربي بالكشف عن وجوه الاتفاق، والاختراق بين نحاة العربيّة القدامى وعلماء اللّغة المحدثين في المنهج والتّفكير، والتّطبيق سعيا وراء تأصيل هذا التراث، وفق نظريات علم اللّغة»⁴.

¹ - طه عبد الرحمن: روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلاميّة، المركز الثقافي العربي منتدى سور الأزبكية ط1، 2006، (المغرب، لبنان) ص 23.

² - رشيد عبد الرحمن العبيدي: الألسنية المعاصرة والعربية، ص31.

³ - نعمان عبد الحميد بوقرة: الكتابة اللسانية العربية من الرّؤية الغربية إلى التّأصيل الإسلامي للمنهج، قراءة وصفية في صور التلقي ونماذج الصياغة، كلية الآداب جامعة الملك سعود، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، (ب ت) ص03.

⁴ - حسن خميس سعيد الملخ: نظرية التعليل في التّحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق للنشر والتوزيع، نابلس، جامعة النجاح، الطبعة الأولى، فبراير 2000، وكذا مطبعة دار الشروق، عمان- الأردن، ص 224.

وهذا الاتجاه هو الأقرب إلى الوسيطية وعدم المغالاة في التوجّه، وفق قاعدتين معرفيتين لما أتت به المناهج اللسانية الحديثة من جهة وما يزخر به تراثنا اللغوي العربي الأصيل من جهة أخرى، «ويبرز ذلك فيما قدمه نهاد الموسى الذي يعدّ من رواد هذا المنهج من اللسانيين العرب، فقد دعا إلى ضرورة ربط الدرس اللغوي العربي بنظيره الغربي الحديث، لأنّ ذلك يسعف في تحديد إحساسنا بالنحو العربي في مفهوماته ومنطلقاته وأبعاده بعد طول إلف به في لغته الخاصة ومصطلحه الخاصّ ومنهجه الداخلي»¹.

كما يمكن أن نلتبس هذا الاتجاه عند عبد الرحمان الحاج صالح -رحمه الله- الذي ولا بدّ عند ذكره إلّا وتذكر النظرية الخليلية الحديثة، التي يظهر من خلال تسميتها أنّها ذات صلة وثيقة بالتراث اللغوي العربي متمثلاً في ما نُسب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي «فقد لاحظ حسن خميس سعيد الملخ أنّ عبد الرحمان الحاج صالح قد اتبع -من أجل إثبات النظرية النحوية عند النحاة المتقدمين طريقتين؛ الأولى بتتبع تاريخ علم اللسان من أقدم الإشارات التاريخية له حتى العصر الحديث، ورصد التطور النظري المنهجي في كلّ عصر، وكان هدفه من هذا التتبع إثبات أنّ نظرية النحو العربي عريّة في جذورها وأصولها، أمّا الثانية فتتمثل في تحديد الأصول أو الأنظار العلمية التي بنى عليها نحاة العربية نظرية النحو العربي، وهي الأنظار التي توصل إليها علم اللسان الحديث، لاسيما المدرسة التحويلية، وقد استخلص من ذلك أنّ هذه الأنظار هي منطلقات النحاة الأوائل كالخليل وسيبويه، وهي أطوع نظرية في الصياغة الرياضية الحاسوبية للنحو العربي، ولذلك فإنّها تتجاوز كلّ النظريات اللسانية الوصفية الحديثة وتلتقي بالنظرية التوليدية التحويلية»².

أمّا بشير إبرير في كتابه "اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية" يبيّن أنّ هناك اتجاه انتقائي وفيه تشابه كبير مع الاتجاه التأصيلي إلّا أنّه لا يطابقه ولا يمكن

¹ - عبد الحليم معزوز: المناهج اللسانية العربية بين واقع النشأة وآفاق التطور، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة- الجزائر- مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، المجلد 7، العدد 2/ ديسمبر 2021، ص 185.

² - عبد الحليم معزوز: المناهج اللسانية العربية بين واقع النشأة وآفاق التطور، ص 185.

نعتة بالتوفيقي أو التوافقي «لأنّه لا يؤدي ذلك الدور وتلك الوظيفة بقدر ما يؤدي الدور والوظيفة المتعلقة بالبعد الإيديولوجي الذي يخصّه، المختفي خلف ما ينتقيه؛ أي عملية الانتقاء ليست بريئة وإتّما هي لخدمة أغراض إيديولوجيّة»¹.

ويضيف الأستاذ بشير ملاحظة مهمّة عن اتجاه الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بقوله: «فلا هو منفصل عن التراث العربي متصل منه، ولا هو متفوق فيه على نفسه ولا هو من الانتقائين بناءً على موقف إيديولوجي محدد من التراث ومن الحداثة اللسانية في آن معا»².

وبالتالي فتوجهه توافقي مبنّي على علم ودراية بكلّ من التراث اللغوي العربي وباللسانيات الحديثة، بعيدا كلّ البعد عن الأهواء النفسية أو الإيديولوجية.

ب - **الاتجاه الوصفي التقريري:** ويعني «الانطلاق من المنهج البنيوي الوصفي التقريري في دراسة النحو دراسة شكلية تستبعد منه نظرية العامل والتقدير»³، إنّه اتجاه يمثّل المنهج اللساني الغربي بكامل حذايره من دون مراعاة للمبادئ التراثية المعتمدة في دراسة النحو العربي، و«ثلة من اللسانيين العرب الذين تبوّأوا هذا المنهج قد انساقوا وراء اجراءاتهما سياقا جعلهم يرفضون الدراسات اللغوية العربية القديمة ممثلة في النحو، و نقدوه إلى حدّ التهجم عليه أحيانا»⁴.

ت - الاتجاه التفسيري:

ويسمّى عند باحثين آخرين كحافظ إسماعيلي علوي ومصطفى غلفان بالمنهج التوليدي أو اللسانيات التوليدية، وأهمّ من يمثّل هذا الاتجاه في الدرس اللغوي العربي كلّ من محمّد علي الخولي،

¹ - بشير إبرير: اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية، منشورات الجمع الجزائري للغة العربية، 2021، الأبيار، الجزائر، ص 56.

² - المرجع نفسه، ص 57.

³ - حسن سعيد الملقح: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين ص 224.

⁴ - عبد الحليم معزوز: المناهج اللسانية العربية بين واقع النشأة وآفاق التطور، ص 183.

ومازن الوعر، وعبد القادر الفاسي الفهري¹، وهذا اتجاه يتم فيه «الانطلاق من المنهج التحويلي التوليدي في دراسة النحو دراسة تفسيرية نحوية، ومعجمية، وصرفية، وصوتية للكلمة، أو الجملة»² أي أنّ للنظرية التوليدية التحويلية هدف يتمثل في «الوصول إلى ما يسمّى باستيفاء التفسير، ولم يكن الهدف من هذا الاستيفاء أن توصف الظواهر باللجوء إلى نظام من الضوابط فحسب، بل أن يشرح لماذا هي ما هي عليه»³.

هذا، وقد يكون من الملائم التعبير عن هذه الاتجاهات الثلاث بأنها نتيجة مؤثرين اثنين أو كما عبّر عنها مصطفى غلفان نتيجة ل«الهيمنة المزدوجة، هيمنة التراث اللغوي العربي، وهيمنة الفكر اللساني الغربي الحديث»⁴. على الفكر العربي المعاصر، وكأنّ الأمر فيه تجاذب للأطراف، تظهر من خلاله «مواقف فكرية متباينة في تصوّرها لطبيعة العمل اللساني العربي وهدفه وهي:

- التشبّث بالتراث اللغوي القديم جملة وتفصيلاً.

- التبنّي المطلق للنظريات اللسانية الغربية الحديثة.

- الرغبة في التوفيق بين التراث والنظريات اللسانية الحديثة»⁵.

إنّها مواقف طبيعية صدرت من المفكرين العرب حالما احتكّوا بالثقافة الغربية؛ في محاولة منهم لاستيعاب هذا الجديد، ومن ثمّ بناء هيكل للعمل اللساني؛ سيرتكز على منهج واضح بين المعالم لدراسة اللغة العربية.

5. المنهج في اللسانيات العربية بين تجاذب قراءة التراث ومعالجة اللغة العربية:

¹ - عبد الحليم معزوز: المناهج اللسانية العربية بين واقع النشأة وآفاق التطور، ص 185.

² - حسن خميس سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص 224.

³ - نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة: منشورات جامعة باجي مختار - عنابة - 2006، ص 151،

⁴ - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأسس، ص 29.

⁵ - المرجع نفسه، ص 29.

يُوحى العنوان مرّة أخرى بجدليّة تراثيّة حدائثية، ولكن بمستوى عميق نوعاً ما مستمدّ من داخل اللّغة المراد دراستها لسانيّاً، وهذا العنوان ارتضاه مصطفى غلفان لورقة بحثية، ألقاها في مؤتمر العلوم الاجتماعية والإنسانية¹، وهي عبارة عن ملخّص شامل لكتابه "اللسانيات العربيّة أسئلة المنهج" محاولاً من خلالها تحديد موضوع لسانيات العربيّة، حتى يتضح بعد ذلك المنهج المتبع في الدراسة.

ويرى مصطفى غلفان أنّ إبراز منهج اللّسانيات العربيّة يقتضي بالضرورة العودة إلى الفكرة الأولى التي تشكّلت بها اللّسانيات، والمقصود هنا هو تلك النقطة التي فصلت مفهوم اللّسانيات عن الدراسات اللّغوية القديمة، أو كما عرّفها سوسير «إنّ موضوع الدراسة اللّغوية الوحيد والحقيقي هو اللّغة، التي ينظر إليها كواقع قائم بذاته يبحث فيها لذاتها، وابتعد بذلك عن النّظر في اللّغات من وجهة النّظر التاريخية أو المقارنة»².

أي أنّ الفرق بين هذه اللّسانيات وما سبقها من دراسات، هو في تحديد موضوع الدراسة؛ ومن ثمّ ففي نظر مصطفى غلفان أنّه حرّيّ باللسانيين العرب تحديد موضوع لسانيات العربيّة، والذي لا بدّ أنّ يمثّل هاهنا اللّغة العربيّة، بل ويعدّ بندياً من بُنود قيام صرح لسانيات العربيّة، فنجدّه يقول: «إنّ شرط إمكان وجود لسانيات العربيّة مرتبط نظريّاً ومنهجياً بمدى قدرتها على اكتشاف الموضوع الخاصّ بها وهو اللّغة العربيّة أو إحدى لهجاتها ورصدها، باعتبارها معطى قابلاً للتّحليل والبحث فيها بواسطة نموذج لسانيّ عام يمكن من إبراز خصائص هذا الموضوع وملاحظه»³.

وفي هذا المقام، يفصح مصطفى غلفان عن وجهته في لسانيات العربيّة، إنّها في نظره لسانيات خاصّة موضوعها اللّغة العربيّة وبالتالي عليها أن تحتكم في دراستها ألفاظ إلى مبدئ اللّسانيات العامّة،

¹ - مصطفى غلفان: المنهج في اللّسانيات العربيّة: تجاذب قراءة التراث ومعالجة اللّغة: مؤتمر العلوم الاجتماعية والإنسانية، الدورة السابعة، 2019، 23- 25 مارس 2019، فيديو 56:46 دقيقة:

<https://www.youtube.com/watch?v=pc5qlerUHCQ>

² - بوفرة نعمان: محاضرات في المدارس اللّسانية المعاصرة، ص 7.

³ - مصطفى غلفان: اللّسانيات العربيّة: أسئلة المنهج، ص 66.

الفصل الأول: اللسانيات العامة واللسانيات العربية الحديثة - من النشأة إلى النموذج البديل -

ومن هنا يكون قد فصل بين اللّغة المدروسة أو الموصوفة التي نتعامل بها في أيامنا هذه، وبين اللّغة التي يشتمل عليها التراث اللّغوي العربي¹، والتي اتخذها الكثير من اللّسانيين موضوعاً لدراساتهم.

من هنا تجدر بنا الإشارة إلى أنّ اللّسانيين العرب كما رأينا سابقاً، قد اتّجهوا عدّة اتجاهات في كتاباتهم اللّسانية، ومنها الاتجاه التّأصيلي، وهو اتجاه أقلّ ما يمكننا القول عنه أنّه وسطيّ فيه لمسة توافقية تسرّ المشتغلين عليه، كما أنّه يُطمئن قلوب الكثيرين كونهم أصحاب هويّة وأصحاب تراث ومعتقد راسخ بالتقدّم نحو الأمام وارتقاء باللّغة، بل ويمكن أن نعتبره الاتجاه الغالب على الكتابات اللّسانية العربيّة، كونه يعتمد منهاجاً بديلاً يتمثل في النظريات اللغوية القديمة و لو على سبيل التوافق، تقول فاطمة بكوش في هذا الصّدّد «لقد اتّجهت اللّسانيات العربيّة إلى ما يمكن تسميته لسانيات توفيقية، تتبنّى أنموذجاً وصفيّاً يمزج المقولات النظرية العربيّة الحديثة بمقولات نظرية النحو العربي، وكان هذا الموقف الأساس في اللّسانيات العربيّة، على الرّغم من التّقد الذي وجّهه اللّسانيون العرب إلى نظرية النحو العربي، إذ لم يستطيعوا أن ينتجوا درساً لسانياً منبثاً عن أصله التراثي، يعلن القطيعة التّامة مع التراث التّحوي القديم، إذ كان هذا يعني (تغريباً) ثقافياً، يهدّد الهويّة الثقافيّة العربيّة الإسلاميّة»².

والذي يفهم من هذا الاتجاه هو مراعاة خصوصية التراث اللّغوي العربي بل وخصوصية اللّغة العربيّة، بالرّغم من أنّ «ما وصل إلينا من أبحاث علم اللّغة في أوروبا من طريق التّرجمات في علم الدّلالة، وعلم الأصوات، وسائر المجالات التي يتناولها علم اللّغة المعاصر يختلف بمذاقه وطبيعته عمّا عرفه البحث اللّغوي العربي...»³ إلّا: «... أنّ المقصود ليس إسقاط هذه المذاهب والنظريات الحديثة على المذاهب العربيّة القديمة، لا نريد النّظر فيما أخرجته القدامى وفي أعيننا نظائر خاصّة

¹ - ينظر الفيديو المصور: بعنوان الجلسة السادسة المسار ج: مصطفى غلفان و حسين سودني مؤتمراً إشكالية مناهج البحث:

الموقع: <https://www.youtube.com/watch?v=pc5qlerUHCQ>

² - فاطمة بكوش: نشأة الدرس اللّساني العربي الحديث، ص 15.

³ - رشيد عبد الرحمان العبيدي: الألسنية المعاصرة والعربيّة: ص 28.

بالعصر الذي نعيش فيه فنطمس الرؤية القديمة بالرؤية الجديدة ولو من بعض الجوانب ... إنّ المنظور العربي يتميز بلا شكّ في هذه العلوم اللسانية عن المنظور الغربي الحديث...¹.

هكذا تُفهم اللسانيات عند أصحاب هذا الاتجاه، كما أنّهم عزموا على ما يمكن تسميته بـ«إعادة قراءة التراث اللغوي أو إعادة تشكيله»²، وفي هذا الصدد يقول الطيّب دبه: «إنّ الاهتمام بقراءة التراث ودراسته أمر مشروع، وحاجة ماسّة لكنّه عمل يظلّ نجاحه مرهوناً بقاعدة معرفيّة متينة تجاه علوم الغرب ونظرياته وذلك من أجل التحلّي بالأدوات الضرورية لقراءة التراث قراءة علميّة حديثة تعيننا على فهم مبادئه وتوجهاته واستيعاب قيمه وخصوصياته وتمكّنا من إدراك أفكار الآخر وتصحيح علاقتنا به ومسايرة تطوّرات الفكر الإنساني المعاصر دون الوقوع في مزالق التبعية والخضوع»³.

والمتصّحّح في المؤلّفات اللسانية العربيّة التي تنحى هذا المنحى، يدرك كم فيها من معارف التي تشمل كلا الحضارتين الغربية والعربيّة، ولنأخذ على سبيل المثال لا الحصر مؤلّفات عبد الرحمان الحاج صالح -رحمه الله- كيف لا وهو الذي يمثّل هذا الاتجاه التوافقي أحسن تمثيل «ويتّضح ذلك بإعادة قراءة التراث ليس على ضوء النظريات الحديثة فقط، وإنّما بدراسة إبستمولوجية "معرفيّة" دقيقة لمفاهيم النحاة، وتصوّراتهم، وطرق تحليلهم...»⁴، وتعتبر جهوده اللسانية جديدة بالاهتمام، إلّا أنّ لمصطفى غلفان رأي آخر، ذلك أنّ مشروع قراءة التراث، كما يقول: «على الرّغم ممّا قد يكون له من أهميّة معرفيّة من وجهات أخرى- يقع على هامش اللسانيات وليس في صلبها لكونه من الناحية المبدئية،

¹ - عبد الرحمان الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص 8.

² - مصطفى غلفان: اللسانيات العربيّة الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأسس، ص 92.

³ - الطيّب دبه: التفكير السيميائي في اللّغة والأدب دراسة في تراث أبي حيان التوحّيدي، ط 1، 2015، عالم الكتب الحديث

للتوزيع والنشر إربد، الأردن، ص 1.

⁴ - حسن خميس سعيد الملخ: نظرية التعليل في التحوّ العربي بين القدماء والمحدثين، ص 247.

لا يندرج مباشرة ضمن مهام اللسانيات، وإن تحرّينا الدقة؛ قلنا إنّه لا يدخل في موضوعها الوحيد والحقيقي الذي هو اللسان في ذاته ومن أجل ذاته»¹.

هذا قول سيعمل على تحقيق مصداقيته من خلال عدّة أعمال له* يعرض فيها مفهوم اللسانيات الغربية أو اللسانيات العامة، والمقصود منها، وموضوع البحث فيها، كما يتطرق إلى العلاقة بين اللسانيات والدراسات اللغوية العربية القديمة أو التراث اللغوي العربي وغيرها من المواضيع المتشعبة التي ستؤدي بإلغاء الكثير من الدراسات اللسانية العربية المعاصرة ووضعها على هامش اللسانيات. وفي المقابل توجد ردود أقوال منها ما قالع جمعان وهو يتساءل: «إذن هل من الصحيح إهمال كلّ بحث يناقش مسألة نشأة اللسانيات العربية بما فيها نشأة النحو الذي هو جوهر هذه اللسانيات، وهل إعادة البحث في هذه المسائل ممّا لا يفيد علميا ولا لسانيا؟»².

من خلال هذه الأقوال اللسانية تظهر أزمة اللسانيات في الوطن العربي، أزمة انبنت على إشكالية «علاقة لسانيات التراث باللسانيات الحديثة» التي هي بمفهوم مصطفى غلفان - تمثّل تجسيديا لإشكالات عميقة هي علاقة التراث بالحدثة»³.

¹ - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية: أسئلة المنهج، ص 8.

* من الأعمال التي تطرق فيها مصطفى غلفان إلى موضوع لسانيات العربية هناك:

- كتاب اللسانيات العربية أسئلة المنهج.

- مقال: التراث اللغوي العربي واللسانيات: الممكن والمستحيل مرجع سابق

- مقال: جدلية العلم وتاريخه مرجع سابق.

- عدّة فيديوهات مصوّرة منها فيديو المنهج في اللسانيات العربية مرجع سابق

² - جمعان بن عبد الكريم التطوّر الاستمولوجي للخطاب اللساني: غموض الأوليات مكتبة لسان العرب، دار الفارابي للنشر - بيروت - لبنان - ط 1، 2010، ص 43.

³ - عبد الوهاب صديقي: أوراق لسانية نقدية: قراءة في تصورات اللسانيين العرب المعاصرين لطبيعة العلاقة بين لسانيات التراث واللسانيات الحديثة: مجلة اللسانيات العربية، العدد الأول، ربيع الأول 1436هـ - يناير 2015م (المملكة العربية السعودية)، ص

والذي يمكن قوله عن كلّ ما سبق أنّه بالرّغم من عدم اتّفاق شامل حول تحديد موضوع الدراسة اللّسانية العربيّة؛ إلاّ أنّ جلّ المحاولات اللّسانية العربيّة: «استطاعت إلى حدّ ما أن تُعرف القارئ العربيّ بما جرى ويجري من مستجدّات في البحث اللّساني الغربيّ، وسلطت الضوء على المناهج اللّسانية الغربيّة، ونقلت إجراءاتها النظريّة، كما حاولت تطبيقها على اللّغة العربيّة أو البحث عن أصولها فيما قدّمه العرب القدامى، فقد حظيت اللّغة العربيّة في كنف هذه المحاولات بقدر كبير من الاهتمام»¹.

لذلك يمكن أن نتعاش مع هذه الإشكالية مبدئياً كما فعل مصطفى غلفان حينما راح يقسم الكتابة اللّسانية العربيّة ويصنّفها باعتبار الموضوع الذي تشتغل به إلى²:

- 1 لسانيات التراث: التي تتخذ ما كتبه اللّغويون والنّحاة العرب القدامى حول اللّغة العربيّة موضوعاً لها، حيث تقوم بشرح آرائهم وتأويلها في إطار مقارنة مباشرة أو ضمنية بين التراث اللّغوي العربيّ القديم والنّظريات اللّسانية الحديثة.
- 2 لسانيات الأداة: فتتناول اللّغة العربيّة بالدّرس والتّحليل من حيث إنّها بنية من مستويات مختلفة.

كما أنّ مصطفى غلفان قد اتّجه في تحديد نوعيّة الكتابة اللّسانية الحديثة المعايير التّالية³:
الموضوع والمنهج والغاية، ويمكن تلخيص تصنيفه لهذه الكتابات الجدول التالي⁴:

¹ - عبد الحليم معزوز: المناهج اللّسانية العربيّة بين واقع النشأة وآفاق التطوّر، المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف ميله (الجزائر)، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، المجلد 7، العدد 2/ ديسمبر 2021، ص 186.

² - مصطفى غلفان: اللّسانيات العربيّة: أسئلة المنهج، ص 61 بتصرف.

³ - المرجع نفسه، ص 61-62، كما ينظر في نفس الصدد كتابه اللّسانيات العربيّة الحديثة دراسة نقدية في المصادر، ص 93.

⁴ - غنية الطيبي: اللّسانيات العربيّة: الواقع والآفاق قراءة في تصوّر مصطفى غلفان، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعيّة، مجلد 16، عدد 03، 2019 (ص 186-201)، ص 192. وينظر كذلك إلى المخطط الذي وضعته صورية جغبوب (ص 21) في أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علوم اللسان بعنوان قضايا اللّسانيات العربيّة

صنفها	موضوعها	منهجها	غايتها
الكتابة اللسانية التمهيدية أو التبسيطية.	النظريات اللسانية (اتجاهاتها، أعلامها، مبادئها، مناهجها).	تعليمي (التعريف بها، توضيح، بيان، تبسيط).	تبسيط المعرفة اللسانية.
لسانيات التراث أو الكتابة اللسانية التراثية.	التراث اللغوي العربي	القراءة وإعادة القراءة.	المقارنة بين التراث اللغوي العربي والفكر اللغوي الحديث.
لسانيات العربية (لسانيات اللغة العربية) أو الكتابة اللسانية المتخصصة.	ظواهر من اللغة العربية	لساني حديث (تاريخي مقارن، وصفي تقابلي).	وصف اللغة العربية.

هذا التصنيف قد لا يقبله بعض اللسانيين العرب، من حيث إنه قد حصر وصفيّة اللغة العربيّة فقط في جزء من الكتابات والمتمثل في "لسانيات العربية"، وهنا نقول أنه لا يخفى على كثير منّا أنّ اللغة العربية لها من الخصوصيّة ما لها، تلك الميزة التي لازمتها منذ أن نزل بها القرآن الكريم، فجمعت وقُعد لنحوها أيّما تقعيد، وهذا أمر يعظّم في نفوس اللسانيين العرب الذين لم يميلوا كلّ الميل إلى رفض

الحديثة بين الأصالة والمعاصرة من خلال كتابات أحمد مختار عمر، جامعة فرحات عباس، سطيف (الجزائر) (كلية الآداب واللغات) تحت إشراف أ، عز الدين صحراوي، سنة 2011-2012، وكلا المرجعين استندا على مقولات مصطفى غلفان الذي بدوره قد ذكر الكثير من التصنيفات للكتابة اللسانية العربية تحت عنوان -محاولات سابقة في تصنيف الكتابة اللسانية العربية- ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأسس، ص86.

كلّ جديد فيذروها جامدة ولكن تحرّوا الوسطية في ذلك وراحوا يعيدون قراءة التراث الذي حوته هذه اللّغة، قراءة في ضوء ما استجدّ من نظريات لسانية حديثة.

من هذا المنطلق ورجوعا إلى تصنيف مصطفى غلفان لللسانيات العربيّة من حيث الموضوع نجد أنّه وقف موقف "المحاكمة"¹ الذي يمثّل آلية للفصل بين ما يندرج مباشرة ضمن مهام اللسانيات، وبين ما يقع على هامشها².

وبالتالي فقد ألغى مبدأ الخصوصية الدينيّة، ممّا يحيلنا إلى القول أنّ: «... موقف المحاكمة يبدو غير مؤسس على قاعدة منهجيّة سليمة، بسبب الاختلاف البيّن في الأصول الاعتقاديّة، والقواعد الفكرية التي يقوم عليها كلّ من التراث العربي الإسلامي والفكر الغربي الحديث»³. وهذا أمر مهمّ استوعبه الكثير من الباحثين العرب، وعلى رأسهم الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح -رحمه الله- بل واتجه إلى تشكيل نظرية لسانية عربية أصيلة من حيث مفهومها وموضوعها وأبعادها الاستيمولوجية والعلمية المعرفية والمنهجية في دراسة اللّغة وتحليلها⁴، وهذا في نظر مصطفى غلفان مستحيل تحقّقه، فيقول في هذا الصّدّد: «إنّ البحث عن نظرية ومنهج من هذا الصّنّف ليس له طريق فيما نعرف، وقد لا نتصوّر له في يوم من الأيام تحقّقا نظريّا أو علميّا، فالعلم اللساني الجادّ والهادف ليس له خصوصيّة عرقية أو ثقافية، والنظريّة اللسانية الخاصّة باللّغة العربيّة لا يمكنها من الناحية العلميّة والمنهجية الصّرف أن توجد، وحتىّ إن وُجدت بشكل من الأشكال فلن تكون لها أيّة قيمة علميّة»⁵.

¹ - ينظر: الطيب عيسى دبه: التفكير السيميائي في اللّغة والأدب دراسة في تراث أبي حيان التوحّيدي، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة الأغواط، الجزائر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع إربد، الأردن، ط 1، سنة 2015، ص 25.

² - ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية أسئلة المنهج، ص 8.

³ - الطيب دبه: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - ينظر: بشير إبرير: اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمان الحاج صالح اللسانية، منشورات الجمع الجزائري للّغة العربيّة، 2021، الأبيار، الجزائر، ص 9.

⁵ - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية أسئلة المنهج، ص 102.

إنّه قول يحمل في طياته حماساً شديداً لللسانيات الغربية، مع ما عُرف فيها من اختلاف بين في الأصول الاعتقادية والقواعد الفكرية كما رأينا سالفاً، ثم إنّ القول بأنّ هذه النظرية اللسانية التي تخصّ اللغة العربية لا يمكنها أن توجد وأنها وإن وجدت فلن تكون لها أيّة قيمة، فيه سبق للأحداث، وتسرع في إطلاق الأحكام.

أمّا في نظر العديد من الباحثين اللسانيين ومن بينهم الأستاذ بشير إبرير؛ أنّ الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح - رحمه الله - قد اعتمد على نظرية خاصّة؛ وهي النظرية الخليلية الحديثة وتعدّ «نظرية لسانية عربية مؤسسة على "علم العربية" بما يحمل هذا المصطلح من مفهوم متجدّد في التراث اللغوي العربي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيويو وغيرهما من العلماء السابقين عليهما واللاحقين لهما إلى نهاية القرن الرابع الهجري، فعلم العربية مفهوم جامع لعلوم العربية عليه تنتظم بقية المصطلحات ومفاهيمها في نسقها المعرفي والمنهجي»¹.

أي أنّ هذه النظرية تُنسب إلى اللسانيات ولها صبغة عربية خالصة، وترتكز على أساس علمي متمثّل في علم العربية.

ويؤكّد بشير إبرير أنّ الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح «قد استعمل اللسانيات العربية ليؤسّسها على الانطلاق من التراث اللغوي العربي الأصيل وربطه بالجهود التي يبذلها بعض اللسانيين العرب المحدثين وربط كلّ ذلك باللسانيات الغربية وما توفّره من معطيات مفيدة في دراسة اللغة وتحليلها»².
ليخلص إلى أنّ اللسانيات العربية هي أوسع من لسانيات دي سوسير، الذي ركّز على دراسته اللسان، ذلك أنّها تركّز على ما هو وضع لغوي يُقابل اللسان عند دي سوسير، وتتجاوز إلى الاستعمال الذي كان معيّباً في الدراسات اللسانية البنيوية الوصفية، ولها منهج واضح وهو وصفي موضوعي تهدف من خلاله إلى:

¹ - بشير إبرير: اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح، ص 9.

² - المرجع نفسه، ص 10.

- معرفة الأنظمة اللغوية من حيث أصواتها و صرفها ونحوها ومعجمها ودلالاتها، ووصفها ومقارنتها بغيرها.

- تخصيص اللغة المنطوقة بالدراسة شأنها شأن اللغة المكتوبة وقضاياها المختلفة¹.

والملاحظ من خلال هذا الطرح أنّ الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح قد استعمل عبارة اللسانيات العربية وهو يقصد الدراسة العلميّة للسان العربي؛ دراسة أشمل وأوسع ممّا نادى به دي سوسير، في حين أنّ مصطفى غلفان كما ذكرنا سلفاً، قد اعتمد على عبارة لسانيات التراث تجنّباً لاستعمال اللسانيات العربية، وهذه الملاحظات وغيرها قد انتبه لها باحثون آخرون ينتمون إلى حلقة " عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية الإلكترونية؛ فعلى سبيل المثال قد لاحظوا أنّ -مصطفى غلفان- في كتاباته لا يذكر اسم الدكتور الحاج صالح صراحة بل يكتفي بنعته مرّة "باحث يشتغل" أو أحد المشتغلين ومرّة أخرى بأصحاب لسانيات التراث ... ولعلّ السبب في ذلك أنّ مصطفى غلفان كان حديث العهد بالبحث اللساني، فكتابه هذا في الأصل أطروحة دكتوراه كانت سنة 1991، وقراءته وقتها وفهمه كانا قاصرين، والسبب الثاني هو أنّه في ذلك الوقت لم تكن أعمال الدكتور الحاج صالح قد نشرت بعد ولم تعرف حتى في الجزائر آنذاك².

خلاصة:

من خلال ما سبق ذكره، تبين لنا أنّ اللسانيات كمصطلح حديث هو من أصل غربيّ، تطوّر ليحمل معنى الدراسة العلمية للغة البشرية عامّة، و له منهج علميّ خاصّ يعتمد على وصف هذه اللغة، خلاف ما كان معهوداً من قبل؛ إلّا أنّه في نظر العلماء العرب ما هو إلّا منهج حداثيّ غربيّ متمثل في النظريات اللسانية الحديثة، وقد إلينا عبر الثقاف و المفاعلة بين الفكرين الغربيّ و العربيّ، و هذا ما يستدعي وجود نموذج عربيّ خاصّ باللغة العربية يكون بديلاً لهذا لنموذج، باعتبار أنّ العرب

¹ - ينظر المرجع نفسه، ص 13 - 14.

² - موقع إلكتروني: حلقة الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية:

https://www.facebook.com/groups/1696552830368611/?locale=ar_AR

الفصل الأول: اللسانيات العامة واللسانيات العربية الحديثة - من النشأة إلى النموذج البديل -

لهم كذلك لسانيات تراثية وهي منظومة علمية قائمة بذاتها، يمكن أن تكون دعامة لغوية قوية لبناء صرح اللسانيات العربية الحديثة، وفق مناهج غربية حديثة تمّ تطويعها سلفاً لتلائم النظام اللغوي العربي، ممّا طرح جدلاً واسعاً حول المنهج المتبع في هذه اللسانيات، و هذا ما نلتمسه من خلال العديد من الكتابات اللسانية العربية عامّة و المغاربية خاصّة.



الفصل الثاني:
البحث اللساني في المغرب العربي - تجلياته وإشكالاته-

تمهيد:

ثبت أنّ اللسانيات كعلم حديث قد نشأ في بلاد الغرب، ومدّ خطواته إلى الوطن العربي عن طريق البعثات الطلابية العلميّة التي قام بها محمّد علي (1769 - 1849م) في مصر¹، والتي تعتبر بلدا من المشرق العربي، وهذا الحديث سيدفعنا إلى التساؤل عن تاريخ انتقال اللسانيات إلى بلاد المغرب العربي، وكذا التساؤل عن المراحل التي مرّ بها، حتّى استقرّ فيه هذا العلم، إنّها مدّة زمنية ستشهد تبلوره بصيغة عربية مغاربية، قد تتقاطع أهدافها في ترقية اللغة العربية؛ مع ما شهدته اللسانيات العربية في المشرق العربي، إلّا فيما يخص بعض الإشكالات المنهجية أو حتّى المصطلحية، التي يمكن تحطّيتها لترقية اللغة العربية، وهذا ما سيعمل على تحقيقه ثلّة من اللسانيين العرب عامّة والمغاربة بخاصّة، من خلال كتاباتهم اللسانية التي نعتبرها جهودا علميّة لا يستهان بها، بغضّ النظر عن الانتقادات التي ستكتنف محيطها بعد ظهور السوسيريّات الجديدة.

أولا: اللسانيات في المغرب العربي من منظور البدايات:

1 - النشأة:

لقد سبق ظهور اللسانيات في المشرق العربي قبل مغربه، وفق ظروف عرفها كلا البلدين، وهي لا تختلف كثيرا «من حيث ارتباطها بالضرورة بالمناخ العام الذي حكم الفكر العربي الحديث ابتداءً ممّا عُرف بـ(عصر النهضة العربيّة) أوائل القرن التاسع عشر الذي كان وليد ظروف التدخّل الاستعماري في البلاد العربيّة»².

أي أنّ المغرب العربي بدوره كان تحت وطأة الاستعمار، وإذا علمنا أنّه كان هناك جدار يفصل بين المشرق والمغرب العربيين، فسيزيد تساؤلنا عن كيفية انتقال هذا العلم (اللسانيات) إلى المغرب

¹ - ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات في الثقافة العربيّة الحديثة: حريات النشأة والتكوين، ص 21- 22.

² - فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 18.

العربي، وفي هذا الصدد يذكر أحمد الخطيب أنّ الاستعمار الفرنسي قد قام «بفرض حصار محكم على المجتمع الجزائري، وأغلق جميع النوافذ المشرقية التي يمكن أن يتسلّل منها شعاع المعرفة والوعي القومي والفكر الإسلامي النقي واللغة العربيّة»¹.

وبالتالي يمكن القول أنّ المستعمر كان له سياسة تقوم على عزل البلدين خشية انتقال الوعي والمعرفة إلى المغرب العربي الذي كان يضمّ خمسة دول وهي ليبيا وتونس والمغرب وموريتانيا والجزائر والتي تقع شمال إفريقيا، وكان استقلالها على الترتيب في 1951، 1956، 1956، 1960، 1962م²، وهي مرحلة حاسمة باعتبارها نقطة التحوّل من بلد مغربي محكوم يعيش العديد من الأزمات، إلى بلد أنشأت فيه الجامعات ومراكز للثقافة والعلوم، ومن ثمّة نتقل في هذا الصدد إلى استحضار الملاحظة التي أدلى بها الأستاذ عبد السلام المسدي في كتابه ما وراء اللّغة: بحث في الخلفيات المعرفية في اللّسانيات بين المشرق والمغرب التي ذكر فيها أنّ الوعي المعرفي باللّسانيات انبثق في المغرب العربي منذ مطلع العقد السادس من القرن العشرين على يد رواد اكتشفوا هذا العلم وهم في ربوع الجامعات الفرنسية، فكان من الطبيعي أن يلجوا بيوت العلم من أبوابها، فدرسوا كتاب سوسير وتمثّلوه، وكان أحمد الأخضر غزال في المغرب وعبد الرحمان الحاج صالح في الجزائر وصالح القرمادي في تونس المبشرين الأوائل، ثم اطرده السّعي، ولكنّ الارتباط المعرفي ظلّ شديد الوثاق بالثقافة الفرنسية فكرا ولغة³.

¹ - أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين ودورها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 1، الجزائر، 1985، ص 63.

² - ينظر: سمير حمدي: وحدة مغاربية ... ولكن في الأزمات، مجلة العربي الجديد، 8 نوفمبر 2021، موقع إلكتروني:

<https://www.alaraby.co.uk/opinion>

³ - ينظر: عبد السلام المسدي: ما وراء اللّغة: بحث في الخلفيات المعرفية، تونس، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، 1994، ص 43.

من خلال قول المسدي يظهر لنا أنّ استقلال المغرب العربي كان استقلالاً نسبياً ما دام الارتباط بالثقافة الفرنسية فكراً ولغة ساري المفعول، وهذا ما يؤكده حسين السوداني بقوله: «أنّه لما أُسس مركز الدراسات في تونس في عام 1964، وكذا قسم اللسانيات، كانت برامجها العلمية كلّها تصاغ باللّغة الفرنسية حتّى ما كان منها تقويماً لغويّاً بيداغوجيّاً للكتب المدرسيّة التي تقدّم إلى الصفوف الأولى في تعليم القراءة، والذين كانوا ينجزون برامج البحث هذه كانوا جميعاً من أهل اللّغة العربيّة في الجامعة التّونسية، ولكنّهم كانوا مرتبطين فكرياً بالجامعات الفرنسية التي كانت تحتضن رسائلهم لدرجة الدكتوراه، فحال ذلك زمناً بينهم وبين الاستقلال المعرفي، وكان من نتائجه المباشرة أن تأخّر الوعي بضرورة ترجمة دروس سوسير»¹.

بموجب قول الأستاذين عبد السلام المسدي وحسين السوداني، يظهر لنا أنّ هناك طيف استعماري يعود إلى ربوع الوطن العربي من جديد، ولكن في حلّة جديدة تستهدف الفكر اللّغوي العربي، وهذا أمر لم يخف على أبناء هذا الوطن ليتخذوا منه مواقف ثلاثة قد سبق ذكرها، وفي نظرنا أنّ قول حسين السوداني عن تأخّر الوعي بضرورة الترجمة لدروس سوسير كذلك ليس من نتاج التمكن من اللّغة الفرنسية آنذاك، بل هو موقف اتّخذه الباحثين العرب عن وعي وتمحيص، فكيف للأمة العربيّة التي تشبّعت بتوصيات كتاب سيوييه وجعلته ركيزة في بناء صرح النّحو العربي أن تتلقّى توصيات دي سوسير لبناء صرح اللّسانيات العربيّة؟ والمفارقة كانت عربيّة أصيلة رغم نكرانها من طرف بعض الباحثين كما رأينا سالفاً، وهذه المفارقة العربيّة نتجت عن عدّة عوامل كانت سبباً في انتشار هذا العلم وإظهار معالمه، وتقصّي حقائقه، مع الحفاظ على الهوية اللّغويّة العربيّة منها: «إنشاء مؤسسات لسانية أو ما يسمى بمعاهد لسانية تابعة للجامعات، وكذا مراكز البحوث الخاصّة باللّسانيات، وكذلك إقامة الندوات والملتقيات المكثفة لتعريف بهذا العلم، وتبيّنه بطريقة تساعد على تطوّر اللّغة العربيّة والتي تساعد بدورها على النهوض بالمجتمعات العربيّة، وقد طرحت في هذه الندوات

¹ - حسين السوداني: أثر فرديناند دي سوسير في البحث اللّغوي العربي، التلقي العربي للسانيات، المركز العربي للأبحاث ودراسة

السياسات سلسلة دراسات معجمية ولسانية، ط 1، بيروت، تشرين الثاني/ نوفمبر 2019، ص 94.

مداخلات لم يعتبرها مؤسسوها انتقادات، بل اعتبروها آراء وإضافات جديدة بالاهتمام، لدعم مباحثهم، وإثراء هذا العلم من ناحية والانتفاع به من ناحية أخرى»¹.

ومّا لاحظته حسين السوداني أيضا حول نشأة اللسانيات في الوطن العربي أنّ المشرق العربي قد هيأ الأرضية للتجديد منذ القرن التاسع عشر، وتعززت أكثر في مطلع القرن العشرين وهذا تزامنا مع تأسيس الجامعة الأهلية في مصر التي انفتحت على البحث اللساني في ألمانيا أولا ثم بريطانيا لاحقا، في حين أنّ المغرب العربي كان يعيش وضعاً مختلفاً وأنّ التجديد في الدراسات اللغوية عنده ارتبط بالجامعة التي تأسست حتى مطلع النصف الثاني من القرن العشرين².

وهذا التأخر هو في نظر حسين السوداني ليس من النقائص؛ بل هو من محاسن الأمور إذ أنّ الجامعات المغربية كانت ذات صلة بالجامعة الفرنسية، وبحكم هذه الصلة - على حسب رأيه - فإنّ «البحث اللساني، وإن انطلق في المغرب العربي متأخراً، قد انبثق من وضعية جعلت الاطلاع على اللسانيات السوسيرية في مقدّمة مكونات الدرس اللغوي»³. ويضيف قائلاً أنّه «إذا أضفنا إلى هذا السبب إمكانية استثمار اللساني المغربي بمجهودات اللغويين في الشرق، توقعنا وعيا واستثمارا متميزين لدروس سوسير في المغرب»⁴.

من خلال هذه اللوحة التاريخية السريعة عن نشأة اللسانيات في المغرب العربي، نجد أنفسنا أمام سؤال يطرح نفسه بإلحاح، وهو كيف كان تلقي آراء سوسير عند المغاربة آنذاك بالمقارنة مع إخواننا في المشرق العربي، وبعبارة أخرى ما هي ردّة فعل المغاربة اتجاه اللسانيات السوسيرية؟

¹ - مقدمة منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط : البحث اللساني السيميائي 1981، ط 1، مطبعة النجاح

الجديدة، الدار البيضاء، 1405هـ - 1984م.

² - ينظر: حسين السوداني: أثر فرديناند دي سوسير في البحث اللغوي العربي: ص 92 - 93.

³ - المرجع نفسه: ص 95.

⁴ - المرجع نفسه: ص 95.

2 - مراحل تلقي المغرب العربي للسانيات:

1.2 مرحلة اكتشاف آراء سوسير اللسانية:

تعتبر هذه المرحلة هي الأولى في رسم المنحنى البياني الذي قد يرافق قضية تلقي اللسانيات في المغرب العربي، ذلك أنّها نقطة انطلاق يتهيأ فيها الفكر المغاربي لتحديد اتجاهه نحو المراحل اللاحقة، ويعود التاريخ لهذه المرحلة - كما قلنا آنفاً - بارتباط المغرب العربي بالجامعة الفرنسية بداية الستينات وبالضبط مع تونس والجزائر، وهذا ما يؤكّد محمّد يجياتن - رحمه الله - أنّ هذين القطرين عرّفا: «إنشاء مؤسستين علميتين تُعنيان بالبحث اللغوي وهما قسم اللسانيات بمركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية التابع لجامعة تونس، ومعهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لجامعة الجزائر»¹.

كما أنشئ «سنة 1964 معهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لجامعة الجزائر، وقد أوكل لهذا المعهد إنجاز ما يلي:

أن ينشر ويُنسّق أبحاثاً علمية في جميع الظواهر اللسانية، وفي مختلف ميادينها كالدراسات الوصفية، والصياغة الرياضية للغات، والإحصاء للمفردات والتراكيب والصوتيات الآلية، وتجويد الصوت، وعلم الأمراض اللغوية، وعلم اللسان التربوي، وجغرافية اللغة وغير ذلك»².

وفيما يخصّ هذين القطرين أيضاً (تونس، الجزائر) يذكر حسين السوداني أنّ الفضل في التعريف بآراء سوسير واكتشافها؛ إنّما يعود إلى عاملين لسانيين مغربيين اللذين قاما برصد المعمار المفاهيمي والمنهجي للنظرية السوسيرية، وهما: عبد الرحمان الحاج صالح في الجزائر وصالح القرمادي في

¹ - محمّد يجياتن: اتجاهات البحث اللساني في الجزائر، المجلة العربية للدراسات اللغوية، المجلد السادس، العدد الأول والثاني 1408هـ، فبراير 1988م، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الخرطوم، السودان، ص 35-37.

² - مجلة اللسانيات، المجلد الأول، الجزائر، 1971، ج 1، ص 50-53.

تونس وذلك من خلال مقالتيهما¹، فكتب عبد الرحمان الحاج صالح مقالا عام 1972 بعنوان "مدخل إلى علم اللسان الحديث" ضمن سلسلة من المقالات التي نشرت تباعا في مجلة اللسانيات، التي تصدر عن جامعة الجزائر، ونشر هذا المقال المتعلق بسوسير في المجلد الثاني عام 1972م²، وقد «قدّم من خلاله اللسانيات السوسيرية تقديمًا نظريًا، عرض فيه الحوض المعرفي الذي انبثقت عنه آراء سوسير، وختم ذلك بتقديم بعض الدراسات اللاحقة التي استثمرت دروس سوسير، وبنّت على قاعدتها»³.

وكتب صالح القرماضي مقالا بعنوان "أمهات نظريات فاردينان دي سوسير"، ونشر في مرقونة لقسم الألسنية لمركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية بتونس⁴، وقد اطّلع عليه حسين السوداني ولاحظ أنّ القرماضي «قد انصرف في بحثه إلى استخراج الهرم النظري لمقولات سوسير، ففي أعلى الهرم نجد تعريف العلم، إذ عزّفه تعريفا وظيفيا انطلاقا من مهمّة اللساني تتمثّل في الوصف والتأريخ لكلّ ما يمكن أن يبلغه من الأُسنة، إضافة إلى البحث عن القوانين العاملة في جميع اللغات، لتستظهر من ذلك القوانين العامّة التي يمكن أن تفسّر جميع الظواهر الخاصّة بتأريخ الألسنة، وقد جعل آخر مهمات اللساني أن يحدّد موضوع اللسانيات ويعرف ماهيتها»⁵.

وملاحظة حسين السوداني حول هاتين المقالتين يفرض علينا أن نقف برهة أمام قول أحد الباحثين حول الكتابة اللسانية التمهيدية؛ والتي أرّخ لها «بعد صدور كتابي (اللسانيات من خلال

¹ - ينظر: حسين السوداني: أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي، ص 160.

² - ينظر المرجع نفسه ص 160.

³ - المرجع نفسه الصفحة 160.

⁴ - ينظر: حسين السوداني: أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي، ص 164.

⁵ - المرجع نفسه: ص 164.

النصوص: 1984) و(اللسانيات وأسسها المعرفية: 1986) لعبد السلام المسدي، وكتاب (أهم المدارس اللسانية: 1986) لعبد القادر المهيري وزملائه¹.

لنحاول رصد التاريخ الحقيقي لظهور هذا النوع من الكتابات اللسانية، وذلك بالقول أنه إذا سلّمنا بفرضية أنّ الكتابة اللسانية التمهيدية تهدف إلى «تقديم اللسانيات ومفاهيمها النظرية والمنهجية بشكل مبسّط قصد تيسير المعرفة اللسانية للقارئ العربي...»²، و«أنّ الحاج صالح والقرمادي -رحمهما الله- قد عمدا إلى رصد المعمار المفاهيمي والمنهجي للنظرية السوسيرية»³ من خلال مقالتيهما، نقول: إذا سلّمنا بهاتين الفرضيتين حينها فقط ندرك أنّ التأريخ للكتابة اللسانية التمهيدية يرجع إلى المبشرين الأولين الحاج صالح والقرمادي، وذلك بداية السبعينات.

وجدير بالذكر علاوة على هذا التقديم والتبسيط للآراء السوسيرية، أنّ الحاج صالح قد مهّد للسانيات وذلك بتحديد موضوعها الذي يتمثّل في "اللسان"، وهذه ضرورة لا بدّ منها في أيّ علم، وها هو حسين السوداني بعد أن اطّلع على الكتابات اللسانية الأولى التي عرفها المغرب العربي، يصرّح بالقول: «أنّ الحاج صالح ذهب في تحديد سوسير لموضوع اللسانيات أبعد ممّا وقفنا عليه عند حسان تمام والسّعران، فقد أشار إلى أنّ سوسير حصر موضوع اللسانيات في مستوى اللسان، وأعطى مستوى الكلام قيمة ثانويّة بأن جعله لاحقا في القيمة للسان»⁴.

بالإضافة إلى الترجمة التي قدّمها صالح القرمادي لكتاب جون كانتينو "دروس في علم أصوات العربية" في 1966 إلى 1975 في ترجمة دروس دي سوسير، وفي أثناء ذلك انصرف من جهته إلى

¹ - ياسين بوراس: البحث اللساني في الفكر العربي المغاربي المعاصر، بحث لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، تحت إشراف صالح بلعيد، سنة 2014م، ص 23.

² - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص 91.

³ - ينظر: حسين السوداني: أثر فرديناند دي سوسير في البحث اللغوي العربي، ص 160.

⁴ - حسين السوداني: أثر فرديناند دي سوسير في البحث اللغوي العربي، ص 162، وينظر: عبد الرحمان الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، مج 2، العدد 1، جامعة الجزائر، 1972، ص 43.

ترجمة أندري مارتيني "مبادئ في اللسانيات العامة" فأتمه ووافاه الأجل قبل أن يخرج وفي جهد مُواز لكل ذلك أنجز الباحث الطيب البكوش ترجمته لكتاب جورج مونان "اللسانيات" سنة 1981¹.

أما في المغرب الأقصى، فقد أُرجى اكتشاف آراء سوسير إلى منتصف السبعينات، وفي هذا الصدد يذكر الفاسي الفهري عدم اتصال بلده المغرب بلسانيات سوسير في جزئية من إحدى مقالاته تحت عنوان "تاريخ في أقل من أربعة عقود" يقول فيها: «في سنة 1967 كنت طالبا في شهادة فقه اللغة بكلية الآداب بفاس، كان الأستاذ محمد بنتاويت (التطواني) -رحمه الله- يدرس مادة فقه اللغة المقارن، فيها بعض أوصاف الفارسية والتركية والعربية، والأستاذ تقي الدين الهلالي -رحمه الله- يدرس العبرية، مع بعض المقارنة بالعربية، والأستاذ أحمد الأخضر يدرس الأصواتيات Phonétique يسميها "الإصاثة"، لكننا معشر الطلبة في ذلك الوقت لم يكن لنا اتصال باللسانيات العامة، ولم يكن كثير منّا قد سمع بـ Desaussure في نفس السنة عثرنا مُصادفة على كتاب دي سوسير في مكتبة بفاس، وقرأته ولكنني وجدته صعبا»².

هذه الصعوبة تدلُّ على أنّ اللسانيات في المغرب الأقصى حتى ذلك الوقت كانت في صورة ضبابية، ستتضح مع منتصف السبعينات، وهذا ما يؤكده الفاسي الفهري بقوله: «في سنة 1976، نظّمنا أول لقاء لسانيّ سيميائيّ وطنيّ بكلية الآداب بالرباط، نظّمه الفاسي وكليطو ومنيار والمتوكل وكولان بإيعاز من الفاسي مثل الانطلاق الفعلي للبحوث اللسانية السيميائية بالمغرب، وشاركت فيه جماعة من أجود الأطر في فاس والرباط»³، هذا إلى جانب إنجازات المغرب الأقصى في اللسانيات يذكر الفاسي في نفس المقال أنّه في سنة 1986 تأسست جمعية اللسانيات بالمغرب وفي السنة الموالية

¹ - ينظر: الخطاب اللساني المغاربي اتجاهاته ومضامينه، قسم اللغة العربية وآدابها، مجلة التواصل، عدد 19 سبتمبر 2007، ص 4 نقلا عن المسدي: ما وراء اللغة، ص 44.

² - عبد القادر الفاسي الفهري: ملاحظات أولى عن تطوّر البحث اللساني بالمغرب: ندوة اللغة العربية والنظريات اللسانية، كلية الآداب، فاس، ما بين 21-22 / 11 / 2007، جامعة نيوكاستل وجامعة محمد الخامس، ص 01.

³ - عبد القادر الفاسي الفهري: ملاحظات أولى عن تطوّر البحث اللساني بالمغرب، ص 02.

1987 نُظِّمَت أوَّل ندوة دُولية كبرى، وفي السنة نفسها - 1987 - طلبت منه اليونسكو تنظيم أوَّل ندوة عربيّة حول "تقدّم اللسانيات في الأقطار العربيّة" وبعد عشر سنوات أُنتخب رئيساً للجمعية الدوليّة لللسانيات التوليدية GLOW¹.

هذه هي أهمّ المحطّات التي ذكرها اللسانيون* في التأريخ لمرحلة اكتشاف آراء دي سوسير، وقد كان تركيزهم فقط على ثلاثة أقطار وهي المغرب والجزائر وتونس، في حين أنّ القطرين المتبقين من المغرب العربي (ليبيا وموريتانيا) فلا نكاد نجد أي ذكر حول اللسانيات في ربوعهما، وربما يكون السبب هو الظروف الداخليّة لكلّ من القطرين والتي حالت دون وصول معلومات عن تقدّم الدّراسات اللّغوية فيهما، إلّا فيما نلتمسه عند المسدّي كإشارة لطيفة عن ليبيا وهو يذكر الندوة العربيّة التي نظّمها مركز الدّراسات والأبحاث الاقتصاديّة والاجتماعيّة التابع للجامعة التونسيّة في ديسمبر 1978 والتي حضر إليها علماء اللسانيات من المغرب وتونس ومصر والعراق والكويت وسوريا وذكر من الحاضرين أيضا ليبيا².

2.2 مرحلة ما بين القبول والتشكيك:

إنّ حداثة اللسانيات في المغرب العربي التي ارتبطت بتأسيس الجامعة بعد الاستقلال، هي أمر ليس بالهين، بل هو رهان كبير قد يُوقع في مزالق التبعية أو طمس الهوية العربيّة، وهذا ما أدّى بالتشكيك بها في بداية الأمر عند المشاركة باعتبار أنّهم كانوا السباقين إلى البحث اللساني، وفي هذا الصّدّد يقول تمام حسان: «حين كنت أتولّى تدريس علم الأصوات اللّغوية لطلبة السنة الثانية بكلية

¹ - ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري: ملاحظات أولى عن تطوّر البحث اللساني بالمغرب، ص 02

* منهم حسين السوداني في مؤلفه: أثر دي سوسير في البحث اللّغوي العربي، الباحث ياسين بوراس: البحث اللساني في الفكر العربي المغاربي المعاصر، عبد السلام المسدي: ما وراء اللّغة: بحث في الخلفيات المعرفيّة، وغيرهم ممن اكتفوا بذكر الأقطار الثلاث (تونس، المغرب، الجزائر)، و ذكرت ليبيا بإشارة لطيفة عند المسدي في كتابه قاموس اللسانيات (المرجع التالي)

² - ينظر: عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات عربي فرنسي - فرنسي عربي، مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربيّة

دار العلوم بالقاهرة فيما بين 1953-1959، كان الاتجاه العام بين أساتذة الكلية في ذلك الحين هو التشكيك في قيمة الدراسات اللغوية الحديثة، ولاسيما عند تطبيق منهجها وأفكارها على دراسة اللغة العربية¹.

وبالنسبة للمرحلة التي ذكرها تمام حسان في قوله هذا هي مرحلة كان فيها المغرب العربي تحت وطأة الاستعمار، إذ اعتبرناه كتلة واحدة، أمّا إذا نظرنا إليه نظرة متفرقة، فنلاحظ أنّ هذه الفترة قد استقلت فيها ليبيا وتونس والمغرب، في حين أنّ الجزائر كانت لا تزال تحت وطأته مع أختها موريتانيا، ومع ذلك فستشهد الجزائر قفزة نوعية في هذا المجال بفضل الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح -رحمه الله-، أمّا فيما يخصّ ردّة فعل المغرب العربي كلّ من هذا التوجّه الجديد في دراسة اللغة، فسيختلف عمّا عهد في المشرق في تلك الفترة، ذلك أنّ المغرب العربي قد ارتبط مباشرة بالجامعة التي لم تستقل على الجامعة الفرنسية، الأمر الذي جعل الاطلاع على اللسانيات السوسيرية في مقدمة مكونات الدرس اللغوي²، كما هيئاً الأرضية لتقبل اللسانيات، وفي هذا الصدد يقول حسين السوداني: «... أمّا في المغرب فإنّ الدّارس يلاحظ منذ البداية أنّه لم يكن هناك من الأعراف المنهجية في دراسة اللغة ما يحقّق الاحتراز والرفض حيال الرّؤية السوسيرية، ولذلك تقرّر لسوسير موقع راسخ ضمن البحوث اللغوية في المغرب العربي منذ مطلع الستينات رغم حداثة سنّ المعرفة اللسانية هناك»³.

ربّما القول بعدم الاحتراز أو عدم الرفض للرؤية السوسيرية في المغرب العربي؛ هو قول فيه تسرّع نوعاً ما، فالجوّ العامّ الذي كان يعيشه المغرب العربي ومازال لا يختلف كثيراً عمّا عرف في المشرق

¹ - تمام حسان: العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1973، ص 7.

² - ينظر: حسين السوداني: أثر فرديناند دي سوسير في البحث اللغوي العربي، ص 95.

³ - المرجع نفسه، ص 160.

العربي كونه: «جوّ ثقافي عامّ تحكمه ثنائية (الأنا، الآخر)، الأنا العربيّ الإسلاميّ، والأنا الغربيّ المعاصر»¹.

أي أنّه و على الرّغم من تقبّل الأفكار السوسيرية عند المغاربة مبدئيًا إلاّ أنّ هذه الأفكار الوافدة، ستمرّ في مصفاة يركن إليها الفكر المغربي من الحين إلى الآخر، ليستجلي من خلالها المبادئ العامّة التي قد ترقى باللّغة العربيّة ولا تمسّ بكيانها، ويظهر هذا جليًا حينما نجول بين الخطابات اللّسانية المغاربيّة.

4.2 مرحلة تشكّل خطاب لساني مغاربي:

تعتبر هذه المرحلة نتيجة لما سبقها من إرهاصات، كما أنّها تمثّل وعيا بالقضيّة اللّسانية الحديثة، واستيعابا لمبادئها، وفي المقابل حضور التراث اللّغوي العربي الذي لا يمكن نكرانه، حتى وإن لم يُفعل في بعض الخطابات اللّسانية باعتباره ليس من موضوع اللّسانيات²، إلاّ أنّه يحضّر بشكل أو بآخر في الخطاب اللّساني الجديد ذلك أنّه احتوى اللّغة العربيّة وهي بدورها قد احتوته، واللّساني ليس بمقدوره أن يعبر أو يصف أو يفسّر الظاهرة اللّغويّة وهو بصدد دراستها دراسة علميّة، إلاّ من خلال هذه اللّغة العربيّة التي ترسّخت في ذهنه، ويمكن أن نعرّف الخطاب اللّساني عامّة على أنّه «الخطاب الذي تعكسه الكتابات اللّغويّة التي تستند نظريًا ومنهجياً للمبادئ التي قدّمتها النظريّات اللّسانية في مختلف اتجاهاتها؛ الأوروبية والأمريكية في إطار ما أصبح يعرف باللّسانيات العامّة»³.

¹ - فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللّساني العربي الحديث، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004، ص 03.

² - ينظر: مصطفى غلفان: اللّسانيات العربية أسئلة المنهج: ص8.

³ - مصطفى غلفان: اللّسانيات العربية الحديثة، ص84.

ويُتَّجه بشير إبرير في تعريفه للخطاب اللساني ابّجها علميًّا، ويرى أنّ اللسانيات؛ هي علم من العلوم، وعليه يكون الخطاب الموصول بها كذلك: «خطاب لساني علمي له حدّ وماهية، مادة أو موضوع أو ظاهرة وغاية أو أهداف يودّ تحقيقها من خلال تطبيقاته المختلفة»¹.

وحيثما نقول خطابات لسانية عربية، يُقصد بها الكتابات اللسانية العربية كلّها، وهذا من قبيل ما كتبه عبد الرحمان الحاج صالح، والفاسي الفهري، وعبد السلام المسدي وأحمد المتوكّل وغيرهم كثير².

أمّا إذا رُمنّا الحديث عن الخطاب اللساني المغاربي؛ فعلينا أن نحتفظ بالمعنى العام للخطاب اللساني، ونضيف الحدود الزمنية والمكانية لهذا المعنى، وعليه يكون الخطاب اللساني المغاربي «هو ذلك الخطاب اللساني الذي يتحرّك في فضاء جغرافي محدّد، وتمّ إنجازه وتحقيقه - أي الخطاب اللساني - بوصفه تفكيرًا محكومًا بالعلمية منذ أواخر القرن العشرين إلى يومنا هذا، ومن قبل لسانيين مغاربة»³.

وبما أنّه لا فرق بين مصطلحي الخطاب اللساني العربي والكتابة اللسانية العربية، فإننا نعتبر أنّ الدّراسة اللسانية التي قام بها مصطفى غلفان من خلال مؤلفه: "اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية" هي دراسة عامّة تخصّ كلّ الكتابات اللسانية العربية، أمّا الدّراسة التي قام بها يوسف منصر من خلال مقاله: "الخطاب اللساني المغاربي اتجاهاته ومضامينه" هي دراسة خاصّة محدّدة زمنيًا ومكانيًا تخصّ فقط الأقطار المغربية المذكورة آنفاً.

¹ - بشير إبرير: الخطاب اللساني العربي بين التراث والحداثة، مجلة الرافد، العدد 47، سنة 2001م، ص 87.

² - ينظر: يوسف منصر: الخطاب اللساني المغاربي اتجاهاته ومضامينه، قسم اللّغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، مجلة التواصل، عدد

19 سبتمبر 2007، ص 03.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وفي هذه الدراسة، عمد يوسف منصر إلى تصنيف الخطاب اللساني المغاربي وذلك باقتصاره على عنصر المنهج باعتباره «وجهة النظر المتبعة في بحث موضوع معين»¹. في حين أنّ مصطفى غلفان اعتمد على ثلاثية رأى أنّها تحكم إنتاج كلّ خطاب مهما اختلفت طبيعته وهي: الموضوع والغاية والمنهج².

والنتيجة التي توصل إليها يوسف منصر هي أنّ الباحث اللساني المغاربي قد تعامل مع اللسانيات وفق أربع منهجيات هي³:

1. المنهج التعليمي: القائم على التوضيح والتبيان والشرح وما يتطلبه كلّ ذلك من وسائل مساعدة كالأمثلة والرسوم البيانية.
2. المنهج القرائي: وهو المنهج الذي يعتمد القراءة، كآلية لإنتاج خطابه اللساني، انطلاقاً من وجود المادة محلّ القراءة، وهي في واقع البحث اللساني المغاربي النصوص التراثية التي عنيت بمسائل عديدة ومتنوعة من الظاهرة اللغوية.
3. المنهج العلمي: والمقصود بذلك مختلف المناهج التي تصطنعها اللسانيات في معالجتها للظاهرة اللغوية، كالمنهج الوصفي، والمقارن وغير ذلك.
4. المنهج النقدي: والمقصود بذلك المنهج الذي يحتوي ويستوعب كلّ الخطابات المحددة آنفاً من تعليمي وتراثي ولساني صرف، بغية معابنتها كبنية خطابية عاجلت اللغة ومتعلقاتها، ونقد أسسها ومناهجها وكذا غاياتها التي تهدف إليها.

¹ - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص 90.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 90.

³ - يوسف منصر: الخطاب اللساني المغاربي اتجاهاته ومضامينه، ص 5-6.

وهذه المناهج تتوافق مع ما اقترحه مصطفى غلفان في كتابه "اللسانيات العربية"¹، إلا أن يوسف منصر قد استخلص منها آخر وهو المنهج النقدي كونه يرسى دعائمه على المناهج الأخرى، وما يترتب على هذه المناهج الأربع في نظر يوسف منصر هو كذلك خطابات لسانية مغاربية أربع في مقابل ثلاث خطابات فقط عند مصطفى غلفان²، وتزيد -في نظر يوسف منصر- بخطاب واحد والمتمثل في الخطاب اللساني النقدي وعليه تكون أنماط الخطاب اللساني المغاربي متمثلة فيما يلي:

1.3.2 الخطاب اللساني التبسيطي أو التعليمي أو التأسيسي:

و يوسم عند حافيظ إسماعيلي علوي "اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة" بالخطاب التمهيدي، وهو خطاب ذو غاية تعليمية هدفه إشاعة الدرس اللساني وغرسه في منظومتنا المعرفية، ومن بين الكتابات التي يمكن إدراجها في هذا المنحى:

- مباحث تأسيسية في اللسانيات لعبد السلام المسدي.

- مبادئ في اللسانيات لخولة طالب الإبراهيمي.

- البنيوية لمحمد الحناش.

- مدخل إلى علم الدلالة لمحمد يحياتن³.

وفي نظرنا يمكن أن ندرج ضمن هذه الكتابات التأسيسية مقالتي عبد الرحمن الحاج صالح وصالح القرماضي حول التأسيس النظري والمنهجي لآراء سوسير في بلاد المغرب، كما يمكن أن نعتبرهما

¹ - ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية، ص 90.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 91.

³ - يوسف منصر: الخطاب اللساني المغاربي اتجاهاته ومضامينه، ص 6.

سابقتين زنيا بالمقارنة مع الكتابات التي ذكرها الأستاذ يوسف منصر، على حسب ما ذكره حسين السوداني¹.

2.3.2 الخطاب اللساني التراثي:

هذا النمط من الكتابات يعبر عنه مصطفى غلفان بـ(الكتابة اللسانية التراثية أو لسانيات التراث)، وفي نظره أنّ لسانيات التراث لها موضوع واحد وهو التراث اللغوي العربي ومنهج واحد هو القراءة أو إعادة القراءة وغايتها تتمثل في قراءة التصورات اللغوية العربية القديمة وتأويلها وفق ما وصل إليه البحث اللساني الحديث على أساس من التوفيق بينهما².

أما في نظر يوسف منصر فإنّ هذا النمط من الكتابات هو وليد الثنائية التي شغلت ولازالت الفكر العربي المعاصر وهي: الأصالة والمعاصرة أو الحداثة والتراث، والتي ستُفرز ثلاث رؤى متباينة:

* أولاهما: تتبني مقولات القدامى في شتى ضروب المعرفة (الإنسانية خاصة) وتعتبر ما جاء به المحدثون تكراراً لما سبق أن بُحِث وألّف فيه.

* وثانيهما: يمارس فعل القطيعة مع التراث (المنجز الفكري العربي القديم) وتعتبره بنية مغايرة تاريخياً، وثقافياً ومعرفياً مقارنة بالخطاب الغربي أو الخطاب الآخر.

* وثالثهما: ذو ميول توفيقية يسعى أن يخفف من حدة التطرف التي تطبع الرؤيتين السابقتين فيأخذ من مقولات القدامى ومقولات المحدثين ما يؤلّف به خطاباً توفيقياً³.

ويرى بشير إبرير أنّ هناك كتابة لسانية أخرى ذات ميول "انتقائي" تبحث في مقولات القدامى ما يوافق رغباتها وميولها، وتبنى عليه أفكاراً لسانية وهي الكتابة التي تبرأ منها الأستاذ عبد الرحمان

¹ - ينظر: حسين السوداني: أثر فرديناند دي سوسير في البحث اللغوي العربي، ص 160.

² - ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 92-93.

³ - يوسف منصر: الخطاب اللساني المغربي اتجاهاته ومضامينه، ص 7.

الحاج صالح - رحمه الله¹ ويضيف يوسف منصر في هذا الصدد أنّ «الخطاب اللساني عند عبد الرحمن الحاج صالح خطاب "تدافعي" وغير مهادن، لا يعرض عن المقولات اللسانية الحديثة، ولا يقبل تنصيبها بديلا وحيدا في إنتاج الخطاب اللساني العام، فالخطاب اللغوي التراثي ليس أقلّ شأنًا منها، فهو يكافئها، وقد يفوقها في استنباط قوانين اللسان البشري، وتجريد نماذج صورية له»².

3.3.2 الخطاب اللساني المتخصّص:

يعتبر يوسف منصر «هذا النمط من الكتابة اللسانية المغاربية الأقرب إلى ممارسة الفعل اللساني مقارنة ببنية الأنماط»³. والسبب في نظره: «أنّه لا يتناقض وموضوع اللسانيات نفسها، فإذا كان موضوع هذه الأخيرة هو دراسة اللغات الطّبيعية لذاتها ولأجل ذاتها على حدّ تعبير دي سوسير، فإنّ هذا الخطاب لا يجيد عن هذا التحديد [يقول] فتراه يشتغل على بنيات اللّغة العربيّة: الصوتية والصّرفية والتركيبية، والدّلالية والمعجميّة، متوسّلا في ذلك بالأسس النظرية والمنهجية التي أقرّها البحث اللساني الحديث، بخلاف الخطاب اللساني التراثي الذي يبدو متعاليا على موضوعه، أو الخطاب التّعليمي الذي يعدّ على هامش اللسانيات أو في مدخلها مثلما تشي بذلك العديد من المصنّفات التي تندرج ضمن هذا البحث»⁴.

تجدد بنا الإشارة إلى أنّ يوسف منصر بهذه الرؤية هو يوافق مصطفى غلفان الذي يعتبر أنّ العديد من المصنّفات اللسانية العربيّة هي على هامش اللسانيات، وهذا ما يصعب في نظرنا التسليم به، لأنّ نظرة مصطفى غلفان لسانية محضة لا يقبل فيها التّعامل مع التراث، ذلك أنّه ليس موضوعا

¹ - ينظر: بشير إبرير: اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية، ص 56.

² - يوسف منصر: الخطاب اللساني المغاربي: أصوله ومفاهيمه وإجراءاته: عبد الرحمن الحاج صالح، عبد السلام المسدي، عبد القادر الفاسي الفهري نماذج، قسم اللّغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة، 2013، ص 253. مخطوط.

³ - يوسف منصر: الخطاب اللساني المغاربي اتجاهاته ومضامينه، ص 09.

⁴ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

للسانيات العربيّة، كما أنّه ينادي إلى تطبيق المناهج اللسانية الحديثة بحذافرها على اللّغة العربيّة من دون مراعاة للخصوصيّة¹، وبالتالي ففي نظرنا أنّه وقف «... موقف المحاكمة [الذي] يبدو غير مؤسس على قاعدة منهجيّة سليمة، بسبب الاختلاف البيّن في الأصول الاعتقادية، والقواعد الفكرية، التي يقوم عليها كلّ من التراث العربي الإسلامي والفكر الغربي الحديث»². وهذا أمر لم يقبله -عبد الرحمن الحاج صالح - رحمه الله- وراح يبيّن نظريّة لغويّة عربيّة أصيلة، يمكن أن يصدق عليها وصف "المتخصّصة" أو النمط اللساني المتخصّص.

4.3.2 الخطاب اللساني النقدي:

هذا النوع من الخطابات يعرّفه يوسف منصر بأنّه: «خطاب مؤسس على خطاب آخر يسبقه زمنيا، وغايته أن يتتبع منجزات الخطاب اللساني المغاربي، على اختلاف أنماطه وذلك بالنظر إلى الأسس النظريّة التي يصدر عنها، والأدوات المنهجية والإجرائية التي يتوسّل بها، والنتائج التي حقّقها، وتكمن أهميّة هذا النمط في الدور الذي يلعبه في إطار الثقافة اللسانية العربيّة والمتمثّل أساسا في تقويم الحركة اللسانية المغاربيّة، وتحديد موقعها من صميم النشاط اللساني (مدى قربها أو بعدها عنه) ممّا يسهم في إثرائها من ناحية، وتوجيهها من ناحية أخرى»³.

وقد تطرّق إلى هذا النمط اللساني الباحث حافظ إسماعيلي علوي وأحمد الملاخ تحت عنوان **ابستمولوجيا اللسانيات العربيّة⁴**؛ وتعرّف الابستمولوجيا Epistémologie بالعلم والنقد والنظر

¹ - ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية أسئلة المنهج، ص 102.

² - الطيب دبه: التفكير السيميائي في اللّغة والأدب: دراسة في تراث أبي حيان التوحيدي، ص 25.

³ - يوسف منصر: الخطاب اللساني المغاربي اتجاهاته ومضامينه، ص 09.

⁴ - ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، أحمد الملاخ: قضايا ابستمولوجية في اللسانيات، الدار العربيّة للعلوم، ناشرون، منشورات

الاختلاف، ط 1، 1430هـ-2009م، ص من 187 إلى 198.

والدراسة لمنطق العلوم الذي يعني المعرفة العلمية بها، أي الدراسة النقدية للمبادئ والفرضيات والنتائج العلمية¹.

من هنا ميّز حافظ إسماعيلي علوي واحمد الملاخ في الكتابات اللسانية العربية التي تسعى إلى امتلاك حجّة النظر النقدي بين ثلاثة اتجاهات كبرى²:

أ - كتابات نقدية عامّة:

موضوعها الكتابة اللسانية العربية بشكل شمولي، دون تمييز بين نماذجها واتجاهاتها، وأبرز ما تركّز عليه هذه الكتابات النقدية هو تحلّف اللسانيات العربية وضعف مردوديتها، ففي نظر أصحاب هذا الاتجاه أنّها: «لم تثبت أقدامها بعد بالقدر الكافي ولا تزال تفصل بينها وبين المستوى الذي بلغته في جامعات الغرب درجات كبيرة، اللهم ومضات تلمع بين الحين والحين ترفع إلى ذلك المستوى، ولكنّها في الأعمّ نتاج جهد فرديّ خالص»³.

أي أنّ النقد في هذه الكتابات يرتكز على عقد مقارنة بين المنجز اللساني العربي بمختلف نماذجها واتجاهاته وبين المنجز الغربي، وأبرز ما يتوصّل إليه عادة من خلال هذه النظرة الانتقادية العامّة هو ضعف وهوان اللسانيات العربية.

ب - الكتابة النقدية الخاصة:

تستهدف أحد اللسانيين أو إحدى المدارس اللسانية، وأحيانا تركّز على فرع من فروع الدراسة اللسانية، وقد يستعمل فيها عبارات تخرج عن قالب العمل النقدي السليم.

¹ - بشير إبرير: اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2021، الأبيار، الجزائر، ص 123.

² - ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، أحمد الملاخ: قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، ص من 187 إلى 198.

³ - عبد الوارث مبروك سعيد: في إصلاح الفكر النحوي، دار القلم، الكويت، 1985، ص 173.

ج - الكتابة النقدية المؤسّسة:

يعتمد النقد في هذا النوع من الكتابة على محددات نظرية ومنهجية تضمن للنّاقِد تماسكاً واضحاً، من خلال الرّبط بين المقدمات والنتائج وصياغة الأسئلة والإشكالات، قبل أن يتّجه للإجابة عنها باعتماد الانسجام والتماسك في التحليل ممّا يستجيب لقيّد النسقية، وبالتالي يمكن عدّ هذه الكتابة مخالفة تماماً للكتابة النقدية الخاصّة من حيث المنهج والرّؤية ذلك أنّها تمثّل النقد السليم كونه نقدًا بناءً تتأسس من خلاله آفاق لثمين الجهود اللسانية وفي المقابل نفياً للسلبيات، والتمييز بين المفاهيم وتوضيح معالمها، الأمر الذي من شأنه ترسيخ ممارسة ابستمولوجية تعي حقيقة الإنجاز اللساني العربي الحديث.

ثانياً: تجليات اللسانيات العربية في المغرب العربي:

1. لسانيات التراث - تراث صوب الحداثة-

من خلال أمط الكتابات اللسانية التي سبق ذكرها تبين لنا أنّ هناك نمط متميّز وُسم بـ"الخطاب اللساني التراثي"، وهو الخطاب الأقرب إلى البيئة العربية لامتلاكها تراثاً لغويًا كبيراً ومهمّاً، حاول أصحابه أن يجعلوه في خطّ توافقي مع المناهج والنظريات اللسانية الحديثة، بغية تطويره والاستثمار فيه، إلا أنّ هذا الخطاب اللساني التراثي أفرز ثلاث رؤى متباينة كما رأينا سالفاً (حداثية، تراثية، توفيقية) والرّؤية الغالبة على هذا النمط هي الرّؤية التوفيقية، في هذا الصّدّد تقول فاطمة بكوش: «لقد اتجهت اللسانيات العربية إلى ما يمكن تسميته لسانيات توفيقية تتبني أنموذجاً وصفيّاً بمزج المقولات النظرية العربية الحديثة بمقولات نظرية النّحو العربي، وكان هذا الموقف الأساس في اللسانيات العربية، على الرّغم من النّقد الذي وجّهه العرب إلى نظرية النّحو العربي، إذ لم يستطيعوا أن ينتجوا

درسا لسانيا منبثًا عن أصله التراثي، يعلن القطيعة التامة مع التراث النحوي القديم، إذ كان هذا يعني (تغريبًا) ثقافيا يهدّد الهوية الثقافية العربية الإسلامية¹.

في رأينا أنّ قول فاطمة بكوش هو قول محمّل بالأفكار المهمة التي أثارت العديد من القضايا منها قضية: لسانيات التراث، وعلاقة النحو العربي باللّسانيات الحديثة، قضية نقد التراث والذي تمثل في النحو العربي، والقضية الأساس هي إنتاج نظرية لسانية عربية خالصة، كما أشارت قضية الهوية الثقافية العربية الإسلامية.

بداية نشير إلى أنّ مصطلح "لسانيات التراث" من المصطلحات التي اعتمدها "مصطفى

غلفان" في مؤلفاته منها "اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية" ويعني عنده التقاء التراث اللغوي العربي باللّسانيات الحديثة، ليتشكّل هذا الصّنف من الكتابة اللّسانية التي ستتحذ التراث اللغوي العربي القديم «في شموليته موضوعا لدراساته المتنوعة، أمّا المنهج الذي يصدر عنه أصحاب هذه الكتابة فهو ما يُعرف عادة بمنهج القراءة أو إعادة القراءة»².

ويرى غلفان أنّ «من غايات لسانيات التراث وأهدافها قراءة التصرّوات اللغوية العربية القديمة وتأويلها وفق ما وصل إليه البحث اللّساني الحديث والتوفيق بين نتائج الفكر اللغوي القديم والنظريات اللّسانية الحديثة، وبالتالي إخراجها في حلّة جديدة تبين قيمتها التاريخية والحضارية»³.

إنّ هذا التّوع من الكتابة اللّسانية بهذا التعريف الذي وضعه مصطفى غلفان لا يمتّ بصلة إلى لسانيات العربية باعتبار أنّ الغاية المرجوة منه لا توافق الغاية المنشودة من وصف اللّغة العربية لسانيا، بل ويجعلها من هامش اللّسانيات⁴، وهذا في نظره ما جعل الكثير من الكتابات اللّسانية العربية

¹ - فاطمة بكوش: الدرس اللّساني العربي الحديث، ص 15.

² - مصطفى غلفان: اللّسانيات العربية الحديثة، ص 92.

³ - المرجع نفسه، ص 92.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 97.

والمغربية بالخصوص وكتابة عبد الرحمن الحاج صالح بالأخصّ تقع على هامش اللسانيات، ممّا أدى بالأستاذ بشير إبرير - كما رأينا سابقا- إلى انتقاده وقد قدّم لأعمال عبد الرحمن الحاج صالح من خلال نظريته اللسانية الخليلية الحديثة على أنّها تحقق وصفا لسانيا علميا للغة العربيّة¹.

ومن بين الذين انتقدوه أيضا يوجد ثلّة من الباحثين اللسانيين والذين شكّلوا موقعا إلكترونيا المسمّى "بجّلقة عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية" وعلى رأسهم محمد مسعود بن مبخوت الذي يقول في هذا الصّدّد: «... أمّا مصطلح لسانيات التراث فهو مصطلح ابتدعه أتباع البنيويين العرب من المغرب الشقيق، وهو كمصطلحات المعتزلة في منزلة بين المنزلتين، وفيه نبذ للتراث العلمي العربي»².

ويضيف قائلا واصفا البنيويين العرب: «وقد تهافتت أقوال البنيويين العرب وبطل منوالهم، وثبت باليقين أنّهم لا باللّسانيات بصّروا ولا للعربية نصّروا، وأتباعهم اليوم ينادون بالعودة إلى دي سوسير من جديد وهي في الحقيقة عودة إلى قديمه لا كما يزعمون»³. وهذا قول يظهر قضية أخرى متمثلة في السوسيريّات الجديدة التي سنخصّص لها جزءاً من بحثنا لاحقا - إن شاء الله تعالى.

من خلال ما سبق يظهر لنا أنّ هناك مجال واضح المعالم يرتكز في الوسط اللساني المغربي، مجال تتمثّل في «إشكالية علاقة لسانيات التراث (بمفهوم مصطفى غلفان) باللّسانيات الحديثة تجسيدا لإشكالات عميقة هي علاقة التراث بالحدّثة، وقد عاجلها كُتّاب الفكر العربي من أمثال طه عبد الرحمان، ومحمد عابد الجابري، وعبد الله العروي، ونصر حامد أبو زيد، وعلي حرب وغيرهم، وهي أسئلة طرحها الخطاب النهضوي حينما أحسّ المثقف العربي بصدمة الحدّثة العربيّة»⁴.

¹ - ينظر: بشير إبرير: اللّسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللّسانية، ص10.

² - محمد مسعود بن مبخوت: حلقة عبد الرحمان الحاج صالح اللّسانية يوم: 20 نوفمبر 2021، موقع إلكتروني .

https://www.facebook.com/groups/1696552830368611/?locale=ar_AR

³ - المرجع نفسه، الموقع نفسه، اليوم ذاته.

⁴ - عبد الوهاب صديقي: أوراق لسانية نقدية: قراءة في تصوّرات اللّسانيين العرب المعاصرين لطبيعة العلاقة بين لسانيات التراث

واللّسانيات الحديثة، مجلة اللّسانيات العربيّة، العدد 1 يناير 2015 الموافق ربيع الأول 1436هـ، ص 32-33.

وفي نظرنا أنّ الصدمة هذه ليست في أولها، بل قد خفّت حدّتها بمرور الزمن، والملاحظ أنّ الفكر العربي أو المغاربي قد استقرّ حاله بعد هذه الصدمة وأصبح يميّز الصالح من الحداثة وما خُبث منها، ليُنتج كتابات لسانية فيها من المهابة والتقديس أيّ كتابات بخلفية التحامل والرفض لا بخلفية القبول والشمين¹، ومع ذلك بقيت نسبة هذه الكتابات تمثل قلة قليلة من الباحثين المغاربة فمعظمهم على حدّ رأي فاطمة بكوش أنّهم سلكوا منهجا توفيقيا في دراسة اللغة العربية وتحليلها، وذلك بعدم قطع الصلة مع التراث اللغوي العربي بل بمحاورته والانطلاق منه لتأسيس اللسانيات العربية في ضوء ما توفّره اللسانيات الغربية من معطيات مفيدة². أيّ الانطلاق من مقولات نظرية النحو العربي نحو وصف اللغة العربية، وهذه من أكبر القضايا التي تُطرح في اللسانيات العربية الحديثة باعتبارها تمسّ موضوع هذا العلم أيكون النحو العربي أم يكون اللغة العربية، وهل هناك فرق بينهما أثناء الدراسة العلمية للسان العربي؟ إنّها أسئلة أربكت الباحث العربي ومازالت تُربكه، وعلى هذا الأساس انتقدت الكثير من الأعمال اللسانية المغاربية، ومع ذلك تعتبر في نظرنا جهودا لا يُستهان بها في ترقية الدرس اللساني العربي.

3 - من جهود أعلام الكتابة اللسانية المغاربية الحديثة:

إنّ مقولة "الحداثة والتراث" والسّجال الذي نتج عنها، لم تكن لتتفي مقولة "أنّ العلماء المغاربة قد بذلوا جهودا في ترقية الدرس اللساني العربي الحديث" وعليه نأمل أنّهم يشكلون رابطة متّحدة، ترقى لأن تصبح مدرسة لسانية ذات مبادئ في وصف اللغة العربية ومنحها كفايتها من التفسير، فنجد من بين هؤلاء العلماء اللسانيين: "أحمد المتوكّل" في المغرب والذي نقل النظرية الوظيفية إلى الثقافة العربية، وحاول بناء النحو العربي وفق الاتجاه الوظيفي، ونجد أيضا "عبد القادر الفاسي الفهري" صاحب الاتجاه التوليدي التحويلي، وهناك أيضا في تونس علماء لسانيين مثل "عبد السلام

¹ - ينظر: حسين السوداني: أثر فرديناند دي سوسير في البحث اللغوي العربي، ص 96.

² - ينظر: بشير إبرير: اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية، ص 10.

المسدي"، و"صالح الكشو"، وفي الجزائر العلامة الشيخ "عبد الرحمان الحاج صالح" -رحمه الله- وكذا الأستاذ "عبد الجليل مرتاض"، وغيرهم من العلماء المغاربة الذين أخذوا مشعل العلم وعزفوا عن الجهل، رُغم تطوّر أساليبه، وعكفوا على دراسة العلم بدءًا من لغته إذ تعتبر الطريق الوحيد إلى العلم، وذلك بدراستها دراسة لسانية على الرّغم من الصعوبات والعراقيل التي أملتتها قضيّة التراث والحداثة، كما أنّهم قاموا بإدراجها في الجامعات، كونهم أساتذة فيها، وبذلك يمكن القول أنّ المغرب العربي أصبح يُنتج أفكارا في الحقل اللّساني بلغة زاخرة، بماضٍ نفيس، وعطاء حاضر، وفي هذا يقول هادي نحر: «يمكن أن يكون إخواننا العرب من أهل المغرب تونس والجزائر والمغرب قد قطعوا شوطا لا بأس به في الدراسات اللّسانية»¹.

إنّها شهادة تُحسب للمغاربة في المجال اللّساني الحديث، الذي يرتبط بأواصر معرفية تعود بجذورها إلى القرن العشرين، مُتّوجة بثلاثة معالم كبرى مُتمثّلة في المنهج البنيوي بقيادة دي سوسير (1857- 1913) والذي يمثّل انتقاله نوعيّة مخالفة لما عُرف من دراسات لغويّة تاريخية، ونحوية مقارنة عند الرّعيل الأوّل ممّن سبقوه، ويليه معلم لسانيّ آخر يُنسب إلى تشومسكي (1928) في النصف الثاني من القرن العشرين بزعامة المنهج التوليدي التحويلي، ويعقبهما المعلم الثالث بزعامة المنهج النحوي الوظيفي لسيمون ديك ابتداءً من الثمانينات²، إنّها معالم لسانية كبرى تنضوي تحتها تفرّعات لعدّة مدارس لسانية، كلّها تصبوا إلى دراسة اللّسان البشري.

1.2 جهود عبد الرحمان الحاج صالح في اللّسانيات:

1.1.2 التعريف بعبد الرحمان الحاج صالح -رحمه الله-:

¹ - حافظ إسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي: أسئلة اللّغة، أسئلة اللّسانيات حصيلة نصف قرن من اللّسانيات في الثقافة العربية، دار الأمان، الرباط، ط 1، 2009، ص 307.

² - ينظر: فطيمة زايدي: تيسير النحو العربي من خلال كتاب الوظائف التداولية في اللّغة العربية لأحمد المتوكل، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللّغة العربية وآدابها، تخصص لسانيات عربية، كلية اللّغة والأدب العربي والفنون، قسم اللّغة والأدب العربي، جامعة باتنة (1)، سنة 2015- 2016، ص 34- 35- 36.

يعتبر الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح من ذوي العقول الثيرة، الذين كرسوا حياتهم لخدمة العلم، فقد امتهنوا ميادينهم وأبت نفوسهم إلا أن تكون في سبيل العلم، والجميل في شخصيته أنه ترتاح له النفوس العربية وذلك لتعلقه الشديد بما كتبه اللغويون والنحاة الأوائل، ومعرفته الواسعة بأعمال الغربيين ونظرياتهم، مما مكّنه من رسم منهجه الواضع الثابت، فقد استوعب عناصر الأصالة ومقوماتها في الدرس اللغوي عند النحاة العرب، وخصوصا الأوائل منهم أمثال: الخليل (ت 175هـ) وسيبويه (ت 180هـ) والأخفش الأوسط (ت 215هـ) وأبي علي الفارسي (ت 377هـ) وابن جني (ت 392هـ) وغيرهم، فتعمّق في دراسة هؤلاء العلماء، وكانت دراسته لا يشوبها أيّ تحيز، وتخلو من الأحكام اللاذعة والمتعصّبة، «فكان لا يتعصّب للقديم باسم التراث، ولا يناصر الغربيين باسم الحداثة، لأنّ الأصالة عنده تقابل التقليد لا الحداثة»¹. وبالتالي ستكون نصرته للتراث من غير تقليد بل تجديد عن وعي وتمحيص.

ولد عبد الرحمان الحاج صالح في مدينة وهران أكبر ولايات الغرب سنة 1927م²، تقدّم إلى الكُتّاب لحفظ القرآن الكريم سرّاً كلّ عالم عربي هو حفظه والعمل به، وتعلّم في أحضان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين³، كانت بداية دراسته في مصر، وبعدها انتقل إلى بوردو وباريس، تحصّل على التبريز من باريس ودكتوراه الدولة من جامعة السربون في باريس، أدّى عمله كأستاذ بجامعة الرباط في المملكة المغربية سنة 1961 إلى 1962م، وبجامعة الجزائر بعد ذلك⁴.

¹ - الشريف بوشحدان: الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللّغة العربيّة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب واللّغات، بسكرة، جوان 2010، العدد السابع، ص 03.

² - ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح: السّماع اللّغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، د، ط، الجزائر، 2007. (ورقة الغلاف)

³ - ينظر: التواتي بن التواتي: المدارس النحوية، دار الوعي، د، ط، 2008، ص 140.

⁴ - ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح: السّماع اللّغوي العلمي عند العرب، (ورقة الغلاف) سلسلة علوم اللّسان عند العرب (1)، موفم للنشر، الجزائر، 2012، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغبة، الجزائر.

لقد تنوّعت ثقافته فجمع بين العلوم العربية والغربية الأمر الذي ساعده على تولّي مناصب علميّة وإدارية نذكر منها¹:

- مدير معهد العلوم اللسانية بالجزائر.
 - مدير مركز البحوث العلميّة لترقية اللّغة العربية.
 - عيّن رئيساً لمجمّع اللّغة العربيّة منذ سنة 2000م.
 - عضو المجامع اللّغويّة العربيّة في كلّ من دمشق والقاهرة وعمان وكذا بغداد.
 - رئيس الهيئة العليا لمشروع الذخيرة العربية منذ الندوة التأسيسية بالجزائر في ديسمبر 2011م.
 - ولقد تحصّل على جائزة الملك فيصل الدّولية عرفانا بجهوده في الدراسات اللسانية العربية.
- هذا إلى جانب العديد من البحوث العلمية التي تمتد من سنة 1964 السنوات الأولى التي عرف فيها المغرب العربي اللسانيات، وقد جُمعت وطُبعت في ثلاث مجلّدات: اثنان منها بعنوان "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية" بجزأين، والثالث بعنوان: "بحوث ودراسات في علوم اللسان". إضافة إلى كتاب "السّماع اللّغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة" التي صدرت عن منشورات المجمع الجزائري للّغة العربية الجزائر 2007م².

وقد غادرنا -رحمه الله- صباح الأحد بمستشفى عين النعجة بالجزائر العاصمة في سنة 2017 وعمره قد ناهز التسعين سنة ودُفن بمقبرة دالي إبراهيم بالعاصمة -الجزائر- يوم 06-03-2017³، فرحم الله فقيدنا وأسكنه فسيح جنانه.

¹ - فصيح مقران: المدخل الجامع في أصول نظرية النحو العربي، دار الوسام العربي، ط 1، عنابة، الجزائر، 1432هـ - 2011م، ص 466-467.

² - الشريف بوشحدان: الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللّغة العربيّة، جامعة عنابة، الجزائر، جوان 2010، العدد السابع، ص 03.

³ - ينظر: بشير إبرير: اللسانيات العربيّة وأبعادها المعرفيّة في كتابات عبد الرحمان الحاج صالح اللسانية، ص 63-64.

2.1.2 جهود اللسانية:

لقد وضع الحاج صالح أصولا للبحث العلمي في التراث اللغوي، وعبر عنها بقوله: «كما يجب أن تكون في نظرنا»¹، وهذا نابع من أمانته العلمية، وجدّيته في البحث العلمي، فكانت هذه الأصول مفصلة في كتابه "السمع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة".

وله أعمال قيمة قدّمها للسانيات العامة والعربية على وجه الخصوص، كما يُضجع كل الأقوال للنقد والتّمحيص مهما كان مصدرها، عند القدماء أو عند المحدثين، عند العرب أو عند الغربيين، وحرص على احترام العالم مهما كان انتماءه. فليس التكبر من شيم العلماء العظماء، والتواضع العلمي كان من ميزته، كما أنّه رافع بكلّ موضوعية عن أصالة البحث اللغوي في القرون الأولى للهجرة، ودافع بكلّ استماتة عن خلق النحو العربي من منطق أرسطو في القرنين الأولين، وهذا الدّفاع جاء بعد معرفته وفهمه لمنطق أرسطو²، كما كانت له معرفة واسعة بالنحو العربي ممّا جعله يضع موازنة وتقصّيا، ما كان لأحد ممّن لم تكن له المعرفة بهذه الأمور أن يدركها ويتمكّن منها، وهذه ميزة تملّت فيه، كما أنّه تمكّن من المقارنة الموضوعية بين البنيوية الغربية والنحو العربي في زمان الخليل وسيبويه، ووقف عند الفروق الجوهرية بينهما ووجّه نقدا صارما للبنيوية في نزعتها الوصفية المغالية، كونها تعارض الاحتكام إلى المعيار، وترفض كلّ محاولة بتعليل الظواهر اللغوية³.

ومن المميّزات التي انفرد بها الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح هو إدخال ما يسمّى بتكنولوجيا اللّغة⁴، في البحث اللساني العلمي بمختلف تطبيقاته منذ سبعينات القرن الماضي.

¹ - عبد الرحمان الحاج صالح: السمع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص 09.

² - ينظر: الشريف بوشحان: الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح وجهوده العلمية، ص 04.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 3-4.

⁴ - عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء الأول، موفم للنشر، الجزائر، 2012، بحث بعنوان

تكنولوجيا اللّغة والتراث اللغوي العربي الأصيل، من ص 265 إلى ص 289.

يقول عبد الرحمان الحاج صالح: «أنَّ المقصود ليس هو إسقاط هذه المذاهب والنظريات الحديثة على المذاهب العربية القديمة، لا نريد النظر فيما أخرجته القدامى، وفي أعيننا نظارات خاصّة بالعصر الذي نعيش فيه، فنطمس الرؤية القديمة بالرؤية الجديدة ولو من بعض الجوانب، وكلّ يعرف أنّ لكلّ عصر نظرة خاصّة وتطوّراً خاصّاً للظواهر وكيفية خاصّة للكشف عن أسرارها»¹.

«والمتممّن في هذا القول يدرك منهجه العادل والأنفة اللغويّة والعربيّة التي امتلكها ممّا أدى به إلى تطوير نظريّات ورسم ووضع أصول للبحث العلمي، وكلّه حفاظاً على اللّغة العربيّة وتطويرها، فجمع بين التراث الأصيل والعلم المعاصر جمعاً أبهر به العلماء، وكان له من المتتبعين والتلاميذ المعاشين له والسامعين لعلمه والعاملين به وتأمّل تحقّق مشروعه الذي لم يتم قبل أن توافيه المنية، مشروع الذخيرة اللّغوية أو الانترنت العربي»².

كما أنّه يعدّ من الأوائل الذين عرّفوا القارئ العربي بأساسيات اللّسانيات الغربية، من خلال جهوده الكثيرة في علوم اللّسان العربي واللّسانيات التّربويّة، كما وضع نظرية لسانية عربيّة سمّاها: "النظريّة الخليلية الحديثة"³.

وقد كتب "الحاج صالح" في مواضيع شتى، ففي اللّسانيات العربيّة قد عرّف أباً لها كما عرف دي سوسير عند الغرب، وهذا راجع إلى فكره النيّر في دراساته العميقة، ومحاولة إثراء الساحة العلميّة، فقد وقّف إلى حدّ كبير في فهمه للتّراث، «ومن الطّريف حقّاً أن نرى مصطلحات علم الأصوات الحديث، تتفق أكثرها مع المصطلحات التي وضعها الخليل، وهي قريبة منها كلّ القرب، بل كان كثير منها يُشير إلى أنّها مصطلحات الخليل، تُرجمت ترجمة تكاد تكون حرفية:»

¹ - عبد الرحمان الحاج صالح: السّماع اللّغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص 08.

² - الشريف بوشحان: الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح وجهوده العلميّة في ترقية استعمال اللّغة العربيّة، ص 02.

³ - ينظر: سليمان بوراس: النظريّة الخليلية الحديثة مفهومها ومبادئها، مجلة العمدة في اللّسانيات وتحليل الخطاب، جامعة المسيلة،

- مصطلح (المجهور) يقابله بالإنجليزية مثلا مصطلح Voiced.

- مصطلح (المهموس) يقابله مصطلح Unvoiced أو Voiceless.

- مصطلح (الشديد) يقابله مصطلح Plosive أو Stop.

- مصطلح (الرخو) يقابله مصطلح Fricative أو Continuant.

- مصطلح (المكرر) وهو الرء يقابله Rolled أو Trilled¹.

ومعنى هذا أنّ هناك سبق في وضع المصطلحات العلمية من طرف العلماء العرب القدامى، ممّا أدّى بعبد الرحمان الحاج صالح إلى الإعجاب بفكر الخليل، وظهر نتاج ذلك في محاضراته وفي مقالاته اللغوية التي نشرها بعنوان: "مدخل إلى اللسان الحديث" في مجلة اللسانيات، وفي أعدادها الصادرة بين سنة 1971، وسنة 1974 بمعهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لجامعة الجزائر، تحت إشرافه، وفي النظرية الخليلية التي طوّرها فيما بعد²، إضافة إلى تبنيّه بعض مصطلحات العلماء العرب القدامى مثل مصطلح "علم اللسان" الذي فضله على المصطلحات التي ظهرت في العصر الحديث، فهم حين اتّصلوا بالدراسات اللغوية الغربية أطلقوا عليها أول الأمر "فقه اللغة" لما تبادر إلى أذهانهم من المناسبة بين المدلول لكلمة "فقه" العلم بالشيء والتعمّق في فهمه، وبين ما هو مطلوب في ال: Linguistics إذ هو بحث في أسرار اللسان، «ثم أطلقوا عليها طائفة من الأسماء مثل علم اللغة الألسنيّة، اللسانيات، اللّسنيات، اللّغويات الحديثة، الدراسات اللّغوية...»³.

¹ - مهدي المخزومي: عبقرى في الصّرة، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ط2، 1406هـ - 1986م، ص 41.

² - منصورى ميلود: الفكر اللّساني عند الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح من خلال مجلة اللّسانيات، مجلة العلوم الإنسانيّة - جامعة محمد خيضر بسكرة، المجلد 05، العدد 08، سنة 2005، ص 247.

³ - عبد السلام المسدي: قاموس اللّسانيات، ص 72.

ونجد عبد الرحمان الحاج صالح قد «فضّل كلمة (اللسان) على لفظة اللّغة لأنّ لفظة اللّغة كانت تطلق عند النحاة واللّغويين على عدّة معان، زيادة على ما يُفهم من تحديد ابن جني لها، وهو اللسان بوجه عام»¹.

والمفهوم العامّ الذي عُرف للفظ اللّغة ما عُرف في الحقيقة إلّا بعد نهاية القرن الثّاني الهجري وأنّ الأصل في الدّلالة عليه، ما استعمله القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾²، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعَلُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾³.

كذلك نجد قد تبني مصطلح (البنويّة) المنسوب إلى (البنية) وفضّله على كلمة (البنويّة) الشائعة عند اللّغويين العرب المحدثين لوصف مناهج المدارس الملقبة بـ: Structuraliste، ووضح سبب اختياره لهذه اللفظة بقوله: «اتبعنا في هذه النسبة رأي يونس بن حبيب النحوي الذي يقول في ظبية ظبوي وهو أخفّ من ظبيّ ووجهه للخليل»⁴.

ونجده يقول العلامة العدمية: «هي عند العرب أصل مهمّ من أصولها المنهجية لا بالنسبة إلى اللّغة فقط، بل بالنسبة إلى جميع العلوم الدقيقة والتّجريبية وهي مفهوم رياضيّ، ونرجح أنّ الخليل هو أوّل من استخرجه من مفهوم الصّفّر، بعد أن أدرك دوره في علم العدد، فطبقه على علوم العربية وبالخصوص النحو والعروض»⁵.

وربّما يكون المجال الصّوتي ألصق المجالات باللّسانيات الحديثة، فنجد له مصطلحا هو (Phonetics أو Phonétique) الذي تُرجم إلى (علم الصّوت)، و(منهج الأصوات)، و(علم

¹ - عبد الرحمان الحاج صالح: مجلة اللّسانيات، المجلد الأوّل، سنة 1971، ص 51.

² - سورة إبراهيم، الآية الكريمة 04.

³ - سورة النحل، الآية الكريمة 103.

⁴ - عبد الرحمان الحاج صالح: مجلة اللّسانيات، المجلد الأوّل، ص 38.

⁵ - المرجع نفسه، ص 55.

الأصوات العام)، و(علم الأصوات) و(علم الأصوات اللغوية) و(الصوتيات)، و(الصوتية) ¹، والمصطلح الذي اعتمده الحاج صالح هو (الصوتيات). ذلك أن: «أدقّ ترجمة لمصطلح Phonetics هي الصوتيات، وهي كلمة من قسمين، صوت: للدلالة على المادة المدروسة، يات: للدلالة على العلم، فيكون المعنى بذلك، علم الصوت أو علم الأصوات، قياسا على كلمات كثيرة منها: لسانيات، رياضيات...» ².

ومن الجهود اللسانية أيضا:

* تحديده لعلم اللسان وبعض مفاهيمه:

لقد عرف الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح بتعلّقه الشديد بما كتبه اللغويون والنحاة الأوائل، وعُرف أيضا باطلاعه الواسع على أعمال العلماء الغربيين ونظرياتهم وقراءاته الكثيرة المتواصلة للتراث اللغوي العربي مكنته من اكتشاف عناصر الأصالة ومقوماتها في الدرس اللغوي عند النحاة العرب، ودراساته لأعمال هؤلاء العلماء، كانت غاية في العمق والموضوعية مما جعله يتقصى الحقائق العلمية بالتوازي مع ما ظهر في البلدان الأوروبية والأمريكية في النصف الثاني من القرن العشرين بما يعرف بمصطلح (Linguistique)، ففي هذه الفترة من الزمن أصبح هذا العلم يُعدّ من أهمّ العلوم الإنسانية وأوسعها مجالاً، فوصل الأمر بالأستاذ إلى أن صنّفه كأحد العلوم الدقيقة والتجريبية ³.

ويبرز سرّ نجاح اللسانيات بأنّها استحدثت أسلوباً جديداً مخالفاً للنحو القديم في تناول موضوعها، وهو الظاهرة اللغوية، فمنهجها الآنيّ في دراسة اللغة أكسبها شرعية العلم المستقلّ بذاته ⁴.

¹ - أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر، آفاق معرفة متجدّدة، 2008، دمشق، برامكة، ط 3، ص 72.

² - ينظر: رضا زلاقي: الصوامت الشديدة في العربية الفصحى، دراسة مخبرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، تخصص الدراسات اللغوية النظرية، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، كلية الآداب واللغات، 2005-2006، ص 14.

³ - عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 07-08.

⁴ - عبد السلام المسدي: مباحث في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، بيروت- لبنان، 2010، ص 167.

لقد آثر الحاج صالح استخدام مصطلح (اللسانيات) وهي في نظره على شاكلة الرياضيات، أو البصريات والتي تمثل فرعاً من علم أوسع وأشمل منها وهو علم الأدلة (Sémiologie)، ولم يقف عند هذه النقطة بل بحث في اهتمامات اللسانيات ومجالاتها، وأدرك أنّ المجاز ليس ممّا تصبوا إليه اللسانيات وعلى سبيل المثال: قد استعملت لفظة "اللغة" مجازاً في قولهم "لغة الزهور" تعبيراً عن ألوانها ووضعيتها، وممّا لا يصدق عليه علم اللسان أيضاً الظواهر التابعة للأحداث اللسانية باعتبارها موضوعاً فرعياً مثل الظواهر التي تُنسب إلى علم النفس وعلم الاجتماع أو المنطق، ومن ثمّ يرى الحاج صالح أنّ اللسانيات إذا التفتت إلى هذه الأمور سترلّ عن مبدئها العام الذي سطره دي سوسير في دراسة اللغة لذاتها¹.

ويعتمد الحاج صالح في تحديد المجال الرئيس للسانيات على تعريف أندري مارتنيه للسان أنّه أداة تبليغ يمكن من خلالها تحليل ملفوظ الإنسان ويمكن تقسيم هذا التحليل إلى وحدات له محتوى معنوي كما لها صوتاً ملفوظاً تحت مصطلح (Monèmes) ويتجزأ هذا الصوت الملفوظ أيضاً إلى وحدات خاصة ومتعاقبة متمثلة في الوظيفة أو العناصر الصوتية (Phonème)، ويتحدّد عددها في كلّ لسان، وتختلف ماهيتها وطبيعة العلاقة القائمة بينها باختلاف الألسنة².

ومن ثمّ يكون مفهوم اللسان في نظر الحاج صالح متكوّن من عدّة صفات وهي أنّ³:

1. اللسان أداة تبليغ: الذي بدوره يتكوّن من عنصرين (الوظيفة والتخاطب).
2. تحليل اللغة للواقع: أي أنّ الإنسان يستعمل لغته تعبيراً عن الواقع المعاش.

¹ - ينظر: خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصة، ط2، حيدرة، الجزائر، 2000، ص 09.

² - ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 41.

³ - ينظر: شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر، ط 1، بيروت، لبنان، 2004، ص

3. خاصية التقطيع المزدوج للغة: ومن خلال هذه الخاصية يتبين لنا أنّ اللغة تحتوي على مستويين: التقطيع الأوّل (Première articulation) ويخصّ العناصر الدّالة على المعاني (Monèmes) ويمثّل له كالأتي: شرب الولد الماء ... شرب/ ال/ ولد/ ال/ ماء. أمّا المستوى الثاني فيتمثل في العناصر غير الدّالة أيّ أنّها عناصر صوتية خالية من المعنى (Phonème) أو كما يسمّيها الحاج صالح (حروف المباني).

ومن الجهود اللسانية للأستاذ الحاج صالح -رحمه الله- التي وجب علينا ذكرها النظرية الخليلية الحديثة دلالة على أنّ هناك نظرية قديمة تُنسب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) الذي أبحر العلماء العرب في عصره والعصور التي عقت عصره إلى يومنا هذا رغم بساطة الوسائل التي استعملها في وصف اللغة العربيّة، ممّا دفع بالأستاذ الحاج صالح إلى متابعة هذا الوصف اللساني وفق ما استجدّ من مناهج ونظريات لسانية حديثة وفي ضوء ما توصل إليه الإعلام الآلي تمهيدا لحوسبة اللغة العربيّة¹.

إنّما نظرية حديثة امتداد لما جاء به الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقف الأستاذ الحاج صالح من خلالها موقف التوفيق بين الأصالة والمعاصرة.

يرتبط ظهور هذه النظرية بأطروحة التي أعدّها لنيل شهادة الدكتوراه، والتي عكف على صياغتها صياغة حديثة بنظرة عصريّة تُرخي أواصرها تحت التراث لتنفي كلّ مظاهر التبعية الحداثيّة، وذلك بوصف اللسان العربي من منطلقات ومسلّمات عربيّة خالصة تحت مفاهيم أساسية تتمثّل في²:

- مفهوم الاستقامة.

¹ - ينظر: صالح بلعيد: مقاربات منهجية، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2004، ص 153.

² - ينظر: بشير إبرير: اللسانيات العربيّة وأبعادها المعرفيّة في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية، ص 204 - 206 -

211 - 212 و 213.

- الانفصال والابتداء.
- مفهوم الأصل والفرع.
- مفهوم الوضع والاستعمال.
- مفهوم العامل.
- مفهوم القياس.
- المثال - الباب.

إنّها مفاهيم تحمل عبق التراث فقد عُهدت عند الخليل وعند سيبويه وغيرهما ممّن أتقن فنّ العربية، فمثلا مفهوم الاستقامة نجده عند إمام النحو (سيبويه) وقد خصّص له بابا في كتابه تحت اسم "الاستقامة من الكلام والإحالة"¹.

أمّا مستويات التحليل في النظرية الخليلية الحديثة، فقد وضعت في خط تصاعدي بداية من المستوى الصّفر (0) الذي يمثّل الصفات المميّزة، ثمّ يليها المستوى الأوّل (1) الخاصّ بالحروف، فالمستوى الثاني (2) المتعلّق بالدوّال والمستوى الثالث الخاصّ بالكلمات والمستوى الرابع المتمثّل في اللفظّات ثمّ يأتي المستوى الخامس المتمثّل في أبنية الكلام، ومجموع هذه المستويات الخمس يعبر عن مستوى الوضع اللّغوي، أمّا المستوى السادس الذي يُعنى بدراسة الخطاب أو الحديث فهو يعبر عن الاستعمال اللّغوي².

إنّ نظرية الحاج صالح اللسانية لها أبعاد وظيفية استثمارية أي أنّها تُحمل على الصّاعدين النظري والتطبيقي لخدمة اللّغة العربيّة، وأبرز مجال يمكن أن تستثمر فيه هذه النظرية هو التعليمية La didactique، حيث عمل الأستاذ على توضيح طريقة استثمارها من خلال عدّة بحوث نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

¹ - ينظر: بشير إيرير: اللسانيات العربيّة وأبعادها المعرفيّة في كتابات عبد الرحمان الحاج صالح اللسانية، ص 204.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 219.

- أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربيّة، وقد نشره في مجلّة اللسانيات، عدد 4 سنة 1974.

- اللّغة العربيّة بين المشافهة والتحرير، نشره في مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة سنة 1992.
- الأسس العلميّة واللّغويّة لبناء مناهج اللّغة العربيّة في التعليم ما قبل الجامعي ألقى في ندوة بناء المناهج التعليميّة جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض سنة 1985 ونشر بمجلّة التربية (الأليسكو) سنة 1985¹.

هذه نبذة مختصرة عن جهود الحاج صالح في اللسانيات، وبالمقارنة مع ما تركه من بحوث وخبرات في المجال اللّغوي يُعدّ ما ذكرناه من هذه الجهود فقط رؤوس أقلام هذا بالإضافة إلى حرصه الشديد على حوسبة اللّغة العربيّة من خلال مشروعه "الذخيرة اللّغويّة" التي يقول عن سرّها «أتمّها فهرسة كامنة كبيرة شاملة لكلّ ما أنتجه الفكر العربي منذ الجاهلية إلى يومنا هذا، إذ في إمكان الحاسوب أن يمدّ الباحث بأيّة معلومة عن وجود كلمة، ومختلف معانيها بسياقاتها، ومدى تكرارها في نص، بل وفي جميع النصوص المتعلّقة بميدان معيّن»².

إنّها الفكرة الذهنية التي إن جُسّدت على أرض الواقع حقيقة، ستظفر اللّغة العربيّة بخطّ وافر في أن تعود إلى سابق عهدها وضعا واستعمالا.

2.2 الجهود اللسانية لأحمد حساني:

1.2.2 التعريف بأحمد حساني:

الأستاذ أحمد حساني من مواليد ولاية سعيدة (الجزائر)، اهتمّ بالميدان اللساني، شغل منصب أستاذ في جامعة وهران (الجزائر) سابقا، وأستاذ اللسانيات في كلية الدراسات الإسلامية والعربية (دبي) للإمارات العربية المتحدة منذ سنة 2006 إلى الآن.

¹ - ينظر: بشير إيرير: اللسانيات العربيّة وأبعادها المعرفيّة في كتابات عبد الرحمان الحاج صالح اللسانية، ص 243-244.

² - عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، ج 2، ص 154-155.

كما شغل منصب عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية دبي من 2008 إلى 2013 ويشغل حاليا رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بالكلية نفسها: ترأس مشاريع الماجستير في اللسانيات التطبيقية وتعليمية اللغات من 2001 إلى 2004 (جامعة وهران) الجزائر:

- عضو في الهيئات العلمية لكثير من المجالات العربية.
- عضو في لجان تحكيم الأبحاث والترقيات المعتمدة في الجامعات العربية.
- له حضور في كثير من الندوات والمؤتمرات الوطنية والدولية.
- يؤطر رسائل الماجستير والدكتوراه، ويسهم في ترقية البحث العلمي على مستوى كثير من جامعات الخليج العربي¹.

كما له دور فعال في تنظيم الملتقيات فكان²:

- عضو في لجنة تنظيم الملتقى الدولي الأول "استراتيجية الترجمة" من تنظيم قسم الترجمة بجامعة وهران (6-7-8 ماي 2001).
- عضو في لجنة تنظيم الملتقى الوطني الأول حول "واقع الدراسات اللسانية في الجزائر" تنظيم قسم اللغة العربية وآدابها جامعة وهران (16-17 ديسمبر 2002).
- نائب رئيس لجنة تنظيم الملتقى الدولي الأول حول "اللسانيات وتحليل النصوص" تنظيم قسم اللغة العربية وآدابها جامعة وهران (12-13 ديسمبر 2004).
- عضو في لجنة تنظيم الملتقى الدولي الخامس حول "الرهانات الاقتصادية للترجمة" تنظيم قسم الترجمة جامعة وهران (23-24 ماي 2005).

كما كانت له مشاركات في المخابر ومشاريع البحث مثل:

¹ - موقع إلكتروني: PDF - كتب - أحمد - حساني / <https://www.noor-book.com/>

² - موقع إلكتروني: <https://web.facebook.com/Pg/didalingui/about.Ahmedelhassani2012@yahoo.fr>

مشاركته كرئيس فرقة بحث اللسانيات التطبيقية وعلوم الاتصال في مخبر ثقافة الاتصال المكتوب والسمعي البصري، الوسائط والتقنيات بقسم اللغة العربية وآدابها جامعة وهران، اعتمد في نوفمبر 2004، وله مسار تعليمي وعلمي كبير بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي الإمارات العربية المتحدة.

2.2.2 الجهود اللسانية لأحمد حساني:

يعتبر الأستاذ حساني من اللسانيين الجزائريين المحافظين على التراث العربي ومن المطلعين على اللسانيات الغربية العارفين بمناهجها، الراغبين على اعتماد منهج لغوي شامل يركز على المنطلقات النظرية وكذا الإجراءات التطبيقية في دراسة اللغة العربية ووصفها لسانيا، من خلال عدّة بحوث أبرزها كتاب "مباحث في اللسانيات" وكتاب "دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات" وعدّة بحوث أخرى منها: "العلامة في التراث اللساني العربي" و"الإيقاع وعلاقته بالدلالة في الشعر الجاهلي" و"النظام النحوي العربي بين الخطاب الفلسفي والخطاب التعليمي"¹.

لقد عمل جاهدا على تبسيط اللسانيات للقارئ العربي وذلك من خلال عرض لأبرز المفاهيم الأولية والأساسية لهذا العلم وربطها بالفكر العربي، ومن ثمّ «فإنّ اللسانيات في الفكر العربي المعاصر، بكلّ مكوّناته الثقافية والحضارية، يجب أن تستقطب إنجازات الفكر اللساني العالمي بوعي علمي عميق لاستيعاب النظرية اللسانية العالمية استيعابا واعيا من جهة واستلهام الجوهر العلمي للترصيد المعرفي العربي الأصيل من جهة أخرى»².

لقد جعل من اللسانيات واجبا، على الفكر العربي التمحيص فيه لأنّه محمّل بالثقافات الغريبة التي قد تمسّ بالكيان العربي، كما أنّه يُضمر جوهرًا علميًا لا يمكن الاستغناء عنه في تطوير الدرس

¹ - ينظر: الموقع الإلكتروني /أحمد حساني/ <https://ketabpedia.com/book-author/>

² - أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ط 2، 2013، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي الكرامة شارع زعبل الإمارات العربية المتحدة، ص 05.

اللغوي العربي، ويُضيف الأستاذ في هذا الصدد أنه إذا حصل هذا الوعي وهذا التوفيق الجاد بين العلمين الغربي والعربي فإنّ الفكر العربي سيتخطّى مرحلة التلقّي السلبية المتمثلة في الترجمة، إلى مرحلة متقدّمة من الرّقي يكون فيها الفكر العربي مشاركا وحاضرا في المعرفة العالمية بغرض النهوض بالخطاب العلمي العالمي¹.

لقد جعل الأستاذ حساني من كتابه "مباحث في اللسانيات" بادرة خير يؤسس بها لمشروعه اللساني الموجه إلى القارئ العربي الذي يصبّوا إلى المعرفة اللسانية، وهذا من خلال رسم خطة تبسيطية تمثّلت في²:

- القسم الأول من هذا الكتاب يخصّ الأسس والمفاهيم وذلك بعرض الإطار النظري الذي انتظم فيه الفكر اللساني المعاصر، وكذا عرض المفاهيم والاصطلاحات مرفقة بالإجراءات التطبيقية.

- القسم الثاني: فقد تمثّل في ثلاث مباحث وهي:

1. المبحث الصوتي: وقد بسط فيه المجال النظري والإجرائي للدراسة الصوتية على الصعيد الفيزيائي وكذا الفيزيولوجي وصولا إلى الصعيد الوظيفي.
2. المبحث التركيبي: ويقوم هذا المبحث على بسط جهود الدارسين اللسانيين فيما يخصّ البنية التركيبية وكذا العمل على تحليلها بغرض الوصول إلى استكناه الآلية الضمنية للوسائط الوظيفية.
3. المبحث الدلالي: وهذا المبحث تظهر فيه ملامح المقاربة العلمية لمقولات الدلالة عند العرب الأقدمين في ظلّ النظرية الدلالية الحديثة.

¹ - ينظر: أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص 06.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 07.

من خلال المصطلحات التي وسمت بها هذه المباحث يظهر جلياً أنّ الأستاذ حساني مشبّع بالأفكار التراثية، فهو إذ يرمي إلى مشروع حضاري حديث لم يغادر بفكره أصالة المعرفة اللغوية.

ومن جهوده اللسانية أيضاً في هذا الكتاب هو عرضه المفصّل للدراسات اللغوية المتعاقبة بين الحضارات والتي مهّدت لظهور اللسانيات، وعلى رأسها الحضارة العربية والإسلامية¹، والتي لطالما عبرت عن الثغرة التاريخية في التأريخ للسانيات عند الغرب، وقد سُدّت بذكرها في مواقف كثيرة ومن طرف العديد من اللسانيين العرب أمثال: عبد الرحمان الحاج صالح وكذا الأستاذ عبد السلام المسدي وغيرهما ممّن أدركوا قدر العلوم العربيّة.

لقد عمد الأستاذ حساني في هذا الكتاب أيضاً إلى إبراز مستويات التحليل اللساني، وذلك من خلال النظر إلى موضوع اللسانيات الذي يتجلى في أبعاد ثلاثة وهي (الصوّتي والتّركيبي والدّلالي)، وبالتالي سينتج ثلاث مستويات للتحليل اللساني ممثلة في²:

- المستوى الصوتي.
- المستوى التركيبي.
- المستوى الدّلالي.

لقد اهتمّ الأستاذ حساني باللّسانيات تنظيراً وتطبيقاً إيماناً منه أنّ العلم يجمع بين التّظري والتّطبيقي على حدّ سواء، وهنا وجب علينا أن نذكر فضله على تعليمية اللّغات من خلال مؤلّفه الموسوم "دراسات في اللّسانيات التطبيقية" ويرى في هذا الصّدّد أنّ مجال تعليمية اللّغات يرتكز على المحاور التّالية³:

¹ - ينظر: أحمد حساني: مباحث في اللّسانيات، ص 09 إلى 13.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 25 - 26.

³ - ينظر: أحمد حساني: دراسات في اللّسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللّغات، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2009، ورقة المقدمة رقم 02.

- المرجعية المعرفية للنظرية اللسانية المعاصرة.
- الأسس النفسية لعملية التعليم.
- خصائص النظام التواصلية عند الإنسان.
- مراحل اكتساب النظام اللساني عند الطفل.

هذا إلى جانب ذكره لأهمية اللسانيات التطبيقية وأثرها في ترقية تعليم اللغات، فهي في نظره صورة واقعية للدّرس اللّغوي النظري امتثالا للنتائج المتوصّل إليها واستثمارها، وكذا الإفادة منها في عدّة ميادين أخرى من المعرفة الإنسانيّة¹.

ومن هنا يظهر شغف علمائنا باللّغة العربيّة، ورغبتهم في إثرائها وتطويرها ووصفها وصفا يحافظ على ميزتها وخصوصيتها.

3.2 الجهود اللسانية لعبد القادر الفاسي الفهري:

1.3.2 نبذة مختصرة عن حياة عبد القادر الفاسي الفهري:

ولد الأستاذ "عبد القادر الفاسي الفهري" يوم 20 أبريل 1947 في فاس بالمغرب، تلقى أساسيات التعليم في مسقط رأسه، وقد برع في الإلمام بالفرنسية وكذا الحساب، وبموجبه نال إجازة في اللّغة العربيّة، وبعد مدّة شغل منصب مدير معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بجامعة محمد الخامس - السويسي، الرباط²، هذا بالإضافة إلى منصب³:

¹ - ينظر: أحمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، ص 121.

² - ينظر: موسوعة الجزيرة، فضاء من المعرفة الرقمية:

<https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icoms/13/10/2014>

³ - عبد القادر الفاسي الفهري: اللّغة والبيئة، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003م، من ورقة

- أستاذ التعليم العالي (اللسانيات العربية والمقارنة، والصرف والتركيب، المعجم، الدلالة)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بالرباط جامعة محمد الخامس أكادال.
- عضو اللجنة الخاصة للتربية والتكوين.
- مشرف أو عضو في عدد من المشاريع البحثية الوطنية والدولية (في اللسانيات المقارنة، والحاسوبية والتعليمية والاصطلاح والمعجم).
- أستاذ وباحث مدعو إلى عدد من الندوات والجامعات العربية والأوروبية والأمريكية.
- خبير لدى عدد من المؤسسات العربية والدولية.
- مؤلف مقالات لسانية ومعرفية رائدة منشورة بالعربية والإنجليزية والفرنسية ومشرف على عدد من المعاجم المصطلحية.
- حاصل على جائزة الاستحقاق الكبرى للثقافة والعلوم بالمغرب سنة 1992م.

3 من مؤلفاته التي كتبت باللغة العربية:

- اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء 1985 عويدات بيروت وآفاق عربية ببغداد في خمس طبعات.
- المعجم العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1986، صدر في طبعتين.

2.3.2 جهود الفاسي الفهري في اللسانيات:

لقد توجه الفاسي الفهري إلى تبني النظرية التوليدية التحويلية وهي نظرية غربية تُنسب إلى "تشومسكي" منذ أن صدر كتابه الموسوم بـ "البنى التركيبية" سنة 1957م، والتي تصبوا إلى اكتشاف البنى التركيبية، وما كان للفاسي الفهري إلا أن يُمثلها أحسن تمثيل، وذلك بتطبيق قواعدها على اللغة العربية، بدءًا بالنموذج المعيار 1965، ويليهِ المعيار الموسع 1978م، ثم يأتي دور الربط العاملي...

وهذا ضمن مؤلفاته: "اللّسانيات واللّغة" في جزأين، وكذا "المعجم العربي"، و"البناء الموازي"، و"لسانيات الظواهر" و"باب التعلّيق"¹.

يرى الفاسي الفهري أنّ اللّغة العربيّة المرادة بالوصف تتغيّر بتغيّر الظروف التاريخية، ويتبعها تغيّر في الوصف ومن ثمّ فإنّ اللّغة الموصوفة من طرف سيبويه تختلف عن اللّغة الموصوفة عند غيره أمثال: تمام حسان، أو أحمد المتوكل أو عند الفاسي الفهري نفسه².

من خلال هذه الرؤية يتّضح لنا أنّ الفاسي الفهري يصبوا إلى وصف اللّغة المستعملة اليومية، تلك اللّغة التي اعتراها الكثير من التغيّر، ولا يقصد اللّغة العربيّة المضبوطة نحوياً، والتي حُفظت بحفظ القرآن الكريم لها، وهذا من صميم الجدل الذي وقع فيه اللّسانيون العرب، جدل في ماهية موضوع الوصف اللّساني.

يعتبر كتاب الفاسي الفهري الموسوم بـ"اللّسانيات واللّغة العربيّة" من أهم الكتب اللّسانية التي ارتكزت على مبادئ غربية في وصف اللّغة العربيّة، وبالتحديد النموذج الغربي للباحثة برزنان (1978م) والذي ينصّ على³:

- اعتبار اللّغة العربيّة كسائر اللّغات البشريّة التي يطرأ عليها التغيّر.
- عجز النّحو العربي على وصف اللّغة العربيّة الراهنة.
- عدم شمولية الوصف النحوي القديم.

¹ - ينظر: حافظ إسماعيل علوي: اللّسانيات في الثقافة العربيّة المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2009، ص 223.

² - ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري: اللّسانيات واللّغة العربيّة، نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 3، 1993م، (65/1).

³ - عبد القادر الفاسي الفهري: اللّسانيات واللّغة العربيّة، نماذج تركيبية ودلالية، المغرب، دار توبقال للنشر، ط 1، 1985-1986م، ص 31-33-53-56-81.

- تشابه اللغة العربية مع اللغات الطبيعية في التركيب البنيوي.
 - العزوف عن المنهج الوصفي.
 - وجب نقد الوصفية العربية لنسبية نظرتها.
 - وجوب تأسيس لسانيات ظواهر للعربية يخضع الاستدلال فيها إلى التجربة.
 - وجوب أن تكون القواعد التركيبية إسقاطا للمعجم.
- لقد أدى تطبيق هذه المبادئ إلى العمل وفق مستويين:

أ - المستوى الإجرائي:

قام الفاسي الفهري بإبراز العلاقات (الروابط) التي تتشكّل بين البنية المحمولية (العلاقات الدلالية) وبين البنية المكونية الظاهرة، وتتكفّل بعض الوظائف بدور التنسيق بين هاتين البنيتين مثل وظيفة الفاعل والمفعول غير المباشرين وكذا المالك والفضلة، ويمكن أن تُسند هذه الوظائف إلى المكونات بفضل نوعين من القواعد يتمثلان في القواعد التركيبية والقواعد المعجمية اللتان لهما دور في التحكم في البنية الوظيفية باعتبارها مدخلا للمكوّن الدلالي الذي يُشكّل في هذه الحالة الصورة المنطقية، أما الصورة المنطوقة أو الصوتية النهائية فيقوم بها المكوّن الصوتي¹.

ب - المستوى التركيبي:

في هذا المستوى يعتمد الفاسي الفهري على مبادئ النظرية التوليدية التحويلية في تحديد الرتبة، التي تختلف حسب موضعها أكان في البنية العميقة أم كان في البنية السطحية، وفي نظره أنّ النّحاة

¹ - ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري: ملاحظات حول الكتابة اللسانية، مجلة تكامل المعرفة، العدد 9، المغرب، سنة 1984م،

القدامى قد خاضوا في قضية الأصل في الرتبة وتوصلوا إلى عدّة آراء، ومع ذلك لا يمكن التسليم بها من دون وعي¹.

3 قضية التبئير:

ترتبط قضية التبئير بموضوع الرتبة في نظر الفاسي الفهري، وهي عملية لغوية يُنقل من خلالها المركّب النحوي من مكانه الداخلي إلى مكان خارجي مع اشتغال هذا المركّب على موقعين معاً الداخلي منه والخارجي مع عدم وجود أثر ضميري في الموقع السالف، هذا إلى جانب أنّ الفاسي الفهري يفترض وجود نوعين من المركبات داخل البنية المكوّنة وهي: المركبات الاسمية (م إ س) وكذا العناصر الوظيفية ك: الضمير المستتر والعناصر الفارغة، وهذا امتثالا لنظرية الربط الإحالي².

4 نظرة الفاسي الفهري للتحليل:

يعتمد الفاسي الفهري على مبدأ التفسير أثناء التحليل اللغوي، وهو من أساسيات النظرية التوليدية التحويلية ذلك أنّه مفهوم شامل تُفسّر من خلاله النظم اللغوية وفق مفاهيم نحوية كالتطابق والإحالة الإعرابية، والتقدير وكذا الحذف والزمن، إضافة إلى احترام القضايا المعجمية كالمعنى والتعددية...³، وبموجب هذا الطرح قد انتقد الوصفين أمثال "تمام حسان" باعتبار أنّهم رفضوا العلة، إلى جانب رفضهم للإعراب التقديري ونظرية العامل⁴.

5 النظرة المعجمية عند الفاسي الفهري:

¹ - ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، ص 134.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 119 - 120.

³ - ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري: المعجمية والتوسيط، دار توبقال، د ط، 1997م، ص 75 - 105.

⁴ - ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، ص 58.

إنّ المبادئ التي تركز عليها النظرية التوليدية التحويلية تقتضي بالضرورة الإحاطة بالميدان المعجمي الذي لا ينفك يمثّل لبنة أساسية في وصف أي لغة من اللغات، وهذا ما دفع الأستاذ الفهري إلى البحث فيه ليدرك أنّ القاموس العربي مازال في صورته التي كان عليها في القرون الأولى¹، وأنّه من الضروري التحديد فيه بحسب الوضع الراهن للغة العربية.

هذه بعض الأمثلة التي يمكن أن نذكرها عن جهود "الفاسي الفهري" في اللسانيات، جهود ارتكزت على نظرية غربية المنهج متمثل في المنهج التوليدي التحويلي بكفاية تفسيرية وبموضوع لساني عربي.

4.2 جهود أحمد المتوكل في اللسانيات:

1.4.2 السيرة العلمية لأحمد المتوكل:

"أحمد المتوكل" هو من الباحثين اللسانيين، ولد بالرباط -المغرب- في بداية الأربعينيات، تحصل على شهادة البكالوريا، كما تحصل على إجازة في الأدب واللغة الفرنسيين، وبعدها حضر للدكتوراه في اللغويات وكان موضوع رسالته "أفعال الاتجاه في اللغة الفرنسية" ضمن مقاربة سيميائية، إضافة إلى إلمامه بالمجال التداولي، ممّا أهله إلى وصف وتفسير العديد من قضايا اللغة العربية تحت لواء نظرية لسانية جديدة موسومة بـ"نحو اللغة العربية الوظيفي"، وهذا بعد تبنيه لنظرية النحو الوظيفي الغربية التي ترجع أصولها إلى "سيمون ديك" (Simon Dike)².

لقد كانت بداية أبحاثه في المجال الوظيفي منذ منتصف الثمانينات وخاصة مع كتابه "الوظائف التداولية في اللغة العربية" الذي طُبع عام 1985، أمّا كتاب "نحو قراءة جديدة لنظرية النظم عند

¹ - ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، ص05.

² - ينظر من السيرة الذاتية للدكتور أحمد المتوكل من طرف منتديات الرقراق: <https://alrakrak.yoo7.com/t3400-topic> من طرف Dina Farah السبت مارس 02، 2013 7:26 pm وينظر كذلك عبد الفتاح الحموز: نحو اللغة العربية الوظيفي في مقاربة أحمد المتوكل، دار جرير للنشر والتوزيع، 2012، ص 09.

الجرجاني"، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1976، وكتاب "اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام الحواري" الصادر عام 1984 فقد كانا بمثابة تمهيد لمشروعه الوظيفي، وقد اعتمدهما كمرجعين لنظريته الوظيفية¹، التي يصبوا من خلالها إلى «إقام حوار مثمر بين الفكر اللغوي العربي القديم والفكر اللساني الحديث على أساس القرض والاقتراض رغم انتماء الفكرين إلى حقلين نظريين متباينين»².

2.4.2 جهود أحمد المتوكل في اللسانيات:

أ- مفهوم النحو الوظيفي:

يبدو المفهوم الأولي الذي ارتبط بهاتين اللَّفظتين (النحو، الوظيفي) هو مفهوم لسانيّ مبسّط أدركته جلّ المدارس اللسانية باعتبار أنّ هناك وظيفة أساسية للغة وهي التواصل، إلا أنّ النحو الوظيفي يأخذ مفهوماً مخصوصاً ينظر من منطلق تداولي لتحديد الخصائص التركيبية والصرفية التي تضمنتها البنية اللغوية الأمر الذي ميّز هذا النحو من بين نماذج وظيفية أخرى³.

يمكن أن تُوصف النظرة اللسانية لأحمد المتوكل، أنّها نظرة قد استوفت كل المسار اللساني الحديث، باعتبار أنّ بداية المسار كانت بنيوية، تهتمّ بوصف بنية الجمل والعبارات والكلمات، مروراً بالنظرة التوليدية التحويلية مع بداية كتاب "البنى النحوية Syntactic structures" لتشومسكي (1957)، وصولاً إلى النظرة التداولية التي عرفت عند (أوستين وسيرل وغرايس) لينتج لنا نظرة شاملة تمثّلت في النحو الوظيفي الذي يتركز على الدلالة والتداول على حدّ سواء.

في هذا الصدد يقول أحمد المتوكل: «أمّا في الأنحاء الوظيفية فإنّ الدلالة والتداول يشكّلان مستويين يتضمّنان كلّ المعلومات التي تحتاجها القواعد التركيبية المحدد لرتبة المكونات، وحالتها

¹ - ينظر: أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، ط1، 1985، ص 184.

² - المرجع نفسه، ص 183.

³ - ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس المنهجية، ص 258.

الإعرابية، وغير ذلك من الخصائص التركيبية، ففي النحو الوظيفي مثلاً تُجرى "قواعد التعبير" القواعد التركيبية الصرفية "على أساس المعلومات المتوقّرة في البنية الوظيفية"، أي البنية التي تتضمن التأشير للخصائص الدلالية والتداولية»¹.

أي أنّ النحو الوظيفي هو نحو بمفهوم جديد لا يتركز فقط على الوظائف التركيبية والتحوية التي تؤدّيها الكلمات والعبارات والجمل، بل يصبوا إلى إدراك واستكناه الوظائف الدلالية والتداولية، ومن ثم فهو جهاز مركّب من وظائف (تركيبية، دلالية، وتداولية)².

هذا بالإضافة إلى بعض المقترحات والنماذج الفلسفية التي تستوعبها التداولية كنظرية الأفعال اللغوية، وكذا قوانين الحوار ومستلزماته³.

من خلال هذا الطرح يمكن أن تُوضع نظرية النحو الوظيفي في مقابل النظريات اللسانية غير الوظيفية أو كما يطلق عليها (الصورية) ذلك أنّها تقوم على "افتراض وظيفة" للسان البشري تتمثل في إتاحة المجال للتواصل المجتمعي، ممّا يسهّل عملية تحديد الخصائص (الصرفية، التركيبية، المعجمية) التي تكمن في العبارات اللغوية⁴.

يحاول "أحمد المتوكل" أن يشرح نظريته النحوية من خلال كتابه "قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي" وذلك بتوضيح الخطوات التي مرّت بها هذه النظرية، والتي تنحصر في مرحلتين أساسيتين تمثلتا في مؤلفين لسيمون ديك (Simon Dike)

¹ - أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 2، 2010.

² - ينظر: يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2014، ص 91.

³ - ينظر: يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص 91.

⁴ - ينظر: أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، 1995، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ص 13.

الأول عام 1978م، والثاني عام 1989م¹، وهما مرحلتين في نظر أحمد المتوكل تختلفان عن بعضهما في أمرين²:

◀ أولاً: أصبح الجهاز الواصف، باعتباره نموذجاً لمستعمل اللغة الطبيعية جهازاً مركباً متعدّد القوالب.

◀ ثانياً: انتقل التمثيل التحتي للعبارات اللغوية من بنية بسيطة إلى بنية متعدّدة الطبقات. هذا إلى جانب ذكر أهمّ المرتكزات المنهجية لنظرية النحو الوظيفي تحت عنوان "المبادئ المنهجية" والتي بدورها تعتمد على أربعة محاور هي³:

- وظيفة اللغة.

- البنية والوظيفة.

- موضوع الوصف اللغوي.

- ضوابط الوصف اللغوي.

1. وظيفة اللغة: في نظر أحمد المتوكل أنّ وظيفة اللغة لها وجهين، وجه بنيوي صوري، ووجه وظيفي يسمح بالتواصل داخل المجتمع، ومن ثمّ فإنّ اللغة هي بنية كما أنّها أداة في الوقت نفسه⁴.

2. البنية والوظيفة: وهما في نظره ثنائية لا يمكن الفصل بينهما، وأنّ الوظيفة تتحقّق بعد ثبوت البنية؛ أيّ أنّها تابعة لها.

¹ - ينظر: أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 13.

² - المرجع نفسه، ص 12 - 13.

³ - المرجع نفسه، ص 13.

⁴ - ينظر المرجع نفسه، ص 14.

3. موضوع الوصف اللغوي: يقوم أحمد المتوكل بتحديد مفهوم الوصف اللغوي بأنه يمثل "قدرة" المتكلم، المستمع، وهنا نستحضر مقولة تشومسكي كذلك عن قدرة المتكلم والمستمع بأتمها قدرة نحوية وقدرة تداولية، إلا أنّ هناك اختلاف عند الوظيفيين كما عند التداولين في جعل القدرة اللغوية منفصلة بل هي موحدة لا يمكن الفصل بين ركنيها وتسمى عندهم "القدرة التواصلية"¹، وهي رؤية شاملة لموضوع الوصف اللغوي، فهو ينطلق من البنية ليصل إلى المتبغى التواصلية.

4. ضوابط الوصف اللغوي: هي ما تصبوا إليه نظرية النحو الوظيفي، وهي في نظر أحمد المتوكل مطامح ثلاث²:

- الكفاية التداولية.
- الكفاية النفسية.
- الكفاية النمطية.

هي كفايات ساعدت على اكتشاف الوجه الآخر للغة، وجه تداولي متحرك تتحرك فيه نفسية المتواصلين.

وفي هذا الصدد نذكر مؤلفاً آخر لأحمد المتوكل يركز على الوظائف التداولية في اللغة العربية، من خلال دراسة خصائص المكونات المسندة إليها "المبتدأ" و"الذيل" و"البؤرة" و"المحور" و"المنادى"، بعنوان "الوظائف التداولية في اللغة العربية"

¹ - ينظر: أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 14.

² - المرجع نفسه، ص 19 - 20 - 21.

و ممّا لاحظته أحمد المتوكل أنّ اللّغويين العرب الأوائل نحاة وبلاغيين، قد قاموا بدراسة هذه البنيات «في إطار التفاعل بين بنية "المقال" ومقتضيات "المقام"، فاقترحوا لكلّ من ظاهرة "التخصيص" وظاهرة "العناية" وظاهرة "التوكيد" وظاهرة "الحصر"¹. وليشرح القول أكثر أعطى مثالا لظاهرة التخصيص.

مثال: قصيدة ألفث (لا كتاباً)، فكلمة "قصيدة" تأخذ موضع الصّدر، كونه حاملاً لوظيفة تداوليّة بارزة هي وظيفة التخصيص².

الملاحظ من هذا المثال أنّه صيغته عربيّة بالرّغم من أنّ النظرية التي طبّقت عليه هي نظرية النّحو الوظيفي التي أتى بها سيمون ديك، وهذا ما نسميه بتلاقح النظريات اللّسانية (العربية والغربية) أي أن يُدرس النحو العربي في ضوء المناهج الغربية، مع الحرص على الرّؤية العربية السّليمة. وفي هذه الحالة طبقت نظرية النحو الوظيفي على اللّغة العربيّة ممّا زادها ثراءً وساعد على فهمها من عدّة مناحي، كما أبدع أحمد المتوكل وأضاف لمستته الخاصّة على هذه النظرية بأن وضع وظيفة أخرى وهي وظيفة "المنادى" التي تساعد النّحو الوظيفي على أخذ كفايته من وصف اللّغة العربيّة على وجه خاص ووصف اللّغات الطبيعيّة بوجه عام³.

ومجموع الوظائف التداولية بعد هذه الإضافة هي خمس وظائف⁴:

(1) وظيفتين داخليتين وهما: البؤرة والمحور.

(2) ثلاث وظائف خارجية وهي: المبتدأ، الذيل والمنادى.

¹ - أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللّغة العربيّة، دار الثقافة، ط 1، 1985، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ص 08.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 08.

³ - ينظر: أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللّغة العربيّة، ص 17.

⁴ - المرجع نفسه، ص 17.

ويقترح أحمد المتوكل أن يميّز داخل وظيفة البؤرة نفسها بين "بؤرة جديد" (Focus of new) و"بؤرة مقابلة" (Focus of contrast) من حيث "نوعية البؤرة"، وبين "بؤرة المكون" (Focus of constituent) و"بؤرة الحمل" (Focus of prédication) من حيث مجال "التبئير" Scop¹.

نلاحظ أنّ للبؤرة وحدها عدّة أنواع، وهذا التعدّد يرجع إلى طبيعة اللّغة العربية المتنوعة والثرية معنى ومبنى.

كما أنّه توجد ثلاث مستويات تنتظم وفقها وظائف هذه النظرية وهي²:

- الوظائف الدلالية: وتتمثّل في: المنقّد، الهدف، الزمان، المكان وغيرها.

- الوظائف التركيبية: وتتمثّل في: الفاعل والمفعول.

- الوظائف التداولية: وتتمثّل في: المنادى، المبتدأ، الذيل، المحور والبؤرة.

يمكن رصد هذه الوظائف في الجملة التي تُصاغ وفق تركيب خاصّ يكوّن عدّة دلالات تسير ضمن خطّ تداولي يرسم بين المتكلّم والمخاطب.

ب - مفهوم البؤرة في نظرية النحو الوظيفي:

ينظر أحمد المتوكل في تعريفه للبؤرة من منظور سيمون ديك، فهي تمثل الوظيفة الخاصّة بالمكوّن الذي يُلقى على عاتقه حمل المعلومة الأكثر بروزاً والأهمّ في موقف تواصلية معين، والتي يرى المتكلّم

¹ - أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللّغة العربيّة، ص 17.

² - ينظر: سعيدة زيغند: البؤرة في نظرية النحو الوظيفي، قراءة جديدة في تنميط أحمد المتوكل، مجلة التواصل في اللّغات والثقافة والآداب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باجي مختار، عنابة، عدد 31، سبتمبر 2012، ص 134.

أثما تملك الأولوية بأن تصل إلى ذهن المخاطب لتحديث التغييرات المنشودة، والتي تمثل في حد ذاتها فرقا بين مقرون المتكلم ومقرون المخاطب¹.

إنّ نظرية النحو الوظيفي كمشروع لساني عربيّ تحتاج إلى جهاز مفاهيمي تأسيسيّ يُمهّد فيه للقارئ العربيّ عامّة وللباحث المختصّ الأسس الأولى للمنهجية الوظيفية التي من شأنها تيسير فهم النحو العربيّ، وهذا ما ركّز عليه أحمد المتوكّل حينما بسط مجموعة من المفاهيم التي تنتمي إلى الحقل التداوليّ، وهو حقل في نظره غير كاف ذلك «أنّه لا يشكل إلاّ جزءاً من نحو وظيفيّ شامل لهذه اللّغة، فالوصف الشامل الدقيق للبنيات الأساسية في اللّغة العربية يستلزم دراسة أخرى تهتم بالمعجم وتحديد الوظائف الدلالية وسلميتها وتحديد الوظائف التركيبيّة والقيود الضابطة لإسنادها وتحديد قواعد النبر والتنغيم»².

ويستمر الأستاذ في بسط هذه المفاهيم بعد أن شرح مفهوم البؤرة ويحرص على النظرة الشمولية للنحو الوظيفي التي تجمع بين عدّة وظائف (دلالية، تركيبية، تداولية).

ج - مفهوم المحور:

كلمة محور مع ما تحمله من مركزية في المعنى العام، إلاّ أنّها قد تخرج عن هذا المفهوم في النحو الوظيفي وذلك بأن يُسند "المحور" إلى غير "المنفّذ" و"الفاعل"³، مع العلم أنّهما محور الكلام وأساسه في اللّغة العربية.

¹ - ينظر: أحمد المتوكّل: قضايا اللّغة العربيّة في اللّسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، 2001، ص 116.

² - أحمد المتوكّل: الوظائف التداولية في اللّغة العربية، ص 183.

³ - ينظر: أحمد المتوكّل: المنحى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربيّ الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط 1، 2001، ص 94.

وهذا مفهوم محتمل الوقوع، والأساس والثابت منه هو أنّ المحور في هذه النظرية يمثّل «المكوّن الدّال على ما يُشكّل (المحدث عنه) داخل الحمل»¹.

وهذا تعريف مقترح من طرف سيمون ديك صاحب هذه التّظيرة.

د - مفهوم المبتدأ:

يستند أحمد المتوكل في تعريفه للمبتدأ كذلك على تعريف سيمون ديك بأنّه: «ما يحدّد مجال الخطاب الذي يعتبر العمل بالنسبة إليه واردا»².

ه - مفهوم الذيل:

في هذا الوضع يحاول أحمد المتوكل أن يعرّف مفهوم الذيل تعريفا موسّعا، ففي نظره أنّ تعريف سيمون ديك "للذيل" غير كاف وعليه، للذيل وظيفة وهي حمل «المعلومة التي توضّح معلومة داخل الحمل أو تعدّلها»³.

هذا التعريف أوّلي، ثمّ يستدرك هذا التعريف بعد أن يلاحظ وظيفة أخرى للذيل فيكون معنى الذيل في نظره كالتالي: «يحمل الذيل المعلومة التي توضّح معلومة داخل الحمل، أو تعدّلها أو تصحّحها»⁴.

إنّ مفهوم وارد في اللّغة العربية، إلّا أنّ مصطلح الذيل في نظرنا مصطلح قد لا يليق بعدّة عبارات تحمل معلومات تعدّل أو تصحّح ما جاورها من تراكيب، باعتبار أنّ هذا المصطلح هو من المفاهيم الأساسية التي يعوّل عليها النحو الوظيفي في دراسة كلّ الصيغ العربيّة.

¹ - أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللّغة العربية، ص 69.

² - المرجع نفسه، ص 115.

³ - المرجع نفسه، ص 147.

⁴ - المرجع نفسه ص 147.

و - مفهوم المنادى:

في نظر سيمون ديك أنه توجد وظيفتين خارجيتين للحمل تتمثلان في "المبتدأ" و"الذيل"، ويضيف أحمد المتوكل إلى هاتين الوظيفتين الخارجيتين وظيفة "المنادى" التي من شأنها تقديم وصف كاف للغات الطبيعية بشكل عام¹، ومن ثمّ «المنادى وظيفة تسند إلى المكوّن الدال على الكائن المنادى في مقام معيّن»². وهي وظيفة نحوية عربية خالصة تصلح لأن تصف اللغات الطبيعيّة الأخرى.

وبالتالي فإنّ هذه الوظائف التي ذكرها أحمد المتوكل في شموليتها، تعبّر عن قراءة جديدة للنحو العربي، قراءة يمكن أن تيسّره للدارسين، كما يمكن أن تبني حوارا مثمرا بين الفكر اللساني الحديث والفكر اللساني العربي القديم في صورة مخصوصة خالية من أي تشويه أو تحريف في المنظومة اللغوية العربية³.

من خلال ما سبق نلاحظ أنّ المغرب الأقصى قد جمع بين لسانيين من أصل عربي واحد، إلا أنّهما مثالا نظريتين مختلفتين اختلافا كبيرا في وصف ودراسة اللغات البشرية، وهذا الاختلاف قد طوّع من طرف البنات اللغوية العربيّة ليمثّل في نظر الفاسي الفهري كفاية تفسيرية شاملة، وفي نظر أحمد المتوكل كفايات تداولية ونفسية ونمطية.

5.2 الجهود اللسانية لعبد السلام المسدي:

1.5.2 التعريف بعبد السلام المسدي:

¹ - أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 17.

² - المرجع نفسه، ص 161.

³ - المرجع نفسه، ص 183.

اسمه الكامل هو "عبد السلام بن عبد السلام"، ولد بمدينة "صفاقس" بتونس في 26 جانفي 1945م، حيث ترعرع ونشأ فيها، وواصل تعليمه ليصبح أكاديميا وكاتبا، وديبلوماسيا ووزيرا للتعليم العالي بتونس، وهو من اللسانيين الكبار الذين عرّفوا بهذا العلم وأساسياته، كما يعتبر من العرب المدافعين عن التفكير اللغوي العربي القديم، لقد تحصّل على عدّة شهادات تقديرية لمجهوداته العلمية منها¹:

- حصوله على شهادة الإجازة في اللغة العربية والآداب العربية بتونس عام 1969م.
- حصوله على شهادة التبريز في الأدب العربي عام 1972م.
- حصوله على شهادة دكتوراه الدولة عام 1979م.
- الارتقاء إلى أعلى درجة من التعليم في الجامعة التونسية عام 1984م.
- مُنح الجائزة التقديرية للجمهورية التونسية في اللغة والآداب.
- حصل على وسام الاستقلال التونسي ووسام الجمهورية التونسية.
- فاز بجائزة الدراسات الأدبية والنقد للدورة الحادية عشر (2008-2009م).

تقلّد مناصب عديدة منها:

- وزير التعليم العالي والبحث العلمي في فترة (1987-1989م).
- عمل سفيرا لدى جامعة الدول العربية فترة (1989-1990م).
- عمل سفيرا لدى المملكة العربية السعودية فترة (1990-1991م).
- استأنف التدريس في الجامعة التونسية منذ أكتوبر (1991م).

¹ - ينظر: عبد الرحيم البار: التفكير اللساني عند عبد السلام المسدي، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية، 2015، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص 171-172.

- عضو مشارك في منتديات ومجمعات لغوية عربية هي: المجمع اللغوي العراقي منذ 1989، والمجمع اللغوي التونسي منذ 1997، والمجمع اللغوي الليبي منذ 1999 والمجمع اللغوي السوري منذ 2002م.

من مؤلفاته:

- الأسلوبية والأسلوب.

- التفكير اللساني في الحضارة العربية.

- قاموس اللسانيات عربي فرنسي - فرنسي عربي، وغيرها من المؤلفات اللسانية.

2.5.2 جهود عبد السلام المسدي في اللسانيات:

لقد تأثرت الساحة المعرفية التونسية بالمبادئ والنظريات اللسانية الغربية وبرز عددٌ علماء لسانيين ينشدون التقدم والرفق من خلال دراسة اللغة العربية بمناهج ونظريات تسير مقتضيات الحداثة من غير قطيعة ولا نكران للتراث العربي اللغوي، ويعتبر الأستاذ "المسدي" من بين هؤلاء العلماء الذين قدّموا خدمات واضحة للأمة العربية؛ ونقصد هاهنا جهوده اللسانية التي ما تنفك تمثل مرجعا أساسيا في الدراسات اللسانية المعاصرة علاوة على جهوده الأدبية والنقدية.

1 - اللسانيات في منظور عبد السلام المسدي:

عُرف المسدي بمساره الدراسي الحافل بالمعارف والعلوم، وخاصة ما ارتبط منها بالحضارة العربية والغربية على حدّ سواء، وهذا ما جعله يعقد موازنة بين الحضارتين ليس على سبيل الاستنقاص، ولكن بغرض الكشف عن أسباب تطوّر العلوم عند الحضارة الغربية والتي تمثلت في اللسانيات، هذا العلم الحديث له مكانة قيّمة في فكر المسدي ذلك أنه يُمثّل مركز الاستقطاب لمعظم العلوم باعتبارها تستند إليه في تقديراتها لنتائجها العلمية¹.

¹ - ينظر: عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2010، ص 10.

وإذا ما ذكرت اللسانيات فلا بدّ أن نستحضر بأذهاننا بداياتها البنيويّة مع دي سوسير، ورغم التطوّر الحاصل على مستوى الرؤية اللسانية التي عقت الرؤية السوسيرية ونقصد بالقول (النظريات التي انتقدت دي سوسير مثل نظرية التوليدية التحويلية وكذا الوظيفية) بالرغم من هذا التطوّر إلّا أنّ البنيويّة في نظر المسدي تبقى رائدة الدراسات اللسانية بل هي أقرب ما يكون إلى الرّؤية العلمية والموضوعيّة التي تقتضيها الدراسات اللّغوية الحديثة¹.

هكذا تظهر اللسانيات في نظر المسدي، إنّها ذات أهمية لا يمكن نكرانها في إثراء المعرفة اللّغوية.

2 - اللسانيات بين اللّغة والفكر عند المسدي:

من السهل بمكان معرفة أهميّة اللسانيات ودورها الأساسي الذي تجلّى في مناهجها المختلفة ممّا جعلها تمس مختلف مناحي الحياة من نفسية واجتماعية ورياضية وفيزيائية، ربّما نكون أمام مشهد معقّد الملامح والصّور ترسمه اللسانيات في علاقتها باللّغة والفكر، هذا الأمر قد تطرّق إليه "المسدي" في كتابه "مباحث تأسيسية في اللسانيات" تحت مسمّى اللسانيات وفلسفة المعرفة، وكذا اللّغة والمعرفة العلمية، في هذا الصّدّد يقول: «ربّما كان النّاس يعرفون منذ زمن بعيد أنّ كلّ شيء يفكّرون فيه فتفكيرهم فيه يمر من اللّغة، وربّما كانوا يعرفون أنّ ما يحسون به وما يستشعرون هو أيضا يتجلّى لهم من خلال اللّغة»².

أي أنّ هناك علاقة وطيدة بين اللّغة والفكر الإنساني، وأنّ الفكر هو عمليّة ذهنيّة تجسّد عبر اللّغة التي لها الفضل حتى في تجسيد المشاعر والأحاسيس ومن ثمّ فهي ضرورية للمعرفة العلميّة، إلّا إذا صعب أدائها بسبب عاهة طبيعية³.

¹ - ينظر: عبد القادر عبد الجليل: اللسانيات الحديثة، دار الصفاء، الأردن، ط 1، 2002، ص 107.

² - عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات، ص 09.

³ - ينظر: عبد الجليل مرتاض: اللّغة والتواصل، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ت، ص 31.

3 - اللسانيات وفلسفة اللغة:

بعد أن تطرّق "المسدي" إلى عنصر اللغة والمعرفة العلميّة، ينتقل إلى حديثه عن اللسانيات وفلسفة اللغة، فيرى أنّ الظاهرة اللغوية قد شغلت حيّزا واسعا في الفكر الإنساني منذ زمن بعيد، وأنّه يمكن رصد صنفين من القضايا البارزة في هذه الظاهرة، صنفٌ نوعي تمثله عناصر اللغة من صوت وصرف ونحو ومعجم والتي بدورها قد انفردت بالدراسة في كلّ عنصر منها، والتّوعية في هذا الصّنف يُفسّرها اختلاف الألسنة، أمّا الصنف الآخر فهو مبدئيّ عام وتمثله المشاكل المبدئية التي يجدها الناظر في اللغة باعتبارها ظاهرة بشرية مطلقة، وتتجلّى هذه المشاكل في مسائل أكثر تجريدا كقضية أصل اللغة إضافة إلى علاقة الكلام بالفكر وغيرها¹.

وفي نظرنا أنّ الصنف الأوّل هو صنف مقيّد يمكن إدراكه بقليل من المعرفة اللسانية المنضبطة التي تحلل الصوت وتوضّح الصّرف وتبني النّحو وتحدد المعجم إنّها معرفة مقيّدة في كلّ لسان بشري، أمّا الصّنف الثاني فهو مطلق وغير مقيّد مرتبط بقضية فلسفية لا متناهية الخيال قد تفصل فيها قضايا عقائدية.

4 - المعرفة اللغوية والتراث الإنساني:

في هذا العنصر يقرّ المسدي بوجود التراث الإنساني وجودًا قائم الذات، فهو يعتبر نصّا يمكن قراءته وتفكيك رسائله²، وهذا وفق تأسيس معرفي يمكننا من اكتشاف «الأنظمة اللغوية وتصويرها في مجموعة متداخلة من الدوائر -بحيث- تمثل البناء العام للنظرية اللغوية، إذ تحدّد مختلف الفروض وتصوّر موقعها بعضها من بعض»³.

¹ - ينظر: عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات، ص 15.

² - ينظر: عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات، ص 19 - 20.

³ - محمد عبد العزيز عبد الدايم: النظرية اللغوية في التراث العربي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط

أيّ أنّ التراث اللغوي العربي يتضمّن أنظمة لغوية من شأنها المساهمة في بناء النظرية اللغوية العامّة، وهذا إذا نظرنا إلى المسار التراثي الإنساني بنظرة متواصلة الحلقات.

5 - اللسانيات والتراث العربي:

بعد أن ظهرت اللسانيات بمناهجها ومبادئها في البلدان الغربية، أبدى اللغويون العرب رغبتهم في النهوض بلغتهم وتطويرها، إلاّ أنّ أوّل العقبات التي تصدّوا لها هي موضوع الدراسة اللغوي هل يكمن في التراث وتحليله أم في تخطي هذا التراث إلى دراسة اللّغة المعاصرة، باعتبار أنّ الغرب قد تمثلوا الحداثة دونما قفر مولّد للقطيعة وساعدهم في ذلك انصهار المادّة والموضوع¹.

ومن هنا جاء كتابه "التفكير اللساني في الحضارة العربيّة" لبحث في هذه العلاقة والكتاب هو عبارة عن رسالة دكتوراه دولة لعام 1979م والتي طبعت عام 1981 وهو مشروع ضخم في عالم اللسانيات العربية، يهدف من خلاله إلى التأسيس لنظرية عربية حديثة خالصة، جوهرها التراث اللغوي العربي بقواعد ومناهج لسانية حديثة².

6 اللسانيات والمعرفة المعاصرة:

ينوّه الأستاذ المسدي على أهمية اللسانيات في المعرفة المعاصرة عامّة، وهي تمثّل مركز الاستقطاب والمرجع المعوّل عليه للتوصّل إلى النتائج العلمية الصحيحة، ومن ثمّ فهي ليست "موضة"³، أو نافلة من العلوم بل ضرورة لإدراك المعرفة والتمكّن منها.

7 - الحداثة والتراث:

¹ - ينظر: عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات، ص 24 - 25.

² - ينظر: عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط3، 2009، ص 17.

³ - ينظر: عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 09.

هذه الثنائية حاضرة حالما تذكر اللسانيات في مقابل التراث العربي، ربّما تمثّل ثنائية زمنية بريئة فرضها المسار اللغوي الإنساني، إلّا أنّه في كثير من الأحوال تُعبّر عن جدلية الأنا والآخر، أو الأصالة والمعاصرة، وفي هذا الصّدّد يذكر المسدي أنّ المفكر العربي عليه أن يستثمر في التراث ويطوّره ليرتقي إلى درجة المعاصرة من دون أن يفقد عنصر العربي¹.

8 - اللسانيات والتراث:

هذه الثنائية قد سبق ذكرها في كتابه التفكير اللساني في الحضارة العربية، إلّا أنّها في هذه المرّة تعبّر عن ثنائية أشمل من حيث إنّها تطلق على التراث الإنساني بصفة عامّة، وما التراث اللغوي العربي إلّا جزء منه، وفي هذا الصّدّد يبيّن المسدي أنّ للسانيات فضل في ظهور مصطلحات جديدة في الساحة اللغوية العربية، بعد أن تأثرت بفكر دي سوسير، ممّا استدعى العودة إلى التراث لوضع قواميس تجمع ما استجدّ من مصطلحات، وهذا صنيع الغرب أيضا حينما اتجه إلى قراءة التراث اللاتيني وحتى اليوناني تحت منهج سلفيّ أو عودويّ لسبر أغوار التراث اللغوي بالتوازي مع رصد أسرار اللسانيات من ناحية وتقييم التفكير التاريخي في هذه الظاهرة الإنسانية وفق نظرة حديثة من ناحية أخرى².

وهذه دعوة من المسدي إلى اللغويين العرب للعودة إلى قراءة تراثهم العريق ممّا سيمكنهم من استنباط النّظم اللّغويّة، التي من شأنها إرساء نظرية لسانية عربية حديثة.

9 - اللسانيات والشمول:

في هذا الصّدّد يقول المسدي: «لا شكّ أنّ الناظر في تطوّر المدارس اللسانية المعاصرة يدرك بجلاء كيف تصارع سلطان الموضوعية الشكلية مع نزعة الاستيعاب لخصائص الظاهرة كليّا حتى تغلب

¹ - ينظر: عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 12.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 14.

اقتضاء الشمول، ففكّت اللسانيات حصار التخصص الشكلي واستعادت إلى حوزتها ما توطأ الفكر اللغوي والنظر الماورائي على سلبه منها وإحاقه بالفلسفة العامّة»¹.

أيّ أنّ اللسانيات تميّز بالشمولية في الطّرح وذلك بنبد التخصص الشكلي ودراسة اللسان البشري عامّة، وكذا نبد الطّرح الماورائي بعزل فلسفة اللّغة والنتيجة دراسة موضوعية علميّة شاملة.

10 - اللسانيات والحضارة العربيّة:

يهدف المسدي من خلال عرضه لهذه الثنائية إلى التنبيه إلى أهميّة حضور حلقة الحضارة العربية في التسلسل الحضاري الإنساني، وذلك حينما أشار في كتابه التفكير اللساني في الحضارة العربية إلى ما قامت به "حركة التدوين" للسانيات المعاصرة التي تتبعت جميع المراحل التاريخية التي مثلت المدخل التاريخي لهذا العلم الحديث بدءاً بمرحلة العصور القديمة مروراً بمرحلة العصر الوسيط وصولاً إلى العصور الحديثة، وقد تفتّن إلى أنّ هناك مرحلة مثّلت للحضارة العربيّة لم تقم هذه الحركة بتدوينها ممّا أسماه بـ"الثغرة العربية" ثغرة كان من الواجب سدّها والانتفاع من مستخلصات ثمانية قرون من مخاض التفكير اللغوي عند العرب².

هذا من جهة ومن جهة أخرى قام المسدي بالتنبيه إلى أنّ الغرب قد ارتكزوا على ما أنتجه العرب من علوم الرياضيات والفلك والفيزياء وغيرها لإقامة صرح حضارتهم³.

وهذا ما يزيد من عزيمة العرب في تخطي مرحلة النقل والتمثّل إلى مرحلة الإبداع والتطوّر والرّقي، فالخلفية مشرّفة والمستقبل للجميع.

11 - النظرية اللغوية عند العرب:

¹ - عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 15.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 21 - 22 - 23.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 22 - 23.

لقد وصف المسدي النظرية اللغوية العربية بأقّها "نظرية شمولية" والشمول في النظرية هو استيعابها لمختلف النقاط التي تستوجبها الدراسة اللغوية من قواعد ونظم وغيرها، واللغويين العرب قد انتبهوا إلى هذه الشمولية حيث إنهم استنبطوا المنظومة اللغوية الكلية، وقاموا بتحديد فروع دراستها وذلك حينما قاموا بتصنيف علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وعروض علاوة إلى تطرّفهم إلى ظاهرة الكلام ولو ورد ذلك مبعوثاً في مصنّفات علوم اللغة العربية التي فلسفوا نظامها وقواعدها¹، بمقتضى هذا القول يمكن أن تنسب الأسبقية في المعرفة اللسانية إلى العلماء العرب الأوائل.

12 - جهود المسدي في المصطلح اللساني:

إنّ أهمّ ما يمكن ذكره في قضية المصطلح اللساني هو كتاب المسدي الذي وضعه تحت مسمّى "قاموس اللسانيات" وهو من أهمّ المراجع اللسانية في العصر الحديث، وقد طُبِعَ عام 1989 بمطبعة الدار العربية للكتاب.

في هذا الكتاب يبيّن أنّ مشكلة المصطلحات اللسانية ظهرت تزامناً مع وفود هذا العلم إلى البلاد العربية، وهو مشهد فسّره المسدي على أنّه مثل مرحلة التلقي والتمثل ومن ثم محاولة الإنشاء والوضع بتفكير عربيّ استطاعوا من خلاله أن يضعوا نظريات لسانية عربية²، وقد تخطّوا في كثير من الأحيان المشكل المصطلحي الذي يُعرض على الفكر اللساني العربي عامّة بكرة وأصيلاً، ممّا أذى بالعلماء العرب إلى البحث عن سبيل توحيدده والتمكن من آليات وضعه.

لقد مثّل الأستاذ المسدي الفكر العربي المعاصر، ذلك الفكر الذي ما ينفكّ يمثّل التراث اللغوي العربي أحسن تمثيل ويرافع على شرفه بصورة تقتضيها المعاصرة وتُقرّ بها.

6.2 الجهود اللسانية لصالح القرمادي:

¹ - ينظر: عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 24.

² - ينظر: عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، ط 1، 1989، ص 83.

1.6.2 نبذة مختصرة عن حياة صالح القرمادي:

"صالح القرمادي" هو باحث لساني ولد سنة 1933 بتونس العاصمة، وبحكم اختصاصه في الدراسات اللغوية واللسانيات في كلية الآداب بتونس، وعلى مدى سنوات من العطاء، قد أثر تأثيرا مباشرا في أفواج طلبته سواء منهم الأدباء أو الشعراء، أو أولئك النقاد والأكاديميين، ولقد أثرت كذلك آراؤه الجريئة في الحركة الأدبية والثقافية بتونس، حيث ساهم في إصدار وتحرير مجلة التجديد في أوائل الستينات مع الأستاذين "توفيق بكار" و"المنجي الشملي"، وغيرهما فكانت منبرا لمفاهيم وأطروحات جديدة ساعدت على بروز كتابات نقدية وإبداعية مثلت منعرجا آخر للأدب التونسي بعد الرتبة التي خيّم على مرحلة ما بعد فترة جيل الشّابي الثرية.

وقد أطلق اسمه على قاعة محاضرات في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ليقى بين أوساط الباحثين على نفحات العلوم، بعدما ووري الثرى بعد حادث مرور سنة 1982 -رحمه الله تعالى.

من أعماله التي اشتهر بها:

-دواوينه:

-اللحمة الحية.

-تهشيم البرج العاجي.

-ترجماته:

* ديوان ساهبك غزالة "تأليف مالك حداد"، تعريب صالح القرمادي.

* كتاب محاضرات في اللسانيات العامة أو "دروس في الألسنية العامة" د. فرديناند دي

سوسير، تعريف صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة¹.

¹ - صالح القرمادي: <https://ar.wikipedia.org/wiki>

عرف الأستاذ "صالح القرمادي" كشاعر و | أديب أكثر من أنه لساني، ولكن هذا لا ينقص من شأنه بل يزيد من تألقه كون اللساني عليه أن يكون عارفاً باللغة وكيفية صياغة الجمل والتراكيب، والتفنن في وضع مراتبها ودلالاتها فيكون بذلك أديبا ساطعا في ساحة الأدب ولسانيا فذا في ساحة العلوم.

2.6.2 جهود "صالح القرمادي" اللسانية:

1 - مساهمته في انتشار اللسانيات في تونس:

كان الغرب منهمكا في علومه كباقي دول العالم، فكل شعب بعلومه مولع، وقد ظهر اسم مرتبط بالعلوم الحديثة، والذي يعدّ «الشخصية الرئيسية في تغيير مواقف القرن التاسع عشر لمواقف القرن العشرين على نحو مهم، هي اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير، الذي عرف أولا في الجمع العلمي من خلال مساهمة مهمّة في علم اللغة الهندوأوروبي المقارن، بعد دراسته في ليزنج مع أعضاء مدرسة القواعد بين الجدد»¹.

ومن ثمّ «فقد أصبح من التقليدي أن نعتبر فرديناند دي سوسير "أبو اللسانيات" فبفضله كسبت الدراسة اللسانية مرتبة العلوم»².

وبحدوث احتكاك بين العرب والغرب في ظروف اجتماعية وسياسية مثل الرحلات والبعثات العلمية وغيرها، انتقلت المعارف الغربية بما فيها اللسانيات إلى الفكر العربي، وتونس لم تكن بمنأى عن الحركة العلمية الحديثة، فقد عرفت ساحتها الفكرية علماء برزوا لتطوير اللغة العربية تحت الفكرة السائدة بنجاعة المناهج الغربية في ترقيتها، «فقد أدرك اللسانيون العرب المحدثون أهمية هذا العلم

¹ - ر، هـ، روبنز: موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997، ص 318.

² - كاترين فوك، وبيارلي قوفيك: مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ترجمة المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 17.

وضرورة الإلمام بأسبابه إلماما واسعا والإحاطة بنتائجه إحاطة شاملة بُغية تقويم العمل اللغوي العربي القديم»¹.

ونجد من هؤلاء العلماء "صالح القرمادي" الذي حاول نقل هذا العلم إلى الأوساط الفكرية، فيقول في هذا الصدد: «إنّ الاهتمام بالألسنية في هذه الديار، وفي العالم العربي بصورة عامّة أمر حديث العهد نسبيا إذ لا نجد منه أمرا يُذكر قبيل الستينات سواء في ميدان التدريس أو البحث»².

وهذا القول في تبيان لنشأة اللسانيات في تونس فقد حدّدها القرمادي مع بداية الستينات على أكثر تقدير، ولأنّه من زمرة العلماء أخذ على عاتقه التعريف بهذا العلم.

2 - قضية الترجمة والتعريب:

تأثرت الدراسات العربيّة باللّسانيات الغربية بفضل الترجمة والتعريب لمختلف الأعمال اللّسانية الغربية، ومن المؤلّفات التي لاقت قبولا من طرف العرب هو مؤلّف "دي سوسير" الذي ترجم إلى خمس ترجمات، «تحمّل كلّ ترجمة عنوانا يختلف عن باقي الترجمات، فهناك الترجمة التونسية التي قام بها كل من صالح القرمادي ومحمد عجيبة، ومحمد الشاوش، وصدرت سنة 1985م، بعنوان "دروس في الألسنية العامّة" عن الدار العربية للكتاب، ثم الترجمة السورية التي أنجزها كلّ من "يوسف غازي" و"مجيد نصر" سنة 1986م بعنوان "محاضرات في الألسنية العامّة" عن المؤسسة الجزائرية للطباعة، وهناك الترجمة المصرية التي أنجزها "أحمد نعيم الكراعين" سنة 1985م، بعنوان "فصول في علم اللّغة العام" عن دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، تلتها الترجمة العراقية من إنجاز "يؤيّل يوسف عزيز" سنة 1985 بعنوان "علم اللّغة العام" عن دار آفاق عربية، أمّا الترجمة الأخيرة فهي مغربية أنجزها "عبد

¹ - صالح الكشو: مدخل في اللّسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، 1985، ص 05.

² - صالح القرمادي: مقدمة مترجمي كتاب دروس في الألسنية العامّة لسوسير، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، 1985، ص

القادر قنيني " سنة 1987م، بعنوان "محاضرات في علم اللسان العام"، عن دار إفريقيا الشرق بالدار البيضاء»¹.

من خلال هذا القول ندرك اختلاف الترجمات التي ينجم عنها كم هائل من المصطلحات، وبالتالي الوقوع في أزمة توحيد المصطلح.

وهذا العمل الذي قام به "صالح القرمادي" يُعدّ من أهمّ الدّعائم والمرتكزات التي يعود إليها الباحث اللساني لفهم النظريات اللسانية الغربية، فالترجمة جسر معرفي لا بدّ منه في الانتقال إلى أفكار الآخرين.

ونجاعة ترجمة "صالح القرمادي" تمثّلت في معرفته المزدوجة للغة العربيّة المنقول إليها واللغة الفرنسية المنقول منها، إضافة إلى درايته بالمصطلحات المستعملة في اللسانيات الغربية ممّا ساعده على اقتناء الكلمات المناسبة من المعجم العربي لتفسيرها وشرحها للقارئ والباحث العربي.

وقضية الترجمة أو التعريب هي قضية فيها جدل، فقد «احتدّ النقاش الإيديولوجي في بلدان المغرب العربي حول مسألة التعريب منذ الاستقلال، وحمي وطيس الحر القلمية في هذا الشأن بين مختلف الفئات الاجتماعية والثقافية المتعايشة في صلب المجتمع المغربي - فمن مدافع عن التعريب التام فورا إلى ذائد عن ازدواجيّة اللّغة، ومن قائل بوجود استعمال اللّهجات الدارجة إلى مناصر لفكرة الفرنكوفونية؛ حتّى إنّ المتصّفح للصّحف والمجلاّت المغربية أصبح يجد فيها جميع المواقف والانتماءات في هذا الصّدّد»².

¹ - عبد السلام المسدي: ما وراء اللّغة (بحث في الخلفيات المعرفية)، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، 1994، ص 11-15.

² - صالح القرمادي: دور الألسنية في المساهمة في التعريب، مجلة الأصالة، العدد 17/18، 1973، ص 144.

من خلال قول الأستاذ القرمادي يظهر انتماءه الاجتماعي الواعي وإدراكه للفكر السائد حوله، وكذا إدراكه لما يقتضيه مجتمعه اللغوي، وهذا لتشبعه بتعاليم اللسانيات الحديثة، ويقول في هذا الصدد: «ومن الطبيعي في مثل هذه الملابس التاريخية وأمام عظمة العمل الذي يستدعيه التعريب على أسس عصرية ناهضة أن تفتح في وجه الألسنيين المغربيين من مغاربة وجزائريين وتونسيين آفاق عريضة للنشاط العلمي وإمكانية لا تحصى للبحث والتصنيف من ذلك:

- ميدان شاسع للتنقيب العلمي في حقل البحوث الألسنية مثل وصف كامل للواقع اللغوي والاجتماعي - اللغوي في البلاد وصفا علميا دونما تفريط في أي عنصر من عناصره.
- تحليل مختلف اللغات المتعايشة بالبلاد من الناحية الألسنية.
- القيام بدراسات مقارنة فيقارن أصحابها فيها بين تراكيب مختلف هذه اللغات من الناحية الصوتية والصرفية والتحوية والمعجمية...»¹.

من خلال قوله تظهر أهداف مشروعه اللساني الذي بدأ بالترجمة كونها أساس الولوج إلى العلوم كلها، وخاصة ما تعلق باللسانيات، ومحاولة دراسة الظواهر اللغوية ووصفها بشكل يستند على منهجية واضحة، تخدم اللغة العربية.

وبموجب ما سبق، نقول أنّ الساحة اللغوية المغربية قد عرفت حركة لسانية يشهد لها العالم كلّها، والفضل في ذلك يعود إلى علمائها الذين أبوا إلا أن يتلقوا هذا العلم بفكر نير، يستعرض أمامه تراثه ليكون بداية وجهته إلى ما تحمله الحداثة من منافع للفكر اللغوي العربي خاصة والعالمي عامة.

4. الكتابات اللسانية العربية في ضوء السوسيريات الجديدة:

¹ - صالح القرمادي: دور الألسنية في المساهمة في التعريب، ص 144.

لقد أصبح من الطبيعي القول أنّ سوسير هو النقطة المركزية التي يتحدّد من خلالها ما قبله من دراسات لغويّة وما بعده، وتطوّر الأمر إلى أن أصبح التأريخ لمثويّة اللسانيات مرتبطاً بمثويّة وفاته*، وهذا في ظلّ ما لاقاه كتابه من نجاح وذيوع في الأوساط الثقافية العربية، ذلك الكتاب الذي نشره تلميذه (بالي وسيشهاي) تحت عنوان (محاضرات في اللسانيات العامّة) والذي تُرجم إلى العربية عدّة مرات، وبالرغم من اختلاف هذه التّجمات إلاّ أنّها تمثّل الجسر الذي انتقلت عبره أفكار سوسير إلى الفكر العربي، ومن ثمّ أصبح سوسير يُعدّ المنعرج الحقيقي في البحث اللغوي المعاصر¹، وما لبث الأمر يستقرّ في البلدان العربية والعربيّة على حدّ سواء، ويصبح أكاديميًّا يدرّس في الجامعات تحت رعاية أساتذة ليعرّفوا بهذا الفكر البنيوي، حتى ظهر ما يسمّى بالسوسيريّات الجديدة، وأصبح الحديث عن التلقي الجديد لهذه السوسيريّات، في هذا الشأن يذكر حسين السوداني «أنّ كثيرا من الكتابات العربيّة المتعلّقة بسوسير، تكاد تُجمع على التشكيك في الكتاب، وتأخذ مضمونه بالريبة، من حيث صدقية نسبته إلى سوسير، مع ربط الجدّة فيه بما نُشر مؤخّرا لا بما نُشر منذ قرن من الزمان»².

إنّه قول يستوجب استحضار العديد من المقولات يمكن اختصارها في ثلاث عناصر:

1. أنّ الوطن العربي قد عاش مرحلة حدائثية من خلال اللسانيات السوسيرية الأولى ممثّلة في كتاب "محاضرات في اللسانيات العامّة"، والتي نجم عنها ثلاث مواقف متباينة في النظر إلى التراث.

* من ذلك المؤتمر العلمي الذي نظمه قسم اللّغة العربية وآدابها بكلية اللّغة العربية واللّغات الشرقية بالجامعة الجزائرية بعنوان اللّسانيات 100 سنة بعد دروس دي سوسير في تشرين الثاني/ نوفمبر 2016، وفي عام 2013 انتظم مؤتمر علمي ببغداد بمناسبة مئويّة وفاة سوسير نشرت أعماله لاحقا، ينظر: فرديناند دي سوسير: حياة في اللّغة: مؤيد آل صوينت ويوسف إسكندر (محرران)، بيروت، منشورات ضفاف، 2017، وينظر: حسين السوداني الهامش، ص 293.

¹ - ينظر: حسين السوداني: أثر فرديناند دي سوسير في البحث اللغوي العربي، ص 293.

² - حسين السوداني: أثر فرديناند دي سوسير في البحث اللغوي العربي، ص 295.

2. أن هذا الكتاب الذي يعتبره اللغويون العرب نقطة تحوّل للدراسات اللسانية العربية، أصبح مشكوكاً في صدقيّة نسبه إلى سوسير، وذلك بعد العثور على مخطوطات جديدة اكتشفت في مشتل البرتقال الخاصّ بآل سوسير عام 1996، وخاصّة إذا علم أنّه قد وردت بتلك المخطوطات أفكار تعارض بعض ما ورد في كتاب "محاضرات في اللسانيات العامّة"¹، الأمر الذي أدّى إلى نعته بأنّه "النسخة الشائعة من الدروس" مع ما يعنيه ذلك من استنقاص وتشكيك².

3. أن اللغويين العرب الذين تناولوا السوسيريّات الجديدة في كتاباتهم سيميلون إلى القول بأنّ المخطوطات الأصول هي التي تمثّل الفكر السوسيري الحقيقي، ومن ثمّ الدّعوة إلى تجديد الوعي بسوسير، و«تعوّل هذه الدّراسات على ما تعدّه اكتشافات لوثائق نادرة متعلّقة بسوسير، وأهمّها ما صدر في كتاب بعنوان "كتابات في اللسانيات العامّة" ويتضمّن هذا الكتاب مجموعة من البحوث التي جمعها إنغلر وسيمون بوكي»³.

هذه العناصر الثلاثة التي مثّلت المشهد العربيّ وهو يتحرّك بفعل الحداثة التي تحمل طابع الهلاميّة وعدم الثبات؛ قد نقلت هذا الاضطراب أيضاً إلى الوسط العربيّ، وذلك من خلال العديد من التساؤلات منها⁴:

- هل تعتبر نصوص اللسانيات السوسيرية الجديدة حركة وصل مع كتاب محاضرات في اللسانيات العامّة؟

¹ - محروس السيد بريك: التلقي العربي الراهن لسوسير في ضوء مخطوطاته المكتشفة، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد 10، العدد 2، سنة 2017، دمد ص 1311.

² - ينظر: حسين السوداني: أثر فرديناند دي سوسير في البحث اللغوي العربي، ص 295.

³ - حسين السوداني: أثر فرديناند دي سوسير في البحث اللغوي العربي، ص 298.

⁴ - صلاح الدين يحيى: مخطوطات فرديناند دي سوسير وأثرها في تأسيس اللسانيات السوسيرية الجديدة، مجلة إستانبول للدراسات العربية، المجلد الثاني، العدد الثاني، ديسمبر 2019، ص 305.

- ولماذا قدّم بالي وسيشاي كتاب محاضرات في اللسانيات العامّة، ولم يقدموا كلّ ما قدّمه سوسير كاملاً؟

- وهل تمثّل مخطوطات سوسير التي وُجدت بعد نشر كتاب محاضرات في اللسانيات العامّة حلقة وصل للحلقات المفقودة من نصوص اللسانيات السوسيرية العامّة؟

- وهل أبرزت اللسانيات السوسيرية الجديدة مجموعة النصوص المصادر والأصول التي كتبها سوسير في اللسانيات، ولم تُنشر إلاّ بعد رواج كتاب "محاضرات في اللسانيات العامّة" 1916؟

- وهل قدّم هؤلاء الباحثين قراءات وتأويلات وتصوّرات جديدة في ضوء اللسانيات السوسيرية الجديدة التي ظهرت 1957؟

- ماذا لو أنّ كلّ أعمال سوسير (سوسير النموذجي) و(سوسير الحقيقي) جمعت ونُشرت مرّة واحدة؟

- ألم يكن لنصوص المصادر الأصول المخطوطة أن تظهر في اللسانيات السوسيرية الجديدة؟
- ألم تكن قراءات وتأويلات وتصوّرات الباحثين اللسانيين للسانيات السوسيرية الجديدة تختلف عن كلّ ما نُشر في كتاب محاضرات في اللسانيات العامّة؟

هذه الأسئلة وغيرها تزيد من الوعي بهذه القضية، وتفتح آفاقاً جديدة للبحث فيها، كما أنّها تُعبّر في نظرنا عن آثار الصدمة الأولى بأنّ كلّ ما أُلّف وكتب في ضوء اللسانيات النموذجية، قد يصل إلى نقطة تتلاشى عندها كلّ الجهود ممّا ينجم عنه أسئلة أخرى أكثر تعصيماً إلى حدّ التشكيك ليس في صدقيّة نسبة الكتاب إلى سوسير بل حتى في نسبة المخطوطات إليه، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّه لم يصدر موقف التشكيك عند اللغويين العرب إلاّ بعد أن صدر من قبل الغربيين أنفسهم من أمثال: «اللساني الألماني هوغو شوشاردت (Hugo Schuchardt) (1842 - 1927)، والدنماركي

جسبرسن والبولوني دوروزيفسكي (Witold Doroszewski، 1899 - 1976)، والفرنسي إميل بنفينيست (Emile Benveniste، 1902 - 1976)»¹.

وموقف الشكّ ليس سوى مرحلة مؤقتة من مراحل الانتقاد التي تليها مرحلة الوصول إلى اليقين بوجود صورة مكتملة عن النظرية اللغوية التي ارتضاها دي سوسير منذ البداية، فالملاحظ بعد هذا الشكّ أنّ هناك اختلاف كبير بين المحاضرات وبين المخطوطات، يقول برنارد لاكس (Bernard Lax): «إنّ النصوص المتعدّدة المنشورة حديثاً، ممّا كتبه دي سوسير بنفسه غيرت بشكل عميق مقاربتنا لتصورات اللّغة التي اعتنقها لسانيو جنيف الكبير، فنظرية اللّغة، والبرنامج اللّساني اللذان اقترحهما دي سوسير يبدو أنّهما بحقّ مختلفان بشكل كبير عمّا عرف على نطاق واسع من نصوص دي سوسير التي نُشرت تحت اسم لسانيات دي سوسير»². وبالتالي فاللسانيين قد وجدوا أنفسهم أمام رؤيتين منهجيتين متقابلتين في التعامل مع لسانيات سوسير، أولاهما ترى أنّ تصوّرات سوسير وتأمّلاته في اللّغة تجسّد نسقا نظريًا مغلقًا، وثانيهما ترى أنّ تصوّرات سوسير تمثّل نسقا مفتوحًا³، وهذا لما تحويه من موضوعات المخطوطات من محاور أساسية ممثّلة في «اللسانيات العامّة، الجنس التصحيفي، الحكاية الخرافية، واللّسان السانسكريتي وآدابه»⁴ موضوعات قد فتحت المجال أمام بعض السيّاقات التي كانت في نظر الكتاب الأوّل محضورة عن اللّسانيات عامّة وعن اللّسانيات العربيّة خاصّة.

¹ - ينظر: حسين السوداني: أثر فرديناند دي سوسير في البحث اللّغوي العربي، ص 296.

² - وليم كارسكو: النظر إلى الوراء لرؤية الآتي: إعادة اكتشاف دي سوسير، ترجمة محي الدين محسب، ضمن كتاب: العودة إلى سوسير، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط 1، 2017، ص 361.

³ - صلاح الدين يحيى: مخطوطات فرديناند دوسوسير وأثرها في تأسيس اللسانيات السوسيرية الجديدة، ص 303.

⁴ - ينظر: مصطفى غلفان: لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2017، ص 130.

وفي هذا الصدد وجب علينا أن نستحضر أهمّ السياقات التي تأثرت بها اللسانيات العربية، والتي وردت في الكتاب الأوّل على شكل مفاهيم استخلصها العديد من اللسانيين منها على سبيل المثال لا الحصر "مقولة" القطيعة بين اللسانيات والتراث " إنّها مقولة أساس تسببت في تصدّع الفكر العربي ، والجديد الذي اكتشف في المخطوطات والذي سيظمن اللسانيين العرب؛ هو أنّ سوسير كان يأمل في وصل اللسانيات العامّة باللّسانيات الخاصّة، وذلك عن طريق الاعتراف بازدواجية اللّغة إضافة إلى عدم عزل الظواهر الثقافية التي تنتمي إليها اللّغة¹.

وبموجب هذا الطّرح الجديد يُمكن أن توصف اللّغة العربيّة وهي مرفقة بالخصوصية الدينية كونها جزءاً من ثقافتها.

وهذا الوصف اللّساني الذي يراعي مبدأ الخصوصية - مع ما لاقاه من انتقاد وتهميش عند بعض اللّسانيين- قد ترسّخ على أرض الواقع، مثل ما قام به ثلّة من العلماء اللّسانيين أمثال "عبد الرحمن الحاج صالح" من خلال نظريته اللّغويّة الخليلية الحديثة، وبالتالي لا مجال للفصل بين اللّسانيات والنحو العربي، ، أمّا فيما يخصّ الأعمال العربيّة التي عقبته ظهور السوسيريّات الجديدة، فتمثّلت أساساً في الترجمات مثلما حصل مع الكتاب الأوّل لسوسير، وكأنّ التاريخ يعيد نفسه، إلاّ أنّ هذه المرّة سيكون تغيير على مستوى العديد من المقولات اللّسانية، وحتى جانب سيميولوجيا اللسان من صرف و تركيب و نحو و معجم و ترادف و بلاغة و أسلوبية، كلّ ذلك مربوط غير مفصول ، فقد وجد حظّه من هذه المخطوطات الجديدة بعدما أصبح تصوّر سوسير عبارة عن توجّه مفتوح على

¹ - ينظر محمد الملاح: راهنية سوسير من خلال برنامج السوسيرية الجديدة، اللسانيات العربية مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، العدد 8 ربيع الآخر 1440هـ يناير 2019، المملكة العربية السعودية ص

عالم اللّغة¹، و قد عمد الكثير من اللّسانيين العرب إلى الترجمة التي تصبوا إلى تقديم لسانيات سوسير الجديدة؛ منها على سبيل المثال لا الحصر:

- ترجمة مختار الزواوي لكتاب: فرديناند دي سوسير في جوهري اللّغة، الذي حققه سمون بوكي، ورودولف أنغلر، ابن القيم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية، ناشرون، بيروت- لبنان، ط 1. 2019.

- ترجمة حسن المودن وحافظ إسماعيلي علوي لكتاب: أن نقرأ نصوص دي سوسير وكذلك ترجمته هما كتاب دي سوسير في المستقبل: كتابات مكتشفة وتلقّيات جديدة مدخل إلى إعادة قراءة سوسير وهما كتابان من تأليف فرانسوا راستيه، ثمّ نشرهما ضمن (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن، 2017. وهذا الكتاب هو الجزء الأوّل من الأبحاث التي أقيمت ضمن مؤتمر "دي سوسير" بعد مائة عام من الغياب الذي عقد بجامعة القاضي عياض بالمغرب يومي 13 و14 أبريل 2017.²

- ترجمة محمّد خير البقاعي كتاب ميشيل أريفيه بعنوان البحث عن فرديناند دي سوسير (بيروت، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2009)³.

وهناك مؤلفات أخرى تطرقت للسوسيريّات الجديدة منها: مؤلّف مصطفى غلفان " لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد: دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت، لبنان، ط 1. 2017، وكذلك كتاب حسين السوداني: أثر فرديناند دي سوسير في البحث اللّغوي العربي.

ثالثاً: إشكالات البحث اللّساني العربي:

¹ - ينظر محمد الملاح: راهنية سوسير من خلال برنامج السوسيرية الجديدة، ص 15.

² - ينظر: محروس السيد بريك: التلقي العربي الراهن لسوسير في ضوء مخطوطاته المكتشفة، ص 1321.

³ - حسين السوداني: أثر فرديناند دي سوسير في البحث اللّغوي العربي، ص 294.

لقد استطاعت اللسانيات أن تنفذ إلى الأقطار العربيّة غزواً أو طواعيّة، وأصبح الإقبال عليها وعلى فروعها مُتزايداً، وأصبح من السّهل بمكان ملاحظة تلك الأصناف التي يمثّلها الباحثون العرب في تصوّرتهم لهذا العلم الحديث، فهذا صنفٌ محافظ على أصوله اللّغوية رافض لكلّ حديث، وذاك صنف ارتقى في حضن المناهج الغربية بحجّة العلميّة والموضوعيّة، والآخر مثل التوازن والتوافق والوسطيّة عساه ينفع اللّغة العربيّة ولا يترها حقّها، والنتيجة خطابات لسانية تواجه العديد من الصعوبات والإشكالات فيما يخصّ المعرفة والمنهج والرّؤيا والاستبصار¹، وفي هذا الصّدّد نجد أنّ هناك العديد من المؤلفات اللّسانية العربيّة قد أشارت إلى هذه الصعوبات تحت مسمّى "أزمة اللّسانيات في الوطن العربي" مشرقه و مغربه ، منها²:

- علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي لمحمود السّعران.

- أزمة اللّسانيات واللّسانيين في الوطن العربي لمازن الوعر.

- ملاحظات حول الكتابة اللّسانية للفاسي الفهري.

- اللّسانيات وأسسها المعرفية لعبد السّلام المسدي.

- أزمة اللّسانيات العربيّة لمحمود محمد عشاري.

ونضيف إلى هذه المؤلفات، كتاب "اللّسانيات العربيّة الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية لصاحبه "مصطفى غلفان"، والذي تطرّق بدوره إلى أزمة اللّسانيات في الوطن العربي بعدما قام بقراءة نقدية للكتابات اللّسانية المذكورة أعلاه ويستنتج بذلك أنّ هذه الأزمة أو العوائق يمكن تقسيمها إلى نوعين³:

¹ - بشير إبرير: اللّسانيات العربيّة وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمان الحاج صالح اللّسانية: ص21.

² - مصطفى غلفان: اللّسانيات العربيّة الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص18.

³ - مصطفى غلفان: اللّسانيات العربيّة الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص21.

* عوائق خارجية (أو مادية) تتعلق بالمحيط المادي والصعوبات الحقيقية التي تعترض سبيل البحث العلمي عامّة في الوطن العربي.

* عوائق داخلية (أو صورية) ترتبط بكنه الدرس اللساني العربي من حيث هو بناء نظري أو منهجي يُمارس في الكتابات اللسانية العربية الحديثة.

1. إشكالات متعلقة بالقضايا العامة:

لقد اختصر الأستاذ بشير إبرير أزمة اللسانيات العربية ضمن قسمين: قسم تعلق بالقضايا العامة، وقسم يكمن في العلاقة بين التراث والحداثة؛ أما القسم المتعلق بالقضايا العامة فتمثل في¹:

1.1 الانبهار بالآخر وجلد الذات: وهذا العنصر قد أصاب مكنم الداء؛ ذلك أنّ الغربيين يرتكزون على لغتهم كمنطلق للدراسة العلمية، في حين تكون اللغة العربية في نظر بعض الباحثين العرب غير قادرة على استيعاب القضايا الكبرى في اللسانيات وغيرها من العلوم الأخرى، وهذا هو جلد الذات بعينه.

2.1 تصوّر بعض اللسانيين والباحثين العرب للسانيات: كأن يجعلوا منها وسيلة يحققون

بواسطتها جميع أهدافهم كيفما كانت، أو أن يكون تصوّرهم لها محصورا كلياً أو جزئياً بحقل الصّوتيات، إضافة إلى عدم مراعاة لخصائص اللغة العربية حين إسقاط الأمثلة الأجنبية عليها اهتداءً بالمراجع الأجنبية.

3.1 محاولة تحديد مفهوم المصطلح اللساني: وهي محاولة رافقت البحث اللساني العربي منذ

بدايته، ولا تزال لحدّ الآن ممّا وضع اللسانيات العربية أمام أزمة مُصطلحيّة، وفي نظر الأستاذ بشير إبرير، أنّه لا مشاحة في الاصطلاح إذا كان المفهوم واحداً، وهو بذلك يدعو إلى تجاوز هذه الأزمة.

¹ - بشير إبرير: اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية (بتصرّف)، من ص 23 إلى 43.

4.1 افتقار اللسانيات إلى الخطاب التعليمي: وهذا العنصر هو بمثابة الرابط الوحيد الذي من خلاله يمكن للسانيات أن تُدرك نظريًا وتطبق ميدانيا وبالتالي وجب على المختصين اللسانيين تقديم خطاب تعليمي في اللسانيات يوضحها وييسر فهمها.

5.1 عدم التوافق بين المعيار والاستعمال: وعليه لا يجب النظر إلى النحو واللسانيات على أنهما ضدّين، بل إنّ اللّغة وضع واستعمال وهذا هو موضوع اللّسانيات العربيّة.

6.1 المعرفة باللغات الأجنبية: هي من ضروريات المعرفة عامّة ومن الجميل أن نجعل اللّغة العربيّة هي لغة العلم ومن الأجل أن نتقن لغات العالم كي نصدّر فكرنا إلى الآخر ومنها اللّغة الإنجليزيّة.

7.1 عدم توسيع مجال القراءة بالنسبة للباحث: وهو إشكال معرفي آخر يزيد من حدّة الأزمة في اللّسانيات العربيّة، كون أنّ اللّسانيات لها علاقة بالكثير من العلوم والتخصّصات.

8.1 غياب المتابعة النقدية للكتابة اللسانية العربيّة: أي أنّه من واجب الباحثين العرب أولوا الخبرة والنّباهة في هذا الميدان أن يتحلّوا بروح النقد ومتابعة المنجز اللساني العربي بوعي وتمحيص، وتصحيحه وتقويمه لإبراز قيمته الإيجابية لا من أجل إشعار العرب بالدونويّة*.

2. إشكالات متعلقة بالحدّات والتراث¹:

إنّها بوابة واسعة تندقق من خلالها العديد من الإشكالات، وأبرزها صور تلقي اللسانيات في الوطن العربي والتي تمخّض عنها ثلاث مواقف كبرى - سبق ذكرها - متمثلة في الموقف

* لقد عرض الأستاذ إبرير رسالة للفاسي الفهري موجهة لصديقه الباحث اللساني والمترجم السعودي حمزة بن قبلان المزني، وهي رسالة قد تقوّل فيها بعض الأقاويل على عبد القادر المهيري، ومازن الوعر اللساني السوري، وعبد الرحمن الحاج صالح الجزائري، ومن سار في فلکهم وهو دليل على عدم وجود خطاب نقدي لساني يواكب ما ينتجه البحث اللساني العربي بل هو خطاب لا طائل منه إلاّ تحريك مشاعر إيديولوجيّة تنازعيّة، للاستزادة ينظر:

<https://twitter.com/pdf>.

<https://www.evernote.com>.

¹ - ينظر بشير إبرير: اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمان الحاج صالح اللسانية، ص44.

الحدائي والموقف التراثي، أما الموقف التوافقي فهو في نظر الأستاذ إبرير غير الموقف الانتقائي كونه ينتقي من التراث علامات معينة ليضيئها.

كما نجد في هذه الإشكالات أيضا إشكال الفوضى المصطلحية، الذي اعتبره الأستاذ بشير إبرير من القضايا العامة التي وجب تجاوزها، والملاحظ أنّها من أخطر القضايا التي خلفتها جدلية الحدائة والتراث ذلك أنّ «مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها المعرفية وعنوان ما به يتميز كلّ واحد منها عمّا سواه»¹.

وعليه وجب علينا التطرق إلى إشكالية المصطلح في اللسانيات العربية الحديثة، عامة في المشرق العربي ومغربه، فلا يمكن القول أنّه مشكل إلاّ إذا عمّ هذين القطرين.

3. إشكالية المصطلح اللساني - في ظلّ تناقض اللسانين في المشرق والمغرب

العربيين -

إنّ قضية المصطلح قضية أساس وركيزة للعلوم، عهدها العرب منذ القديم في سياق منظّم، وعمل مدرّوس بما يسمّى "بصناعة المعجم" وهذا خلال القرن الثالث الهجري مع كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي ما يفتأ يُمثّل السبق والرّيادة في هذا المجال، إضافة إلى جهود الكثير من علماء العرب في المعاجم المختصة من أمثال: ابن سيّده في معجمه "المخصص" و"فقه اللّغة" للثعالبي وغيرهما من الجهود التي آثرت الحفاظ على اللّغة العربيّة من الشتات ولو بمحاولات فردية²، واستمرّت مثل هذه المحاولات إلى أن وصلت عتبة العصر الحديث والمعاصر، وما تزال حدّ الآن ممّا لاقتته من إشكالية مصطلحية عويصة كان سببها هو حدائة علم اللّسانيات بالمقارنة مع العلوم الجاورة

¹ - عبد السلام المسدي: قاموس اللّسانيات عربي فرنسي - فرنسي عربي مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب

(ب.ت)، ص 11.

² - ينظر: خالد بن عبد الله بن محمد العبيدي: إشكالية التعريب في المصطلح اللّساني، مجلة الحكمة للدراسات الأدبيّة واللّغوية،

المجلد 3، العدد 4، 01 / 12 / 2015، ص 37.

كالتَّحو والبلاغة¹، إلى جانب أنّ هذا العلم منقول إلينا عبر الترجمة، ممّا قد يزيد من حدّة الإشكال، بل وقد يصل الأمر إلى أن نلاحظ اختلافاً حول أيّ اللَّفظين أنسب للاستعمال أهو لفظ "المصطلح" أو "اصطلاح" مع أنّ الأول هو الشائع في مختلف الدّراسات اللّسانية أو التّقديّة أو غيرهما، فنجد أنّ البعض يفضّل استعمال لفظ "اصطلاح" على رأسهم الأستاذ: يحيى عبد الرؤوف جبر الذي يقول: «إنّه لغريب حقّاً أن نجد معظم الباحثين يستخدمون كلمة مصطلح بدلاً من اصطلاح، مع العلم أنّ هذه الكلمة لا تصحّ لغة إلاّ إذا اصطلحنا عليها، ذلك أنّ أسلافنا لم يستخدموها ولم ترد في المعجم لهذه الدّلالة ولا غيرها»².

وفي المقابل نجد أنّ الأستاذ "إدريس العلمي" له وجهة مغايرة بحيث يرفض استخدام هاتين المفردتين مترادفتين حيث يقول: «من الغبن للغة الضّاد أن نجعل لفظ الاصطلاح ولفظ المصطلح مترادفين، وهي في حاجة إلى مقابل واضح ودقيق للفظ الأجنبيّ (Terminologie) وفي الحاجة كذلك إلى مقابل دقيق للفظ (Terme) وذلك في وقت تُعاب فيه بالغموض والالتباس وعدم الدّقة في وضع أو اختيار المصطلح»³، وعليه يُعرّف الاصطلاح بأنّه: «مجموع مفردات خاصّة تستعمل في ميدان من ميادين المعرفة أو في ميدان مهنيّ»⁴. ويعرّف المصطلح بأنّه: «مفردة من الاصطلاح؛ أي كلمة من مجموع مفردات خاصّة لا تستعمل في الكلام العادي الجاري على ألسنة النّاس»⁵. ورؤيته هاته تبيّن أنّ المصطلح هو جزء من الكلّ الذي يمثّله الاصطلاح، أو أنّه يمثّل المعنى المقيّد في مقابل

¹ - ينظر: عبد العزيز حليلي: اللّسانيات العامّة واللّسانيات العربيّة، تعاريف أصوات، منشورات مجلة دراسات سيميائية أدبيّة

لسانية، دراسات سال مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 1991، ص 4.

² - يحيى عبد الرؤوف جبر: الاصطلاح مصادره ومشاكله، مجلة اللّسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغرب، 1992، ع 36، ص 143.

³ - إدريس بن الحسن العلمي: في الاصطلاح: جمعه وقدم له وأخرجه ولده: أمل العلمي، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار

البيضاء، المغرب، ط 1، 2002، ص ص 14 - 15.

⁴ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁵ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المعنى المطلق، وهنا يتوافق مع تعريف الباحث صالح اليحياوي محمد شيت للمصطلح بأنه: «كلمة ذات معنى مقيد ويستعمل منفصلا عن معناه المطلق بعلاقة بينهما كالعموم والخصوص أو الكلية والجزئية أو غيرهما»¹.

وبالعودة إلى تراثنا العربي نجد أنّ الشريف الجرجاني (ت 816هـ) قد عرّف الاصطلاح وفيه تضمّن معنى المصطلح بقوله: «الاصطلاح هو عبارة عن اتفاق قام على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأوّل، وإخراج اللفظة من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما ... وقيل الاصطلاح لفظ معيّن بين قوم معينين»².

وهذا حال المصطلح اللساني الحديث الذي يمثّل اتفاقا بين المختصّين اللسانيين لنقله عن موضعه الأجنبيّ الأوّل، والذي لا بدّ وأن يتشكّل من الموقع الجغرافي إضافة إلى لغة وثقافة هذا الموقع، ليتمّ فيما بعد اعتماده في البحوث والدّراسات اللسانية وهذا كلّ عن طريق الترجمة باعتبارها جسر العلوم والمعارف على حدّ سواء.

وبالتالي يمكن القول أنّ قضية المصطلح اللساني، ستعبّر مرّة أخرى عن جدلية التراث والحداثة التي تعيشها اللسانيات العربيّة الحديثة منذ نشأتها؛ باعتبارها علم حديث تمخّض عنه مصطلحات علميّة ساعدت في إثرائها ثلاثة روافد وهي: «التراث، أي الاعتماد على مصطلحات وضعها القدماء بُغية إطلاقها واستعمالها للدلالة على مصطلحات مستجدّة، ورافد ثانٍ يستند إلى الحداثة الغربية، أي

¹ - محمد شيت صالح اليحياوي: اللغويون قديما وحديثا، مجلة اللسان العربي، الرباط، العدد 20، 1983، ص 55.

² - الشريف الجرجاني (ت 816هـ) معجم التعريفات، قاموس اصطلاحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوّف والتحو والصّرف والعروض والبلاغة: تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د ط، د ت)، ص 27.

الاعتماد على ترجمة المصطلحات الغربية أو تعريبها، أمّا الرافد الثالث فيشمل المزوجة بين التراث والمصطلحات الحديثة»¹.

والنتيجة هي عدد هائل من المصطلحات اللسانية، مبنوثة في عدد هائل من الكتابات اللسانية العربية، تتسم بعدم التوحيد، إذ يمكن أن تجد للمصطلح الواحد عدّة مقابلات، وهذا ما أريك الباحثين اللسانيين عموماً في شتّى ربوع الوطن العربي، وفي هذا الصدد يقول يوسف وغليسي: «الشهادات تشترك في رميها للمصطلح الجديد بسهام الإشكال والإغراب والانغلاق، ووجه الإشكالية في ذلك، أنّ المصطلح الأجنبي قد ينقل بمصطلح عربيّ مبهم الحدّ والمفهوم، وأنّ المفهوم الغربيّ الواحد قد ينقل بعشرات المصطلحات العربية المترادفة أمامه، أو أنّ المصطلح الواحد قد يردّ مُقابلاً لمفهومين غربيين أو أكثر في الوقت ذاته»².

يبدو الأمر بديهياً أمام الظروف المعرفية التي يشهدها العالم الحديث، إلا أنّ الأمر عظيم في نظر الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح -رحمه الله، بل هو أوسع وأشمل لأنّه يمسّ بثقافة العرب ككل وسيوقعهم إلى التبعية الثقافية، فمعلوم أنّ المصطلحات هي ألفاظ دالّة، ويختلف مدلولها من لغة إلى أخرى مع اتّحاد المسمّى ويتبعه اختلاف في التصوّر كذلك من بلد إلى آخر، والواجب هو نقل المصطلحات والمفاهيم العلميّة العالمية المجمع عليها من حيث تحديدها، وذلك بالمقارنة الدقيقة بين مدلولات الألفاظ في أكثر من لغة³ حتى نضمن سلامة العربية وثبات مصطلحاتها العلمية على الخصوصية العربيّة.

¹ - مسعود شريط: ترجمة المصطلح اللساني إلى اللّغة العربيّة أزمة تمثل المفاهيم أو موضحة اختلاف، مجلة إشكالات، معهد الآداب واللّغات بالمركز الجامعي تامنغست، الجزائر، العدد الثاني عشر، ماي 2017، ص 104.

² - يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح النقدي الجديد، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، ط 1، 2008، ص 56.

³ - ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية، ص 385.

نلخص إلى القول أنّ اللسانيات العربيّة الحديثة تعاني من فوضى مصطلحيّة عارمة كانت وراءها عدّة أسباب منها:

- تعدّد المشارب الفكرية واختلافها للعلماء العرب «بين لاتيني وسكسوني وجرماني وسلافي، وطبيعة الجدة "المتحددة" التي تكسو المعرفة اللسانية المعاصرة، وتراكم الأدوات التعريفية والمفردات الاصطلاحية، ممّا يقتضيه تزواج مادة العلم، وموضوعه في شيء واحد هو الظاهرة اللغويّة»¹.
- طفرة الوضع المفهومي، وما ينشأ عنه من توليد مطرد للمصطلح الفتي بحسب توالي المدارس اللسانية، وتكاثر المناهج التي يتوسّل بها كل حزب من المنتصرين للنظرية الواحدة أحياناً².
- تعدّد وسائل توليد المصطلحات لاسيما وسائل التوليد المألوفة وغير المألوفة فيما يخص المعنى وما يخصّ المبني فقط، وما يخصّ المعنى والمبني معاً (الاشتقاق، التعريب، التركيب) الأمر الذي أدّى إلى تعدّد المصطلح³.
- إغفال التراث العربي والانقطاع عن استعمال المصطلحات التراثية بعد النهضة الحديثة الغنيّة بمفاهيمها، والاعتماد على مصطلحات جديدة تعبّر عن المفاهيم نفسها التي تعبّر عنها تلك المصطلحات التراثية، ممّا أدّى إلى ازدواج مصطلحي لا يخدم التعبير الدقيق والتفاهم السريع⁴.
- وممّا لاحظته الأستاذ المسدي بعد أن خاض تجربة وضع قاموس للسانيات أنّه توجد ثلاث مراحل مهمّة في الترقّي نحو صوغ المصطلح التألّفي والتي ستُخلّف فوضى مصطلحيّة وهي¹:

¹ - عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات عربي فرنسي - فرنسي عربي مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، 1984، ص 55.

² - المرجع نفسه، ص 55.

³ - علي بوشاقور: المصطلح اللساني بين الاختلاف والتوحيد في الأقطار المغاربية، منشورات وحدة البحث، تلمسان، 2018، الإصدار السادس، ص 379.

⁴ - علي بوشاقور: المصطلح اللساني بين الاختلاف والتوحيد في الأقطار المغاربية، ص 379.

(مرحلة التقبل، مرحلة التفجير، مرحلة التجريد).

وهذا الجدول يمثل بعض الأمثلة المصطلحيّة وهي تمرّ بالمراحل الثلاث التي استخلصها

المسدي²:

مرحلة التجريد (والانتزاع)	مرحلة التفجير	مرحلة التقبل	المراحل المصطلح الأجنبي
الصوتيات	علم الأصوات الحديث	الفوناتيک	Phonétique
المعجمية	علم صناعة المعجم	الليكسيكوغرافيا	Lexicographie
الصوتية	علم وظائف الأصوات	الفونولوجيا	Phonologie
الأسلوبية	علم الأساليب الأدبية	الستيلستيك	Stylistique
الآنية	المنهج المتزامن أو المتعاصر أو	السنكرونية	Synchronie
الزمانية	المتوالت	الدياكرونية	Diachronie
	المنهج التطوري أو المتعاقب أو		
	التاريخي		

وبإطلالة سريعة على هذا الجدول يتّضح لنا أنّه توجد فوضى مصطلحيّة مادام للمصطلح

الواحد عدّة مراحل وكلّها ثابتة في الكتابات اللسانية العربيّة، فمن غير المعقول أن يعيد المؤلف اللساني صياغة مؤلفه بعدما اعتمد على المصطلح في المرحلة الأولى من هذه المراحل، ليتابع المصطلح مرحلته حتى يستوي مجردا ويوضع بين يدي هذا المؤلف اللساني في صيغة أخرى، غير التي استعملت عنده في المرحلة الأولى، والنتيجة تعدّد مصطلحيّ لمفهوم واحد.

¹ - ينظر عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات عربي فرنسي - فرنسي عربي، ص 53، 52.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 53.

تُعتبر المراحل الثلاث الذي وضعها المسدي للمصطلح التأليفي ومنه المصطلح اللساني مراحل ذات نظرة واسعة بالمقارنة مع ما توصل إليه أحمد محمد قدور من تصوّر دقيق حول الأزمة المصطلحية في اللسانيات عموماً، ففي نظره أنّ هناك مرحلتين مرّت بهما اللسانيات العربية الحديثة وهي¹:

1. المرحلة الأولى: يؤرّخ لها بصدور كتاب علي عبد الواحد وافي (علم اللغة) في مطلع الأربعينيات إلى بدء عقد السبعينيات، وهي مرحلة في نظر "محمد قدور" خالية من أزمة المصطلحات إلاّ فيما عرف من نقاشات عامّة حول مناهج الدرس اللغوي.
2. المرحلة الثانية: فتبدأ في نظره من السنوات الأولى من السبعينيات ولا تزال مستمرّة إلى يومنا هذا، وفيها عرفت أزمة المصطلح اللساني خاصّة ومشكلات اللسانيات عامّة، ويعزى هذا الأمر إلى حركة الترجمة والتأليف والتطبيق.

وبموجب هذا التقسيم يمكن القول أنّ المرحلة الثانية هي بمثابة تأريخ زمني لأزمة المصطلح اللساني، وخاصّة ما عرفه المصطلح الرئيس وهو (اللسانيات من عدم التوحيد) فمن البديهي أولاً أن يترجم المصطلح الدال على هذا العلم الحديث قبل أن تُترجم مناهجه ونظرياته، فقد بلغت المصطلحات المعربة أو المترجمة لهذا المصطلح (Linguistique) ثلاثة وعشرين مصطلحاً وقد أوردتها الأستاذة الدكتورة عبد السلام المسدي مثل: «الألسنية، وعلم اللغة، واللغويات، والدراسات اللغوية الحديثة، وعلم اللغة العام، وعلم اللسان، واللانغويستيك...»².

هذا إلى جانب ما ذكره المسدي حول اختلاف استعمال هذا المصطلح من باحث لآخر وخاصّة «بعد الندوة الدولية لللسانيات المنعقدة في تونس 1978، والتي أشارت من ضمن توصياتها إلى أن يوحد مصطلح العلم إلى "لسانيات" غير أنّ أيّاً من المترجمين لم يعتمد ذلك رغم أنّ الندوة

¹ - أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، طبعة مزيدة ومنقحة، 2008، ط 3، دار الفكر، آفاق معرفة متجدّدة، دمشق،

2008، ص 37.

² - عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات، ص 72.

سابقة الذكر أمّنت اتّساع القرار لما ستقطبت متخصصين من تونس والمغرب وليبيا ومصر والعراق والكويت وسوريا، إضافة إلى متخصص يمثّل مكتب تنسيق التعريب بالرباط وممثّل للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم»¹. وهي تترجم من خلال محاضرات في اللسانيات العامّة.

كما من الممكن تخطّي هذه الأزمة المصطلحيّة لو أنّها اقتصرّت فقط على عنوان هذا العلم "اللسانيات"، إلاّ أنّ الأمر استفحل بعدما توجّه الاهتمام إلى موضوع اللسانيات فكثرت الكتابات حوله وتعدّدت طرق التعامل المصطلحي؛ ممّا أدّى إلى إثارة مشكلة المصطلح اللساني مرّة أخرى، حتى إنّ المختصّين في هذا الميدان يعدّونه مقدّمًا على سائر المشكلات اللسانية²، فعقدوا ملتقيات وندوات ومؤتمرات وطنية ودولية قصد ضبطه وتوحيده ولكن بعد أن يشخصوا مكنم الداء، ومن أمثلة هذا التّشخيص ما قام به محمد قدّور في كتابه مبادئ اللسانيات حيث قسّم المشكل المصطلحي إلى قسمين:

1.3 مشكلة طرق التعامل مع المصطلح اللساني من حيث الجوانب الفنيّة:

ويقصد بها تعدّد وسائل وطرق توليد ألفاظ جديدة ومعان محدثة للمصطلح اللساني إضافة إلى استناد هذه الوسائل إلى مخزون لفظي ودلالي غير محدودين، ليجمع بذلك الدّخيل الذي يُورد بلفظه كما هو، والمعرب الذي يوضع في قوالب عربية، والعربي الذي أشرب المعنى الجديد، والشرح الذي يحدّد المفهوم عن طريق الجمل بدلا من اعتماد لفظ ما للإشارة إلى مصطلح أجنبي واحد، والنتيجة ظهور مصطلحات مترادفة من شأنها زيادة حدّة هذا الإشكال³، ومن أمثلة ذلك تعدّد المصطلح الواحد الخاصّ بالعلوم اللسانية وفروعها منها:

¹ - حسين السّوداني: ترجمة المصطلح وتوطين اللسانيات: مثال الترجمات العربية الخمس لدروس فرديناند دي سوسير، المعهد العالي

للعلوم الإنسانية بتونس، مجلة اللسانيات العربيّة، شوال 1439هـ - يوليو 2018م، العدد 7، ص 31.

² - ينظر: أحمد محمد قدّور: مبادئ اللسانيات، ص 42.

³ - ينظر: أحمد محمد قدّور: مبادئ اللسانيات، ص 49.

أمثلة عن ترجمة مصطلح اللسانيات* من معاجم مختارة:

المصطلح الأجنبي	المقابل له في المعجم الموحد في اللسانيات ¹
Linguistique Linguistics	لسانيات
	المقابل له عند عبد السلام المسدي (قاموس اللسانيات) ²
	لسانيات
	المقابل له عند عبد القادر الفاسي الفهري ³
	اللسانيات
	المقابل له عند مبارك مبارك ⁴
	ألسنية، علم اللغة
	المقابل له عند عبد الرحمن الحاج صالح ⁵
علم اللسان، اللسانيات	

* يقول المسدي عن مصطلح اللسانيات أنه: "ظهر أول ما ظهر في الجزائر سنة 1966 عند إنشاء "معهد العلوم اللسانية والصوتية" التابع لجامعة الجزائر وقد أصدر المعهد منشورا حدّد فيه مهامه فكان يستعمل مصطلح "اللساني" و"اللسانية" في مجرى النعت ثم استعمل عند الحديث عن العلم ذاته لفظ "علم اللسانيات" ولكنه عند الحديث عن نظام المعهد ونشاطه مخّض المصطلح فذكر: قسم اللسانيات التربوية وقسم اللسانيات الرياضية، غير أنّ الذي كرس المصطلح وبوّأه منزلة الإشعاع إنّما هو صدور مجلّة المعهد سنة 1971 "اللسانيات"، المسدي: قاموس اللسانيات، ص 71.

¹ - المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، ط 2، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، 2002م، ص 87.

² - عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، ص 155.

³ - عبد القادر الفاسي الفهري: معجم المصطلحات اللسانية، د ط، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، ص 177.

⁴ - مبارك مبارك: معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، ط 1، بيروت، لبنان، د ت، ص 168.

⁵ - مؤلفات عبد الرحمن الحاج صالح -رحمه الله- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، مدخل إلى علم اللسان

البشري.

المصطلح الأجنبي	المقابلات العربية
Semiologie	«ساميولوجيا، سيميولوجيا، سيميولوجية، سيامة، السّيماء، السيمياء، العلامية، علم الدلالة، علم الدلائل، علم العلامة، وعلم العلامات، علم الإشارات والرّموز» ¹ ، وعلم دلالة الأمراض ² ، الأعراضية ³ ، السيمياء ⁴ ، علم الإشارة السيميولوجيا ⁵ .

2.3 مشكل اضطراب دلالة المصطلح اللساني:

ذلك أنّ «الدلالة هي الغاية القصوى التي يطلبها الباحث (...) وأنّ أوّل ما يجب الالتفات إليه ههنا هو الوعي بالفرق بين الدلالة اللغوية العامّة من جهة والدلالة الاصطلاحية الخاصّة من جهة أخرى حتى لا يكون خلط أو التباس»⁶.

- ¹ - وردت هذه التسميات مع ذكر أصحابها عند أحمد محمد قدور (مراجعته لكتاب السيمياء لبيار غيرو)، في المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، العدد (21)، المجلد السادس، شتاء (1986)، ص 224-225.
- ² - ينظر: المسدي: قاموس اللسانيات، ص 77.
- ³ - محاضرات في الأسنية العاقبة: ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، دار النعمان للثقافة جونية بلبنان، 1984، ص 27، وكذلك ينظر: كتاب الدكتور يوسف غازي (مدخل إلى الألسنية)، منشورات العالم العربي الجامعية، دمشق، 1985م، ص 41-42.
- وقد لاحظ أحمد محمد قدور في كتابه مبادئ اللسانيات ص 53 الهامش أنّ يوسف غازي يفرّق بين (semiology أي الأعراضية، و(Semiotique): السيمياء. (ينظر: محمد قدور: المرجع نفسه، ص 3)
- ⁴ - السيمياء لبيار غيرو: ترجمة أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت، عام 1984.
- ⁵ - علم الإشارة السيميولوجيا لبيير جيرو: ترجمة منذر عياشي، دار طلاس، دمشق، عام 1988.
- ⁶ - أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، ص 53-54.

وبالنظر إلى واقع المصطلح اللساني العربي عامة؛ نلاحظ أنه توجد عبارات اصطلاحية مقابلة للمصطلح الأجنبي، وهي كما يراها أحمد قدّور عبارة عن شروحات وإضافات كان من الواجب تحديدها بدقة بدل الإسهاب في تفسيرها ومن هذه الأمثلة¹:

المصطلح الأجنبي	المقابلات	الشروح التي قدمت لها
Chronème	- كرونيم. - مدّة استمرار الصوت مُتَّخِذَة للتمييز بين المعاني. - فونيم مدّة. - فونيم كمي.	- الوحدة الصّوتية. - الوحدة الصّرفية. - علم تأصيل الكلمات. - علم تاريخ الكلمات.

أمّا الأستاذ سمير ستيتية فقد شخص مكن الداء المصطلحي في²:

1 المشكلات الوظيفية وبدورها تتكوّن من:

* كثرة المصطلحات للمفهوم الواحد.

* عدم الفصل بين المفاهيم.

* قلة المصطلحات في المعاجم اللسانية.

2 المشكلات الوضعية.

3 المشكلات التصنيفية.

¹ - ينظر: أحمد محمد قدّور: مبادئ اللسانيات، ص 55-56، وينظر أيضا: قاموس اللسانيات 1984 (المسدي)، ص 82، وينظر أيضا عمر أحمد مختار: المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية، مجلة عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الثالث، الكويت، 1989م، ص 16.

² - ينظر: سمير ستيتية: نحو معجم لساني شامل موحد، مشكلات وحلول، مجلة أبحاث اليرموك (سلسلة الآداب واللغويات)، المجلد 1، العدد 2، 1992، ص من 146 إلى 171.

4 مشكلات تعريب المصطلح اللساني.

وهناك من الكتابات اللسانية التي اتخذت منها تقويميا لبعض المعاجم المنجزة في المجال اللغوي، مثل عمل عبد العزيز بن إبراهيم السويل تحت عنوان "المصطلحات مشكلة علم اللغة العربي الحديث: دراسة لمعجم مصطلحات علم اللغة الحديث لنخبة من اللغويين العرب"، وفي هذا العمل قام بوضع تصويبات رآها مناسبة أكثر من الترجمة التي وضعها أصحاب هذا المعجم* للعديد من المصطلحات اللسانية، وهذه عينة من المصطلحات مع الترجمة التصويبية، التي من شأنها أن تزيد من حدة الإشكال المصطلحي اللساني:

الترجمة التصويبية ⁴	المصطلح العربي المقترح ³	المصطلح المدرج ²	الصفحة/ المسرد ¹ E
التغيير المقرون أو المربوط	التغيير المشروط	Combinatory change	ص 11
المقرون المتغير	المتنوع المشروط	Combinatory variant	ص 11

* عنوان المعجم المدرس هو: معجم مصطلحات علم اللغة الحديث: تأليف محمد حسن باكلا، ومحي الدين خليل الريح، وجورج

نعمة سعد ومحمود إسماعيل الصيني وعلي القاسمي، مراجعة: محمد حسن باكلا وكمال عمر بشر وعبد الحميد الشلقاني ومحمود إسماعيل الصيني وصالح جواد طعمة، نشر مكتبة لبنان، عام 1983، الطبعة الأولى.

¹ - ينظر: محمد حسن باكلا، ومحي الدين خليل الريح، وجورج نعمة سعد ومحمود إسماعيل الصيني وعلي القاسمي: معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، الصفحات 11-13-17-19-54-68- المسرد (E).

² - المرجع نفسه، الصفحات: 11-13-17-54-68- المسرد (E).

³ - ينظر المرجع نفسه، الصفحات المذكورة في الجدول على الترتيب.

⁴ - عبد العزيز بن إبراهيم السويل، مجلة جامعة الملك سعود، م 7، الآداب (1)، ص ص 241-263 (1415هـ/1995م)،

بعنوان: المصطلحات مشكلة علم اللغة العربي الحديث: دراسة لمعجم مصطلحات علم اللغة الحديث لنخبة من اللغويين العرب، ص 256-257.

الاستفهام الاثباتي	الاستفهام التثبتي	Combinatory interrogative	ص 13
البناء	التركيب	Construct	ص 13
التلوين	المزج	Contamination	ص 13
المعنى الحرفي أو القريب	المعنى الحقيقي	Donatation	ص 17
المكونات المتقطعة	المكونات المفصلة	Discontinous constituents	ص 19
الصائت الوسطي أو المركزي	الصائت المحايد	Medium vowel	ص 54
المتغير الصوتي	المغاير الصوتي المتنوع الصوتي	Phonetic variant	ص 68

ويوجد أيضا اختلاف في ترجمة المصطلحين الأساسيين¹:

(بالفرنسية Consonne) Consonant

(بالفرنسية Voyelle) Vowel

المصطلح الأجنبي	المقابل	مراجع الترجمة المقابلة بالعربية
Consonant vowel	الساكن صوت اللين	الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه "الأصوات اللغوية". (ط. نهضة مصر بالفجالة. نشر مكتبة نهضة مصر بالفجالة.
Consonant vowel	حرف حركة	إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة (مطبعة لجنة صوت البيان العربي سنة 1951 - نشر مكتبة الأنجلو المصرية).

¹ - ينظر: محمود السّعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 29-30.

Le "	عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص: ترجمة كتاب	ساكن (ج)	Consonant vowel
	langage "اللغة" للعالم الفرنسي J. Vendryes ج. فندريس	سواكن	
	(مطبوعة لجنة البيان العربي سنة 1950. القاهرة، نشر مكتبة	حركة (ج)	
	الأنجلو المصرية).	حركات	

والملاحظ من الجدول أنّ هناك ترجمة مختلفة عند مؤلف واحد وهو إبراهيم أنيس وهذا الاختلاف نتج عن حضور التصوّرين اللغوي العربي القديم واللغوي الغربي الحديث عند إبراهيم أنيس، ممّا يؤدي إلى الارتباك في استيعاب المقابل الصحيح.

3.3 نماذج متفرقة للتعددية المصطلحية:

مصطلح "Structuralisme" لقد جمع له الباحث توفيق الزيدي عدّة مقابلات مبثوثة في كتابات العديد من النقاد العرب منها¹:

المصطلح الأجنبي	الترجمة الواردة
Structuralisme	- بنيانية: عند رمون طحان، وذلك في مجلة مواقف، عدد 15، 1971. - هيكلية: عند حسين الواد في كتاب البنية القصصية في رسالة الغفران 1972. - بنيوية: عند عدنان بن ذريل في مجلة المعرفة ع 178، 1976. - بنائية: عند صلاح فضل في كتابه نظرية البنائية 1978.

وقد دارت حول هذا المصطلح عدّة نقاشات، والمرجح هو استعمال المقابل له: "بُنوي" الذي تبناه الأستاذ الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح -رحمه الله- وهو مصطلح منسوب إلى (البنية) وهذا

¹ - ينظر: توفيق الزيدي: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم،

تونس، (د ط)، 1984، ص 173.

من خلال قوله: «اتبعنا في هذه النسبة رأي يونس بن حبيب النحوي الذي يقول في ظبية ظبوي، وهو أخفّ من ظبيٍّ ووجهه للخليل»¹.

وهناك العديد من المصطلحات التي نتجت عن التقاء اللسانيات بميادين ومجالات أخرى من بينها كما رأينا المجال النقدي، لتعاني أيضا من تعددية مصطلحية على سبيل المثال مصطلح Déconstruction، الذي توجد له عدّة مقابلات عربية وهذا الجدول خير دليل على ذلك².

مرجع الترجمة	المصطلح الأجنبي
	Déconstruction
	المقابل العربي
عبد الله الغدامي: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، ص 50.	التشريحية
سامي محمد اليوتيل إيبيل: نقد بعض ملامح المنهج البنيوي في النقد الأدبي: ترجمة سامي محمد مجلة الأقاليم. ع 11. 1980. ص 217.	التفكيكية
الحداثة وما بعد الحداثة، ترجمة عبد الوهاب علوب، إصدارات المجمع الثقافي. أبو ظبي 1995، ص 389.	التفكيك
سمعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص 97.	اللابناء
النقد اللابنائي: شكري عزيز ماضي، من إشكالات النقد العربي الجديد، ص 174 - 167.	هدم
التهامي الراجي: معجم الدلائلية، 01 / 162.	

¹ - عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة اللسانيات، المجلد الأول، سنة 1971، ص 38.

² - يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ط 1، 2008، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ص 345 - 349، وينظر إيمان لعور و نبيل بوالسليو: تلقي مصطلح التفكيك في الخطاب النقدي العربي، كتاب (إشكالية المصطلح) يوسف وغليسي أنموذجا، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، المجلد 15، العدد 2، سنة 2021 ص 586.

نظرية التفكيك	مجدي أحمد توفيق: مدخل إلى علم القراءة الأدبية الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د. ت. ص 24.
التحليلية البنيوية	يؤيّل عبد العزيز في ترجمة لكتاب "وليم راي" (المعنى الأدبي من الظاهرية إلى التفكيكية)، دار المأمون، بغداد 1987، ص 09 (من الهامش).
التقويض التقويضية	هيحان الرّويلي: سعاد البازغي: دليل الناقد الأدبي، ص 53. هيحان الرّويلي: قضايا نقدية ما بعد البنيوية، ص 206-207.

4.3 مقترحات لتوحيد المصطلح اللساني العربي الحديث:

لقد أدرك العلماء والباحثون أهمية المصطلحات في تثبيت العلوم والنهوض بها ذلك أنّها: «وسيلة أساسية لتنمية التفكير العلمي الجامعي وكذا الباحث، وتُلبي حاجتهما وتُناسب إمكاناتهما، وتشكل مدخلا منهجيا فعالاً لاكتساب الملكات الوظيفية المؤهلة لحلّ المشكلات المختلفة (...). وتمكّن من التفكير العلمي الموضوعي القائم على الدليل والبرهان والمنطق السليم وإدراك العلاقات الرابطة بين الظواهر في أقل وقت ممكن»¹، ونظرا لما لاقاه هذا المصطلح من تشّتت وعدم توحيد قامت العديد من الدّول العربيّة بمبادراتٍ ممنهجة ومدروسة في سبيل دَحْض هذه الإشكالية المصطلحيّة، وفي هذا الصّدّد أكّد الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح أنّ توحيد المصطلحات العربية لا يتمّ إلاّ بتوحيد منهجيات البحث على أساس تكون فيه «اللّغة هي وضع واستعمال وليست فقط وضِعًا، لظواهر الاستعمال قوانين، وكيفيات خاصّة، واللّغوي الذي لا يهتمّ بذلك فمثله كمثل الصّانع

¹ - بشير إبرير: علم المصطلح وأثره في بناء المعرفة، مجلة التواصل، العدد 25 مارس 2010، جامعة باجي مختار، عنابة، ص

يصنع للناس أدوات دون أن يراعي اهتماماتهم وحاجاتهم الحقيقية، ودون أن يلتفت إلى ما يناسبهم من تلك الأدوات، وما تميل إليه طباعهم ويستخفونه ويستحسنونه»¹.

ومن المبادرات التي وثقت في هذا الميدان، جهود المجامع اللغوية والمؤسسات اللغوية باعتبارها هيئات ولجان تنظيمية، لها أهداف وآفاق وأسمى هدف لها هو: «العمل لإعداد لغة قومية شاملة في مفرداتها واصطلاحاتها الاستعمالية التي تجري مجرى الوسائط في تأدية الغرض العلمي»²، وأول المجامع العربية كان مجمع اللغة العربية في دمشق سنة 1919، وبعدها تأسس المجامع في باقي الأقطار العربية؛ منها في القاهرة (1932) وبغداد (1947) وعمان (1976)، والملاحظ عنها جميعاً أنها حتى ذلك الوقت من تأسيسها لم تشهد ظاهرة التوحيد³، وفي هذا الشأن يقول الدكتور أحمد مختار عمر: «وما أظنّ أنّ هذه الغاية يمكن تحقيقها في ظلّ المجامع اللغوية القائمة التي يتوزّع مجهودها المصطلحي بين مختلف العلوم والفنون، والتي ينقص معظمها الكفاءات اللغوية المختلفة التخصص سواء على مستوى أجهزة التحضير أو الإعداد والمتابعة، أو على مستوى البث وإصدار القرار، كما يعيب أمثال هذه المجامع إيقاعها البطيء، وحركتها المتثدّة، وعجزها عن متابعة سيل المصطلحات والمفاهيم التي تنهمر علينا في كلّ يوم، دون رصد أو متابعة فضلاً عن دراسة ووضع المقابلات العربية له، وقد كان بطن المجامع الشديد، هو السبب الأساسي في فتح الباب على مصراعيه أمام الاجتهادات الشخصية وإفساح المجال أمام الأفراد ليصلوا في الميدان ويجولوا، ثم تدخلت بواعث السبّوق وحبّ الريادة، فأفسدت أيّ محاولة تنسيق»⁴.

¹ - عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، ص 384.

² - عبد الكريم خليفة: اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، منشورات مجمع اللغة العربية، 1987، ط 1، ص 218.

³ - ينظر: يوسف عبد الله الجوارنة: أزمة توحيد المصطلحات العلمية العربية، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد

الحادي والعشرون، العدد الثاني، يونيو 2013، ص 16.

⁴ - عمر أحمد مختار: المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية، عالم الفكر، م 20، ع 3، الكويت، ص 21.

ورغم كل الانتقادات التي تقدّم في حق هذه المجامع - مع العلم أنّ كل انتقاد هو في الحقيقة حجر أساس لبناء هذه المجامع - إلا أنّها تتمثل جهوداً مؤسّساتية لتوحيد المصطلحات العربية في كل التخصصات والمجالات ومنها: مكتب تنسيق التعريب بالرباط، المجمع الجزائري للغة العربية، معهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر، معهد الدراسات والأبحاث بالرباط، بالإضافة إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أيسكو) ولكل من هذه المجامع مهامّ تحرص على تنفيذها¹.

يمكن القول أنّ أقلّ الناس إلماماً باللّسانيات كعلم قائم بذاته وله مصطلحات يقوم عليها، يدرك أنّ هذه المصطلحات تعيش أزمة وفوضى، كان لزاماً على أصحاب الاختصاص أن يشخصوا أسبابها ويُعطوا اقتراحات وحلول لتخطّي هذه الأزمة، وقد تمّ تشخيص الأسباب كما رأينا سالفاً وهذه بعض الاقتراحات لدحض هذه الإشكالية²:

- 1 الكفّ عن محاولات التّسابق على وضع المصطلحات لما كان له مصطلح معروف أو أكثر.
- 2 استعمال ما هو شائع، وإن كان يشكو ضعفاً أو قصوراً، لأنّ الاستعمال كفيلاً بتقوية المصطلح وتوضيح دلالاته.
- 3 قبول ما صدر عن الهيئات الجماعية؛ كالمجامع اللغوية، وبنّته في الدّراسات واستعماله في الترجمات.
- 4 الاتصال بالزملاء الدارسين، للتغلّب على الانعزال والفردية ما أمكن.
- 5 دفع المؤسسات المسؤولة إلى تبني المصطلحات الموحّدة أو الشائعة، وتلك المصطلحات الخاصّة أو الفردية.

¹ - ينظر: علي بوشاقور: المصطلح اللساني بين الاختلاف والتوحيد في الأقطار المغاربية بحث مقدم لوحدة البحث واقع اللّسانيات وتطور الدّراسات اللّغوية في البلدان العربية، تلمسان، بعنوان: الملتقى المغاربي للغة العربية في المدرسة المغاربية -الواقع

والاستشراف - 8 - 9 ماي 2018، منشورات وحدة البحث تلمسان، سنة 2018، ص 381.

² - أحمد محمد قدور: مبادئ اللّسانيات، ص 60 - 61.

6 اتجاه الدارسين نحو الهيئات لتنشيطها واستعادة دورها، ولاسيما مجامع اللّغة ومراكز البحوث، والإقلاع عن توجيه النقد الجائر أو إدارة الظّهر لها.

7 المبادرة إلى إنشاء جمعية علمية تعنى بالمصطلح العلمي عامّة، أو بالمصطلح اللّساني خاصّة على المستوى القومي، لتنسيق الجهود وضبط المصادر وتوحيد العمل.

8 للعودة إلى التراث العلمي واللّغوي العربي القديم، ذلك أنه «ثمّة اتّفاق في الرأي عند المعجميين على أهمية الإفادة من المصطلحات المستخدمة في الكتب التراثية المتخصصة إلى جانب ما ذكرته المعاجم العامّة والعلميّة»¹.

ومن المقترحات التي نراها مناسبة أيضا ما اعتمده الأستاذ "محمد رشاد الحمزاوي" من طرق أساسية في توحيد المصطلح والمتمثلة في²:

- اعتماد المصادر والمراجع الأساسية المتعلقة بالموضوع المطروق.
- الاعتراف والوعي بمبدأ الترجمة، وأنّ ترجمة المصطلح الواحد بمترادفات أمر وارد لا بدّ من تسجيله والافتناع به.
- جرد واستقراء المترجمات المتعلقة بميدان معيّن من ميادين العلوم والتكنولوجيا وهذا يقتضي تقصّي شامل وعميق لجميع المصطلحات المتواجدة كتابة واستعمالا، وذلك لمعرفة المفاهيم الناشئة عن المفهوم الأصلي والمحيط به.
- استخراج المصطلحات المترادفة التي لها صلة بالمفهوم الأصلي، وذلك بالاعتماد على الجذاذات.

¹ - محمد فهمي حجازي: اللّغة العربيّة في العصر الحديث قضايا ومشكلات، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1998، ص 66.

² - محمد رشاد الحمزاوي: المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1986، ص 59-60.

- إخضاع المصطلحات المترادفة المنتقاة إن وجدت مع مصادرها، ومراجعتها المضبوطة بمبادئ الترميز*¹.

هذه مجموعة من الاقتراحات التي وضعها مختصون أساتذة في هذا المجال، أما في نظرنا فمقترحنا يبدأ من حيث تنتهي هذه المقترحات التي تعمل على ضبط المصطلح وتوحيده؛ ومن ثمّ وضعه في معاجم موحّدة للإفادة منها، وعليه نرجو أن توضع هذه المعاجم المتحصّل عليها في المكتبات الجامعية لأنّ الطالب الجامعي الذي يتلقّى اللسانيات الحديثة في أيامنا هذه هو المؤلّف والباحث اللساني في المستقبل، مع العلم أنّ المؤلفات اللسانية التي اشتملت على الفوضى المصطلحية لا يمكن بأيّ شكل من الأشكال إلغاؤها، أي أنّ الرجوع إليها من طرف الطالب أمر بديهي ووارث جدّاً، وعليه يجب في نظرنا أن ترفق هذه المؤلفات اللسانية وغيرها بمعاجم موحّدة تكون في متناول الطالب الجامعي بشكل ملموس ورقياً أو برابط إلكتروني يسهّل عملية الاطلاع على المصطلح الموحّد.

خلاصة:

بموجب ما سبق، يتّضح لنا أنّ اللسانيات في المغرب العربي قد أحرزت تطوّراً بارزاً بالنظر إلى زمن انتقال هذا العلم إلى ربوعها، وأثّما عرفت مسارا تحوّلياً؛ بداية من مرحلة التلقّي التي يُقابلها الخطاب اللساني التمهيدي، مروراً بباقي المراحل، وصولاً إلى الكتابات النقدية المعبر عنها باستمولوجيا اللسانيات، وهي خطوة معرفية كبيرة، شهدتها الساحة اللغوية العربية، وقد حاولنا الوقوف فيها على نماذج ممّا ألفه اللسانيون المغاربة، باعتبارها جهوداً لا يستهان بها، ليتّضح لنا أنّها لا تخلو من إشكالات على رأسها إشكالية المصطلح اللساني، التي يمكن تخطّيها إذا ما تضافرت الجهود العامة.

¹ - الفرق بين الترميز والتوحيد، هو أنّ التوحيد يعني التواضع على استخدام مصطلح دون آخر، أمّا الترميز هو توحيد منهجية وضع المصطلحات، ينظر: بن ناصر داية: المصطلح اللساني العربي الحديث من مشكل التعدّد إلى دواعي التوحيد، مجلة الصوتيات، الجزائر، العدد 19 من صفحة الهوامش والإحالات.

الفصل الثالث

تطبيقات حل الحادّة والثلاث في الكتبة السميّة المعرّية الحينة-قراءة وصفية تحليلية في نماذج مختارة

تمهيد:

في هذا الفصل سنسلط الضوء على ثلاثة نماذج من الكتابات اللسانية المغربية، والمتمثلة في الكتابة اللسانية للطيب دبة من الجزائر، وصالح الكشّو من تونس، وكتابة صالح سليم الفاخري من ليبيا، وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أننا اعتمدنا على التصنيف الذي قدّمه مصطفى غلفان للكتابات اللسانية العربية، كمعيار نتهدي به إلى معرفة مدى استحضار هذه الكتابات النماذج لثنائية الحداثة والتراث، وكذا معرفة الطرف الغالب عليها، واختيارنا لهذا التصنيف كان لاعتبارين مهمّين:

- أوّلهما: أنّ مصطفى غلفان قد اطلع على أهمّ المحاولات السابقة في تصنيف الكتابة اللسانية العربية، مثل محاولة أحمد المتوكّل، والتهامي الهاشمي الراجي ونحلة أحمد محمود، كما قام بوضع معايير لهذه التصنيفات ممثلة في: الموضوع والمنهج والغاية.

- أمّا الاعتبار الثاني: هو أنّ تصنيفه للكتابات اللسانية العربية - في نظرنا - تحضّر فيه ثنائية الحداثة والتراث على الوجه الذي يعيننا على استجلاء جدليتها من الكتابات النماذج المختارة لموضوعنا، حيث نعتبر اللسانيات الحديثة في مصاف الحداثة، ونعتبر المنجز اللغوي العربي القديم في مصاف التراث، ومن ثمّ تكون "اللسانيات التمهيدية" ساحة واسعة لحضور الحداثة، إلّا فيما ورد ذكره من التراث اللغوي العربي على سبيل المقارنة وتبسيط المعرفة اللسانية الحديثة، وتكون "اللسانيات التراث" ساحة تضمّ الطرفين الحدائى والتراثى على حدّ سواء، كثنائية فيها مقارنة وتوفيق، وتكون "اللسانيات العربية" أو اللسانيات المتخصصة ساحة لدراسة اللغة العربية دراسة علميّة، وهنا نحن نخالف رأي مصطفى غلفان في تهميش المنجز اللساني الذي تعامل مع النحو العربي كمادّة و موضوع لللسانيات، ونعتبره من لسانيات العربية المتخصصة لمراعاته خصوصية النظام اللغوي العربي، إلى حدّ التنظير اللسانيّ الخاصّ به.

أولاً: جدل الحداثة والتراث في الكتابة اللسانية للطيب دبه:

1. السيرة العلمية للطيب دبه¹:

هو من اللسانيين الجزائريين ومن مواليد 22 / 10 / 1962 بقصر الشلالة الجزائر، شغل منصب أستاذ في التعليم الثانوي لمادة اللغة العربية، بالثانوية الجديدة بقصر الشلالة (ولاية تيارت) عام 1987 إلى غاية 30 نوفمبر 1998، ثم عضوا لهيئة التدريس بقسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب واللغات بجامعة الأغواط/ الجزائر (من 20 ديسمبر 1998 إلى اليوم)، وتحصل على شهادة الدكتوراه بجامعة الجزائر عام: 27 / 10 / 2008 بالإضافة إلى شهادة التأهيل الجامعي بجامعة بسكرة بتاريخ 13 / 10 / 2010 ثم أستاذ التعليم العالي عام 2015.

إنها فترة زمنية ليست بالقصيرة في مسيرته العلمية توجت بالعديد من الأعمال العلمية، منها الأعمال المنشورة دوليا ووطنيا، ومنها مداخلات دولية داخل الوطن وخارجه، وتندرج هذه الأعمال في معظمها تحت مجال استثمار اللسانيات في دراسة قضايا اللغة العربية، وذلك وفق المعالم التالية:

- ستة بحوث فيما يخص الدراسة النظرية التحليلية لبعض قضايا اللسانيات مشكلات الترجمة وقضايا النظام اللساني.

- ستة بحوث فيما يخص استثمار مفاهيم اللسانيات الحديثة في دراسة قضايا اللغة العربية.

- بحثين فيما يخص استثمار مفاهيم اللسانيات الحديثة في إعادة قراءة التراث.

من أعماله المنشورة كذلك ثلاث مؤلفات:

- التفكير السيميائي في اللغة والأدب، قراءة في تراث أبي حيان التوحيدي، دار عالم الكتب

الحديث، إربد- الأردن، 2015.

¹ - ينظر: موقع إلكتروني منصة أريد، - <https://portal.arid.my/ar-LY/ApplicationUsers/GetProfile/0001->

- مبادئ اللسانيات البنوية، دراسة تحليلية إبستمولوجية، الطبعة الأولى، في دار القصبه - الجزائر -
2001، والطبعة الثانية مزيدة ومنقحة في مطبعة رويغي بالأغواط / الجزائر، 2019.

2. أهمية التراث عند الطيب دبه:

للتراث مكانة مهمّة ومرموقة في الفكر العربي المعاصر كونه شكّل ثنائية بارزة مع ما عرف بعد عصر النهضة بالحداثة، بل هي من أكبر الثنائيات جدلا، والتي أنتجت عدّة مفاهيم ودلالات تكاد تكون في كلّ مرة مغايرة لما قبلها من المفاهيم، فمرة تعبّر عن استمرارية في الإنتاج الإنساني ومرة تُعبّر عن الانفصال والتّكران لذلك الغابر الماضي بتزعم الحاضر الحداثي، ومرة أخرى يكون فيها التراث هو سيّد الموقف حينما ينغلق على نفسه رافضا لكلّ ما هو حديث، إلاّ أنّ هذه الجدلية لم تكن حجر عثرة أمام بعض المفكرين العرب من أمثال الطيب دبه؛ ليتمّ تخطيطها إلى رسم مشهد توافقي تبني فيه الحداثة جسرا للتّحاور مع التراث.

و من خلال تصفّح أعماله، نجد أنّه على الرغم من انتمائه إلى أفق هذا التراث الذي يضرب بجذوره في عمق التاريخ ليصل امتدادا إلى عنان الحاضر، إلاّ أنّ هذا الحضور والانتماء إلى التراث كان فخرا له، ويظهر ذلك حينما يُعيد قراءته ويتتبّع مساره بلا تعصّب ولا انغلاق، بل يمكن القول أنّه أضحى مُفكّرا عصريا ذو حركة جدلية تأويلية بين الوعي المعاصر وبين أصول هذا الوعي في تراثنا، يُحاول بها أن يثبت مقاربة الفكر التراثي لعلمائنا القدامى مع ما أتت به النظريات الحديثة في الفكر العربي المعاصر¹.

ولا أحد يُماري إذا ما قيل أنّ التراث اللّغوي العربي تشكّل في ظلّ الدراسات التي أقيمت حول المنزل الكريم، ونقصد هنا كل مستويات الدراسة اللّغوية من نحو وصرف وتركيب ... وبالتالي فالخصوصيّة الدّينية لازمة لهذا التراث، في المقابل نجد أنّ الحداثة التي تتمثّل هنا في النظريات والمناهج

¹ - ينظر: الطيب دبه: التفكير السيميائي في اللّغة والأدب: دراسة في تراث أبي حيان التوحيدي، ط 1، 2015، عالم الكتب الحديث للتوزيع والنشر، إربد، الأردن، ص 18 - 19 - 21.

الغربية تخلو من هذا الطرح، وقد انتبه الأستاذ إلى هذه النقطة المفصليّة، ففي نظره أنّ التراث يقوم على مبدأ الخصوصية التي على ضوئها استطاع أن يتجاوز في دروسه كثيرا من معطيات الفكر الغربي المؤطرة بمعتقدات الفكر المادي الحر¹، فيكون التراث مقابلا للحداثة في غياب هذه الخصوصية، وهذا ما أدى بالأستاذ الطيب إلى انتقاء الأدوات والإجراءات اللازمة ممّا أتت به الحداثة في سبيل تجديد التراث.

في مقدمة كتابه (التفكير السيميائي في اللّغة والأدب) يُقرّ الطيب دّبّه أنّ التراث اللّغوي العربي يندرج ضمن خطّ تسلسلي مع غيره من تراث الحضارات الأخرى ليتشكّل التراث العالمي، وفي نظره يجب صياغة مفاهيم هذا التراث العربي وبنائها وفق المعطيات المعاصرة².

في نظرنا أنّ لفظة "المعاصرة" هو لفظ مألوف قريب من الفكر العربي لما فيه من معان حضارية تكاد تكون طبيعيّة، فلا بدّ لأيّ تراث أن يسير به الزمن إلى عصر من العصور المشهودة؛ لحين القول أنّه قد عاصر قوماً أنّ لهم أن يصوغوه صياغة جديدة وفق متطلبات زمانهم الذي يشهدونه.

3. الحداثة في منظور الطيب دّبّه:

لقد شاع في الأوساط الثقافية مفهوم الحداثة بأنّها "قطع الصّلة بالتراث" ... أو أنّها «قطع الصّلة بالدين» أو «إنّها العلمانية»³.

هذا التعريف الذي أصبح لصيقا بالحداثة وغيره من هذا القبيل، قد أخاف الكثير من الباحثين العرب ذلك أنّ معظمهم أصحاب عقيدة وتراث، فمن غير الممكن أن يجازفوا بعقيدتهم، كما لا يمكنهم الانفصال عن تراثهم، ولكن بالنظر إلى المناهج اللسانية التي نتجت عن الرّؤية الحداثيّة بدى

¹ - ينظر: الطيب دّبّه: التفكير السيميائي في اللّغة والأدب: دراسة في تراث أبي حيان التوحيدي، ص 19 - 20.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 1.

³ - طه عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي، منتدى سور الأزيكية، ط 1، 2006، (المغرب/ لبنان)، ص 23.

للباحثين العرب بصيص أمل في النهوض بتراثهم العريق، وذلك لما التمسوه من نجاعة في وصف اللسان العربي في ضوء هذه المناهج من خلال انتقاء «لإجراءاتها التحليلية والمنهجية لأنها تأخذ صفة كونية وشاملة مادامت تنطلق من مبدأ تشابه اللغات، وصدورها عن طبيعة عقلية واحدة في الذات البشرية»¹.

أي أنّ هذه المناهج اللسانية على الرغم من انتسابها إلى الفكر الغربي الحدائثي، إلا أنّها تصبو إلى دراسة اللغات البشرية من دون استثناء، وهذا ما يضمن مكانة اللسان العربي ضمن حلقات الألسنة البشرية المقصودة بالوصف، بغض النظر عن الثغرة التاريخية التي شهدتها تراثه اللغوي، وهذه حجر عثرة قد تمّ تخطيها من طرف الكثير من الباحثين العرب، ليتجهوا بعد ذلك إلى إعادة قراءته في ضوء النظريات اللسانية الحديثة، وهذا في نظر الأستاذ الطيب أمر مشروع، بل وحاجة ماسّة، «إلاّ أنّه عمل يظلّ نجاحه مرهونا بقاعدة معرفية متينة تجاه علوم الغرب ونظرياته، وذلك من أجل التحلي بالأدوات الضرورية لقراءة التراث قراءة علمية حدائثية، تعيننا على فهم مبادئه وتوجّهاته، واستيعاب قيمه وخصوصياته، وتمكنا من إدراك أفكار الآخر وتصحيح علاقتنا به ومسايرة تطوّرات الفكر الإنساني المعاصر دون الوقوع في مزالق التبعية والخضوع»².

إنّ القراءة العلميّة للتراث لا تُعاب، فالعلم مطلب شرعي، ومشروع في كل المعتقدات، أمّا القراءة الحدائثية مع ما يُعلم من أهداف الحداثة، قد يكون سببا في تردّد الكثير من الباحثين في خوض غمار هذه القراءة، اللهمّ إلاّ إذا كان المقصود من قول الأستاذ أن يجعل من السلاح الموجه نحو التراث - ونعني به سلاح الحداثة - آلة صالحة لفكّ شفرات ما استُغلق علينا فهمه من هذا التراث العريق، وذلك بتطويعها من خلال انتقاء للإجراءات التحليلية المناسبة، أي أنّ الحداثة المقصودة هنا

¹ - نعمان عبد الحميد بوقرة: الكتابة اللسانية العربية من الرؤية الغربية إلى التأصيل الإسلامي للمنهج: قراءة وصفية في صور التلقي

ونماذج الصياغة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ص 3.

² - ينظر: الطيب دبه: التفكير السيميائي في اللغة والأدب، ص 1.

هي حداثة مخصوصة مادام الأستاذ الطيب يؤمن بمبدأ الخصوصية، ومن ثمّ يمكن القول بأنّ وعي الأستاذ هو وعي نقديّ لهذه الحداثة، والذي لا ينفكّ يُعبّر عن تيارين فكريين:

- «أحدهما دعا إلى الأخذ بالشروط التاريخية والمقدمات الفلسفية التي قامت عليها الحداثة الغربية لولوج المجتمعات العربية إلى الأزمنة الحداثيّة.

- وتيار فكري آخر فصل بين روح الحداثة وتطبيقاتها بوصفها تجربة تاريخية في المجتمعات الغربية، ودعا إلى طرح بديل منها نظرا إلى استحالة استنساخ التجارب الحداثيّة مع إمكان الإفادة منها في عملية ولوج المجتمعات العربية إلى أزمنة حداثيّة مخصوصة»¹.

يبدو أنّ التيار الثاني هو الأقرب إلى منهج الأستاذ مادام يدعو إلى قراءة علمية حداثيّة مخصوصة غير مستنسخة تُعني عن التبعية والخضوع.

ويؤكّد أنّه: «... لا يمكننا تصحيح علاقتنا بالآخر وإزالة تبعيتنا عنه إلاّ إذا كانت لنا منطلقاتنا الذاتية وخليفتنا المتميزة التي تقوم على أسس مرجعية أصيلة، وحينها ننظر إلى ما قدمه الغربيون بمنظارنا نحن نناقش أفكاره، ونعرضها على منطلقاتنا فنأخذ ما يناسبنا، ونترك ما لا يُناسبنا»².

من خلال هذا القول تظهر لنا تلك الحتمية التي تعبّر عن ثنائية (العرب والغرب) عن (الأنا والآخر)، لا ندري من أين أتت هذه الحتمية، وهل هي لازمة حضارية ألاّ يجدرُ بالعرب أن يرتقوا بأنفسهم بعيدا عن الآخر ومن منطلقات ذاتيّة؟ بحيث يكون هذا الارتقاء تجديدا لا حداثيّة؟

ربّما نحن أمام مشهد للبحث عن الهوية وهو شبيه بمقولة المعاني تُدرك بأضدادها، أي أنّ البحث عن الهوية محصور بين دفتين (الأنا/ الآخر)، وفق صلة محدودة، ومن ثمّ فإنّ عملية (التراث والتجديد) هي كفيلة بتحقيق ذلك، لأنّها اكتشفت الأنا وتأصيلها وتحرّرها من سيطرة الثقافات التي غزت العالم

¹ - عبد الحليم مهور باشة: الحداثة الغربية وأنماط الوعي بما في الفكر العربي المعاصر دراسة مقارنة بين عبد الله العروي، وطه عبد الرحمن، مجلة تبيّن العدد 23 / 6 شتاء 2018، ص 104.

² - الطيب دبه: التفكير السيميائي في اللّغة والأدب، ص 1.

العربي بمناهجها وتصوراتها، وكذا مذاهبها ونظمها الفكرية، كما أنّها تساعد على مواجهة التحديات الحضارية والغزوات الثقافية وتنقلنا من مرحلة التحصيل والنقل إلى مرحلة النقد والخلق والابتكار¹.

هذا المفهوم بما يحمله من تأسيس لمرحلة النقد البناء يُشبه في نظرنا مرحلة مناقشة الأفكار الغربية التي يؤسس لها الأستاذ، والتي ينجم عنها مرحلة الخلق والابتكار بمنطلق تراثي أصيل، وبالتالي فالحداثة في نظره ليست امتدادا للتراث، كونها لا تراعي الخصوصية بل بينهما مقاربة، شرط توفر آلة النقد مشفوعة بالوعي والتمحيص، لبناء نموذج عربي بديل يُراعي فيه مبدأ الخصوصية، ويمكن من خلاله قراءة هذا التراث واستكناه مبادئه وتوجهاته ونظمه، وفي هذا الصدد يقول: «... أن كل دراسة حداثة لرمز من رموز التراث أو لظاهرة من ظواهره الفكرية تغفل ذلك الرباط الديني الوثيق الذي تؤول إليه جميع البحوث والدراسات العربية الإسلامية هي جهد قاصر عن إدراك الحقيقة في كليتها، وعمل قليل النفع عديم الجدوية»².

والحكم الذي توصل إليه الأستاذ من خلال هذا القول إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على تقديسه لدينه، كما يدل على رغبته في الانفتاح على المناهج اللسانية لإعادة قراءة التراث اللغوي العربي انفتاحا واعيا ترجمته العديد من مؤلفاته اللسانية.

4. الخطاب اللساني عند الطيب دبّه:

نروم في هذا المبحث إلى ان نسير وفق خط استقرائي لاستشراف الجوانب الحداثيّة والتراثيّة في الخطاب اللساني عند الطيب دبّه، وحينما نذكر مصطلح الحداثة في هذا الخطاب، نقصد بها - كما بيّنا سابقا - الحداثة المخصوصة التي يهدف الأستاذ من خلالها إلى استثمار مفاهيم اللسانيات في دراسة قضايا اللّغة العربية، وتعليمات اللّغة العربية وكذا استثمارها في إعادة قراءة التراث اللّغوي

¹ - ينظر: حسن حنفي: التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،

ط 4، 1412هـ، 1992م، ص 21.

² - الطيب دبّه: التفكير السيميائي في اللّغة والأدب، ص 12.

العربي، وبالتالي فإننا أمام خطاب لساني بأسس علمية وموضوعية، يقتضي الدقة في طرح المفاهيم والمصطلحات¹.

وإذا سلّمنا بفرضية أنّ الخطاب اللساني العربي المعاصر يتمثّل في:

- 1 «كل ما كُتِبَ باللّغة العربيّة في اللّسانيات الغربية الحديثة.
- 2 كل ما كُتِبَ باللّغة العربيّة لدراسة اللّغة العربية.
- 3 المترجمة العربية للكتابة اللسانية الغربية.
- 4 كل ما كُتِبَ في قراءة التراث اللّغوي العربي القديم.
- 5 كل دراسة نقدية للكتابات اللسانية العربية الحديثة والمعاصرة»².

نقول إذا سلّمنا بهذه الفرضية ندرك حينها أنّ كتابات الأستاذ ستأخذ شكلا من أشكال هذا الخطاب الذي ما يفتأ يمثل نتاجا لثنائية الحداثة والتراث.

1.4 الخطاب اللساني في كتاب مبادئ اللسانيات البنوية -دراسة تحليلية إستمولوجية-:

هذا الكتاب من تأليف الطيب دبه، طبع طبعين؛ الأولى كانت عام 2001، والطبعة الثانية، وهي التي توجد بين أيدينا طبعت عام 2019 الموافق لـ1441هـ بجامعة الأغواط الجزائر.

بحسب الأشكال التي تندرج ضمن الخطاب اللساني المذكورة سابقا يتضح أنّ هذا الكتاب يمثل الشكل الأول من هذا الخطاب، ؛ أي أنّه يمثل كتابة باللّغة العربية عن اللسانيات الغربية الحديثة³،

¹ - ينظر: هبة خياري: المرجعيات الفكرية في الخطاب اللساني العربي المعاصر، مجلة التواصل في اللغات والآداب، قسم اللّغة العربية وآدابها، جامعة باجي مختار عنابة، المجلد 23، عدد 52، ديسمبر 2017، ص 72.

² - المرجع نفسه، ص 71.

³ - ينظر: هبة خياري: المرجعيات الفكرية في الخطاب اللساني العربي المعاصر ، ص 71.

أمّا إذا نظرنا إلى التصنيف الذي وضعه مصطفى غلفان لأنواع الكتابة اللسانية العربية*، نجد أنّ هذا المؤلف يندرج ضمن الكتابة اللسانية التمهيدية أو التبسيطية، والتي تقتضي وجود منهج وموضوع وغاية¹.

أ. **المنهج:** يذكر مصطفى غلفان أنّ المنهج الأساس الذي يعتمد عليه هذا النوع من الكتابة هو «المنهج التعليمي القائم على التوضيح والشرح، وما يتطلبه كل ذلك من وسائل مساعدة، كالأمثلة والرسوم البيانية»².

وهذا ما نلتمسه في كتاب مبادئ في اللسانيات البنوية، فقد بدا واضحا اعتماده على هذه الوسائل المساعدة، التي من شأنها أن تزيد من وعي القارئ باللسانيات الحديثة، وفي نظرنا أنّ هذا الكتاب لم يقتصر على المنهج التعليمي الذي لا نستصغر شأنه، بل ندرك أنّه يتطلب الكثير من الصبر الذي يرافقه الاطلاع الواسع على مختلف المعارف والعلوم، وذلك لأنّه يتعامل مع مادّة حديثة من ناحية وفكر المتلقي الذي يختلف من قارئ لقارئ فضلا عن القارئ المتخصص، ومن ثم نقول أنّ الطيب دبه قد استعمل منهجا آخر أكثر تعقيدا وصرامة، وهو المنهج الوصفي التحليلي المشفوع بالمتابعة العلمية الدقيقة للمادة المدروسة بغرض التبسيط والتسيير، وهذا ما كان ليبلغه لو أنه تناول

* لقد وضع مصطفى غلفان ثلاثة أصناف للكتابة السانية العربية وهي:

- الكتابة اللسانية التمهيدية أو التبسيطية.
- الكتابة اللسانية التراثية أو لسانيات التراث.
- الكتابة اللسانية المتخصصة أو لسانيات العربية.

ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص 91.

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 90 - 91.

² - المرجع نفسه، ص 91.

جميع المذاهب في كتاب واحد¹، فقد اكتفى بدراسة مذهب واحد في هذا الكتاب وهو اللسانيات البنوية دون غيرها من المذاهب.

ب. الموضوع: إنّ هذا النوع من الكتابة اللسانية يتشكّل موضوعه «مما تقدمه النظريات اللسانية الحديثة من مبادئ ومناهج جديدة في دراسة اللّغة البشرية بصفة عامّة»².

وكتاب "مبادئ اللسانيات البنوية" هو من صميم هذا الموضوع، يقول المؤلّف في مقدمته: «... أتّجهت دراستنا إلى استعراض سائر المبادئ البنوية ومناقشتها وتحليلها بكيفية تتناول حدود المفاهيم في ظلّ أبعادها التصويرية، وأصولها النظرية، مع متابعة السمات المميزة لكلّ منها، والمقابلة فيما بينها بما يكفي لتقديم رؤية منهجية واضحة تساعد تبيّن مواضع الاختلاف والتعارض إلى جانب مواضع التشابه والاتفاق»³.

ننوّه إلى أنّ الأستاذ قد اعتمد على العديد من الشروح والأمثلة في الهوامش، إنّّه منهج تعليمي واضح إلى جانب الوصف والتحليل الدقيقين، الشاهد في الأمر أنّ هاته الشروح عادة ما كانت قراءات للتراث اللّغوي العربي في ضوء هذه المبادئ والأسس اللسانية الحديثة، ممّا يؤدي إلى القول أنّ موضوع هذه الكتابة لم يركن إلى الطرف الحدائثي باستعراض وتقديم المبادئ اللسانية البنوية فحسب، بل تجاوزه إلى استحضار الطرف التراثي، وهذا في نظرنا من المحاسن وليس خروجاً عن الموضوع، باعتباره تقريب وتبسيط وشرح للمبادئ البنوية بشواهد هي أقرب للقارئ العربي ومن مجاله الثقافي، ومن أمثلة ذلك شرحه لوظيفتي (المماثلة، والمخالفة) اللتين اعتمدهما فراي هنري*، بالاستناد إلى النظرة اللّغوية العربية، بقوله «ومن أمثلة المستوى الصوتي في العربية صيغة "فقع" التي تحقق فيها مبدأ

¹ - ينظر: الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية - دراسة تحليلية إستمولوجية - مطبعة رويغي، الأغواط - الجزائر، ط 2، 1441هـ / 2019م، ص 13.

² - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص 91.

³ - الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 15.

* فراي هنري (1899-1980) هو من لسانيي مدرسة جنيف السويسرية.

"المخالفة" بتغيير القاف الأولى إلى راء، فتحوّلت إلى "فرقع" والتي ينزع فيها المتكلم إلى المخالفة بغرض إزالة الثقل الحاصل بالمماثلة في الإدغام...¹ يتابع تمثيله كذلك على المستوى الدلالي، ويورد أبياتا شعرية لحسان بن ثابت، ويذكر أيضا نقد النابعة لهذه الأبيات، ويضيف قائلا: «قد لا نغالي إذا قلنا إنه [يقصد النابعة] اشتغل بمبدأي المخالفة والمماثلة على مستوى قراءته النقدية التي لا نشكّ في أنّها استثمرت محور الاستبدال...»².

وهناك أكثر من موضع* حاول فيه الأستاذ أن يقارب بين النظرة الغربية والنظرة العربية لسانيا حتى ييسّط للقارئ المبادئ البنوية في اللسانيات.

ج. الغاية: ما من خطاب لساني إلّا وله غاية مرجوة منه، وغاية هذا الخطاب الذي بين أيدينا حدّده المنهج التعليمي الوصفي التحليلي، وبالتالي ستكون هناك غايتين:
- غاية مرتبطة بالقارئ المبتدئ - غير المتخصص - وهي الإفهام وتبسيط المعرفة اللسانية البنوية.
- غاية مرتبطة بالقارئ المتخصص، باعتبار أنّ الأستاذ الطيب عمد إلى انتهاج الوصف والتحليل بنظرة علمية دقيقة، وهاتين الغايتين في نظرنا متكاملتين، حيث أنّ المتخصص قد يغيب عنه الكثير من التحليلات التي توصل إليها الأستاذ، فيصبح في تلك الوهلة بمثابة قارئ مبتدئ يجعل من تلك التحليلات مطية لتخصص لساني أدقّ وأرقى إذا ما أضيف إلى رصيده المعرفي الأوّل، وهذا ما نسمّيه "بتلاقح المعارف".

2.4 السمات المنهجية لكتاب مبادئ اللسانيات البنوية:

قبل الحديث عن السمات المنهجية لهذا الكتاب، الذي صنّفناه سابقا ضمن الكتابات اللسانية التمهيدية، من واجبا أن نذكر في هذا المقام، أنّ مصطفى غلفان قد تحدث عن هذه السمات

¹ - الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 171 - الهامش.

² - المرجع نفسه، ص 171 - الهامش.

* هناك الكثير من الهوامش التي ذكر فيها التراث اللغوي على سبيل المقاربة أو إعادة قراءته بشكل عام منها: ص 136 - 142 - 143 - 173 - 174 - 186 ...

المنهجية للكتابة اللسانية التمهيدية عموماً، وخلص إلى القول بأنّها - ويقصد بالقول الكتابات التمهيدية الأولى* - قد فقدت بريقها لأسباب تخرج بعضها عن طبيعة هذه الكتابة، وبعضها الآخر تعلق بها، ويرجع ذلك في نظره إلى «مظاهر القصور المنهجي والمعرفي التي تميّز هذه الكتابات، ومنها:

أ - الارتباك في تحديد مجال البحث اللساني مفهوماً، ومنهجياً.

ب - افتقارها إلى تقنيات التحليل اللساني.

ج - ترويجها لبعض الأخطاء المعرفية.

د - عدم مواكبتها لتطور البحث اللساني ونماذجه»¹.

وفي نظرنا أنّ كتاب مبادئ اللسانيات البنوية للطيب هو من الكتابات الحديثة التي تداركت معظم النقائص التي لحقت بالكتابات التمهيدية الأولى، وهذا ما سنعرضه بالاستناد إلى مقولاته.

أ. تحديد مجال البحث اللساني مفهوماً ومنهجياً:

من خلال العنوان الذي وضعه الأستاذ لكتابه، يظهر جلياً أنّ مجال الكتابة اللسانية قد حدّد بالدراسة التحليلية الاستيمولوجية لمبادئ اللسانيات البنوية؛ إنّه تحديد دقيق في مجال واسع، يقول في هذا الصدد: «... وكنا وددنا في البداية أن نتناول جميع المذاهب اللسانية (اللسانيات البنوية، واللسانيات التوليدية التحويلية، واللسانيات التداولية)، لكننا آثرنا، فيما بعد تقسيم هذا الموضوع

* من بين الكتابات التمهيدية التي ظهرت في الوطن العربي نجد:

- ميشال زكريا: الألسنية، بيروت، لبنان، 1980.

- الحناش محمد: البنيوية (الحلقة الأولى)، دار الرشاد، الدار البيضاء، 1980.

- محمود السعران: علم اللّغة، مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، الإسكندرية، 1962.

¹ - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص 108.

الكبير إلى ثلاثة مواضيع جزئية، كلٌّ منها نتناول دراسته في كتاب مستقل نقتصر فيه على دراسة مذهب واحد، حتى لا نرهق القارئ بحجم كبير للمادة المدروسة...»¹.

أي أنّ موضوع الدراسة اللسانية البنوية كبير الأمر الذي يستدعي إفراده بالبحث حتى يستوفي حقه من التحليل والوصف، ويرى مصطفى غلفان خلاف هذا الرأي، ففي نظره أنّ القصور الذي لحق بالكتابات اللسانية التمهيدية، راجع إلى تناولها لجانب واحد من التيارات اللسانية، دون غيرها، وهذا ما يمثل تجاوزاً لحدود مجال الدراسة اللسانية².

من هنا يمكن القول أنّ مفهوم تحديد مجال الدراسة اللسانية عند الطيب هو أدقّ وأشمل بالقدر الذي يمكنه من منح الدراسة جانبا معتبرا من الوصف التحليلي الشامل، والمتابعة العلمية الدقيقة، وهو ما لا يتسنى له تحقيقه إذا ما اتجه إلى تناول جميع المذاهب في كتاب واحد³.

وهذا وفق خطة بحثية شاملة، تمثّلت في⁴:

- 1 مقدمة الطبعة الأولى وكذا مقدمة للطبعة الثانية.
- 2 مدخل وهو عبارة عن عرض تمهيدي لعلم اللسان الحديث: وقد تطرق فيه إلى إشكالية مصطلح اللسانيات، ثم مفهوم اللسانيات وصولاً إلى موضوعها.
- 3 الباب الأول بعنوان: اللسانيات البنوية: المفهوم والنشأة والأساس.

ويتضمن هذا الباب فصلين:

- الفصل الأول بعنوان: الإطار التاريخي والابستمولوجي للسانيات البنوية.
- الفصل الثاني بعنوان: نشأة اللسانيات البنوية مع فرديناند دوسوسير.

¹ - الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية: دراسة تحليلية ابستمولوجية، ص 13.

² - ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 113.

³ - ينظر: الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 13.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 7 - 8 - 9 - 10.

4 الباب الثاني بعنوان: نظريات اللسانيات البنوية ومدارسها لدراسة في (المجال النظري)، ويتضمّن فصلين:

- الفصل الأول بعنوان: اللسانيات البنوية الأوروبية: نظرياتها ومدارسها.

- الفصل الثاني بعنوان: نظريات اللسانية البنوية الأمريكية.

5 الباب الثالث بعنوان: نظريات اللسانيات البنوية ومدارسها (دراسة في المجال الإجرائي) ويتضمن فصلين:

- الفصل الأول بعنوان: الفونولوجيا (مبادئ التحليل الوظيفي لأصوات اللّغة).

- الفصل الثاني بعنوان: مبادئ التحليل البنوي للوحدات والجمل.

وخاتمة تضمّنت أهمّ النتائج المتوصل إليها من خلال البحث.

وثبتا للمصطلحات باللّغتين الفرنسية والعربية.

ما يمكن ملاحظته من أركان هذه الخطة البحثية، هو أنّها مثلت هرما معرفيا محكم البناء، ممّا

يساعد على منح القارئ صورة واضحة، ليستجلي مبادئ اللسانيات البنوية.

3.4 تقنيات التحليل اللساني في كتاب مبادئ اللسانيات البنوية:

يُعرّف التحليل على أنّه «ردّ الشيء إلى عناصره الأساسية (الأولية) أي ردّه إلى أصله، فهو

تحليل القضايا إلى عناصرها المكونة، ومن هنا نجد أنّ التحليل هو تجزئة مادة الدرس بغية الوصول إلى

هدف»¹.

هذا مفهوم التحليل بصفة عامّة، أمّا حديثنا عن التحليل اللساني، يقول حجازي فهمي

محمود: «علم اللّغة العام ذو شقين مترابطين: أولهما وضع نظرية شاملة عن اللّغة، والحياة اللغوية،

¹ - أوفى مزيد عبد العزيز: تحليل النص القرآني، قسم علوم القرآن الكريم المرحلة الرابعة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة

المستنصرية، ص 1-2، موقع إلكتروني: <https://uomustansiriyah.edu.tq>>PDF

والثاني وضع الأسس المنهجية لبحث اللّغة بحثاً علمياً، فاللّغة نظام، وعلم اللّغة يحاول بلورة الأسس المختلفة التي تمكّن الباحث من وصف النظام اللّغوي، أو اللّهجة قيد الدراسة أدقّ وصف ممكن»¹.

والشق الثاني المذكور في هذا القول هو الذي يعبر عن التحليل اللساني، الذي يساعد على وصف النظام اللّغوي.

بموجب ما سبق يمكن القول أنّ الطيب استند إلى تحليلين علميين:

- تحليل عام: يخص المادة المدروسة عامّة وهي - اللسانيات، ليتم تجزيئها والاعتماد على اتجاه واحد فيها وهو - اللسانيات البنوية - فيعرفه ويعرف بمبادئه وفق خطة بحثية مثلت هيكل البحث ككل.

- تحليل خاصّ: يمثّل تقنيات التحليل اللساني في صورته الوصفية الدقيقة، وهذا النوع من التحليل، هو ممّا تصبو إليه الكتابة التمهيدية. في هذا الصدد يقول مصطفى غلفان: «ولا شكّ أنّ من المهام الأولى للكتابة التمهيدية تمكين القارئ العربي الراغب في اللسانيات لأسباب مختلفة ومتنوعة، من الاطلاع على أسس التحليل هاته، أي على المنهجية اللسانية نظرياً وتطبيقياً، تعلق الأمر باللغة العربية أو غيرها من اللغات الطبيعية»².

وقد استوفى - في نظرنا - كل أسس التحليل اللساني بالقياس إلى قول مصطفى غلفان، فقد تضمّن كتابه "مبادئ اللسانيات البنوية" بابين كاملين من أصل ثلاثة أبواب، خصّصهما لهذا النوع من التحليل:

- باب مثل المنهج النظري بعنوان: نظريات اللسانيات البنوية ومدارسها (دراسة في المجال النظري): وتم فيه «استعراض سائر المبادئ البنوية ومناقشتها وتحليلها بكيفية تتناول حدود

¹ - حجازي فهمي محمود: علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، المكتبة الثقافية، عدد 249، القاهرة، 1970، ص 19-

20.

² - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 114.

المفاهيم في ظل أبعادها التصورية وأصولها النظرية، مع متابعة السمات المميزة لكل منها، والمقابلة فيما بينها بما يكفي لتقديم رؤية منهجية واضحة تساعد في تبيين مواضع الاختلاف والتعارض إلى جانب مواضع التشابه والاتفاق»¹.

إنه منهج نظري شامل لجوانب الدراسة اللسانية المحددة والمقصودة بالتحليل، تمكن القارئ من اكتساب منطلقات تصورية ومنهجية؛ لتهيئته إلى ولوج عالم التخصص والوصف الدقيق للنظام اللغوي.

- باب مثل المنهج التطبيقي بعنوان: نظريات اللسانيات البنوية ومدارسها (دراسة في المجال الإجمالي): وتم فيه «دراسة الجوانب المتصلة بالمجال الإجمالي في اللسانيات البنوية، ذلك المجال الذي يبرز من خلاله عمل اللغة ويتم به تحليل وحداتها، ووصفها وصفا عمليا إجرائيا في ضوء ما تعمل به مناهج التحليل البنوي المختلفة»².

4.4 مناقشة تقنيات التحليل اللساني لكتاب مبادئ اللسانيات البنوية في ظل ثنائية التراث والحداثة:

بداية نُنَوِّه إلى أننا نقصد بتقنيات التحليل اللساني، كل التقنيات التحليلية العامة التي مثّلت هيكل الخطة البحثية التي وضعها الطيب دّبه، بدءاً بالمدخل التمهيدي الذي اعتمده وصولاً إلى ثبت المصطلحات، وهذا لأننا نركن إلى فكرة مفادها أنّ الأستاذ قد حدّد مجال بحثه ككل بالدراسة التحليلية الاستمولوجية على غرار التحليل الخاص الذي قصده من خلال البابين المذكورين - سابقا - الباب النظري والتطبيقي (الإجمالي) لنظريات اللسانيات البنوية ومدارسها.

1 مدخل الكتاب بعنوان: عرض تمهيدي لعلم اللسان الحديث، والذي ضمّ ثلاثة عناصر³:

¹ - الطيب دّبه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 15.

² - المرجع نفسه، ص 16.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 07.

- إشكالية مصطلح اللسانيات.

- مفهوم اللسانيات.

- موضوع اللسانيات.

من خلال هذا العنوان يظهر لنا طيف للتراث بلباس حديث، نقصد هنا مصطلح "علم اللسان الحديث"، الذي اعتمده الأستاذ في كتابه، ففي نظرنا أنّها رؤية تراثية باعتبار أنّ مصطلح "علم اللسان" هو من المصطلحات التي اعتمدها اللغويين العرب القدامى، علاوة على أنّهم قد أدركوا أنّ اللسان هو «الموضوع الوحيد لأيّ دراسة تسعى إلى استكشاف القوانين العلمية التي تتحكّم في بنية الظاهرة اللغوية، بوصفها ظاهرة عامّة في الوجود البشري»¹.

لقد مهّد الأستاذ لهذه الرؤية بخوضه في إشكالية مصطلح اللسانيات؛ وفق مسار تأصيليّ وذلك بالتطرّق إلى:

* معاني اللسان واللغة في المعاجم والمدونات اللسانية²: كذلك في هذا العنصر يبرز فكره

التراثي، إذ اعتبر أنّ المعاجم والمدونات العربية هي لسانية، مع معرفته الشاسعة للفظ

"اللسانيات" وما يحمله من أفكار حديثة، والملاحظ أنّه اعتمد على:

أ. المعاجم والمدونات اللسانية القديمة (التراثية) تمثلت في³:

- لسان العرب لابن منظور محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت - لبنان (د ت).

- معجم مقاييس اللغة لابن فارس (تحقيق عبد السلام هارون).

- المزهر في علوم اللغة للسيوطي (شرح جاد المولى وآخرين).

- المعجم المفصل في اللغة والأدب لإميل يعقوب وميشال عاصي¹.

¹ - أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، مبحث تركيب، سلسلة الكتاب الجامعي (2)، منشورات كلية الدراسات الإسلامية

والعربية - دبي، الكرامة، الإمارات العربية المتحدة، ط 2، 2013، ص 22.

² - الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 23.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 23 - 24.

ب. المعاجم والمدونات اللسانية الحديثة (الحداثيّة*) تمثلت في:

في نظرنا أنّ هذا المعجم يمثّل الطرف الحداثيّ لاعتماده على مفاهيم لسانية مستحدثة مثلها علماء لسانيين عرب مثل: محمود السّعران، وأنيس فريجة، وكذا غريين مثل: أندرى مارتينييه، هذا إلى جانب اعتماده على مفاهيم موروثة² اقتضتها طبيعة الموضوع الذي تطرق إليه هذا المعجم من لغة وأدب ونحو ووصف وبلاغة ...

* اللّسان واللّغة في استعمالات القدامى:

لقد تتبع الأستاذ مواطن استعمال هاتين اللّفظتين عند علماء اللّغة القدامى مثل: أبو النصر الفارابي وابن خلدون، وابن جني، وسيبويه ... ليخلص إلى نتيجة مفادها أنّ لفظ اللّغة قد صُبع بمدلول اللسان ليحصل الترادف بين المصطلحين الأمر الذي أدى إلى الالتباس بينهما عند كثير من العلماء قديما وحديثا³.

ويوجد في هذا العنصر ما يشدّنا إلى الانتباه، وهو ذكره للمعاني التي أرادها علماءنا القدامى للفظ "لسان" والمتمثلة في⁴:

* نقصد بلفظ الحداثة تلك المدونات والمعاجم اللسانية التي عرّفت اللسان واللّغة من منظور المناهج اللسانية الحديثة والتي بدورها كانت نتاجا للحداثة.

¹ - ينظر: الطيب دّيه: مبادئ اللّسانيات البنوية، ص 23.

² - ينظر: إميل بديع يعقوب وميشال عاصي: المعجم المفصل في اللّغة والأدب، نحو، صرف، بلاغة، عروض، إملاء، فقه اللّغة، أدب، نقد، فكر أدبي، المجلد الأول، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، أيلول سبتمبر 1987، ص 5- 1075- ... 1076

³ - ينظر: الطيب دّيه: مبادئ اللّسانيات البنوية، ص 28.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 25.

- المعنى الخاص: وذلك بوصف مصطلح "لسان"، أو بإضافته إلى اسم أمة معينة (اللسان العربي، اللسان الفارسي، أو لسان العرب، ولسان الفرس)، أي نظام تواصل عربي، أو نظام تواصل فارسي ...

- المعنى العام: ويكون فيه لفظ "علم اللسان"، بمفهوم الدراسة العلمية للسان البشري بصفة عامة.

من الملاحظ في هذه المعاني التي ذكرها الأستاذ أنه قد اعتمد على المعنى العام للفظ "علم اللسان" كونه يمثل الدراسة العلمية للسان البشري، وهذا يبرز من خلال عنوان المدخل الذي وضعه لكتابه "مبادئ اللسانيات البنوية"، أي أنّ وجهته كانت تراثية المصطلح، ومن ثمّ فهو على وعي كامل بأهمية التراث وحضوره في الفكر العربي المعاصر، من حيث أنّه معطى تاريخي ومعرفي موجّه للاستعمال الحاضر، في هذا الصدد يقول محمود فهمي حجازي أنّ: «المصطلحات التراثية تشكّل رصيذا مشتركا لا بدّ من الإفادة منه على نحو واضح في إيجاد المصطلحات اللغوية الحديثة»¹. وهذا ما توجّه إليه الأستاذ الطيب ويتّضح ذلك من خلال العناصر المتبقية في المدخل التمهيدي لكتابه.

* فقه اللّغة، وعلم اللسان في كتب القدامى:

لقد تطرق الأستاذ إلى هذه المصطلحات من حيث المفهوم الذي وضعه لها القدامى من اللّغويين العرب، ليخلص إلى نتيجة مفادها أنّ هؤلاء اللّغويين العرب القدامى «كانوا يريدون بمصطلحات: فقه اللّغة، وعلم اللّغة، وعلم اللسان معنى واحدا، هو دراسة مادة اللّغة العربية، والبحث في قوانينها وخصائصها أفرادا وتركيبا»². وهذا يجيد في المفهوم عمّا تقتضيه اللّسانيات الحديثة، في حين أنّ الثعالبي الذي خصّ كتابه في غالبه، بدراسة الألفاظ اللّغوية، قد اقترب إلى حدّ

¹ - محمود فهمي حجازي: الأسس اللّغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، القاهرة، مصر، د. ت، ص

² - الطيب دبه: مبادئ اللّسانيات البنوية، ص 33.

كبير من اللسانيات الحديثة¹. أمّا الفارابي، فتعتبر رؤيته «... رؤية علمية ناضجة استطاع أن يمس بها مبدأ هاماً من مبادئ علم اللسان الحديث، وهو مبدأ الدراسة الوصفية التي تهدف إلى أن تستوعب في بحوثها، جميع اللغات، وأن تبحث لها عن قوانينها التجريدية الشاملة»².

أخذنا بمنطوق هذا النصّ، في نظرنا يمثّل الفارابي مرجعية فكرية للأستاذ الطيب، وهو في ذلك يتقن أثر أستاذه عبد الرحمان الحاج صالح -رحمه الله- في استقراء التراث اللغوي العربي، وخاصة ما تعلّق بالفارابي حيث يقول عن تصوّره "لعلم اللسان": «هذه نظرة لم يسبق لنا أن رأيناها عند النحاة المتقدمين من غير العرب، ولا من جاء بعدهم من النحاة الأوروبيين في القرون الوسطى حتى القرن الثالث عشر، حيث تمكنوا من الاطلاع على تآليف العرب، وخصوصاً هذا الكتاب (إحصاء العلوم)»³.

* علم اللغة، وفقه اللغة، والفيولوجيا، واللسانيات:

من الملاحظ بداية من العناصر التي تطرق إليها الطيب ضمن إشكالية مصطلح اللسانيات وصولاً إلى هذا العنصر، أنّه يسير وفق مسار تاريخي منتظم بانتظام المعرفة اللسانية قديماً وحديثاً، فقد تتبع مفهوم، اللغة ثم مفهوم اللسان قديماً، وما نجم عن إضافة لفظ علم إلى هذه المفاهيم، ومن ثمّ تطوّره إلى مشكل مصطلحي أكثر دقّة عرفه اللغويين المحدثين بوفود اللسانيات الحديثة تمثل في: علم اللغة، وفقه اللغة، وكذا الفيولوجيا واللسانيات، وحاول الأستاذ أن يتتبع مفاهيم هذه المصطلحات، ويقتفي الاختلافات بين مستعملها من اللغويين العرب المحدثين، ويبرز آرائهم حولها، وعلى رأسهم عبد الرحمان الحاج صالح الذي يرى أنّ هذا العلم الحديث يمكن الاصطلاح عليه بـ"علم اللسان الحديث" أو "اللسانيات"⁴ باعتبارها مرادفان لا فرق بينهما «إلا في كون الأوّل جاءت فيه لفظ العلم

¹ - ينظر: الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 33.

² - المرجع نفسه، ص 31.

³ - عبد الرحمن الحاج صالح: مجلة اللسانيات، المجلد الأول، العدد 2، 1971، ص 52.

⁴ - ينظر: الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 33 إلى 39.

مستقلة عن لفظة اللسان بينما يتضمّن في الثاني، مدلول العلم في اللاحقة "ات" مثلما هو شائع في تسمية بعض العلوم منذ القديم¹.

وهذين المصطلحين قد اعتمدهما الأستاذ في كتابه "مبادئ اللسانيات البنوية" اعتمادا ظاهرا من خلال العنوان، واعتمادا باطنا تضمّنه متن البحث، وهذا ما سنلاحظه في العناصر الموالية:

2 - مفهوم اللسانيات (Linguistique):

ينطلق الأستاذ في تقديمه لمفهوم اللسانيات من تعريف أ. مارتيني لها بقوله: «اللسانيات هي الدراسة العلمية للسان البشري. إنّ دراسة ما تكون علميّة حينما تتأسس على لحظ الواقع، وتجتنب افتراض اختيار من ضمن هذه الوقائع باسم بعض المبادئ الجمالية أو الذهنية»².
إنّ مفهوم غربيّ يعمل على تحليله تحليلا لسانيا دقيقا يلحظ من خلاله أنّ اللسانيات لها سمة "العلمية" وسمة "الموضوعية"، وتقتضي جملة من الشروط المنهجية والإجرائية³.

وبناء على التحليل الذي توصل إليه، يمكن رصد خطابين لسانيين:

- خطاب لساني حداثي: تمثّل في المفاهيم التي قدّمها اللسانيين الغربيين أندري مارتيني، وبرونكار، وكذا التحليل اللساني الذي رافق هذه المفاهيم اللسانية⁴.
- خطاب لساني تراثي: تمثّل في قضيتين اثنتين: اعتمدهما الأستاذ كتوجّه فكري*:

* قضية المصطلح:

¹ - الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية، من هامش ص 39.

² - المرجع نفسه ص 41.

³ - ينظر: الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 41-42-43.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 41-42-43-44.

* لقد اعتمد الأستاذ الطيب دبه على مصطلح علم اللسان الحديث في معظم دراساته التحليلية في هذا الكتاب، ينظر على سبيل المثال لا الحصر ص 41-45-236-238 ...

مما لاحظناه أنه اعتمد على مصطلح "علم اللسان الحديث" وهو - كما رأينا سابقا - له أصول تراثية، في مقابل مصطلح اللسانيات مع أنهما مترادفين في نظر أستاذه عبد الرحمان الحاج صالح - رحمه الله - وهذه الملاحظة قد عمّت جميع أجزاء هذا الكتاب.

* قضية المنهج والإجراءات المتبعة في الدراسة اللسانية:

يؤكد الأستاذ «أن هذه الدراسة وإن كانت تتوخى مبدأ الكلية والشمولية، فهي لا تتم إلا من خلال لغة أو مجموعة من اللغات - تختص كل لغة منها بأمة من الأمم تربطها بها خصوصيات فكرية وبيئية ونظامية - تمثل الوقائع الملموسة (الأعيان) التي تستنبط منها "القوانين الكلية"¹. أي هناك تأكيد على مبدأ الخصوصية² الذي تعرفه اللغة العربية أو اللسان العربي بتعبير أكثر دقة.

3 - موضوع اللسانيات:

لقد ذكر مصطفى غلفان أن الكتابات اللسانية التمهيدية الأولى، قد تميّزت بقصور منهجي ومعرفي، وذلك لعدم مواكبتها لتطور البحث اللساني، ونماذجه³. في نظرنا هذه الميزة قد تخطأها الخطاب اللساني التمهيدي للطيب دبّه ويتجلى في كتابه "مبادئ اللسانيات البنوية"، ويمكن أن نرصد هذا من خلال تطرّفه لموضوع اللسانيات؛ حينما قال: «إنّ الحديث عن موضوع اللسانيات *Objet de la linguistique* يقتضي مسائلة جميع المناهج المتبعة في علم اللسان الحديث، ذلك أنّ تحديده خاضع لمذاهب لسانية متعدّدة ووجهات نظر منهجية مختلفة

¹ - الطيب دبّه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 43.

² - ينظر: الطيب دبّه: التفكير السيميائي في اللغة والأدب، ص 19 - 20.

³ - ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 108.

ومتعارضة أحيانا، ومن هنا فإن طبيعته تتعدّد بتعدّد هذه المناهج، وتتحدّد بمحدودها بناءً على أنّ وجهة نظر المنهج هي التي تصنع الموضوع على حدّ تعبير سوسير¹.

كان بإمكان الأستاذ أن يكتفي بقول دي سوسير لتحديد موضوع اللسانيات على أنّه «هو اللّغة Langue في ذاتها ومن أجل ذاتها»²، وهو القول المعتمد في جميع الكتابات اللسانية الحديثة كما رأينا سلفا، وهذا لم يكن يُنقص من قيمة الخطاب اللساني الذي قصده، ولكنّه ذهب إلى تحديد موضوع اللسانيات إلى أبعد من هذا الطّرح معتمدا على النظرة المنهجية التي من شأنها أن تحدّد الموضوع اللساني بدقّة، وهذا في نظرنا مواكبة للتطوّر الحاصل على صعيد البحث اللساني الحديث، الذي يتركز على ثلاثة مواقف³:

- 1 موقف تمثله اللسانيات البنوية: التي ترى أنّ موضوع اللسانيات يتحدّد بالنّظر إلى "اللغة" بوصفها نظاما نحويا موجودا بالقوة في كلّ دماغ، في حين يكون الكلام أداء فرديا لقوانين ذلك النظام.
- 2 موقف تمثله اللسانيات التوليدية التحويلية: التي ترى أنّ موضوع اللسانيات هو مجاوزة الاهتمام باللغة إلى الاهتمام بالكلام.
- 3 موقف تمثله اللسانيات التداولية: التي تنتقد الموقف البنوي المرتكز على الواقع الداخلي للغة، لتنتقل إلى الاهتمام بقضايا وظواهر ذات صلة وثيقة بالمقام الاستعمالي الذي يمارس فيه النشاط اللّغوي.

¹ - الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 45.

² - المرجع نفسه، ص 46.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 47 - 48 - 49.

هذه أهم العناصر التي تطرّق إليها الأستاذ الطيب في مدخل هذا الكتاب "مبادئ اللسانيات البنوية"، واعتمد على ثلاثة أبواب إضافة إلى هذا المدخل، يحاول من خلالها دراسة مبادئ اللسانيات البنوية دراسة تحليلية إبستمولوجية، وسناقشها في ظل ثنائية الحداثة والتراث.

1 - الباب الأول بعنوان: اللسانيات البنوية: المفهوم والنشأة والأساس ويتضمّن فصلين:

- الفصل الأوّل بعنوان: الإطار التاريخي والابستمولوجي لللسانيات البنوية.

لقد تضمّن هذا الفصل خطابا لسانيا باللّغة العربية تمهيدا لللسانيات البنوية، أي أنّه يسير وفق منهج واحد يجعله ينتظم ضمن الخطابات اللسانية التمهيدية¹ يتم فيه عرض ل²:

- الدراسات اللسانية فيما قبل القرن العشرين.

- تعريف للبنوية.

- نشأة البنوية.

- مفهوم النظام بين اللسانيات البنوية واللسانيات التاريخية.

- قراءة إجمالية في ديباجة المنظور البنوي لدى سوسير.

هي عناصر معرفية تسهم في تقريب المفاهيم الأساسية التي تبني عليها اللسانيات البنوية، ومن ثمّ يمكن القول أنّها تتمثل في مجملها خطابا حداثيا لانتسابه إلى المرصوفة الغربية، إلّا أنّنا نلتمس في ثناياها خطابا تراثيا يظهر من خلال التحليلات التي عقت هذه العناصر المعرفية، ومن أمثلة ذلك حديثه عن مسألة ربط البنية (أو النظام) بالعلاقات في اللسانيات الحديثة وما تفتن له عبد القاهر الجرجاني من أمر تعلّق الكلم بعضها ببعض في نظرية النظم، إنّها مسألة كانت في نظر بعض الدارسين

¹ - نعتمد في هذه الفكرة على تصنيف هبة خياري للخطاب اللساني العربي المعاصر. ينظر: هبة خياري: المرجعيات الفكرية في

الخطاب اللساني العربي المعاصر، ص 72.

² - الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 7.

المحدثين أمثال: عبد العزيز حمودة ويوسف وغليسي عبارة عن مقارنة بين الحداثة والتراث مقارنة بين "نظام" سوسير وبين "نظم" الجرجاني¹، في حين أنّ الطيب دّبّه لا يرى أنّها مقارنة بل هناك اختلاف في «مجال البحث وغرضه، وبيان ذلك أنّ سوسير يهتم بدراسة العلاقات في نظام اللّغة من حيث تحليل على نماذج مجردة، وترتدّ إلى واقع داخلي مغلق يتّصل بلسانيات اللّغة، بينما يهتم الجرجاني بالعلاقات بين الكلم من حيث ما تقتضيه - في تراكيب الكلام لا في نماذج اللّغة - من خصوصيات تعبيرية، ومن وجوه معنوية تتعدّد بتعدّد الأغراض والمقاصد والمقامات»².

لقد وقف الأستاذ موقفاً وسطاً بين الحداثة والتراث ليس على سبيل المقارنة بين الطرفين، وإنّما وقوفاً عند حدود الرؤية عند كلّ منهما، ونقصد بالرؤية تلك المفاهيم التي تبنى عليها المعرفة العلمية.

ومن الملاحظ أيضاً في هذا الفصل أنّ قد آثر - منذ صدور الطبعة الأولى لهذا الكتاب (2001) - استعمال مصطلح البنيوية تأسياً بأستاذنا عبد الرحمان الحاج صالح³، إنّّه اختيار في نظرنا يمثل الطرف التراثي باعتبار أنّ الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح قد اتبع رأي يونس بن حبيب في كون لفظ ظبوي نسبة إلى ظبية وهو أخفّ من الصيغة القياسية "ظبي" ⁴. ومن جانب آخر فمصطلح البنيوية مع أنّه أقلّ شيوعاً من استعمال مصطلح البنيوية، إلّا أنّه ومصطلح البنيوية يمثلان الصحيح لغة ومضمونا من بين الكثير من المصطلحات الموجودة في الساحة اللسانية ك: البنيوية، والبناوية، والبناوية، والهيكلية⁵.

¹ - ينظر: الطيب دّبّه: مبادئ اللسانيات البنيوية، ص 67.

² - المرجع نفسه، ص 67، الهامش.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 68.

⁴ - ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث (2)، مجلة اللسانيات، جامعة الجزائر، المجلد 1، العدد 2،

1971، ص 38.

⁵ - ينظر: الطيب دّبّه: مبادئ اللسانيات البنيوية، ص 68.

ومن ثم فنظرة هي نظرة تراثية توافق نظرة محمود فهمي حجازي حينما قال: «المصطلحات التراثية تشكّل رصيذا مشتركا لا بدّ من الإفادة منه على نحو واضح في إيجاد المصطلحات اللغوية الحديثة»¹.

كذلك من بين المقولات التراثية التي يمكن رصدها في هذا الفصل، هي حديثه عن نظرة البنويين الاندراجية، وانتقاد الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح لهذه النظرة² بقوله: «هي نظرة قاصرة، لأنّها لا تعرف إلاّ التحديد بالجنس والفصل (أرسطو)، وتقتصر بالتالي على التصنيف الساذج الذي لا يعرف إلاّ اندراج الشيء في الشيء»³.

ويضيف قائلاً: «إننا نعتقد أنّ النزعة التقطيعية الساذجة (أي دراسة البنويين التصنيفية القائمة على تقطيع مدرج الكلام إلى أدنى وحداته) لا يمكنها أبداً أن تحلّل بكيفية مرضية وعلمية الكلمة العربية، بل الكثير من الدّوال في عدد كبير من اللّغات كالإنجليزية والألمانية، إذ ليست كلّ اللّغات بُنيت دوالها على انضمام قطعة إلى أخرى فهناك من الوحدات ما ليس من قبيل القطع إطلاقاً، وإذا حاول البنويّ أن يسلّط تحليله التقطيعي على الكلمة مثل "أصحاب" فإنّه سيتعسّف عندما يحاول أن يجد قطعة فيها تدلّ على الجمع»⁴.

¹ - محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، القاهرة، مصر، د ت، ص 233.

² - ينظر: الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 73.

³ - عبد الرحمان الحاج صالح: المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ضمن وقائع ندوة جهوية في موضوع: تقدم اللسانيات في الأفطار العربية، أبريل 1987، الرباط، المملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط 1، 1991، ص 371.

⁴ - عبد الرحمان الحاج صالح: المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ص 373.

يمكن أن نلتبس توضيحا أكثر لهذه الأقوال العلمية، من خلال لقاء خاصّ سئل فيه الأستاذ الطيب سؤالاً علمياً، وهو: «هل تحتاج اللغة العربية إلى تنظير لساني خاصّ؟»¹ فكان مُلخّص جوابه أنّ الدرس اللغوي الغربي بالرغم من أنّه استوعب الكثير من قضايا اللغة العربية، إلاّ أنّه أحياناً وقف عاجزاً عن التحليل أمام الكثير من القضايا النحوية والصرفية، وهذا في نظر الأستاذ ما يستدعي تنظيراً لسانياً خاصّاً باللغة العربيّة، ودليله في ذلك ما توصل إليه عبد الرحمان الحاج صالح في النظرية الخليلية الحديثة، منها القولين المذكورين آنفاً عن عجز التحليل التقطيعي أمام بعض الوحدات اللغوية العربية، إضافة إلى ما توصل إليه عبد العزيز عبد الدايم أيضاً من خلال كتابه "النظرية اللغوية في التراث العربي" وقوله بالنموذج الميزان الجدير باللغة العربية، كونها لغة اشتقاقية تختلف عن اللغة العربية، وتحتاج إلى تنظير خاصّ ونموذج خاصّ²، وغيرها من الأدلّة التي تثبت هذا القول.

أحدًا بمنطوق هذا الجواب الذي قدمه الأستاذ، يظهر حضور الطّرف التراثي، ليس على سبيل المقاربة مع نظيره الحداثي وإمّا هو حضور علمي اقتضته خصوصيّة اللغة العربية.

ونرصد كذلك حديثه عن المقاربة بين الطرفين حينما ذكر الأسباب العلمية التي بموجبها يتم تفضيل لهجة على أخرى، عند البنويين لتشكيل المدونة Corpus وهذا ما يقارب فعل لغويينا القدامى «حينما فضلوا لغة أعراب البادية منها بادية قيس وتميم وأسد، وهذيل وغيرها ممّن كان يوثق في صفاء لغتهم العربية»³.

تجدد بنا الإشارة هنا إلى أننا نرصد المقولات الحداثيّة والمقولات التراثية ضمن مسار جدليّ لتشكيل علاقات متعدّدة؛ إمّا على سبيل المقاربة أو على سبيل الامتداد ومدّ الجسور، وإمّا على

¹ - أكاديمية بيت اللسانيات الدولية/ موقع إلكتروني:

<https://www.youtube.com/watch?vodpjaxwETUVTG>، بعنوان: "هل تحتاج اللغة العربية إلى تنظير خاصّ؟ //

الأستاذ الدكتور الطيب دّبه.

² - أكاديمية بيت اللسانيات الدولية/ موقع إلكتروني: التوقيت: 1:01:06.

³ - ينظر: الطيب دّبه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 74.

سبيل رسم قطيعة معرفية تقتضيها عدّة مبادئ، ومن ثمّ فإنّنا لا نقف عند حدود التراث اللغوي العربي بإزاء الحداثة ولكن نرصد كذلك التراث اللغوي الغربي، الذي يفرض حضوره بالقوة في كتاب الطيب دبه "مبادئ اللسانيات البنوية" باعتبار أنّ الموضوع ذو ركيّة ابستمولوجية* تستدعي حضور تاريخ اللسانيات البنوية.

مّا لاحظناه في هذا الصّدّد أنّ الأستاذ قد تطرّق لعدّة عناصر: منها مفهوم النظام بين اللسانيات البنوية واللّسانيات التاريخية¹، وهو في نظرنا يمثّل مفهوما لسانيا بين الحداثة بزعامة اللسانيات البنوية وبين التراث اللغوي الغربي بزعامة اللّسانيات التاريخية، في ضوء عقد مقارنة لتحديد مفهوم "النظام" الذي يعتبر من أكبر اهتمامات التاريخيين والبنويين على حدّ سواء، إلّا أنّ دراسته تختلف اختلافا بيّنا عند كلّ منهما، علاوة على أنّه يمثّل فكرة جوهرية، ومفهوما محوريا في اللسانيات البنوية².

- الفصل الثاني: نشأة اللسانيات البنوية لدى فرديناند دي سوسير:

يضمّ هذا الفصل عنصرا بعنوان: الإطار التاريخي والابستمولوجي لنشأة اللّسانيات لدي سوسير³، من خلال العنوان يظهر لنا أيضا حضور ثنائية الحداثة والتراث اللغوي الغربي وهذا أثناء حديث الأستاذ الطيب عن الملحوظة التي أبداهها عبد الرحمان الحاج صالح عن لسانيات سوسير، التي استندت على أساس هام من الفلسفة اليونانية، وخاصّة فلسفة أرسطو التي تضمّنت مبدأ تقسيم كلّ محسوس إلى مادّة وصورة، وهذا ما يتجلّى واضحا في تمييز سوسير بين اللّغة والكلام، وكذا تحديده

* نعتبر أنّ الموضوع ذو ركيّة ابستمولوجية استنادا إلى عنوان الكتاب "مبادئ اللّسانيات البنوية، دراسة تحليلية ابستمولوجية".

¹ - ينظر: الطيب دبه: مبادئ اللّسانيات البنوية، ص 78.

² - ينظر: الطيب دبه: مبادئ اللّسانيات البنوية، ص 78.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 91.

للغة بأنها نظام وصورة، في حين يمثّل الكلام عنده الجانب المادّي الإنجازي لنظام اللّغة، بالإضافة إلى استناده إلى مبدأ "الهوية" في تحليله للوحدات¹.

إنّ تأثر سوسير بالفلسفة اليونانية في نظرنا هي علاقة بين الحداثة والتراث في صورة موصولة الأطراف تُفند مقولة «أنّ الحداثة هي قطع الصلّة بالتراث»²، بل هي في نظر الأستاذ الطيب علاقة مفتوحة على عدّة تراثات كانت قد وضعت ركّامها المعرفي بين يدي الحداثة، لتعيد صياغته وفق متطلبات العصر، وخاصّة التراث الهندي والتراث العربي الإسلامي³، الأمر الذي أدّى إلى نضوج الفكر اللساني الحديث، في هذا الصدد يذكر روبنز أنّه: «يصعب الاعتقاد... بأنّ علم اللّغة الأوربي كما سيصبح في الوضع الذي هو عليه الآن دون الأفكار التي رقدته بها الأعمال اللّغوية من خارج أوروبا»⁴.

يشير الأستاذ إلى فضل الدراسات اللّغوية العربية القديمة على اللسانيات الغربية، أو بالأحرى فضلها على بعض اللسانيين الغربيين الذين أسهموا في بناء هذه اللسانيات، ومع ذلك فإنّهم يميلون إلى الإشادة بفضل التراث الهندي عليهم، مُتجاوزين بهذا فضل التراث العربي الإسلامي، إلّا فيما يُذكر بتحفظ وعموميّة عندهم مثلما عرف عند روبنز في كتابه: موجز تاريخ علم اللّغة في الغرب⁵. والسبب في نظره لعلّه «يرجع إلى الصراع القديم الحديث بين حضارة الإسلام، وحضارة الغرب، فلئن كان الغربيون قد اعترفوا اعترافاً محتشماً بفضل العرب والمسلمين في مجالات العلم بالبحث، فإنّه

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 98.

² - طه عبد الرحمان: روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، ص 23.

³ - ينظر: الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 100.

⁴ - روبنز، روبر هنري: موجز تاريخ علم اللّغة في الغرب، ترجمة: أحمد عوض، عالم المعرفة، رجب 1418هـ، نوفمبر تشرين الثاني 1997، ص 23.

⁵ - ينظر: الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 100، الهامش.

ليس من السهل أن يعترفوا بفضلهم في مجال علمي يتصل مباشرة بالأسباب المعرفية والعقدية التي يقوم عليها ذلك الصراع»¹.

و يشير في عنصر آخر من هذا الفصل بعنوان: الكتابة والنطق *Ecriture et prononciation*؛ أنّ سوسير في سياق احتفائه بالأصوات اللغوية، يسعى إلى استبعاد الكتابة من الدرس اللساني، وهو بذلك ينطلق من عينات لغوية خاصة تمثلها اللغات الأوروبية باعتبارها تعكس إشكالية عدم التوافق بين النطق والكتابة؛ ومن ثمّ فهو يستثني اللغة اليونانية التي تحتوي على أبجدية مثالية لتوافق هذين الأخيرين عكس ما هي عليه اللغات السامية².

وهذا ما حرّك شعوره إلى استحضار التراث اللغوي، ففي نظره أنّ اللغة العربية هي من اللغات السامية، التي لا تنطبق عليها فرضية دي سوسير، من حيث إنّها تعبّر هي الأخرى - كاللغة اليونانية - عن ذلك التوافق المطلوب بين النطق والكتابة، بل «إنّ الأبجدية العربية تبدو شبيهة إلى حدّ كبير بالأبجدية اليونانية، إذ ليس فيها ممّا يتخالف فيه المكتوب مع المنطوق إلّا ظواهر قليلة مثل لام التعريف المتبوعة بالحروف الشمسية، وبعض الظواهر الفونولوجية الخاصة كالإدغام، وبعض أحكام النون الساكنة»³.

ربّما يودّ من خلال هذا الانتقاد أن يدرج اللغة العربية ضمن المسار اللساني المعاصر، باعتبارها لغة مثالية صالحة لأن توصف وصفا لسانيا تواكب به التطوّر اللساني الحاصل على الصعيد العالمي. هذه في نظرنا رؤية تطورية يمكن أن تُدعم من خلال قراءته للتراث اللغوي العربي في ضوء هذه اللسانيات، والتي نلتمسها في العديد من التحليلات التي عقبته المفاهيم اللسانية البنوية التي أوردتها في كتابه هذا، منها قراءته التي مثلت مقارنة بين تحديد سوسير للعلامة اللسانية، وبين تعريف ابن

¹ - الطيب دته: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 100، 101 (هامش).

² - المرجع نفسه، ص 126 - 127.

³ - المرجع نفسه، ص 127 (هامش).

سينا لهذه العلامة¹ مُبَيَّنًا من خلال قوله: «ومعنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفس أنّ هذا المسموع لهذا المفهوم فكلمًا أوردته الحس على النفس التفتت إلى معناه»².

كذلك فكرة الاعتبارية في العلامة اللسانية التي قاربت تعرُّضَ علماء التراث العربي لفكرة الدلالة الاصطلاحية أو الدلالة العرفية³.

ومن بين المقاربات أيضا نجد الإشارة إلى فكرة الاعتبارية النسبية لدى علماء التراث، مع العلم أنّها خصّصت الكلمات العربية التي يعجزون عن تحليلها فقط⁴.

هذا إلى جانب الكثير من المقاربات اللسانية التي مثلت الحداثة والتراث التي قد تبدو للوهلة الأولى أنّها توافق بين الفكر الغربي والفكر العربي في كلّ أركانه، لكن سرعان ما يتلاشى هذا التوافق أمام مبدأ الخصوصية الذي تعرفه اللغة العربية.

وفي هذا الصدد يذكر سوسير في كتابه:

"et que la langue s'altère, ou plutotôt évolue, sous influence de tous les agents qui peuvent atteindre soit les sons soit les sens. Cette évolution est fatale ; il n'y a pas d'exemple

¹ - الطيب دّبه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 131 (الهامش).

² - ابن سينا، علي الحسين بن عبد الله: الشفاء (العبارة)، تحقيق: محمود الخضيرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1970، ص 4.

³ - ينظر: الطيب دّبه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 136 (الهامش).

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 142 (الهامش).

d'une langue qui y résiste. Au bout d'un certain temps on peut toujours constater des déplacements sensibles.¹

و يترجمها الطيب: " إنَّ اللغة تتبدّل أو لنقل إنّها تتطوّر بتأثير كل العوامل التي يمكن أن تطال الأصوات أو المعاني، وتطوّرهما هذا إنّما هو حتمي، وليس هنالك مثال في أية لغة يمكنه أن يقاوم هذا التطوّر".²

إنّهُ قول استدعى ضرورة الاستثناء من هذه القاعدة العامّة، استثناء يخصّ «اللغة العربية الفصحى» التي لم تخضع - بحكم ارتباطها بالقرآن الكريم - لمبدأ التطور، فلئن عرفت العربية التطور على مستوى المعاني، والأساليب، وعلى مستوى هجر استعمال بعض الكلمات واحتواء أخرى جديدة، وهذا شأن كل لغات العالم، فإنّها لم تعرف التبدّل على مستوى أنظمتها الفرعية (النظام الصوتي، والنظام الصرفي، والنظام النحوي) إلّا ما كان من تغيير طفيف ليس بذى بال، قد أصاب نظامها الصوتي»³.

هذه الملحوظة التي أبدتها الأستاذ تجاه اللغة العربية، تجعلنا نستحضر مقولة ذكرها مصطفى غلفان عن أزمة اللسانيات العربية، وما تعلّق بها على مستوى الموضوع؛ بأنّ هناك «نظرة غير موضوعية للغة العربية، من خلال اعتبارها لغة فوق اللغات الطبيعية الأخرى، إذ تنعت العربية في جلّ الكتابات اللغوية العربية بأجلّ الأوصاف»⁴.

نقول أنّ الأستاذ قد وصف اللغة العربية بما يوجد فيها من خصوصيّة، وهذا نلاحظه في غير ما موضع من كتابه الذي بين أيدينا، منه ما ذكرنا سابقا والذي أدّى إلى وضع تنظير لساني خاصّ باللغة العربية كونها الموضوع المدروس، وهذا خدمة للبحث العلمي العربي.

¹ -Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale, (Edt.préparée parTullio de mauro), payot, paris,1984,p 111.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 140 (الهامش).

³ - ينظر: الطيب دّيه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 140 (الهامش).

⁴ - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص 23.

من المهم أن نشير في هذه المرحلة إلى أنّ جدلية الحداثة والتراث، قد برزت بشكل كبير في هذا الكتاب، أثناء التمهيد لعلم اللسان الحديث، وكذا أثناء التقديم للمفاهيم الأولية والأساسية للسانيات البنوية، وما ارتبط بها من ظروف النشأة، والأمر على ما يبدو متعلق بنقطة مفصلية، تكون فيها الحداثة أقرب إلى موقف النفي والرفض الذي قد يُدبّه القارئ اتجاهها، ممّا استدعى تمهيدا معرفيا لتهيئة فكر القارئ بعدم استحالة مدّ الجسور إلى التراث اللغوي البشري وعلى رأسه التراث اللغوي العربي باعتباره منظومة علمية قائمة بذاتها، و أنّه ذو لغة صالحة لأن توصف في ضوء المناهج اللسانية الحداثيّة عموما، واللسانيات البنوية خصوصا.

أمّا الباب الثاني، والباب الثالث من هذا الكتاب واللذان يمثّلان المجال النظري والمجال الإجرائي لمبادئ اللسانيات البنوية، فالملاحظ عنهما أنّه يقلّ فيهما جدل الحداثة والتراث، باعتبار أنّ الحداثة قد طوّعت لتصبح حادثة مخصوصة أصبحت بموجبها اللسانيات البنوية قادرة على وصف اللّغة العربية من دون أن تمس بكيانها الخاص.

وهذا يظهر بشكل واضح من خلال بعض التحليلات التي مثلت قراءات للتراث اللغوي العربي في ضوء اللسانيات البنوية الحديثة التي أوردها الأستاذ الطيب، وكانت معظمها على هامش المتن من هذا الكتاب، كما سنبينه في المباحث الموالية.

2 الباب الثاني بعنوان: مبادئ اللسانيات البنوية ونظرياتها (دراسة المجال النظري) :

ويحتوي على فصلين؛ الفصل الأول: مبادئ اللسانيات البنوية الأوروبية (من خلال أشهر المدارس والنظريات)، والفصل الثاني: مبادئ اللسانيات البنوية الأمريكية (من خلال أشهر المدارس والنظريات).

يعتمد الأستاذ الطيب على رؤية شاملة للسانيات الحديثة، تظهر فيها هذه الأخيرة وهي تدرج ضمن مذاهب ومدارس ونظريات، والذي خلص إليه من هذه النظرة الشاملة أنّ اللسانيات البنوية «تتمظهر في بنويتين اثنتين: أوروبية وأمريكية، أمّا الأوروبية فتبرز سماتها المميزة في ما تتفق عليه

مدارسها من الاحتفاء بمبدأ الوظيفة التواصلية ... وأما البنية الأمريكية ... دفع بها إلى أن تأخذ سماتها المميزة في دراسة مفهوم مختلف يقابل مفهوم الوظيفة في اللسانيات الأوروبية ويتناظر معه، وهو مفهوم التوزيع»¹.

يمكن أن نلاحظ أيضاً أنّ الأستاذ الطيب قد أدرج اللسانيات التوليدية التحويلية، وكذا اللسانيات التداولية وتفرعاتها، والغرض من ذلك ليس دراستهما وإنما لتشكيل صورة مكتملة عن المذاهب اللسانية الحديثة في ذهن القارئ ضمن ما يسمّى باللّسانيات التمهيدية، مركزاً بذلك على اللّسانيات البنوية الأوروبية والأمريكية.

نودّ أن نناقش مضمون الباب الثاني ضمن جدلية التراث والحداثة، وذلك برصد أهم المقولات الحداثيّة والتراثيّة التي عرضها الأستاذ الطيب أثناء تقديمه لمبادئ اللسانيات البنوية، ومنها مبدأ المماثلة ومبدأ المخالفة باعتبارهما وظيفتين لسانيتين درسهما هنري فراي (H. Frei 1899-1980) واستطاع من خلالهما أن يقدم قراءة استثمارية مهمّة للمبدأ اللساني العام الذي قرر فيه سوسير أنّ كلّ شيء في اللّغات إنّما يعمل بآلية التشابه والاختلاف².

من الملاحظ أنّ هذه وجهة لسانية تمثّل في نظرنا الطرف الحداثي، وأثناء تحليل الأستاذ لها؛ يورد بيتين من الشعر العربي لحسان بن ثابت:

وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

لنا الجففات الغرّ يلمعن في الضحى

فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما

ولدنا بني العنقاء وابني محرّق

¹ - الطيب دّبه: مبادئ اللّسانيات البنوية، ص 161-162.

² - ينظر: الطيب دّبه: مبادئ اللّسانيات البنوية، ص 171.

ويأتي كذلك بانتقاد النابغة لهذين البيتين، ليظهر أنّ النابغة قد اشتغل بمبدأي المخالفة والمماثلة على مستوى قراءته النقدية¹.

ومن ثمّ فهي مقارنة بين الحداثة والتراث، نتجت عن قراءة الفكر اللغوي العربي في ضوء المناهج اللسانية الحديثة، وقد ظهرت في هذا الباب في مواضع أخرى مقاربات لسانية منها: ذكره وظيفة البناء وكيفية اشتغالها عند فراي، ليخلص إلى عقد مقارنة بينها وبين ما توصل إليه الأصوليون في مباحث اللغة²، وكذا مبدأ الاقتصاد اللغوي عند مارتيني وما يقاربه عند ابن سينا بالرغم من اختلاف الجوانب الوظيفية المدروسة عند كل منهما³، وما يوجد من تحليل رياضي للخليل بن أحمد في معجمه العين ليقارب كذلك التحليل التقطعي المارتيني، وغيرها من المقاربات⁴.

أمّا فيما يخص اللغة الموصوفة، فالملاحظ أنّ الأستاذ اعتمد على اللغة العربية الفصحى أثناء تقديمه لمبادئ اللسانيات البنوية، فقد يتصور القارئ أنّ هذه المبادئ لا يمكن عرضها إلاّ في صيغتها الأجنبية (الغربية)، إلاّ أنّ الطريقة التي اعتمدها الأستاذ هي طريقة تعليمية يبرز فيها الفكر الغربي بلغة عربية فصحى، وهذا مثل قول بلومفيلد الذي يوضح فيه أساس نظريته التوزيعية وذلك من خلال قصته المشهورة قصّة جاك (فتى) وجيل (فتاة)، إنّها قصّة بلغة غربية من كتاب "Bloomfield. L, Le langage, 1970, (Tr-Janick Gazio), Paris, Payot, p 26- 27".

لقد وردت هنا بلغة عربية فصحى يستطيع القارئ العربي أن يستوعب معناها، كما أضاف الأستاذ تحليلًا لسانيا خاصًا بهذه النظرية بلغة عربيّة⁵.

¹ - ينظر: الطيب دّبه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 171.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 173.

³ - ينظر: : الطيب دّبه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 186.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 187 وينظر كذلك ص 215.

⁵ - ينظر: الطيب دّبه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 251 وينظر كذلك ص 258.

بناءً على ما سبق، نقول أنّ التحليل اللساني¹ الذي اعتمده الأستاذ مبنيّ على أساس المقاربة بين التراث والحداثة في معظم جوانبه - إلاّ فيما تعلق بخصوصية النظام اللغوي العربي - وهذا في نظرنا يشكلّ صنفاً من «الكتابة اللسانية القرائية تدرج في إطار المشروع الفكري العربيّ الرامي إلى إبراز قيمة التراث العربي، وإعطائه المكانة التي يستحقها ضمن الفكر اللسانيّ الحديث»²، وهذا فيه من الوسطية ما يساعد على رقيّ اللغة العربية.

3 الباب الثالث بعنوان: مبادئ اللسانيات البنوية (دراسة في المجال الإجرائي): يتضمّن

فصلين اثنين: فصل يُعنى بالفونولوجيا (مبادئ التحليل الوظيفي لأصوات اللّغة)، وفصل آخر يُعنى بمبادئ التحليل البنوي للوحدات الدالة والجمل³.

نستحضر في هذا الشأن رأي حجازي فهمي محمود عن اللسانيات العامّة بقوله: «وعلم اللغة العام ذو شقين مترابطين: أولهما وضع نظرية شاملة عن اللّغة والحياة اللّغوية، والثاني وضع الأسس المنهجية لبحث اللّغة بحثاً علمياً، فاللّغة نظام، وعلم اللغة يحاول بلورة الأسس المختلفة التي تمكن الباحث من وصف النظام اللّغوي أو اللّهجة قيد الدراسة أدقّ وصف ممكن»⁴.

لقد اهتمّ الأستاذ الطيب بمبادئ اللسانيات البنوية تنظيراً وتطبيقاً وهذا من تمام الدراسة اللسانية للغة، والمراد هنا ليس تتبّع هذه الدراسة الذي تطرّق إليها وإتّما المراد هو أن نستخلص لأنفسنا أهمّ النقاط التي تخدم ثنائية الحداثة والتراث.

في مستهل الفصل الأوّل من هذا الباب والمخصّص للفونولوجيا، يتحدث الأستاذ عن المسار التطوري للدرس الصوتي في التراث البشري بدءاً بالهنود مروراً باليونان وصولاً إلى التراث العربي

¹ - نشير هنا إلى أنّ هذا التحليل نجده في الهوامش وليس في المتن الذي خصص لمبادئ اللسانيات البنوية

² - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص 37.

³ - ينظر: الطيب دّبه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 271-323.

⁴ - محمود فهمي حجازي: علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، المكتبة الثقافية، عدد 249، القاهرة، 1970، ص 19-

الإسلامي الذي ارتبط الدرس الصوتي فيه بنزول القرآن الكريم، فظهرت محاولات عديدة في هذا الشأن خاصة ما عرف عند أبي الأسود الدؤلي، والخليل بن أحمد الفراهيدي وابن جني¹، يجعل الأستاذ من التراث العربي الإسلامي حلقة موصولة بغيرها من حلقات التراث البشري لتكوين مسار لساني عالمي مرتبط بالدرس الصوتي عند الأوروبيين «وذلك بعد ظهور اللغة السنسكريتية في الدراسات المقارنة»².

إنه حضور للتراث البشري عموماً، وهذا وفق مسار تأصيلي للدرس الصوتي تمهيدا لتأثير المفاهيم السوسيرية على هذا الدرس في مطلع القرن العشرين، الذي يمثل حداثة فكرية يُنظر من خلالها إلى الدرس الصوتي نظرة مخالفة لما عُرف عليه في السابق «بفضل ما تحمله نصوصها من كشف جديدة، ووجاهة علمية، وطرح منهجي دقيق»³.

لقد قدّم الأستاذ الطيب دراسة بنيّة تخصّ الصوتيات والفونولوجيا باعتبارهما علمين يدرسان الأصوات اللغوية من جانبين مختلفين، فالأول يهتم بالجانب المادي للأصوات في اللسان البشري، أمّا الثاني يهتم بالجانب الوظيفي لأصوات اللغة⁴.

هذه الدراسة في نظرنا تتعلّق بالجانب الغربي مشفوعة بنظرة علمية لا ينكرها إلاّ جاحد، وذلك تمهيدا لدراسة الأصوات العربية في ظلّ هذه النظرة العلميّة، بدءاً بتصنيف الأصوات باعتبار المخارج، وباعتبار الصفات وباعتبار المصوتات والصوامت في الدراسات العربية القديمة وعند المحدثين⁵.

لينتقل بعد ذلك إلى عرض مبادئ التحليل الفونولوجي مرفقا بجدول توضيحي للنظام الصوتي لفونيمات العربية وفق تصنيف غانم قدوري الذي «ينطلق من قراءة إيجابية واعية تقارب بين مسؤولية

¹ - ينظر: الطيب دّته: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 273-274.

² - المرجع نفسه، ص 275.

³ - : الطيب دّته: مبادئ اللسانيات البنوية ، ص 276-277.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 282-283-284.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، من ص 287 إلى ص 301.

الأخذ من التراث وإحيائه، وحكمة الإفادة من العلوم اللسانية الغربية عدة»¹ (باعتماد المنهج الوظيفي)، إلى جانب عرضه لأسس التحليل الفونولوجي في نظريات اللسانية المختلفة².

مما يمكن ملاحظته من هذا الفصل أنّ هناك تمازج بين الفكرين الغربي والعربي، تمازجٌ قد يرقى أحيانا إلى درجة التلاقح.

أما الفصل الثاني من هذا الباب بعنوان: مبادئ التحليل البنوي للوحدات الدالة، والجمل: فيمثل تنمة للدراسة اللسانية البنوية، باعتبار أنّ الأستاذ الطيب قد تطرّق إلى الجانب النظري للتحليل اللساني البنوي والذي مثله أندري مارتيني ولوسيان تينير من ناحية الوظيفة وكذا تطرقه إلى التحليل التوزيعي والتحليل البنوي للمعنى³.

هذه الدراسة وإن كانت تحليلا لسانيا محضًا، فهي تمهيد للفكر اللساني الغربي، كما يمكن اعتبارها نموذجًا غريبًا سيُطبّق على اللغة العربية الفصحى في ظلّ النظرية العامّة (اللسانيات العامّة) والنظرية الخاصّة* (اللسانيات الخاصّة)، لينتج بذلك نموذج عربيّ بديل، وهو: «نموذج نقديّ وبنّاء في الآن ذاته، فهو يُجَلّل وينتقد خصائص النموذج الغربيّ، ثم يبسط الخصائص والخطوط العريضة في النموذج البديل، وهي خصائص تتجنّب عيوب النموذج الغربيّ ونقائصه»⁴.

يمكن أن نوضّح هذا الطرح من خلال ما توصلّ إليه الأستاذ الطيب من نقص في التحليل الوظيفي لدى أندري مارتيني، ممثلًا بذلك بجملة من اللغة العربية الفصحى:

¹ - المرجع نفسه، ص 294 (الهامش).

² - ينظر: المرجع نفسه، من ص 301 إلى ص 322.

³ - ينظر: الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية، من ص 326 إلى ص 357.

* نقصد بالنظرية الخاصّة أو (اللسانيات الخاصّة) اللسانيات العربية التي تركز على تنظير لساني خاص يُراعي فيه مبدأ الخصوصية.

⁴ - العيد حنكة: خطاب الحداثة، قراءة في مشروع عبد العزيز حمودة النقدي، مجلة القارئ للدراسات الأدبية واللغوية والنقدية،

المجلد 04، العدد 01، سنة 2021، ص 67.

شرح الأستاذ الدرس¹.

تحدّد وحدات الجملة باعتبار طبيعة الوظيفة التي تؤديها²:

نوعه	المونيم
لكسيم	شرح
مورفيم صرفي	ال
لكسيم	أستاذ
مورفيم نحوي	ُ
مورفيم صرفي	ال
لكسيم	درس
مورفيم نحوي	َ

يُجِيل الأستاذ لكلمة "شرح" من هذا الجدول إلى قوله: «تجدر الإشارة ههنا إلى أنّ الوحدات المعجمية في العربية لا يُمكن أن يستوعبها التحليل التقطعي لدى مارتيني، فهي ذات طبيعة اشتقاقية لا تقبل التقطيع، ذلك أنّ معانيها لا تتمثل بقطع مُترتبة في السمع كما هو شأن أكثر الوحدات الصرفية في اللّغات الإلصاقية كالأوروبية، وكما هو شأن وحدات الصرف العربي، ... فكلمة شرح ... قطعة صوتية واحدة لكن بها أكثر من معنى: معنى المادة الأصلية (ش، ر، ح)، ومعنى الفعلية في صيغة "فعل"، ومعنى الزمن الماضي، ومعنى الإسناد إلى ضمير الغائب المفرد المذكر (هو)، والمعنى المعجمي في مادة شرح»³.

¹ - ينظر: الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 326.

² - المرجع نفسه، ص 327.

³ - الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 327.

من هنا جاز للسانين العرب أن يضعوا بديلا للنموذج الغربي، وهذا ليس إجحافا لجانبه العلمي الموضوعي الذي يركز عليه في كليته، ولكن إنصافا لبنية النظام اللغوي العربي كما بينه المثال السابق.

4.2 الخطاب اللساني في كتاب: التفكير السيميائي في اللغة والأدب، دراسة في تراث

أبي حيان التوحيدي:

هذا الكتاب هو من تأليف الطيب دبه، طبع عام 2015 بالأردن - إربد.

في الوهلة الأولى وبعد أن يطرق عنوان هذا الكتاب الأسماع، قد يتبادر إلى الأذهان أنه ذو موضوع سيميائي، ولكن يذكر الأستاذ أنه من صميم البحث اللساني ذلك: "أنّ جميع المفاهيم السيميائية الواردة في البحث إنما هي في الأصل مفاهيم لسانية، وُضع أغلبها في النظريات اللسانية لاسيما المسماة البنوية منها، وفي مقدمة هذه المفاهيم نذكر: العلامة والقيمة والاختلاف، والتقابل، والعلاقات الترابطية، والعلاقات التركيبية والنظام، والسياق والمقام وغيرها..."¹ في مهمة للبحث عما يقارها في فكر التوحيدي، و بعد مراجعة الكتاب نجد أنّ هذا القول قد جانب الصواب لأنّ المضمون يخصّ مجال السيميائيات، و المفاهيم تتغيّر من حقل إلى آخر، فمثلا مصطلح العلامة في السيميائيات يأخذ مفهوما مغايرا لمفهوم العلامة في اللسانيات.

كما نعتبر هذا الكتاب من بين الكتابات اللسانية العربية التي يمكن تصنيفها ضمن لسانيات التراث (الكتابة اللسانية التراثية)، أو هي خطاب لساني يتمثل في قراءة التراث اللغوي القديم² ومن ثمّ فهذا النوع من الكتابات اللسانية يقتضي منهجا وموضوعا وغاية³.

¹ الطيب دبه : التفكير السيميائي في اللغة و الأدب، دراسة في تراث أبي حيان التوحيدي، عالم الكتب الحدث للنشر و التوزيع، الأردن، ط1، 2015، ص11.

² ينظر مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة ص 91، وينظر هبة خياري: المرجعيات الفكرية في الخطاب اللساني المعاصر، ص 71 وينظر يوسف منصر: الخطاب اللساني المغاربي اتجاهاته ومضامينه، ص 7.

³ ينظر مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 93.

أ. المنهج: إنَّ المنهج في لسانيات التراث "يعرف عادة بمنهج القراءة أو إعادة القراءة"¹ الذي

يوجه نحو سبعة كتب للتوحيدي هي: "الإمتاع والمؤانسة، والمقابسات، ومثالب الوزيرين،

والبصائر والذخائر، والإشارات الإلهية، والهوامل والشوامل، ومجموعة رسائله"².

ب. الموضوع: تتخذ لسانيات التراث من التراث اللغوي العربي موضوعاً لها³، وموضوع هذا

الكتاب هو تراث أبي حيان التوحيدي في جانبه السيميائي.

ج. الغاية: تتمثل غاية لسانيات التراث وأهدافها في "قراءة التصورات اللغوية العربية القديمة،

وتأويلها وفق ما وصل إليه البحث اللساني الحديث، والتوفيق بين نتائج الفكر اللغوي القديم

والنظريات اللسانية الحديثة وبالتالي إخراجها في حلة جديدة تبين قيمتها التاريخية والحضارية"⁴.

إنَّ مهمة التوفيق بين الفكرين الغربي والعربي في حدِّ ذاتها ليست بالهينة إلاَّ أنَّ غاية القراءة في

نظر الأستاذ الطيب تفوق سمة التوفيق إلى درجة الاستثمار، يقول في شأن تراث أبي حيان التوحيدي

أنَّه: "تقوم الحاجة إلى ضرورة قراءة أعماله قراءة استثمارية، تسعى إلى أن تجعل منها مقوماً مهماً في

عملية تطوير الفكر العربي المعاصر وترقيته"⁵.

1.5 كتاب التفكير السيميائي في اللغة والأدب في ظلّ ثنائية الحداثة والتراث:

¹ - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة ص 92.

² - الطيب دبه: التفكير السيميائي في اللغة والأدب، ص 03.

³ - ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 93.

⁴ - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 92.

⁵ - الطيب دبه: التفكير السيميائي في اللغة والأدب، ص 02.

من خلال تحديدنا السابق للمنهج والموضوع والغاية من هذا الكتاب يتضح لنا أنّ حديثنا متعلق بطرفين، طرف حدثي يمثله الفكر السيميائي الحديث، وطرف تراثي يمثله الفكر العلاميّ¹ عند أبي حيان التوحيدي.

وسيعمل الأستاذ على وضع روابط فكرية بين الطرفين ترقى لأن تكون مقارنة، ونرصد هذا من خلال قوله: "...وفي سياق الاهتمام بقراءة التراث على هذا النحو المنهجي الواعي بأهمية المقاربة بين التراث والحداثة وضعنا منهجية البحث، وحددنا أهدافه لتمحور حول محاولة البحث عن معالم التفكير السيميائي عند التوحيدي، مستعينين بما جاء به الغربيون في علم العلامات من مفاهيم و نظريات"².

وكأننا أمام مشهد يظهر فيه الفكر الحدائبي بتزعم السيميائيات، كآلة تُنقّب في التراث عن مكامن الفكر السيميائي، وهذا ليتضح " أنّ علوم التراث ومعارفه لا تعدو أن تشكل - مهما اختلفت مجالاتها وتباعدت - نظاما فكريا موحدا، تلتقي فيه ضمن نسيجها الفكري والحضاري والتاريخي المتجانس، مؤلفة تركيبيا عضويا متماسكا، لا يمكن فهم جزء منه فهما صحيحا وافيا وهو منفصل في أسسه ومنطلقاته عن بقية الأجزاء"³.

ربما يقصد الأستاذ من خلال هذا القول مبدأ الشمولية الذي عرفت به الدراسات اللسانية العربية إلى بدايات القرن الرابع الهجري، مما أدى إلى تمازج الاختصاصات كتمازج النحو مع البلاغة، وأصول الفقه، وهذا ثراء في الفكر التراثي⁴ لا يمكن نكرانه، ومع ذلك فباستعمال الأدوات

¹ - لفظ العلاميّ هو بمثابة مصطلح مقابل لمصطلح السيميائي اعتمده الطيب دبه، ينظر الطيب دبه: التفكير السيميائي في اللغة والأدب، ص 12.

² - ينظر المرجع نفسه ص 02.

³ - الطيب دبه: التفكير السيميائي في اللغة والأدب، ص 12.

⁴ - ينظر علي صالح: الكتابة اللسانية العربية الحديثة، قراءة في المنهج، مجلة قضايا الأدب، المجلد الخامس، العدد الثاني، 2020، جامعة أحمد بوقرة بومرداس، ص 360 - 361.

والإجراءات المنهجية والتحليلية الحديثة - اللسانية أو السيميائية على حدّ سواء - يمكن استكناه ما للتراث من أفكار، تقارب أو تضاهي هذا الفكر الحدائى في علميته وموضوعيته.

يعتمد الأستاذ في هذا الكتاب على خطة بحثية لقراءة تراث أبي حيان التوحيدى في ضوء السيميائيات الحديثة، و تمثلت في¹:

- تمهيد بعنوان " من معالم التفكير السيميائى في التراث العربى الإسلامى، إنّه تمهيد لوضع التراث اللغوى العربى على مسار يضمن له مكانته بين حلقات التراث اللغوى الإنسانى والعالمى.
- الفصل الأول بعنوان: العلامة لدى أبي حيان التوحيدى.
- الفصل الثالث بعنوان: من معالم التفكير السيميائى عند التوحيدى في قضايا الأدب والنقد.

إنّ ثنائية التراث والحداثة لازمت البحث كله، ولم تخرج عن العلاقة بينهما عن كونها مقارنة للفكرين الغربى الحدائى والعربى التراثى في معظمها، إلّا فيما اختصّ به فكر أبي حيان التوحيدى من تصور للعلامة، الذى كان مبنيًا على أسس وعقيدة إسلامية توحى بوحدانية الله عزّ وجلّ، في حين أنّ الغربيين يحصرون تفسيرها في دائرة نظرتهم المادية المحدودة العاجزة عن إدراك الصلة بين الله سبحانه وتعالى والإنسان، إضافة إلى مفهوم التأويل الذى ارتبط عند التوحيدىّ بالدين والقرآن الكريم الذى ستترتب عنه أحكام شرعية، وهذا خلاف التأويل عند السيميائيين الذين يدعون من خلاله إلى "موت المؤلف"، وإلغاء أُبُوته للنص"²، ومن ثمّ وجب اتخاذ نموذج بديل عمّا يقدمه النموذج الغربى، نموذجًا ليس قائمًا على السلبية التى تكفى بالاستبعاد والإقصاء، بل يقوم على الإيجابية التى تقدّم الخصائص الفكرية التى تعوّض العناصر الأحادية المادية التى يتّسم بها النموذج الغربى"³.

¹ - ينظر الطيب دبه: التفكير السيميائى في اللغة والأدب، قائمة المحتويات، ص، هـ، و، ز.

² - ينظر الطيب دبه: التفكير السيميائى في اللغة والأدب، ص 42 إلى 45، وينظر ص 160.

³ - العيد حنكة: خطاب الحداثة، قراءة في مشروع عبد العزيز حمودة، ص 67.

إنّ قراءة التراث مع ما تحمله من أهمية بل وضرورة تاريخية وحضارية، فهي من أصعب ما قد يفكر فيه أي باحث، ومع ذلك يمكن القول أنّ الأستاذ الطيب كان على اطلاع واسع بما يحتويه التراث من أفكار وعلوم بقدر ما فقه من علوم الغرب ونظرياتها؛ الأمر الذي مكنه من وضع مقارنة بين أكثر المفاهيم جدلا، والتي نتجت عن التقاء هذين الفكرين.

6. كتاب اللسانيات وقضايا اللغة العربية في ظلّ ثنائية الحدائثة والتراث:

الكتاب هو من تأليف الطيب دبه، ومن منشورات مخبر اللسانيات التقابلية وخصائص اللغات، كلية الآداب واللغات بجامعة الأغواط، وطبع بمطبعة رويغي - الأغواط/ الجزائر، عام 2014م.

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ للغة العربية مظاهر تتفرد بها عن سائر اللغات العالمية، ممّا استعصى على النموذج اللساني الغربي العام أن ينطبق عليها، من هنا وجب على اللسانيين أن يضعوا نظيرا لسانيا يتماشى مع هذا التفرد الخاص، والذي وصفه الطيب دبه بـ"التنظير اللساني الخاص" الذي يراعي مثلا ظاهرة الاشتقاق التي تتنافى مع التحليل التقطيعي *Analyse Semental* وكذا ظاهرة النظام المفتوح *Systeme ouvert* وهو نظام عربي خالص يتحرر به من قواعد الرتبة والإلصاق، وكذا ظاهرة المخالفة *Differenciation* التي تتجلى بوضوح في النظام العربي¹.

استجابة لهذه الخصوصية تمّ تقسيم الكتاب إلى ثلاثة أبواب²:

- الباب الأول بعنوان اللسانيات وخصائص اللغة العربية، موزع على ثلاثة فصول توضّح تلك الخصائص، والتي لا تنفكّ تتمثل في النحو العربي منهجا وتركيبا.

¹ - ينظر الطيب دبه: اللسانيات وقضايا اللغة العربية، منشورات مخبر اللسانيات التقابلية وخصائص اللغات، كلية الآداب واللغات بجامعة الأغواط الجزائر، مطبعة الرويغي/ الأغواط الجزائر ط1، 1436هـ، 2014م، ص 07.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 327 (الفهرس).

- الباب الثاني بعنوان: اللسانيات وتعليم اللغة العربية، يضمّ ثلاثة فصول، وهو ممزوج بين المبادئ العامة وتطبيقاتها على اللغة العربية، فهو باب بيني يجمع بين علمين في خطوة لتجديد النحو العربي بالاستفادة من العلم اللساني الحديث.

- الباب الثالث بعنوان: اللسانيات وقضايا اللغة العربية في الخطاب الأصولي، كذلك تضمّن ثلاثة فصول.

إذا أردنا تصنيف هذا الكتاب سيرا على خطانا في تصنيف الكتابين السابقين، سنقول أنّه يندرج ضمن الكتابة اللسانية المتخصصة أو كما اصطلح عليها بـ"لسانيات العربية" كونها اشتغلت على اللغة العربية، ومن ثمّ فهي موضوع لها¹، أمّا المنهج المتبع في هذا النوع من الكتابة فلا يجيد عن كونه منهجا من المناهج العلمية اللسانية الحديثة كالمنهج التاريخي والمقارن والوصفي وكذا التقابلي²، والغاية المرجوة منها هي تقديم وصف لم يكن معهودا من قبل لبنيات اللغة العربية في ظل ما وصلت إليه اللسانيات الحديثة³.

أي أنّ هذا الكتاب يختصّ بدراسة اللغة العربية دون غيرها من اللغات، ومن ثمّ فهو ليس بدعا من الكتابات اللسانية المتخصصة الأخرى التي عكفت على دراسة لغاتها التي تنتمي إليها، إلاّ أنّه يراعى فيه مبدأ الخصوصية التي تنفي الكثير من المبادئ اللسانية العامة، إلى درجة القول بالتنظير اللساني الخاص، أي إيجاد بديل عن المبادئ العامة والتي توافق البناء اللغوي العربي الخاص.

¹ - ينظر مصطفى غلفان اللسانيات العربية الحديثة، ص 92

² - ينظر المرجع نفسه ص 92.

³ - ينظر المرجع نفسه ص 92.

إنّ القول بخصوصية النظام اللغوي العربي لا ينفي المقاربة التي فرضت نفسها بين الفكرين العربي والغربي، وتنضوي معظمها في مجال الاستثمار اللساني لخصائص اللغة العربية، واستثمار لساني في مجال تعليمية اللغة العربية، وكذا استثمار لقضايا العربية في الخطاب الأصولي¹.

إنّما في نظرنا رؤية منهجية توفيقية تعبّر عن تخطي جدلية التراث والحداثة، إلى استثمار نفعي مبني على أسس من التدقيق والتمحيص، دون الوقوع في مزلق التبعية والخضوع.

5. المصطلح اللساني عند الطيب دبه بين ثنائية الحداثة والتراث:

لقد اعتمد الأستاذ في كتاباته اللسانية على عدد غير قليل من المصطلحات اللسانية التي تضاف إلى الرصيد المصطلحي العلمي العام، ومما يمكن ملاحظته في هذا الشأن وفي ظلّ ما توصلنا إليه من خلال اطلاعنا على كتبه - السابقة الذكر - أنّه استعمل ثباتاً مصطلحياً كبيراً جمع بين اللسانيات والسيميائيات باعتبارهما من العلم الحديث أو الحداثي، وبين التراث اللغوي العربي. إنّ أهمّ المصطلحات المثبوتة في هذه الكتب والتي يمكن أن نخدم ثنائية الحداثة والتراث؛ هي مصطلح "البنوية" ومصطلح "علم اللسان أو اللسانيات" وقد سبق أن أشرنا إلى أصولهما التراثية والتي كانت سبباً في اعتماد لهما، وكذا مصطلح "السيميائيات أو السيمياء"، وقد اعتمد مصطلح السيمياء، وهذا يظهر من خلال عنوان كتابه بإضافة ياء النسبة بقوله "التفكير السيميائي"، كما صرّح بأنّه يفضل استعمال المصطلحات العربية مادامت موجودة، مثل السيميائيات أو علم العلامات² وهذا توجّه إلى التراث.

إلى جانب اعتماده مصطلح "الفكر العلامي"³، مقابلاً "للفكر السيميائي" وهذا إيماناً منه بمبدأ الخصوصية، ذلك أنّ: "أهمّ ما يلاحظ في تصورات علماء المسلمين حول العلامة أنّها تأسست في

¹ - الطيب دبه: اللسانيات وقضايا اللغة العربية: ص 08 - 09.

² - ينظر الطيب دبه: التفكير السيميائي في اللغة والأدب، ص 09 من الهامش.

³ - ينظر المرجع نفسه، ص 12.

ظلّ قواعدهم الاعتقادية التي تنظر إلى الكون والحياة، وإلى وجود الإنسان فيهما نظرة خاصة مستمدة من توجيهات النص الشرعي ومقاصده"¹.

وأهمّ ملاحظة يمكن أن نشير إليها إضافة إلى هذه المصطلحات، أنّ هناك مصطلحا جديدا لفت انتباهنا في كتابته هو "التنظير اللساني الخاص" الذي أورده بصيغة عربية ولم يضع له ترجمة إلى اللغات الأجنبية، أو بالأحرى لا يوجد احتمال للتنظير اللساني الخاص في اللسانيات الغربية باعتبارها مبادئ عامة تفرض نموذجها على باقي اللغات، وهذا ما فتّده خصوصيات اللغة العربية، والتي أقرّ بها الطيب دبه.

وخلاصة لما سبق نقول أنّ الأستاذ الطيب دبه، قد مثل المنهج التوفيقي أحسن تمثيل، فلم يركن إلى الجانب التراثي على حساب الجانب الحداثي، وهذا إقرارا بما تحتويه اللسانيات الحديثة من فائدة قد تستثمر في المجال اللغوي العربي، ولكن بوعي وتمحيص شديدين، لخدمة اللغة العربية عموما.

ثانيا: جدل الحداثة والتراث في الكتابة اللسانية عند صالح الكشوّ:

1. السيرة العلمية لصالح الكشوّ²:

صالح الكشوّ هو لسانيّ تونسي، من مواليد عام 1945، متحصّل على الإجازة في اللّغة والآداب الفرنسية من جامعة السربون، كذلك الإجازة ودكتوراه مرحلة ثالثة في اللّسانيات من جامعة باريس 7، ودكتوراه دولة في النحو العربي من كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة -تونس-.

من مؤلفاته:

1 مدخل في اللّسانيات (الدار العربية للكتاب 1985).

¹ - المرجع نفسه، ص 12.

² - ينظر: صالح الكشوّ: النحو التحويلي العربي الاسم والفعل والحرف، مركز النشر الجامعي، تونس، أوريس للطباعة، مارس 2012، ورقة الغلاف.

2 دراسات في النحو التحويلي، ترجمة إلى العربية، من مؤلف موريس قروس بيت الحكمة 1989.

3 مظاهر التعريف في العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاس 1997.

4 خمسة دروس في فقه اللغة العربية، مركز النشر الجامعي.

5 للنحو التحويلي العربي الاسم والفعل والحرف، مركز النشر الجامعي، تونس 2012.

2. الحداثة والتراث عند صالح الكشو:

تُحافظ على منهجنا -السابق- في استقراء جدلية التراث والحداثة من الكتابات اللسانية المغاربية الحديثة، وذلك برصد المقولات التي تُبرز مكانة تلك الثنائية في فكر اللسانيين المغاربة، ومن بينهم أيضا صالح الكشو، على نحو قد تظهر فيه هذه الجدلية بمظهر توافقي أو أن يكون طرفها الأول موصولاً بطرفها الأخير امتداداً، كما سيبيّن لنا لاحقاً.

تجدر الإشارة هنا إلى أننا لم نجد في كتابات صالح الكشو اللسانية ذكراً مباشراً لثنائية التراث والحداثة خلاف ما وجدناه عند الطيب دبه. إنما وردت على شكل مفاهيم تُعبّر عن علم حديث وتراث لغويّ قديم في شقّه العربي والغربي، ومن ثمّ وجب علينا استشراف هذه الثنائية بتحليل هذه المفاهيم والمقولات اللسانية التي وردت في كتاباته، حتى تتجلى مكانة التراث والحداثة عنده.

3. مكانة التراث اللغوي العربي عند صالح الكشو:

يحتل التراث اللغوي العربي في فكر صالح الكشو مكانة مرموقة، ويظهر هذا من خلال إعداده لأطروحة دكتوراه في النحو العربي بعنوان: "نظام التعريف و التنكير في العربية"¹، وذلك إيماناً منّا أنّه ما من بحث أكاديمي بهذه الرتبة إلاّ ويقتضي عملاً وجهداً لا يستهان بهما إضافة إلى تخصيص وقت

¹ - ينظر: عبد القادر المهيري: مظاهر التعريف في العربية، تأليف صالح الكشو، 427 صفحة، منشورات العلوم الإنسانية بصفاس 1997، حوليات الجامعة التونسية، عدد 42/1998، ص 292.

* نقصد الكتابات اللسانية المذكورة سابقاً في سيرته العلمية.

غير قليل لإبنازه؛ مما مكّنه في نظرنا من اكتساب معرفة وإطلاع واسعين بالنحو العربي وهذا ما نلتمسه في كتاباته المتعددة* بغضّ النظر عن أهداف هذه الكتابات.

لقد وظّف الأستاذ صالح في كتاباته اللسانية الكثير من الشواهد والمقولات النحوية العربية والغربية والتي يصعب على كثير من الدارسين الوصول إلى مصادرها¹، وحضور هذه الشواهد والمقولات النحوية إنما «هو استقصاء لأرضية بعض الفرضيات في الدراسات النحوية المعاصرة، وكذلك خلفية تاريخية لها، وهو ثانياً إشعار بوجود تقييم العمل اللغوي العربي القديم، خاصة منه المادة النحوية من حيث هي مادة»².

إنّما لفتة علمية إلى تراثنا النحوي سعى الأستاذ صالح الكشو من خلالها إلى قراءته قراءة "جديدة" مع ما تحمله هذه اللفظة من مفاهيم حضارية، ذلك وعلى حدّ تعبيره «أنّ قراءة جديدة لهذه المادة ضرورة اليوم»³.

كما ذكر في هذا السياق أنّه خصّص فصلاً لهذه المادة النحوية وهو يُمهّد للسانيات، بقوله: «وقد افتتحنا هذا الكتاب بفصل فيها، شعوراً منّا أنّ كتاباً بالعربية في اللسانيات العامة لا يتطرّق إليها لا يمكنه أن يُحقّق تماماً النتيجة التي يرمي إليها، وهي أن يعود النفع -إن كان- على البحث العربي في هذا الميدان»⁴.

يبدو من خلال قوله أنّ حضور التراث وقراءته هو خطوة أولى لبداية التأصيل لعلم جديد، يركز على قراءة جديدة لهذا التراث وهي ليست قراءة حدائية، والمهم أن لا تجزم بهذا القول، لأننا لا نستطيع التأكّد من مفهوم لفظ "الجديد" الذي قصده الأستاذ الكشو أهو التجديد الذي يشكل مع

¹ - ينظر: صالح الكشو: مدخل في اللسانيات، الدار العربية للكتاب، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم -تونس- 1985، ص 5.

² - المرجع نفسه، ص 5.

³ - صالح الكشو: مدخل في اللسانيات، الدار العربية للكتاب، ص 5.

⁴ - صالح الكشو: مدخل في اللسانيات، ص 5.

التراث عملية لاكتشاف الأنا وتأصيلها وتحررها من سيطرة الثقافات التي غزت العالم العربي بمناهجها وتصوراتها¹، أو أنه يقصد القراءة الحداثية، إلا أننا يمكن نرجح القول بقراءة لسانية للتراث اللغوي العربي ذلك أنه «سعى إلى تقييم تاريخ التفكير النحوي في ضوء اللسانيات»².

في نظرنا أنّ مجرد ذكر للسانيات الحديثة أثناء هذا التقييم التاريخي، قد يجعل التراث اللغوي العربي على محكّ الحداثة، كما قد «يجعل اللسان العربي في موضع قابل للاستهداف»³. وهذا لم يخف على الأستاذ الكشو، فأظهر نيّته الحسنة في خدمة البحث العربي، وهذا ما نلمسه من خلال كتاباته اللسانية.

4. حضور التراث اللغوي الغربي عند صالح الكشو:

لقد شكل التراث اللغوي الإنساني لبنة أساسية في كتابات صالح الكشو وهذا في سياق تقييم هذا التراث في ضوء اللسانيات⁴.

وأهم مؤلف يمكن أن نستجلي فيه حضور هذا التراث بوفرة هو مؤلفه "مدخل في اللسانيات" الذي ركّز فيه على اللسانيات الأمريكية وخاصة ما تعلق بجوانبها المهيمنة التحويلية التوليدية⁵.

فرسم مساراً نحويّاً تاريخيّاً يتّصل بالتراث اللغوي الغربي للبحث عن مصادر هذه النظرة النحوية؛ بداية ما وُجد عند النمطيين من نظرة لكيفيات الدلالة التي هي في نظر الأستاذ الكشو نظرية

¹ - ينظر: حسني حنفي: التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم، ص 21.

² - صالح الكشو: مدخل في اللسانيات، ص 107.

³ - محمد صلاح الدين شريف: قراءة اللسانيات العربية القديمة في ضوء المناهج اللسانية الحديثة، قراءات معاصرة لقضايا في التراث اللغوي والأدبي والبلاغي، بحوث محكمة مقدمة في المؤتمر الدولي الثالث (التراث النحوي والأدبي في ضوء المناهج الحديثة، جامعة القصيم، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، 7 / 7، 2019، ص 190.

⁴ - ينظر: صالح الكشو: مدخل في اللسانيات، ص 107.

⁵ - ينظر: صالح الكشو: مدخل في اللسانيات المرجع نفسه، ص 107.

متكاملة للعلامات والميدان الذي جددوا فيه - على حسب رأيه - هو النحو¹، ثم تطرّق الأستاذ إلى الألسنيّة الديكرتية بحديثه عن ديكرت والديكرتيون الذين يُمثلون أرسطو النهضة الغربية²، وقد استوفى هذا الحضور لهذه اللسانيات حقّه من الكتاب "مدخل في اللسانيات"^{*}، فهو في نظرنا - تمهيداً للسانيات تشومسكي بتزعم كتابه "الألسنية الديكرتية"، وفي هذا الصدد يقول حسام البهنساوي: «لقد جاء كتاب الألسنية الديكرتية ليكون مثالا حيّاً على اهتمام العلماء اللغويين المحدثين بضرورة العودة إلى التراث اللغوي، من أجل إظهار مواضع التقارب بين بعض جوانبه المهملة وبين المفاهيم اللغوية الحديثة، لقد استطاع تشومسكي (N. Chomsky) في هذا الكتاب أن يقف على عديد من العناصر التي تمثل التقاءً وانفتاحاً بين معطيات نظريته التوليدية التحويلية، وبين القواعد التي أرساها ديكرت فيما يُعرف باسم قواعد بُورت روايال»³.

ومن ثمّ فحضور التراث اللغوي لديكرت عند صالح الكشو هو ضرورة علمية يقتضيها بحثه اللساني.

هذا إلى جانب حضور النحو الفلسفي المرتبط بالقرن الثامن عشر في كتابه "مدخل في اللسانيات"⁴ وكذا قضية التحويل والتوليد ... عند سابير ولي وورف، وز. هاريس⁵.

يقول صالح الكشو: «إنّ اللسانيات في القرن العشرين أمريكية قبل كل شيء، خاصّة إذا نظرنا إليها من جوانبها المهيمنة أي التحويلية التوليدية»¹.

¹ - ينظر المرجع نفسه ص 32.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 35.

* قد أخذ حوالي 18 صفحة، من ص 35 حتى صفحة 53.

³ - البهنساوي حسام: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1414هـ / 1994م، ص 2.

⁴ - ينظر: صالح الكشو: مدخل في اللسانيات، ص 55 إلى 100.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص 112 إلى 122.

استقراءً لمنطوق هذا القول يظهر توجُّه صالح الكشو اللساني الذي يتمثّل في لسانيات تشومسكي، كما يمكننا استخلاص ما يخدم ثنائية الحداثة والتراث، التي هي في نظرنا ثنائية تمثل فكر تشومسكي التوليدي التحويلي وتراثين لغويين عربي وغربي، ربّما لا نجد إشارة في كتابات صالح الكشو -فيما نعلم- ما يدلّ على ارتباط التراث اللغوي العربي بفكر تشومسكي، هذا العالم الأمريكي الذي درس الأجرومية النحوية².

لقد وضّح الأستاذ في كتاباته ارتباط النظرية التوليدية النحوية بالتراث اللغوي الغربي، كما بيّن ما للنحو العربي من استجابة لهذه النظرية³، وعلاوة على ذلك فهو يعتبر أنّ المسألة في الدرس اللساني غير منقطعة عن المسألة نفسها في التراث النحوي عموماً ومن ثمّ فإنّ العلاقة بين المناهج اللسانية الحديثة والمناهج النحوية التقليدية هي علاقة استمرارية، ثمّ إنّ هذه اللسانيات ليست إسقاطاً على النحو كما أنّها ليست بضاعة مستوردة⁴.

5. الحداثة في منظور صالح الكشو:

من خلال ما رصدناه من مقولات لحضور التراثين العربي والغربي في كتابات الأستاذ الكشو، تظهر لنا مكانة الحداثة عنده والمتمثلة في اللسانيات التوليدية التحويلية باعتبارها فكراً لغويّاً متقدّماً حديثاً غير منقطع الأواصر مع ما سبقه من فكر نحوي مبثوث في التراث اللغوي الإنساني إنّها رؤية تطوّرية حضارية قد تجعل من الحداثة امتداداً للتراث، كما قد تدحض الجدلية القائمة بينهما.

6. الخطاب اللساني عند صالح الكشو:

¹ - المرجع نفسه، ص 107.
² - ينظر: المدلاوي محمد: اللسانيات العربية المعاصرة ما بين البحث العلمي وثقافت التهافت، دراسات أدبية ولسانية، العدد 3، السنة الأولى ربيع 1986، ص 93.
³ - ينظر: صالح الكشو: النحو التحويلي العربي الاسم والفعل والحرف، مركز النشر الجامعي، 2012، ص 1.
⁴ - ينظر: صالح الكشو: النحو التحويلي العربي الاسم والفعل والحرف، ص 171.

الكتابات اللسانية عند الأستاذ الكشو لا تخرج عن كونها شكلا من أشكال الخطاب اللساني العربي المعاصر¹، نتجت عن ثنائية الحداثة والتراث، حادثة في الفكر اللغوي الذي اطلع عليه أثناء دراسته بجامعة السربون، وكذا جامعة باريس²، وهذا هو الالتقاء الحقيقي بلسانيات الغرب من جهة، والتقاء بالتراث كامن في النفس العربية بالقوة مشفوع عند الأستاذ ببحث معمق عن خباياه النحوية، من ثماره أطروحة دكتوراه دولة في النحو العربي، وعدة مؤلفات لسانية³.

1.6 الخطاب اللساني في كتاب "مدخل في اللسانيات":

هذا الكتاب هو من تأليف صالح الكشو، طبع بالدار العربية للكتاب مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم - تونس - 1985.

من خلال العنوان يتضح لنا أنّ الكتاب يُصنّف ضمن الكتابات اللسانية التمهيدية التّبسيطة⁴ التي تركز على منهج وموضوع وغاية كغيرها من الكتابات.

أ. المنهج: لقد اعتمد الأستاذ الكشو في هذا الكتاب على رسومات بيانية وأمثلة توضيحية، وكذا استحضار العديد من الآثار اللغوية العربية والغربية القديمة وتوظيف جمل باللّغة العربية لتبسيط المعرفة اللسانية.

ب. الموضوع: نستحضر من جديد ما ذكره مصطفى غلفان عن موضوع اللسانيات التمهيدية بقوله: «يتشكّل موضوع الكتابة اللسانية التمهيدية أو التبسيطة ممّا تقدمه النظريات اللسانية الحديثة من مبادئ ومناهج جديدة في دراسة اللّغة البشرية بصفة عامّة»⁵.

¹ - ينظر: هبة خياري: المرجعيات الفكرية في الخطاب اللساني العربي المعاصر، ص 71.

² - ينظر: صالح الكشو: النحو التحويلي العربي الاسم والفعل والحرف، ورقة الغلاف.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ورقة الغلاف.

⁴ - ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 91.

⁵ - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 91.

إنّ حديثنا عن موضوع هذه الكتابة يدفعنا إلى الحديث بداية عن عنوان هذه الكتابة، لما له من أهمية في إبراز الموضوع المقصود بالبحث، ذلك أنّه يمثّل «مكوّنًا نصّيًا لا يقل أهمية عن المكونات النصية الأخرى فالعنوان يشكّل سلطة النص ووجاهته الإعلامية، وهذه السلطة تمارس على المتلقي إكراهًا أدبيًا، كما أنّه - أي العنوان - الجزء الدال من النص»¹.

عرض حافظ إسماعيلي علوي في إحدى مقالاته ملاحظة حول عناوين بعض الكتابات اللسانية التمهيدية منها²:

- مدخل إلى علم اللّغة (محمد علي الخولي).
- مدخل للسانيات سوسير (مبارك حنون).
- مدخل إلى اللسانيات (محمد محمد يونس علي).
- مدخل للصّواتة التوليدية (إدريس السّغروشي).
- مدخل في اللّسانيات (صالح الكشو).

وهذه الملاحظة تمثلت في كلمة (مدخل) التي تشترك فيها جميع الكتابات المذكورة ، ففي نظره تُعتبر "بؤرة"³، أمّا في نظرنا فهناك بؤرة أهمّ وأدقّ معنّى من كلمة (مدخل) وهي "حرف الجر" المعتمد في هذه الكتابات.

لقد وظّف صالح الكشو في عنوان هذا الكتاب حرف الجر "في"، لأنّه أستاذ متخصص في النحو العربي فلا نظنّ أنّه وظّفه عبثًا، لذلك عُدنا إلى كتب النّحو حتى نفقه المقصد من حرف الجرّ "في" لنجد قول ابن يعيش: «أمّا (في) فمعناه الظرفية والوعاء، قولك الماء في الكأس وفلان في البيت،

¹ - حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية وإشكالات التلقي اللسانية التمهيدية أمودجا -

[https://www.aljabriabed.net/n58-09hafidi.\(2\).htm](https://www.aljabriabed.net/n58-09hafidi.(2).htm)

² - المرجع نفسه الموقع الالكتروني نفسه.

³ - حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية وإشكالات التلقي اللسانية التمهيدية أمودجا

[https://www.aljabriabed.net/n58-09hafidi.\(2\).htm](https://www.aljabriabed.net/n58-09hafidi.(2).htm).

إنّما المراد أنّ البيت قد حواه وكذلك الكأس، وقد يتسع فيها فيقال: في فلان عيب، وفي يدي دار، جعلت الرجل مكانا للعب يحتوي مجازا أو تشبيها، هذا لأنّ الرجل ليس مكانا في الحقيقة، ولا اليد مكان للدار»¹.

حرف الجرّ "في" بهذا المعنى هو من حروف الإضافة التي تفيد الظرفية المكانية، هذه نظرة ثرائية نحوية، ورد ذكرها عند صالح الكشو في كتابه "النحو التحويلي العربي، الاسم والفعل والحرف" في الجزء المخصص للحرف العربي وله في هذا الصدد رؤية حدائية تتجاوز الرؤية التراثية المحصورة في الإضافة إلى القول بتعددية الفعل إلى الاسم بواسطة الحرف وهذا بحذف حرف الجرّ، ومثاله في ذلك قوله: «وقد يحذف الحرف: شكرت لزيد فعله، شكرت لزيد، شكرتُ زيدا»².

ومن ثمّ فعنوان كتابه "مدخل في اللسانيات" قد توجد فيه هذه النظرة الحدائية، فينتقل حرف الجرّ (في) - في هذا العنوان - من الإضافة الظرفية إلى إضافة للتعددية، ليكون موضوع الكتاب ليس مدخلا في اللسانيات العامة بمفهوم الظرفية المكانية، بل هو مدخل إليها فقط متعدّيا بذلك التأريخ لها³.

ج. الغاية: لقد تحدث صالح الكشو عن الغاية المرجوة من هذه الكتابة التمهيدية بقوله: «أمّا ما نرمي إليه مباشرة فهو:

- وضع كتاب بالعربية من هذا القبيل بين أيدي طلاب العربية ليسهل عليهم التحصيل.
- التعريف ببعض وجوه الدرس اللغوي القديم بتجميع ملخص لعدد من الآثار قد يصعب تناولها أو حتى العثور عليها بالنسبة إلى الطالب.

¹ - يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت 643هـ): شرح المفصل، دار الطباعة المنيرية، مصر، ب. ت، ج 8، ص 20.

² - ينظر: صالح الكشو، النحو التحويلي العربي، الاسم والفعل والحرف، ص 170.

³ - ينظر: صالح الكشو: مدخل في اللسانيات، ص 5.

- تقدم بعض النصوص مترجمة عن الأصل حتى تتضح الأفكار في انتظار ترجمات كاملة عن المدخل والتلاخيص.

- تقريب النحو من مشاغل كلّ الذين يعنون بالعلوم الإنسانية من الطلبة علّ الفائدة تكون كذلك في تمازج الاختصاصات والبحث الجماعي¹.

الكلمات المفتاحية المعتمدة في هذا القول (تعريف، تقديم، تقريب) هي من أساسيات التمهيد للسانيات باعتبارها معرفة علمية حديثة عن الساحة العربية ومن ثمّ وجب التقديم لها باللسان العربي.

1.1.6 السمات المنهجية لكتاب "مدخل في اللسانيات":

نحن أمام كتابة لسانية تمهيدية لها سمات منهجية محددة* يمكن أن نعرضها على نحو قد تظهر فيه ثنائية التراث والحداثة بمظهر حضاريّ لا جدال فيه، وهذا بالارتكاز على ما ورد في هذا الكتاب:

1. تجريد موضوع البحث اللساني بأنه ليس تاريخاً للسانيات العامة، وإنما هو مدخل إليها فقط².
2. حضور تقنيات التحليل اللساني والمتمثلة بداية في إبراز مبادئ هذا التحليل في النحو العربي؛ من اشتقاق النحو، المعاني العامة وتولّد اللغات أنماط الاستدلال في النحو، إضافة إلى إبراز أهمّ مكوّن للنحو العربي والمتمثّل في أهمّ الأبواب التي تضمنها كتاب سيويوه³.

هذه التقنية تتعلّق بالتراث اللغوي العربي، وهناك تقنيات تحليلية لسانية أخرى تتعلّق باللسنة غير عربية، وتمثّلت في⁴: كصفات الدلالة عند النمطيين من مقولات وتشكيل الصيغ وحدود التبعية

¹ - المرجع نفسه، ص 5-6.

* هذه السمات المنهجية حددها مصطفى غلفان في كتابه اللسانيات العربية الحديثة. ينظر: ص 107-108.

² - ينظر: صالح الكشو: مدخل في اللسانيات، ص 5.

³ - ينظر: صالح الكشو: مدخل في اللسانيات، ص من 7 إلى 24.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص من 29 إلى 34.

والقبولية والاختبارية، إلى جانب حديثه عن اللسانيات الديكارتية وما تحويه من أسس ومناهج مرورا بالنحو الفلسفي (القرن الثامن عشر) وصولاً إلى النقطة الأساس وهو حديثه عن التحويل والتوليد عند الغرب وعلى رأسهم تشومسكي.

لقد اعتمد صالح الكشو على تقنية تحليلية لسانية جمعت بين التراثين اللغويين العربي والغربي تمهيدا لربط اللسانيات الحديثة والمتمثلة في لسانيات تشومسكي.

إنّ كتابة صالح الكشو التمهيدية في نظر مصطفى غلفان قد بلغت درجة مرضية على نحو ما وُجد عند الراجي وزكريا وحنون والسغروشي والمتوكل ، وهذا بالنظر إلى مقدرة هؤلاء اللسانيين على تجاوز القصور المنهجي في كتاباتهم التمهيدية والقول بأنّها واكبت تطوّر البحث اللساني ونماذجه¹.

مما يمكن ملاحظته في هذا الصدد أنّ صالح الكشو لم يذكر ما استجدّ من البحث اللساني في صورته التداولية، واكتفى بالإشارة إلى لسانيات سوسير²، مع أنّها لبنة أساسية في البحث اللساني عامة، مركزاً بذلك على اللسانيات التوليدية التحويلية، هذا في نظرنا قد يخدم القول بتحديد مجال البحث ولكن لا يخدمه في ناحيته التطوريّة الحاصلة على الصعيد اللساني العالمي.

2.1.6 مناقشة تقنيات التحليل اللساني في ظلّ ثنائية التراث والحداثة:

نؤوّه إلى أنّ الأستاذ الكشو لم يعتمد على الهيكل البحثي المعتاد لرسم فهرس كتابه "مدخل في اللسانيات" (مدخل تمهيدي، أبواب، فصول، ...) بل اعتمد على افتتاحية موجزة، وعناوين رئيسة في البحث تتفرّع عنها عناوين ثانوية، إضافة إلى خاتمة توسطت البحث كانت بمثابة تمهيد للنحو التحويلي الحديث.

¹ - ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربيّة الحديثة، ص 108- 116.

² - ينظر: صالح الكشو: مدخل في اللسانيات، ص 108.

نأخذ ثنائية التراث كمعيار تحليلي يُعيننا على فهرسة عناصر هذا الكتاب، لاستشراف موقف صالح الكشو من هذه الثنائية.

1 - الافتتاحية (مدخل تمهيدي):

تعتبر الافتتاحية أو المقدمة من أساسيات كلّ بحث لما لها من أهمية في التعريف بالبحث وبأهدافه، وحقيقة قد مثلت هذه الافتتاحية صورة عامة عن الكتاب ككلّ، بل واستطعنا من خلالها -على الرغم من أنّها موجزة*- استجلاء موضوع البحث ومنهجه وكذا غايته وأهدافه. وأهمّ ملاحظة تضاف إلى ثنائية التراث والحداثة، هي تصريح الأستاذ الكشو بالقراءة الجديدة التي ستوجّه إلى التراث اللغوي العربي القديم¹.

2 - نظرة في النحو العربي (الفصل الأوّل):

خُصّص هذا الفصل لقراءة التراث النحوي العربي في ضوء اللسانيات الحديثة، ليتم استحضار الكثير من أقوال النحاة واللغويين العرب الأوائل أمثال²: الفارابي في إحصاء العلوم وأبو حيان التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة، وابن خلدون في مقدمته، وابن جني في الخصائص، وعبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز وابن حزم في الأحكام وعبد الجبار صاحب المغني وإمام النحو سيبويه. هذه القراءة الجديدة للتراث النحوي العربي في نظرنا هي مقارنة بينه وبين الفكر اللغوي الحديث وخاصة ما تعلّق منه باللسانيات التوليدية التحويلية.

لقد تطرق صالح الكشو إلى نشأة النحو ومفهومه، وكذا مفهوم اللغة والكلام وغيرها من المفاهيم التي تساعد على تقريب الفكرين اللغويين تقريبا بتجاوز الزمان والمكان.

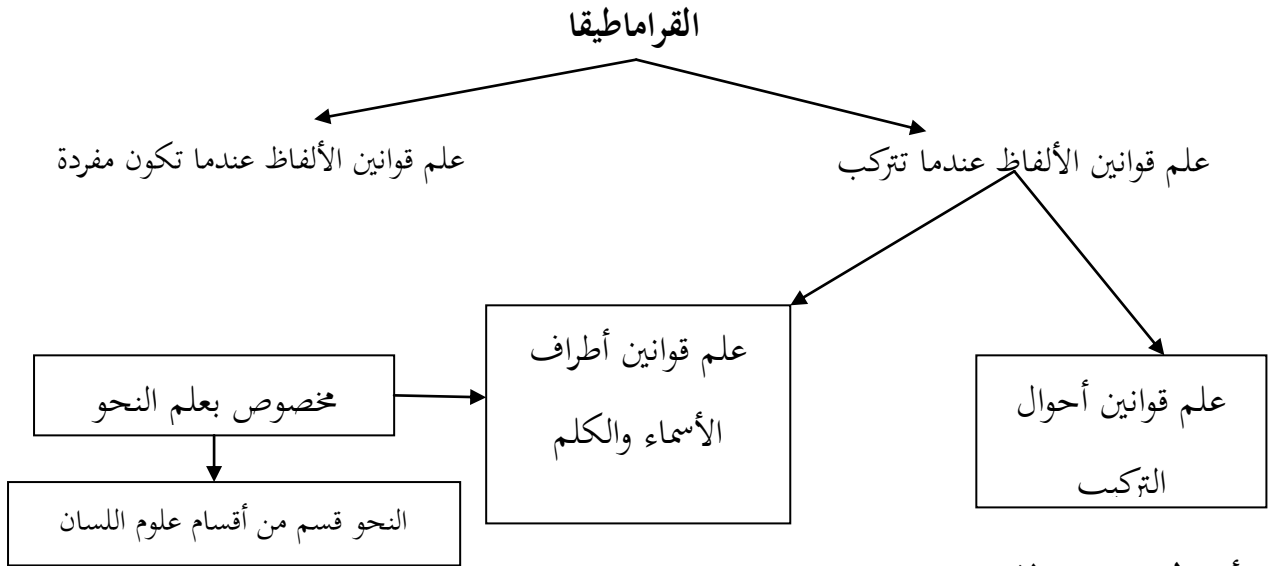
* لقد اكتفى صالح الكشو بصفحة ونصف لاستفتاح كتابه (ينظر ص 5، 6) من كتاب مدخل في اللسانيات لصالح الكشو.

¹ - ينظر: صالح الكشو، مدخل في اللسانيات، ص 5.

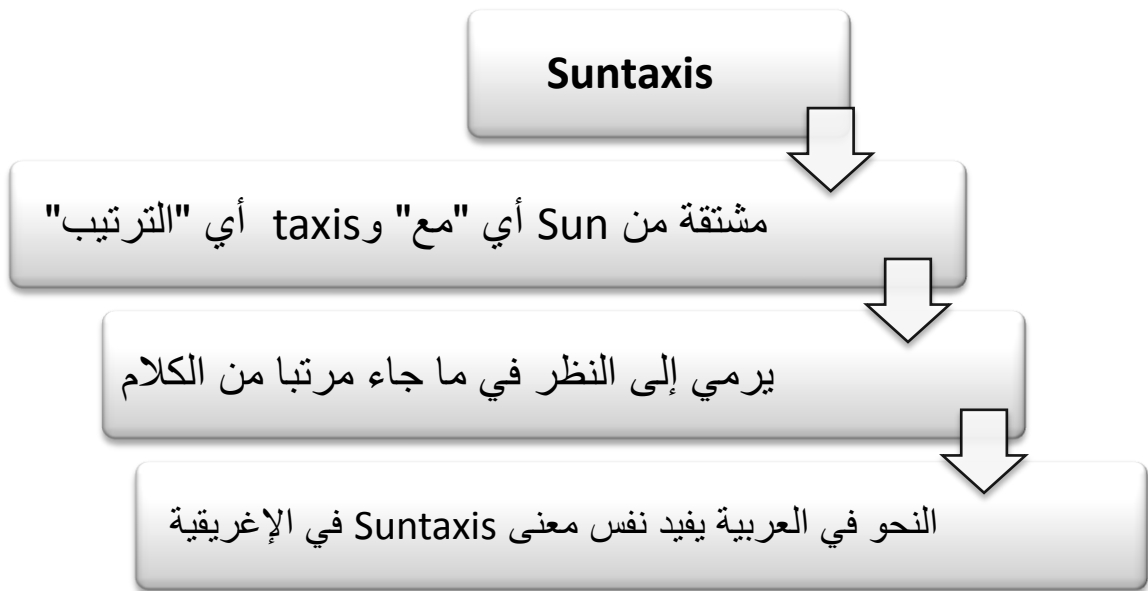
² - ينظر: صالح الكشو: مدخل في اللسانيات، ص من 7 إلى 17.

يمكن أن نوضح هذه المقاربات على الشكل التالي¹:

أ- مفهوم القرامطيقا: (عند الفارابي)



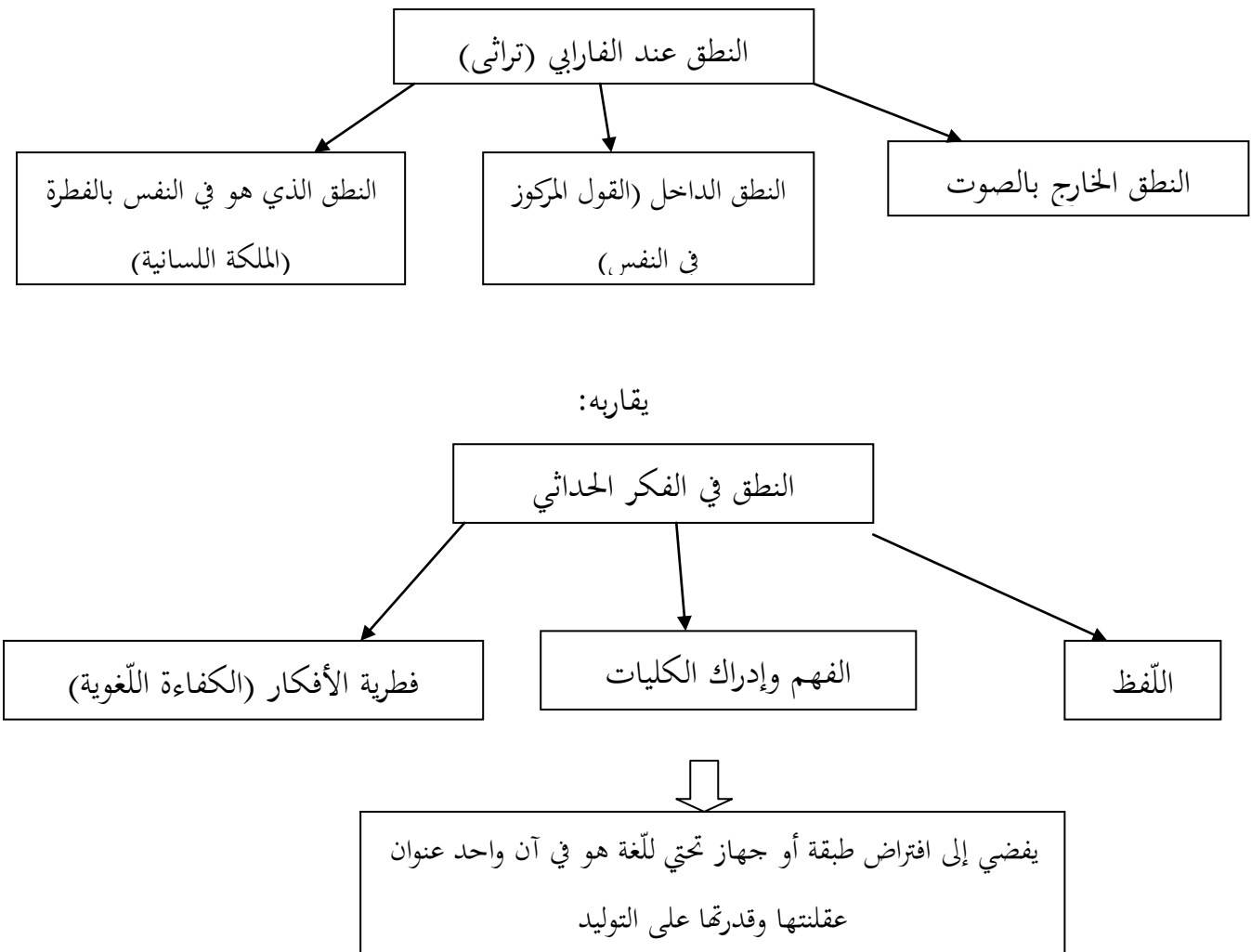
أ - النحو عند الإغريق:



¹ - ينظر: المرجع نفسه ، ص 7.

ج- مفهوم اللّغة: يرى صالح الكشوّان اللّغة نظام وبناء، كما أنّها غريزة وفطرة، وهي نظرة سيكون لها أثرها في معرفة ما إذا كان الكلام جائزا أم لا، وفي معرفة ما إذا كان المقيس منه ممكنا أو لا، وإلى الاحتكام إلى إجراءات يعتقد أنّها توليدية تحويلية في أصلها¹.

هو في نظرنا مفهوم تمهيدي للقول بتمائل الفكر العربي (التراثي) والفكر الحداثي (التوليدي) وذلك باستحضار رأي الفارابي عن "النطق"، ونوضّح قول صالح الكشو عن هذه المقاربة في الشكل التالي²:



¹ - ينظر: صالح الكشو، مدخل في اللسانيات، ص 9.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 9.

كما تطرّق الأستاذ إلى مفهوم الكلام ومفهوم الألفاظ عند اللغويين العرب القدامى ليجد أنّ الكلام والمعاني وحدة لا تتجزأ، فينتقل بذلك إلى الحديث عن جدلية النحو العام ويبحث لها عن شاهد من أقوال العرب وخاصة قول الفارابي وأبي حيّان التوحيدي¹، فقد وُجد لهما من إشارات

إلى «أنّ اللغات ليست بمعزل الواحدة عن الأخرى، وأنّ نقاط التقائها ربّما تتعدّى التماثل بين أجزاء القول وحالات البساطة والتركيب إلى كليات نحوية وقواعد عامّة تربط بينها»².

إنّما قراءة جديدة يصبو الكشو من خلالها إلى تأويل هذا القول وتقريبه من النحو العام بالمعنى الحدائثي، ويستمرّ في قراءة التراث النحوي وهذا بالعودة إلى كتاب سيوييه وما تضمّنه من أبواب نحوية، من أجل استخلاص ما يخدم جدلية التوليد، ذلك أنّ هذا الكتاب الذي يعتبر منبع النحو العربي فيه «من تقليد لوجوه الكلام ما يجعل من البرهنة اللغوية والاستدلال النحوي منهجا مطروقا غير دخيل»³.

هناك الكثير من الأمثلة التحويلية العربية التي وردت في كتاب سيوييه؛ تظهر البناء اللغوي السليم والقريب للعقل، يتبعها الكثير من النعوت مثل قوله: حسن/ ضعيف، مستحبّ/ غير مستحب، خفيف/ ثقيل، هي في نظر الأستاذ الكشو مقاييس غير معيارية تضعنا أمام نحو الجملة⁴ ومن ثمّ فالنحو العربي فيه من العلمية والموضوعية ما يشدّه أكثر في اللسانيات الحديثة التي تجاوزت المعيارية واحتفت بالنظرة التوليدية التحويلية، وهذه النقطة المركزية من التحليل اللساني الذي يقصده صالح الكشو في هذا الكتاب التمهيدي.

3 كفاءات الدلالة عند النمطيين أو الحدس النحوي (الفصل الثاني):

¹ - ينظر: صالح الكشو، مدخل في اللسانيات، ص 12.

² - صالح الكشو، مدخل في اللسانيات، ص 12.

³ - المرجع نفسه، ص 17.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 28.

يتحدث صالح الكشو في هذا الفصل عن أهمية ثنائية (الكلام/ اللّغة) في تأصيل المعرفة وتثبيتها، وهي ثنائية انتبه إليها أفلاطون وأرسطو ومن أتوا من بعدهما من الرواقين الذين طوّروا نظرتهم من الكلام إلى النّظر في ثنائية أخرى وهي (الأصوات والمعاني)، فالكلام عندهم محاكاة للطبيعة وله قابلية عند الإنسان، تعبّر عن أفكاره وعاطفته، هي في نظر الأستاذ الكشو أفكار نحوية تماثل نظرة التوليديين المعاصرين وكذا هومبالت وهاريس وما وُجد عند بور رويال Port Royal¹.

النمطيون: لهم نظرية متكاملة عن العلامات، كما لهم نظرية في أقسام المقولات تنطلق من نظرتهم الأولى، وتقوم على كيفية تخصص الدلالات ممّا يساعدهم على التمييز بين معاني الكلمات خصائصها النحوية، وهذا هو بيت القصيد من البحث في هذه الخلفية الفلسفية، يهدف الأستاذ الكشو من خلالها إلى تقريب هذه النظرة القديمة التي تمثل التراث اللّغوي الغربي في جانبه الفلسفي النحوي إلى اللّسانيات الراهنة (علم الدلالات التوليدي)² والدلائل التي تنجم عن هذا الاتجاه هي³:

1. المقولات

2. تشكيل الصيغ

3. حدود التبعية

4. القبولية

5. الاختبارية

لقد تتبّع الكشو مفهوم كلّ من هذه الدلائل ولاحظ أنّها تقارب المفاهيم الموجودة في النحو

التوليدي المعاصر.

4 - اللسانيات الديكروتية (الفصل الثالث):

¹ - ينظر: صالح الكشو، مدخل في اللّسانيات، ص 29 - 30 - 31.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 31 - 32 - 33.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 33 - 34.

يحتل ديكارت مكانة مرموقة عند الغرب فهو يمثل تاريخهم وتراثهم اللغوي مع العلم أنه لم يُعر اللّغة اهتماما خاصًا، ولكنه اشتغل بها في شكل حوار مفرقة¹ منها:

- ما كان رسالة إلى مرسان Mersenne، حيث تبّه إلى وجود لغة شاملة تنبني على شكل عقلاني واحد².

- ما كان ردا على أحد اعتراضات هوبس Hobbes ممثلًا في برهنة ضدّ الإسبانية nominalisme التي سيحتجون بها على جماعة بور رويال لاحقًا لنظريتهم حول العلامات³.

سيكون ديكارت المرجعية الفكرية للنحاة اللاحقين أمثال دكاردموا G. Decordemoy وكذا بور رويال Port Royal:

- أهم نقطة يمكن رصدها في اتباع دكاردموا للديكارتيين حديثه في المقال الطبيعي في الكلام حيث عرض فيها القضية الجسد والروح والعلامات والأفكار، وكذا قضية الاكتساب والتمرين التي تمثل قضية أساسا في تاريخ التفكير النحوي إلى اليوم⁴.

- بور رويال أو النحو العام المعقلن العام:

في هذا العصر تعرض الكشو إلى النموذج اللساني الذي يُنادي به جماعة بور رويال، والذي يقوم على الانعكاف على الأسس وعقلنة الاستعمال في وجود خلفية منطقية⁵.

كما تعرض إلى نظرية العلامات عند هذه الجماعة والتي تتمثل في جانب طبيعي وجانب دلالي، إضافة إلى قضية الأفعال التي هي من صميم نحو الجملة¹، وقد مثل الكشو لكل هذه الأفكار

¹ - ينظر صالح الكشو، مدخل في اللسانيات، ص 35.

² - ينظر: صالح الكشو، مدخل في اللسانيات، ص 35.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 36.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 37-38-39.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص 41-42-43.

بأمثلة مترجمة إلى اللّغة العربية وأخرى هي من أصل اللّغة العربية، في محاولة منه لتقريب وتبسيط هذا النحو التراثي إلى القارئ العربي من جهة وتأصيل للنحو التوليدي من جهة أخرى.

5 - النحو الفلسفي في القرن الثامن عشر (الفصل الرابع):

تطرّق فيه الأستاذ الكشوّ إلى قضية النحو العام والنحو الخاص بداية عند الإيديولوجيين منهم دستوت داقراسي ونحو العربية بداساسي، ثم عند كاندياك الذي تأثر بكبار الفلاسفة أمثال لوك Locke ونيوطن Newton، كما تطرق إلى قضية اللّغة ودائرة المعارف، وأهم النحاة الذين كتبوا لدائرة المعارف هم دامرساي Dumarsais وبوزاي Bauzée².

إلى جانب أبحاث فلسفية في النحو العام (لجيمس هاريس) ومحاضرات في نظرية الكلام والنحو العام من الضمائر والظرف والأسماء الموصولة والعطف، وما جاء به آدم سميث من تأملات في أصل اللّغات وتكوينها، أهمها نظريته في الفعل³.

6 - خاتمة:

تمثلت هذه الخاتمة في قضية محورية وهي قدرة اللّغة على التوليد عند هومبالت، إنّها نقطة مفصلية تتشكّل من مبادئ منها: الرّسكلة والتوليد والدّفْع والكتابة⁴.
ومّا تركه همبالت وما زال يمثّل مادّة خامة في اللّسانيات الحديثة هو: اللّغة والكلام، الجهاز، الشكل النظامي أو العضوي للغة⁵.

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 48.

² - ينظر: صالح الكشوّ، مدخل في اللّسانيات، من 55 إلى 72.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص من 78 إلى 89.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 104 - 105.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص 105.

ليخلص الكشو إلى أن نهاية نظرية العلامات التي تجاوزت جدلية الاعتباط والتواصل لتبلغ جدلية الإنتاج، هي بداية لجدلية النحو التوليدي¹.
هذه هي الخاتمة الوسط التي ارتضاها الكشو كتمهيد لنظرية التحويل والتوليد الخاصة بالقرن العشرين.

7 - التحويل والتوليد (الفصل الخامس):

يبدأ الكشو بمقدمة للنظرية التحويلية التوليدية والممتدة إلى سابير ولي وورف وز. هاريس وكذا مقدمة عن بدايات نوام تشومسكي من البنية الركنية وحدود النموذج الأركاني، ثم النموذج التحويلي المتمثل في: الربط بين الجمل، وكذا الحدس اللساني والحكم النحوي².

كما تطرّق إلى قضايا معلقة منها³:

* البيان الأركاني الأول.

* العلاقات الجذرية الدلالية.

* البنى الواسطة.

* الصور المنطقية.

وأيضاً عرضه للدلالة التوليدية في حروف الكمّ والاقتضاء والمرجع والنبير⁴، والتي تتمثل منعرجاً حاسماً بتغيير لموجبه النظرية المعياري إلى النموذج المعياري.

¹ - ينظر: صالح الكشو، مدخل في اللسانيات، ص 106.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص من 107 إلى 149.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 151 - 152.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 153 - 158.

إنّ الفصول التي اعتمدها صالح الكشو في تمهيده للسانيات تمثّل في نظرنا تاريخاً موعلاً في القدم للبذور الأولى للسانيات، مُرفقا بنظرة فاحصة تنمُّ عن وعي لساني كبير لتقييم التفكير النحوي التراثي في ضوء اللسانيات الحديثة والممثلة في اللسانيات التحويلية التوليدية.

2.6 الخطاب اللساني في كتاب "النحو التحويلي العربي الاسم والفعل والحرف":

هذا الكتاب هو من تأليف صالح الكشو، طبع بمطبعة أوربيس، مركز النشر الجامعي، تونس عام 2012.

إنّ عنوان هذا الكتاب يوضّح نظرة صالح الكشو إلى النحو العربي على أنّه نحو تحويليّ، أيّ أنّنا أمام خطاب لسانيّ متخصص يتبنّى النموذج اللساني التحويلي - الحداثي - في دراسة النحو العربي التراثي -

وهذا يظهر جلياً من خلال المراجع التي اعتمدها الكشو في هذا الكتاب:

(1) المراجع الحداثيّة التحويلية: القديمة والحديثة منها:

- Aristote. Organon, II. Vrin (1977) Paris.
- Boons Guillet Leclere (1976), la structure des phrases simple en français. Droz, Genève.
- Chomsky. N (1965), aspect de la théorie syntaxiques, seuil, Paris.
- Cross. G. (1988, 1989, 1993, 1994, 1996, 1998, 2002).
- Cross. G. (1968, 1975, 1977, 1981, ..., 2002).
- Harris James (1972), Hermès ou recherches philosophiques sur la grammaire universelle, Droz, Genève.

(2) المراجع التراثية - النحو العربي - : منها:

- الاستربادي، شرح الكافية، دار الكتب العلمية (1979)، لبنان.
- ابن برهان العكبري، شرح اللّمع.
- ابن جنّي، الخصائص.
- ابن جنّي، اللّمع.

◀ ابن جني، سر صناعة الإعراب.

◀ الزجاجي، الإيضاح.

◀ سيبويه، الكتاب.

◀ ابن هشام، مغنى اللبيب.

◀ ابن يعيش، شرح المفصل.

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ صالح الكشو قد اعتمد على كتاب "مغنى اللبيب عن كتب الأعراب" لابن هشام الأنصاري (708 - 761)، وهو مرجع نحويّ عربيّ مهمّ في الكتابات اللسانية التي تعرض لنحو التحويلي العربي ذلك أنّه اشتمل على عدّة قضايا تقارب في مفاهيمها تلك التي نادت بها النظرية التوليدية التحويلية كمفهوم الملكة والبنية العميقة والبنية السطحية¹.

ومن الملاحظ أيضاً أنّ هذه المصادر والمراجع هي عبارة عن شروح وتوضيحات نحوية حاول الكشو من خلالها تقريب الفكر النحوي العربي إلى الفكر اللساني الحديث، وهذا في الحقيقة يمثل منهج المدرسة التوليدية التحويلية التي لم تتوقف عند حدود وصف اللّغة، بل تجاوزت ذلك إلى تحليلها وتفسيرها، وكذا استنباط القواعد العامّة التي تحكمها².

والأمثلة في ذلك كثيرة إلى درجة القول بأنّها عبّرت عن المنهج الذي اتّبعه الكشو في هذا الكتاب (المنهج التفسيري التحليلي)، منها حديثه عن أفعال الحدوث التي تمثل الأدبيات اللسانية من جهة وتمثّل الأفعال العامّة في النحو العربي من جهة أخرى، من قبيل "قد كان عبد الله" و"قد خلّق عبد الله" ممّا يستدعي الارتكاز على العديد من المراجع النحوية التي تُقدّم شروحات نحويّة والمقصود

¹ - ينظر: شفيقة العلوي: الجملة في مغنى اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري، قراءة توليدية تحويلية، مذكرة

ماجستير معهد اللّغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 1998، ص 431.

² - ينظر: أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002، ص 204.

هنا في هذا النموذج «شرح المفصل لابن يعيش والكتاب لسيبويه وكتاب اللّمع لابن جني وشرح اللّمع للعكبري ونتائج الفكر في النحو للسهيلي وشرح الكافية للأستربادي»¹.

بالعودة إلى تصنيف الكتابات اللسانية العربية نجد أنّ الكتابة التحويلية العربية عموماً وكتابة صالح الكشو خصوصاً هي من الكتابات اللسانية المتخصصة "لسانيات العربية"²، ومن ثمّ فإنّ لها منهج يتجاوز الوصف إلى التحليل والتفسير الذي يُنادي به هذا النوع من الكتابات، كما لها موضوع والمتمثل هنا في النحو العربي وما يحتويه من بنى لغوية عربية، والهدف الذي تصبو إليه بحسب قول الكشو هو «تقريب المادة واجتناب الإسقاط ... كذلك يطمح هذا الكتاب إلى أن يكون عرضاً لنحو عربيّ تحويلي يجعل من اشتقاق التحويل خيطاً متّصلاً من المدخل حتى "الملحق" المخصص للجماد، الاسم والفعل والحرف فيه عبارة عن أبواب ثلاث يفتح كل منها على الآخر»³.

إنّما نظرة لسانية حداثيّة للنحو العربي، يُجسّدها الكشو من خلال ثلاثة أبواب⁴:

- الباب الأوّل من هذا الكتاب خصّصه للفعل الذي اصطلح عليه بالعماد.

- الباب الثاني خصّصه للاسم تحت مصطلح الاسم الجملي.

- الباب الثالث: خصّصه للحرف حول عبارة العقد.

وخلاصة هذه الأبواب الثلاث كما يقول الكشو «تُسهم في إبداء رأي في اللّغة ككلّ يقوم

على فكرة أنّها اشتقاق وتجمّد في آن واحد»⁵.

¹ - ينظر: صالح الكشو: النحو التحويلي العربي الاسم والفعل والحرف، ص 52- 53- 54.

² - ينظر: مصطفى غلفان: اللّسانيات العربية الحديثة، ص 93.

³ - صالح الكشو: النحو التحويلي العربي الاسم والفعل والحرف، ص 21- 22.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 22.

⁵ - المرجع نفسه، ص 22.

يبدو هيكل البحث حديثا غير معهود إذ جعل للكتاب فصولا تتضمن هذه الأبواب الثلاث وهي كالتالي:

- الفصل الأول بعنوان الاشتقاق.

- الفصل الثاني بعنوان الفعل.

- الفصل الثالث بعنوان الاسم.

- الفصل الرابع بعنوان الحرف.

- الفصل الخامس بعنوان التجمّد "العبارات الجامدة".

إنّ الترتيب المعتمد في عنوان الكتاب "النحو التحويلي العربي الاسم والفعل والحرف" سيعمل الكشو على تغييره، أو بالأحرى تحويله امثالاً للنموذج التحويلي في مقابل أقسام الكلام ذات الصيغة التقليدية. ذلك أنّه لا يرى «في مثل هذا النحو المقترح مكانا لأقسام الكلام في تناولها التقليدي، وإنما هي بالأساس عوامل وموضوعات متداخلة فالأسماء عادة ما تكون موضوعات إلاّ أنّه قد تكون من العوامل، كما يدخل الفعل (وفاعله) ضمن الموضوعات، وهذا يعني أنّها أي الأسماء والأفعال بمنزلة المتغيرات بينما يكون الحرف بمنزلة اللاّمتغيّر»¹.

فيكون الترتيب الجديد هو: الفعل ثم الاسم ثم الحرف، وهو بذلك يتبع رأي أستاذه موريس قروس M. Gross.²

ومن غير المعهود أيضا أن تجد في أي كتابة لسانية أو غير لسانية -على حدّ علمنا- التّقييم المعلوم (0) على نحو ما وجدناه في كتاب الكشو والذي خصّص لعنصر "الاشتقاق"³، ونظنّ أنّها منهجية حدائثة يقصد من خلالها أنّ الاشتقاق هو النقطة الصفر أو الانطلاقة الأساس للتحويل

¹ - صالح الكشو: النحو التحويلي العربي الاسم والفعل والحرف، ص 22.

² - ينظر: المرجع نفسه، الهامش ص 22.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 07.

الذي سيتبعه كمنهج جديد في وصف وتفسير النحو العربي وربما هذا ما جعله يُورد قولاً لهاريس Harris عن تأريخ تحويل الجملة بأنه «يوشي بالاشتقاق بصفة جدّ قويّة لأنّ الجملة المشتقة تبقى في أغلبها بناءً موازيا [للجملة الأصل]»¹.

ومن ثمّ كانت هذه البداية هي عبارة عن مقدمة للكتاب من دون تصريح واضح بأنّها مقدمة بل تُرك المجال أمام القارئ ليستشعرها ويجعل منها تمهيدا لاستيعاب الفكر الحدائثي اللساني في صيغته التحويلية.

كما أنّ الكشو لم يضع خاتمة لبحثه، فمن الملاحظ أنّ آخر فصل في كتابه كان بعنوان: التجمّد "العبارات الجامدة" وقد خصص فيه عنصراً بعنوان "فك الجمود"² الذي نظنّ أنّه بمثابة خاتمة للبحث أو بالأحرى نتيجة لما يصبو إليه هذا البحث كلّ، فهو يحاول أن «يجعل من اشتقاق التحويل خيطاً متّصلاً من المدخل حتى "الملحق" المخصص للجامد»³.

أي أنّ هناك استرسالاً لغويًا يعمل الكشو على إثباته امتثالاً لرأي أستاذه موريس قروس حينما قال: «إنّ القواعد التي تتحكم في [بعض الجمل] قواعد لا تجري إلّا بعض العناصر المعجمية فيها، وما يعطي هذه الجمل هيأة الأشكال المتجمّدة لا يتجاوز القليل من التوليفات، وهذا ما يثير الإحساس بنوع من الاسترسال بين الجمل المتجمّدة والجمل ذات الأفعال العادية و/ أو ذات الفعل العماد»⁴.

ومن ثمّ فإنّ هذا الاسترسال هو بمثابة فكّ الجمود.

1.2.6 جدل الحداثة والتراث في كتاب النحو التحويلي العربي:

¹ - صالح الكشو: النحو التحويلي العربي الاسم والفعل والحرف، ص 17 - 18.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 269.

³ - المرجع نفسه، ص 21.

⁴ - المرجع نفسه، ص 269.

نودّ أن نمسك بخيط هذه الثنائية من أوله، أي أننا سنتحدّث عن امتزاج علمين من حضارتين مختلفتين في فكر الكشوّ، إنّها قضية ذات نسيج معقّد نحلّول استجلاء واستشراف سماتها في هذا الكتاب.

إنّ أوّل سمة حدائثة نلتمسها هي تلك العبارة التي وضعها الكشوّ في بداية كتابه بقوله: «إلى روح موريس قروس»¹، وكأنّه يشير إلى أنّ هذا الكتاب ما هو إلّا نتاج ما تبناه عن أستاذه "موريس" من آراء لسانية مطبّقة على النحو العربي، وليس على سبيل الإسقاط بل ليقينه أنّ اللّغة العربية مثلها مثل اللّغات الأخرى تحتمل عدّة نظريات وبتعبير آخر تحتمل أكثر من نحو ومنه النحو التحويلي².

وكخطوة أولى لهذا التبيّي الفكري، قام الكشوّ بترجمة كتاب موريس قروس من الفرنسية إلى العربية، وهو في نظرنا عمل ليس بالهين ولا يمكننا أن ننفي القيمة العلمية التي يكتسيها بل نحاول الوصول إلى تأكيد سمة الحداثة في فكر الكشوّ والمتمثلة في التوجّه اللّساني الذي اعتمده في وصف النّحو العربي وفق نظرية "النحو المعجم"، وهذا ما صرّح به في كتابه "النحو التحويلي العربي" بقوله: «النظرية التي نعتمدها - للتذكير - هي النحو المعجم»³. اعتمدها قبله موريس قروس حيث يقول في مقدمة كتابه: «نرى أنّ وصف اللّغات الأوروبية لم يكتمل بعد، وأنّ قسم النّحو المعجم الذي تمثله لوحات أفعالنا ليس إلا مرحلة أولى. فما زال تعميق الوصف الشامل الذي نقتدي به يكشف عن ظواهر غير متوقعة على الأقل بالقدر الذي تكشف عنه نوادر اللّغات الشفوية التي يلاحظها المتندرون ويكلّف بها المنظرون»⁴.

¹ - صالح الكشوّ: النحو التحويلي العربي الاسم والفعل والحرف، ص 06.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 21.

³ - المرجع نفسه، ص 229.

⁴ - موريس قراس: في النحو التحويلي عرض للمنهجية التحويلية في أربعة أبحاث نقله من الفرنسية إلى العربية صالح الكشوّ، قدم له المؤلّف، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة 1989، تونس (مطبعة STAG)، ص 10.

إضافة إلى أنّ "موريس" يجعل من نظرية "النحو المعجم" نظرية عامّة لا تختصّ باللّغات الأوروبية فقط، بل تصلح أن تكون نموذجاً للغات أخرى منها اللّغة العربية، وقد ذكر بعض الدراسات التي أكّدت عموميّة هذه النظرية منها أطروحات تناولت نحو العربية التي أعدها عمرو حلمي إبراهيم في مصر، ومحمد شاد في فاس وصالح الكشو من تونس، هذه الدراسات في نظر موريس قد بيّنت إمكانية إقامة "نحو معجم" خاص بالعربية¹، أي أنّنا أمام نظرية لسانية عامّة "النحو المعجم"، ونظرية لسانية خاصّة "النحو المعجم العربي" كما عبر عنه الكشو "النحو التحويلي العربي".

إذا جاز لنا التعبير عن موقفنا من هذه الخطوة التي قام بها الكشو نقول أنّنا نحسّ بخطر الإسقاط الذي قد يرافق هذه الخطوة، مع العلم أنّ الكشو فنّد هذا الخطر²، كما أنّنا لا يمكن أن نتحقّق من مدى معرفة موريس الشاملة والدقيقة لما يحتويه النظام اللغوي العربي من خصوصية.

لقد تناول الكشو في هذا الكتاب -النحو العربي التحويلي- أمثلة لجمل عربية مبثوثة في التراث العربي منها ما ورد عند سيبويه وابن جيّ وغيرهما، كما تناول شروحا لهذه الجمل في محاولة منه لإقامة نظرية "النحو المعجم" على النحو العربي.

وهذا في نظرنا قد يوافق الجانب المفتوح من اللّغة في مقابل الجانب المغلق منها، أو كما اصطاح عليه الطيب دبّه "النظام المغلق والنظام المفتوح" وذلك وفق مقابلة وضعها بين النحو والمعجم، ليكون النحو هو مجال الاختيارات المغلقة، بينما يكون المعجم هو مجال الاختيارات المفتوحة³.

ربّما هذا ما يفسّر اعتماد الكشو على تلك النظرية، التي تخلصّ البني اللّغوية من الجمود ويكسبها المرونة والقدرة على التوسّع⁴، إلاّ أنّه لا يمكن أن نجحد بفضل النظام المغلق (الجانب

¹ - ينظر: موريس قراس: في النحو التحويلي، ص 14.

² - ينظر: صالح الكشو: النحو التحويلي العربي الاسم والفعل والحرف، ص 21.

³ - ينظر: الطيب دبّه: اللسانيات وقضايا اللغة العربية، ص 17.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 17.

النحوي) ذلك «أنّه يعصم اللّغة من أن ينفرد عقد وحداتها فيحتلّ ميزان الوظائف وتحوّل إلى تعبير فوضوي هرائي لا صلة له بغرض الإبداع والتّواصل»¹، وهذا ما يستدعي التأكيد على خصوصية النظام اللّغوي العربي؛ الذي لا يمكن للمفاهيم اللسانية العامّة أن تستوعب بعض مظاهره «منها ظاهرة النظام المفتوح *Systeme ouvert* تلك التي يتحرّر بها نظام العربية من قيود الرتبة والإلصاق»².

بموجب ما تقدّم ذكره، يمكن أن نضع تصوّراً شاملاً لكتاب "النحو التحويلي العربي" في ضوء التراث والحداثة، لنجد أنّ المفاهيم التراثية المذكورة فيه تمشي جنباً إلى جنب و المفاهيم الحداثيّة، إلى حدّ القول بأنّ الكتاب هو مناصفة بين التراث والحداثة من حيث الكم المعبر عنه بالجمل اللّغوية العربيّة، أمّا من ناحية مخرجات الشروح المقدمة لهذه الجمل فهي تعبّر عن حداثة فكرية لسانية لإقامة نحو عربيّ تحويلي، ذلك أنّ اللّغة العربية في نظر الكشوّ هي «متصلة المادة، وأثما ككلّ اللّغات تحتمل أكثر من نظرية»³.

أي هناك عدّة نظريات أو بالأحرى عدّة نماذج توليدية، يتمّ من خلالها النظر إلى قضايا اللّغة العربية⁴.

منها⁵:

1 النموذج التوليدي المعياري، الذي ظهر مع كتاب شومسكي 1965.

2 النموذج المعياري الموسّع لما سبقه.

3 نموذج نحو الأحوال الذي ظهر على يد فيلمور.

¹ - الطيب دبه: اللسانيات وقضايا اللغة العربية، ص 16.

² - المرجع نفسه، ص 07.

³ - صالح الكشوّ: النحو التحويلي العربي، ص 21.

⁴ - ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 203.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص من 204 إلى 222.

4 نموذج الدلالة التصنيفية، التي قام عالم اللسانيات الأمريكي والتر كوك (Walter Cook) بصياغتها.

5 نموذج النحو المعجمي الوظيفي الذي وظّفه الفاسي الفهري.

والنموذج الذي اعتمده الكشو هو "النحو المعجم"، الذي يعتبر أنّ النحو هو الجملة البسيطة (الأولية) باعتبارها قابلة للاختزال أولاً والتحويل ثانياً، ومن ثمّ فهي وحدة دنيا يتمّ من خلالها دراسة المعنى¹، وبذلك يكون - الأستاذ الكشو- قد انتقل من نحو الأبواب إلى نحو الجملة² البسيطة المتكونة عنده من³: الفعل والفاعل والفضلة الضّرورية من قبيل: بعث الفرس، وبعث الفرس لزيد.

ويُضيف قائلاً: «ف"زيد" فضلة ضرورية باعتبار علاقة الجملة هذه ب: اشترى زيد الفرس»⁴.

إنّ أوّل ما يمكن ملاحظته من المثالين اللذين وضعهما الكشو للجملة البسيطة هو: إهماله لحرف (التاء) في (بعث) مع عدم وضع حركتي (الفتح للمخاطب)، أو (الضمّ للمتكلم)، وفي كلتا الحالتين نعتبر حرف (التاء) في محل رفع الفاعل، لتكون الجملة في نظرنا حسب المثالين الواردين عند الكشو على النحو التالي:

باع + (أنا/ أنت) + الفرس + لزيد.

فعل + فاعل + مفعول + فضلة ضرورية باعتبار علاقة الجملة ب: اشترى زيد الفرس.

وفي هذا الصدد ذكر مصطفى غلفان أنّ التوليد عند العرب قد اختلفت تصوراتهم حول البنية

الأساس للجملة العربية لينقسموا بذلك في نظره إلى مجموعتين⁵:

¹ - ينظر: صالح الكشو: النحو التحويلي العربي، ص 229.

² - ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 227.

³ - صالح الكشو: النحو العربي التحويلي، ص 229.

⁴ - المرجع نفسه، ص 229.

⁵ - ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 227- 228.

- المجموعة الأولى تقول بالبنية الأساس: فعل + فاعل + مفعول.

- المجموعة الثانية تقول بالبنية الأساس: فعل + فاعل + مفعول.

وبموجب ما سبق ذكره عن نظرة الكشو إلى البنية الأساس (البسيطة أو الأولى) والمتمثلة في:

فعل + فاعل + فضلة بغض النظر إلى التحليل الذي توصلنا إليه من خلال الأمثلة التي أوردتها لهذا النمط من الجمل الأساس، نقول أنه لا ينتمي إلى هاتين المجموعتين اللتين ذكرهما مصطفى غلفان، أمّا إذا حذفنا الفضلة الضرورية وقلنا بجواز تحليلنا الذي قدمناه سابقا حينها يندرج تصنيف الكشو ضمن المجموعة الأولى والتي يمثلها بعض اللسانيين المحدثين أمثال «الفاسي الفهري وخلييل عمارة وعلي الخولي وميشال زكريا ومازن الوعر»¹.

2.2.6 تقنيات التحليل اللساني وفق نموذج "النحو المعجم" في كتاب النحو التحويلي

العربي:

يعتبر صالح الكشو من زمرة اللسانيين المحدثين الذين يحتفون بالمعنى في مقابل الشكل (المبنى)، و«لعلّ من أقرب الثنائيات المقابلة لهذين المستويين في اللسانيات الحديثة، ما يسمى بمستوى الوظيفة Fonction ومستوى الشكل (أو الصورة) «Forme»²، ومنهجه في استخلاص المعنى من البنى اللغوية هو منهج أستاذه قروس وفق نظرية "النحو المعجم" التي لا تبدو منقطعة الأواصر مع ما أتى به زيلخ هاريس (1909) من أفكار تحويلية توزيعية والتي مهّدت بدورها إلى ظهور النظرية التوليدية التحويلية عند تشومسكي مع العلم أنّ أعمال تشومسكي التي سبقت عام 1957 كانت تقارب في جوهرها أعمال هاريس التحويلية³.

¹ - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 228.

² - الطيب دبه: اللسانيات وقضايا اللغة العربية، ص 13.

³ - ينظر: بوقرة نعمان: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2006، ص

هذه النظرة الاستيمولوجية لفكر صالح الكشو من شأنها أن توضح وجهته اللسانية في هذا الكتاب، إذ أننا لم نعثر على المفاهيم التحويلية التي وُجدت عند تشومسكي وعلى رأسها (البنية السطحية والبنية العميقة)، ومن ثمّ فالتحويل الذي قصده من عنوان كتابه يُشير إلى: خطوة نقدية جديدة قام بها قروس حيث يقول: «يقيّم تقديمنا للنحو التوليدي بصفة نقدية تقديمًا مناسبًا وإن استدعى الحصاد المصطلحي الناتج عن النماذج الجديدة وتغيّراتها تكييف هذا الحصاد للقارئ»¹، كما يشير إلى التحويل والتوزيع الذي نادى به "هاريس" وهذا من خلال ما قاله عن نظرية عامل-موضوع (Operateur- Argument) بأنّ لها مضمون مصطلحي لا يخرج فيه عمّا أرادته هاريس².

لقد تطرّق الكشو إلى ظاهرة الاشتقاق في بداية كتابه، وهي كما رأينا سالفًا تمثل ظاهرة مركزية في "تاريخ التحويل"³، ومن ثمّ يبدأ حديثه عن الفعل ليحلّل نقطة الصفر (0). هي ما يوحى إلى الأزمنة النحوية أمّا النقطة رقم واحد (1). فقد جعلها لتصنيف الأفعال ثم يليه رقم (2). المخصص لأفعال العماد، ورقم (3). المخصص لقيود التعريف ثم رقم (4). للتناسب الجهي⁴.

الباب الثاني من الكتاب خصصه الكشو للاسم لتكون النقطة (0). عبارة عن بعض المقدمات منها: الجملة الاسمية والجملة الفعلية، والكلمة والجملة، ويكون الترتيم (1). خاصّ بظاهرة الأسماء الجمالية والترقيم (2). خاصّ بأسماء الجماد والترقيم (3). في الفرق بين الأسماء المشتقة وأسماء الجماد⁵.

أمّا الباب الثالث المخصص للحرف فكانت نقطة الصفر (0). تعبّر عن تمهيد لمسألة الحرف في التراث النحوي العربي، أمّا النقطة (1). فقد خصّصها لمسألة الحرف في الدرس اللساني لينتج عن

¹ - مويرس قراس: في النحو التحويلي، ص 09.

² - ينظر: صالح الكشو: النحو التحويلي العربي، ص 235-237.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 17.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص من 23 إلى 98.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص من 103 إلى 157.

ذلك مقارنة تتمثل «في مزاولة اللّغة على أنّ اللّفظ فيها يستقدم اللّفظ، فلا الألفاظ منقطع بعضها عن بعض ولا هي كلّ يتجزّأ، والحاجة تدعو عندئذ إلى وصف معطياتنا في سياقها من الاسم والفعل والمقصود الجمل في نهاية المطاف، لأنها وحدها الكفيلة على هذه النّحو بإبراز خصائص ما ليس باسم ولا فعل»¹. ثم يكون التّقييم (2). خاص بتصنيف الحروف².

أمّا الفصل المخصّص للتجمّد، العبارات الجامدة، فهو يمثّل بجلاء نظرية "النحو المعجم" العربي مطبّقة على "الأمثال" و"الحكم" لبيّن بذلك مفهوم الحدس بالمعنى وكذا الاختزال والتحويل والتوزيع والتّوارد والانتقاء والجوار والتوليف ومن ثمّ يعرّف الجمود ودرجاته ليعطي أمثلة عن فكّ الجمود³.

إنّ أهمّ ملاحظة يمكن أن نسوقها في هذا الموضوع هو حداثة المصطلح المستعمل في مقابل ما عرف في التراث النحوي العربي من مصطلحات، ذلك أنّ الكشو في هذا الكتاب يقف موقف اللساني الذي يروم دراسة النحو العربي دراسة تحويلية حدائية من خلال نظرية "النحو المعجم"، وهذا ليس بدعا ممّا قام به ثلّة من العلماء اللسانيين المحدثين الذين تبوّأ نماذج حدائية في دراسة اللّغة العربية مثل: التفكيك والتبئير للتعبير الصوري عن مفاهيم وردت عند النحاة ضمن أبواب الاشتغال أو التقدّم أو التأخير⁴.

يصرّح الكشو في كتابه "النحو التحويلي العربي" بأنّه يحاول الاقتصاد في المصطلح، وهاجسه من ذلك هو تقريب المادّة واجتناب الإسقاط، وفق نحو جديد مقترح "النحو المعجم" والذي لا يوجد فيه مكان لأقسام الكلام المعهودة في النحو العربي القديم "الاسم والفعل والحرف"، لتحوّل بذلك إلى مصطلحات جديدة تتمثل في عوامل ومصوغات متداخلة⁵ منها على سبيل المثال: أفعال العماد-

¹-: صالح الكشو: النحو التحويلي العربي ص 172.

²- ينظر: المرجع نفسه، صمن 174 إلى 208.

³- ينظر: المرجع نفسه، صمن 225 إلى 269.

⁴- ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 227.

⁵- ينظر: صالح الكشو: النحو التحويلي العربي ص 21- 22.

الأسماء الحملية- عبارة العقد- كما توجد العديد من المصطلحات الجديدة امتثالاً للنموذج الحدائثي منها: التحويل- التوزيع- التوارد- الانتقاء- التوليف...¹ بمعنى الانتقال من نحو الأبواب التي نادى بها النحاة العرب القدامى (الفعل، الاسم، الحرف) إلى نحو الجملة². وهذا يتم عن طريق استحضار المعنى المعجمي الذي تحتويه الألفاظ، ليكون هذا بمثابة الخيط الرابط بين الأبواب.

وخلاصة لما سبق ذكره، وبالنظر إلى المفاهيم التي ارتكز عليها الكشوا أثناء دراسته للغة العربية في ضوء النظرية اللسانية التحويلية وفق نموذج "النحو المعجم"، نقول أنه قد قدّم قراءة جديدة للنحو العربي ممثلة في عدّة جمل وظّفها لبيان إمكانية إقامة هذا النحو الحدائثي على النحو العربي، وبموجبه تم التركيز على الجانب المعجمي للفظ الذي يفتح المجال لتغيّر العديد من المعاني، إنّها قراءة أو بالأحرى "عمل لساني" قد يثري البحث اللساني العربي كما أنّه قد يقربّ الدرس اللساني العربي من واقع البحث اللساني العالمي³.

ولكن لا يجب أن يطلق العنان لخيارات المعنى التي تنتج عن المبنى، فتهدر بذلك المعاني الحقيقية المرادة في الأصل، وهذا مراعاة لما تعرفه اللغة العربية من ارتباط بالقرآن الكريم وبالإسلام عموماً. وكان من الواجب أن يُشار إليها في هذا الكتاب إلا أنّ الأستاذ الكشوا لم يلمح إلى هذه الفكرة في أيّ موضع من مواضع كتابه -حسب اطلاعنا- بل يعتبر اللغة العربية ككلّ اللغات تحتل أكثر من نظرية أي أكثر من نحو واحد⁴، وهذا ما يدفعنا إلى القول أنّ نظريته كانت حدائثة أكثر ممّا هي تراثية.

ثالثاً: جدل الحدائثة والتراث في الكتابة اللسانية عند صالح الفاخري:

¹ - ينظر: صالح الكشوا: النحو التحويلي العربي، ص 277- 278.

² - ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 227.

³ - المرجع نفسه، ص 231.

⁴ - صالح الكشوا: النحو التحويلي العربي، ص 21.

1. السيرة العلمية لصالح سليم عبد القادر الفاخري¹:

ولد الأستاذ الفاخري بمحروقة -ليبيا- في 01 / 01 / 1957م. عُرف بسيرة علمية حافلة بالإنتاجات بداية بـ:

- درجة الليسانس في الآداب والتربية من قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية - كلية التربية- جامعة سبها عام 1984 بتقدير عام جيّد جدا.

- دبلوم الدراسات العليا في الدراسات اللغوية من كلية التربية/ جامعة طرابلس (الفتاح سابقا) عام 1985 بتقدير عام جيّد جدا.

- درجة الماجستير في الدراسات اللغوية عام 1987 على بحث عنوانه الدلالة الصّوتية في اللغة العربية.

- درجة الدكتوراه في اللسانيات عام 1993 على بحث عنوانه نظرية الحقول الدلالية وتطبيقاتها في اللغة العربية.

وقد تدرّج علميا من:

- معيد بقسم اللغة العربية عام 1985.

- ثم محاضر مساعد بعد الحصول على الماجستير عام 1987. وواصل في التدرّج العلمي بين أستاذ مساعد وأستاذ مشارك وصولا إلى درجة أستاذ في اللسانيات والدلالة عام 2002.

ومن الكتب والبحوث العلمية التي نشرها:

¹ - مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، موقع إلكتروني أسس في 29 / 01 / 2012. اطلع عليه يوم الأحد 10 ربيع أول

1445هـ / 24 سبتمبر 2023م <http://www.m-a-arabia.com/site/8781.html#:text=3%>

- كتاب الدلالة الصوتية في اللغة العربية وكتاب علم التصريف العربي، وثلاثة كتب في النحو لطلبة شعبة اللغة العربية بمرحلة التعليم المتوسط، وكذا ثلاثة كتب في الصوتيات والصرف لطلبة شعبة اللغة العربية بمرحلة التعليم المتوسط.

2. مكانة التراث وأهميته عند سليم الفاخري:

المقصود هنا التراث اللغوي الذي تركه علماء العربية، تراثٌ وَصَلَ إلى عنان الحاضر، وأبهر العرب والغرب على حدّ سواء، والأستاذ سليم الفاخري من بين اللغويين العرب الذين أعجبوا بالتراث اللغوي العربي، يقول في هذا الصدد: «من الحقائق التي لا جدال فيها ولا مرأى أن أعظم صرح لغويّ شُيّد للغة من اللغات هو ذلك الصّرح الذي شيّده علماء العربية القدامى، فما قرأت كتاباً من كتبه إلاّ امتلأت إعجاباً بوضعه»¹.

سيرسّم الأستاذ الفاخري بهذه القراءة خطأ معرفياً جديداً، مشدّوداً إلى الماضي الذي تمثّله هذه الكتب التّراثية ومربوط بالحاضر الذي يتجلّى في العلوم والمعارف اللّغوية (اللّسانية) الحديثة، وهذا ما دفع بالفاخري إلى عقد مقارنة بقوله: «... إنّه رغم التقنيات التي تمكّن منها المحدثون، فإنّهم لم يستطيعوا الوصول إلى معشار ما وصل إليه علماء العربية»².

نذكر هنا جميع الحقائق اللّغوية عبر كلّ المستويات الصوتية والنحوية والتّركيبية ... ناهيك بعلوم الأصول والفقه؛ إنّه إنجاز أقلّ ما يُقال عنه أنّه عبقرى يدلّ على نباهة الفكر العربيّ ونُضوجه وهذه حقيقة لا يمكن نكرانها، وفي نظر الأستاذ الفاخري، أنّ كتاباً واحداً من كتب التراث بإمكانه أن يحتوي جميع النظريات التي نادى بها المحدثون، ومثال ذلك نظريتي دي سوسير وتشومسكي اللتين تمثلان أشهر نظريتين في اللّسانيات الحديثة، وقد استطاع كتاب سيويه أن يُجاري أسسهما³.

¹ - صالح سليم الفاخري: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، عصمي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996، ص 11.

² - المرجع نفسه، ص 11.

³ - ينظر: صالح سليم الفاخري: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، ص 11.

ومن ثمّ يكون التراث اللغوي العربي في نظر الأستاذ الفاخري هو أعلى درجة من النظريات اللسانية الحديثة ذلك أنّه اهتدى إلى اكتشاف الكثير من أسرار الظاهرة اللغوية أو اللسانية¹ ليصبح بذلك صاحب السبق المعرفي.

3. الحداثة في منظور سليم الفاخري:

يمكن القول أنّ الفاخري لم يتعامل مع الحداثة على أنّها ذلك الهاجس المخيف الذي يتوجّس منه التراثيون، بل تعامل مع المادة العلمية الحداثيّة من نظريات ومناهج غربية، وحاول أن يبرز نباهة العلماء اللغويين الأوائل من خلال قراءة التراث اللغوي وفق منهج توفيقّي، في هذا الصّدّد نبين الغاية من مادّة البحث الممثل في مؤلفه "تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات" على أنّها: «الاطّلاع على مناهج القدامى في علاج مباحثها ورصد ظواهرها دون إغفال لمناهج المحدثين وطرائقهم»².

أي أنّ الحداثة في نظره ليست حكراً على الغرب، فهو يعتبرها معرفة حديثة من شأنها ترقية اللغة العربية لا الضّرر بها، وفي نظرنا أنّه يستوعب كثيراً من خصوصيات البناء اللغوي العربي التي تقتضي الإحاطة بمخاطر الحداثة الغربية، وفي هذا الشأن يقول: «... اللغة العربية تتميّز بخصائص عدّة لا توجد إلّا في لغات قليلة مثل ظاهرة الإعراب، وقد لا توجد البتة في لغة من اللغات مثل احتوائها على طائفة كبيرة من الأصوات الحلقية، ووجود صيغ صرفية تحمل دلالات معينة ... إضافة إلى انفرادها دون غيرها بمظاهر آخر للدلالة الصوتية تزيد على المظهر الذي لاحظته لغويّو اللغات الأخرى في لغاتهم»³.

¹ - ينظر: عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 26.

² - صالح سليم الفاخري: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، ص 16.

³ - صالح سليم الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، الناشر المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، مكتبة لسان العرب ، ب.

هذه الدلالات تخصّ اللّغة العربية المؤطرة بالعقيدة الإسلامية دون غيرها، كما وضّحها الطيب دبه في كتابه "التفكير السيميائي في اللّغة والأدب"، «باعتبار أنّ النموذج السيميائي يبدو في نظام الدلالة اللّغوية أوضح منه في غيرها وأحسن تمثيلاً للمبادئ والمقولات¹، التي ما تنفك تمثّل بدورها دلالة على وحدانية الله عزّ وجلّ².

ومن ثمّ نقول أنّ الأستاذ الفاخري قد اعتمد على المقارنة بين النموذج الحدائي والفكر اللّغوي التراثي بطريقة ذكية لم يدع فيها مجالاً للقارئ بأن يتحسّس خطورة الحداثة، وذلك بالحفاظ على الجوّ التراثي في تقديم الطّرح العلمي الجديد المقصود من مؤلفاته وهذا ما سنوضّحه في العناصر الموالية.

4. الخطاب اللّساني عند صالح سليم الفاخري:

من خلال السيرة العلمية للأستاذ صالح سليم الفاخري، يتبيّن لنا أنّ له عدّة كتابات لسانية، إلاّ أنّه تعدّد علينا الوصول إليها جميعاً، ولذلك حاولنا جاهدين أن نرصد جدل الحداثة والتراث في كتاباته اللّسانية المتمثلة في مؤلفين اثنين:

* الأوّل بعنوان: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات

* الثاني بعنوان: الدلالة الصوتية في اللّغة العربية (رسالة ماجستير).

1.4 الخطاب اللّساني في كتاب "تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات":

هذا المؤلّف صدر عام 1996م وهو تاريخ يندرج ضمن مرحلة عقبّت ظهور اللّسانيات في المغرب العربي، ومع أنّ المؤلّف يمثل كتابة لسانية، إلاّ أنّه لا يمكننا معرفة تصنيف هذه الكتابة بالنظر فقط في عنوانها، فهو لا يوحي كثيراً إلى ارتباطه بالحداثة اللسانية بغضّ النظر إلى مفهوم التصريف قديماً وحديثاً³. ولكن بالاطلاع على ما تضمّنته مقدمة المؤلّف ندرك أنّ هذه الكتابة اللسانية هي

¹ - الطيب دبه: التفكير السيميائي في اللّغة والأدب، ص 11.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 45.

³ - ينظر: صالح سليم الفاخري: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، ص 24 - 25 - 26.

دراسة لغوية يحضر فيها التراث والحداثة على حدّ سواء على الوجه الذي يقتضيه موقف الفاخري من هذه الثنائية، فنجدّه يظهر إعجابه بالتراث اللغوي العربي إلى درجة القول أنّه: «لو قرأت في واحد من كتب تلك الفترة - ويعني التراث الذي تركه علماء العربية القدامى - ثم قرأت في نظريات المحدثين فستجد جميع ما جاء في تلك النظريات مبثوثاً في ثنايا ذلك الكتاب»¹.

وأفضل مثال يورده الأستاذ الفاخري في هذا الصدد هو النظريتين اللسانيتين الكبيرتين، وأولهما تُنسب إلى دي سوسير وهي اللسانيات البنوية أو الوصفية باعتبارها أساس النظريات التي توالى لدراسة اللسان البشري وفيها يتمّ التفريق بين ثنائية (اللغة/ الكلام) (Speech/ Language) أو (Langage et Parole)، فاللغة هي نظام اجتماعي مستقل عن الفرد، في حين أنّ الكلام هو الأداء الفرديّ للغة الذي يتحقّق من خلال هذا النظام، ثمّ إنّ الصّلة بينهما هي صلة الجوهرية (اللغة) والعرضي (الكلام)².

وبالتالي فالأجدر بالدراسة هي اللغة، ويجب أن تُدرس في نظر سوسير لذاتها ومن أجل ذاتها³.

وفي نظر الفاخري فإنّ الفرق بين هذه الثنائية لم يخف على إمام النحو سيبويه الذي يقول في "ما النافية": «وأما بنو تميم فيجرونها مجرى أمّا أي لا يعملونها في شيء... وأما أهل الحجاز فيشبهونها بليس إذا كان معناها كمبناها»⁴.

إنّما ظاهرة لغويّة شدّت انتباه سيبويه تُبرز اختلاف لغة الأفراد أي (الكلام) بالمقارنة مع لغة المجتمع، وهذا ما يوافق رأي سوسير وبنى عليه نظريته في وصف اللغة دون الكلام «ذلك أنّ لغة الفرد

¹ - صالح سليم الفاخري: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، ص 11.

² - ينظر: حلمي خليل: دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، 2003، الإسكندرية، ص 16.

³ - ينظر: بوقرة نعمان: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 7.

⁴ - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان: الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ت 80 هـ، الهيئة المصرية العامّة للكتاب 1975م، ج

تقوم على عنصر الاختيار، والاختيار لا يمكن التنبؤ به، وما لا يمكن التنبؤ به لا يمكن دراسته أو وصفه»¹.

هذا فيما يخصّ النظرية الأولى (نظرية دي سوسير) التي أراد الفاخري أن يبرز أسسها في ضوء ما ذكر في كتاب سيويه.

أمّا النظرية الثانية فهي نظرية تشومسكي (التوليدية التحويلية) التي تأسست على أنقاض مدرسة بلومفيلد، وهي النموذج الجديد للتفكير في اللّغة بهدف الوصول إلى استيفاء التفسير². وأسس هذه النظرية في رأي الفاخري هي، كذلك لم تخف على الدارسين اللغويين القدامى، ومثال ذلك العديد من الجوانب الأصلية في الدرس النحوي التحويلي، منها:

1 - الأصالة والفرعية:

هذه القضية هي من أهمّ القضايا التي تطرّق إليها اللّغويين العرب «فقرّروا أنّ المصدر أصل المشتقات، وأنّ النكرة أصل المعرفة فرع وأنّ المفرد أصل للجمع وأنّ المذكر أصل للمؤنث وأنّ التصغير والتكسير يردّان الأشياء إلى أصولها»³.

2 - قواعد الحذف:

يذكر الفاخري في هذه القضية تصنيف الكلام عند مستعمل اللّغة الذي ارتضاه تشومسكي وهو البنية السطحية والبنية العميقة Surface and Deep structure⁴، فوجد الفاخري سبيلا إلى ردّ هذه القضية إلى التراث اللّغوي العربي والمتمثّلة في مقولة الحذف الواردة في كتاب سيويه⁵، ويُفسّرها

¹ - صالح سليم الفاخري: تصنيف الأفعال والمصادر والمشتقات، ص 12.

² - ينظر: بوقرة نعمان: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 151.

³ - صالح سليم الفاخري: تصنيف الأفعال والمصادر والمشتقات، ص 12.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 13.

⁵ - ينظر: سيويه أبو بشر عمرو بن عثمان: الكتاب، ج 1، ص 265 - 266.

على أنّها تُماثل أو تُقارب مقولة البنية السطحية والعميقة عند تشومسكي، ذلك أنّ البنية السطحية هي الكلام الظاهر أمّا ما خفي من هذا الكلام وله معنى في النفس فهو البنية العميقة¹.

إنّ هذه القضايا التي تصدّرت هذا الكتاب "تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات"؛ هي ما جعلنا نرصد موقف الأستاذ الفاخري من التراث والحداثة، كما أنّها توحى في الوقت نفسه بأننا أمام كتابة لسانية يُمكن تصنيفها ضمن لسانيات التراث، كونها اشتملت على موضوع بارز وهو "قراءة التراث اللغوي العربي في ضوء اللسانيات الحديثة"². وهذا ما تبيّن لنا من خلال ما تقدّم ذكره، وفي هذا الصدد يُمكن أن تُميّز بالارتكاز على موضوع هذه الكتابة بين ثلاث قراءات وهي³:

- القراءة الشمولية

- القراءة القطاعية

- قراءة النموذج الواحد.

وفي نظرنا فإنّ هذه الكتابة اللسانية هي "قراءة قطاعية" لسانية «تتمحور حول قطاع معيّن من التراث اللغوي العربي»⁴، وهو المستوى الصّرفي.

أمّا بالارتكاز على الغاية من هذه الكتابة، فتميّز بين ثلاث قراءات وهي⁵:

- قراءة تفاعلية؛

- قراءة تمجيدية؛

- قراءة إصلاحية؛

¹ - ينظر: صالح سليم الفاخري: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، ص 13.

² - ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 92.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 136 - 137.

⁴ - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 136.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص 137 - 138 - 139.

ونظراً أنّ الفاخري قد جمع بين هذه القراءات كلها في كتابته اللسانية التي بين أيدينا، فقد كانت تفاعلية باعتبار أنّه سعى إلى إبراز المكانة اللائقة للنظرية اللسانية العربية ضمن سلسلة الفكر اللغوي الإنساني¹، وهذا ما رصدناه سابقاً من مكانة التراث عنده².

كما أنّها قراءة تمجيدية، حيث اعتبر أنّ فضل السّبق كان للنظرية اللسانية العربية التراثية³، والقراءة أيضاً إصلاحية وبقدر كبير، وسيعمد الفاخري من خلالها إلى إصلاح المستوى الصرفي.

وفي خطوة منه إلى إبراز أهمية تجديد النحو والتّصريف؛ يذكر الفاخري موقفاً للغويين المحدثين المجدّدين والذي تمثّل في اتجاهين⁴:

- الاتجاه الأول: يرى أصحابه أنّ المنقذ من صعوبة النحو والتّصريف، هو أن تُعتمد العامّيات كلغات للتخاطب والكتابة والأدب.

- الاتجاه الثاني: يضمّ فريقين:

✓ الفريق الأوّل: قد حصر أصحابه صعوبة الدرسين النحوي والصرفي في بعض الظواهر:

كالإعراب وكيفية صياغة التراكيب وعليه وجب إعادة النظر في هذه الظواهر ومن ثمّ إلغاء ظاهرة الإعراب وصياغة الجمل والتراكيب بطريقة جديدة.

✓ الفريق الثاني: رؤيته للمشكل كانت أدقّ تفصيلاً، وانتهى إلى أنّ التيسير النحوي

والتصريف لا يُنال إلاّ بإحداث تغيير في أبواب الدرس اللغوي.

¹ - ينظر: صالح سليم الفاخري: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، ص 137.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 11.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 11.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 14 - 15.

بموجب ما سبق نُدرِك أنّ الدرس الصرّفي الحديث يقع بين نموذجين، نموذج تراثي «يسير وفق منهج تعليمي، تربوي يروم تقديم المعرفة الصرفية إلى القارئ العربي المبتدئ، ويجعل من تصوّرات الدرس الصرّفي التراثي وطرائق تحليله ومفاهيمه ومصطلحاته موضوعاً له»¹.

ونموذج حداثي «يتمحور حول مبادئ النظريات الصرفية الغربية الحديثة ومناهجها في التحليل ... بهدف تقديم وصف جديد للدرس الصرّفي وغير مسبوق في الثقافة العربية وفق ما وصل إليه البحث اللساني الحديث»².

إنّ موقف الفاخري لا يجيد عن كونه يمثل نموذج التراثيين، ولو أنّ هذه الكتابة حوّثت في طياتها بعض المحاولات لربط الموضوعات التصريفية القديمة بالدرس اللغوي الحديث، إنّ موقفه يُعبّر عن تجديد التراث من داخله دون إغفال لمناهج المحدثين³، ومن ثمّ فهي قراءة في ضوء اللسانيات الحديثة وفق منهج مقارنة بين الفكرين التراثي والحداثي⁴، ولكن بنظرة شاملة بالمقارنة مع نظرة الابّجاهيين المذكورين سابقاً، ذلك أنّهما لم يحصرا كل الصعوبات، بل أشارا إلى جزء منها فقط، وفي رأيه أنّه يجب أن يُنظر إلى العملية التعليمية نظرة واسعة وشاملة «من خلال عناصرها المكونة لها مجتمعة، وهي المادة العلمية والمتعلّم والمعلّم والطريقة ثم البيئة التي يتعلّم فيها»⁵.

¹ - أحمد علي أحمد الكرفح: نقد المحدثين للدرس الصرّفي التراثي، عرض وتقويم، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه قسم اللغة وآدابها، جامعة عبد الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 1444هـ / 2022م، ص 42 - 43.

² - المرجع نفسه، ص 43.

³ - ينظر: صالح سليم الفاخري: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، ص 16.

⁴ - ينظر مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 139.

⁵ - صالح سليم الفاخري: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، ص 15.

أي أنّ الفاخري قد فتح المثلث الديدانكتيكي المكوّن من المعلّم والمتعلّم والمعرفة (المادّة التعليمية)¹، ليصير حُماسيا ديدانكتيكيا بإضافة عنصري الطريقة (المنهج) والبيئة إلى هذا المثلث.

أمّا الغاية المرجوة من هذه الكتابة اللسانية فتتمثّل في²:

- إمكانية التزوّد من معين المادة التصريفية.

- تمكين القارئ من الاطلاع على مناهج القدامى في طريقة علاجهم للمباحث التصريفية، ورصد ظواهرها.

ولبلوغ هذه الغاية، عمد الفاخري إلى تقسيم هذا الكتاب إلى بابين، وسنوضّح ذلك في ما يأتي من عناصر.

1.1.4 مناقشة كتاب "تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات" في ظلّ ثنائية الحداثة

والتراث:

لقد تضمن هذا الكتاب بابين:

* الباب الأول: وخصّصه لقضايا العامّة الموطئة لدراسة التصريف، واشتمل على أربعة فصول، يمكن ان نرصد موقف الفاخري من الحداثة والتراث أثناء مناقشة عناصر هذه الفصول على النحو التالي:

✓ الفصل الأوّل اختصّ بتعريف علم التصريف مصطلحا ونشأة وتطوّرا وعلاقته بعلم النحو، وقد تطرّق فيه إلى مفهوم التصريف لغة واصطلاحا، معتمدا في ذلك على عدّة مدوّنات لغويّة قديمة منها المعجم الوسيط، والجامع لأحكام القرآن، والقاموس، وهنا يُشير إلى أنّه قد اختار

¹ - ينظر: درويش راضية: مكونات المثلث (الفاعل) الديدانكتيكي، ودوره في العملية التعليمية، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد 7، العدد 01، 2019، ص 5-6.

² - ينظر: صالح سليم الفاخري: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، ص 16.

مصطلح التصريف لشيوعه عند القدامى وهذا ما أتضح له من خلال المدونات المذكورة، كما أنّ هذا المصطلح مُعتمد أيضا لدى المحدثين اللسانيين في مقابل Morphology¹.

ومن ثمّ فرؤيته المصطلحية هي تراثية بالأساس، كما عرض نشأة علم التصريف وتطوّره، وفي نظره أنّ أبا الأسود الدؤلي هو أول من وضع اللّبنات الأولى للدراسات اللغوية ومنها النّحو والصّرف ولم يتوقّف الأستاذ الفاخري عند هذه النظرة بل عاد إلى الزّمن الحديث ليذكر بعض إسهامات اللّغويين المحدثين في المجال الصرفي وعلى رأسهم: الطّيب البكوش وكمال إبراهيم ومحمد خير الحلواني وعبد الرّاجحي، لقد عُرفوا بجهودهم اللّغوية التي لا يمكن نُكرانها، إلاّ أنّ الفاخري يرى أنّه أثناء عرضهم للموضوعات التّصريفية، لم يُراعوا المرونة والموضوعية التي من شأنها تيسير المعرفة بالمادة الصرفية، هذا إلى جانب أنّهم لم يربطوا تلك الموضوعات القديمة بالدرس اللغوي الحديث. وهذا ما سيحاول القيام به في هذا الكتاب².

ربّما هذا هو الجانب الجديد في كتابته اللسانية، هو جانب يتمّ فيه مقارنة النظرية اللّغوية التّصريفية القديمة بما استحدث من نظريات في اللسانيات ممثلة في علم التصريف الحديث (Morphology) ممّا يدفعه إلى الحديث عن موضوع علم التصريف قديما وحديثا وفي هذا الصّدد يعتمد منهجا مقارنا؛ فيذكر موضوع علم التصريف عند العلماء العرب القدامى والمتمثّل في: «الكلمة بشرط أن تكون فعلا متصرفا أو اسما متمكنا»³، وفي المقابل يعرض لموضوع Morphology والمتمثّل في: «النظر في المورفيمات Morphemes جمع Morpheme، ويُطلق على أصغر وحدة لغوية مجرّدة ذات معنى»⁴.

¹ - صالح سليم الفاخري: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، ص 32.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 32.

³ - المرجع نفسه، ص 33.

⁴ - المرجع نفسه، ص 35.

وخلاصة ما توصل إليه من هذه المقارنة؛ هو أنه لا يوجد اختلاف بين العلمين قديما وحديثا بالنظر إلى موضوعيهما، إلا أنّ القدامى كانوا «أكثر إدراكا لهذه الموضوعات وأكثر توسّعا في إطلاق مصطلح التصريف»¹.

وفي نظرنا أنّ هذه المقارنة التي عقدها الفاخري بين الفكرين التراثي والحداثي ستصبح مقارنة قد ترقى إلى مستوى التوفيق بينهما مع تمجيد للجانب التراثي.

كما تطرّق في هذا الفصل إلى علاقة علم التصريف بعلم النحو، ويؤدي رؤيته التراثية بجلاء حول هذه العلاقة التي تمثّل في نظره علاقة تكاملية تقتضي ارتباط العلمين ببعضهما².

ويختم هذا الفصل بتدريبات³ حول المادّة العلمية التي صاغها في عناصر تصريفية لتمكين القارئ من اختبار مدى استيعابه لهذه المادّة.

✓ الفصل الثاني: خصّصه للميزان الصربي وما يتّصل به.

بداية يُعرّف الفاخري الميزان الصربي اعتمادا على ما ذكره العلماء القدامى مثل سيبويه وابن جني⁴، وهذه نظرة تراثية واضحة المعالم، ثم يتطرق إلى حروف الميزان والسبب في اختيارها وبيان للكيفية التي توزن بها الكلمات في الميزان، مع حرصه على ذكر ما يراعي في الميزان من إعلال بالحذف والقلب المكاني، وما لا يراعي في الميزان من إعلال بالقلب وإعلال بالنقل وغيرهما⁵.

ومن ثم يأتي بتدريبات على الميزان التصريفي⁶.

¹ - صالح سليم الفاخري: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، ص 36.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 41.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 42.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 45.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص من 46 إلى 54.

⁶ - ينظر: المرجع نفسه، ص 55.

✓ الفصل الثالث: مخصّص للقلب المكاني:

يبدأ بتعريف للقلب المكاني، ويُبيّن أسباب ظهوره، ثمّ يذكر الصّور التي لم يلتفت إليها القدامى في القلب المكاني منها: أصوات اللين القصيرة التي يقول بها المحدثون في خطوة منهم على دمج الدرس التصريفي في بقية فروع الدرس اللّغوي¹. كما يبيّن صور وأنواع القلب المكاني وإعطاء أدلّة عليه، والطّرق التي يعرف بها الأصلي من الفرع².

إنّ الجانب الحدائثي في علم التصريف لم يظهر عند الفاخري إلّا على سبيل استحضاره لوضع مقارنة من الجانب التراثي.

وبعد هذه العناصر يختم كذلك بتدريبات على القلب المكاني³.

✓ الفصل الرابع: اختصّ بحروف الزيادة

قدّم الفاخري تعريفا لحروف الزيادة، وبيّن أنواعها وكذا أدلّتها من اشتقاق وتصريف وكثرة، مع تحديد لحروف الزيادة والمواضع التي ترد فيها، وقد اعتمد في ذلك على مراجع من التراث اللغوي العربي منها: المقتضب للمبرد، والمفصل لابن يعيش وشرح الكافية لابن الحاجب⁴.

ويحافظ على منهجه في إنهاء كلّ فصل بتدريبات، كما هو الحال في هذا الفصل أيضا والمخصّص لحروف الزيادة⁵.

أمّا الباب الثاني فقد تضمّن تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، في ستة فصول:

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 63.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص من 64 إلى 69.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 70.

⁴ - ينظر: : صالح سليم الفاخري: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، ص 73 إلى 95.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص 96 - 97.

3 الفصل الأول: تحدّث فيه الفاخري عن أقسام الفعل ليمهّد بالحديث عن الكلمة التي تمثّل نقطة مهمّة من علم التصريف قديما وحديثا، ويمكن أن نمثّل للمقارنة التي وضعها الفاخري بين التفكيكين بالجدول الآتي¹:

الكلمة عند المحدثين (الحداثيين اللغويين)	الكلمة في التراث اللغوي العربي
المورفيم يمثل "أصغر وحدة لغويّة ذات معنى".	الكلمة هي "قول مفرد دلّ على معنى".

لقد عقد الفاخري مقارنة بين نظرة العلمين التراثي والحداثي للكلمة ولكن لا يستمرّ في اعتماد النظرة الحداثيّة (المورفيم) بل يقوم بالبحث في شروط هذه الكلمة حتى تمثّل موضوع علم التصريف وهي²:

- أن تكون اسما متمكّنا أو فعلا مُتصرّفا.

- ألاّ تقلّ حروفها عن الثلاثة ما لم يكن نقصانها عن الثلاثة أحرف ناتجا عن تغيير.

والفاخري في هذه الشروط يستند إلى قول القدامى من أهل العربية³.

وبعد أن مهّد للكلمة وأهمّيّتها في علم التصريف يشرع في الحديث عن الفعل وأقسامه باعتبار الزّمن وباعتبار الصّحة والاعتلال، وباعتبار التّعدي والّلزوم، وباعتبار الجمود والتّصرف وكذا التّجريد والزيادة⁴. ومن ثمّ تأتي مرحلة التدريبات⁵.

¹ - ينظر: صالح سليم الفاخري: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، ص 103.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 105.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 105.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 106 إلى 117.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص 117.

✓ الفصل الثاني: لقد خصص لأبنية الفعل، منها أبنية الفعل الثلاثي المجرد، وأبنية الثلاثي المزيد فيه إلى ثلاثة أحرف، ثم يعرض للرباعي المجرد والرباعي المزيد فيه حرفاً وحرفين¹.

ثم يضع تدريبات على أبنية الفعل².

✓ الفصل الثالث: خصّصه لإسناد الفعل إلى الضمائر، وتطرّق فيه إلى الفعل الصحيح السلم والمهموز والمضعّف، ثمّ تطرّق إلى الفعل المعتلّ منه الفعل المثال والأجوف واللفيف ...

ثم تأتي مرحلة التدريبات لاستيعاب هذا الفصل³.

✓ الفصل الرابع: خصّصه لتوكيد الفعل.

يمكن رصد مقارنة جديدة بين الفكر التراثي والفكر الحداثي على المستوى التصريفي، وذلك بالنظر إلى أنّ تأكيد الجملة في الدرس النحوي والبلاغي يقتضي أدوات مثل «إنّ وأنّ والسين وسوف ...، أمّا في تأكيد الفعل فيقتضي لاحقة Suffix على نحو ما نجد في الفعل المضارع (يكتب) التي لحقت به (باء المضارعة) وهي من قبيل التوكيد كونها تمثل مورفيماً مقيداً أو متّصلاً Bound «morphème»⁴.

ويتطرّق الفاخري بعد ذلك إلى الأقسام التي لا تؤكّد مُطلقاً؛ كالماضي والمضارع غير المسبوق بما يُجيز التوكيد، وأيضاً الأقسام التي يجب فيها التوكيد، ثم يتحدّث عن الأحكام التي تتعلّق بالفعل إذا باشرته نون التوكيد.

¹ - ينظر: صالح سليم الفاخري: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات ، ص121 إلى 140.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 141.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 145 إلى 158.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 161.

وفي الأخير يختم بتدريبات¹.

✓ الفصل الخامس: خصّصه الفاخري للمصادر؛ ليستهلّ حديثه عن اختلاف القدامى حول المصدر والفعل وأيهما الأصل والفرع ليخلص إلى أنّ الصّراع حول الأسبقية هي «أمر لا يُقدم فائدة تُذكر للدرس اللغوي بعامة وتعليم الناشئة والمتعلمين بخاصّة»².
وعليه وجب في نظره تيسير هذه المادة لا البحث في أصولها ومنشئها.

ومن تمّ يضع تدريبات على الفصل³.

✓ الفصل السادس: خصّصه للمشتقات.

وأهمّ نقطة يذكرها في هذا الصدد هي أنّ الاشتقاق هو من فروع علم اللّغة المخصص لدراسة المفردات كما أنّه علم نظريّ عملي، أمّا عند علماء العرب القدامى فهو تطبيقي عملي⁴، لتكون بذلك النظرة التراثية هي الأكثر واقعية مادام هذا العلم عندهم تطبيقي عملي.

ويستمر الفاخري في اعتماده على النظرة التراثية وذلك بالارتكاز على الاشتقاق الأصغر كونه المقصود بالتصريف، إضافة إلى اشتقاق اسم الفاعل وصيغة المبالغة والصّفة المشبهة واسم المفعول وغيرها. ثمّ ينتهي الفصل كذلك بتدريبات تعليمية عقب كل اشتقاق⁵.

وخلاصة لما سبق نقول أنّ هذا الكتاب (تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات)، قد مثل قراءة اصطلاحية ارتضاها الفاخري موجّهه للمستوى التصريفي مؤطّرة بفكر تراثيّ بغضّ النظر عن محاولات في ربطها بالنظرة الحداثيّة، ذلك أنّه اعتبر النحو والصرف مرتبطان ببعضها، أي أنّ الصّرف لا يستقلّ

¹ - صالح سليم الفاخري: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، ص 161 إلى 172.

² - المرجع نفسه، ص 173.

³ - المرجع نفسه، ص 185.

⁴ - المرجع نفسه ص 191 - 192.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص 192 إلى 241.

بذاته وهذا قد يُمثّل نزعة معيارية¹، كما أنّه أثناء التحليل الصرّفي لم يفد من معطيات علم الأصوات حتى يطبع بطابع الحدائثة باعتبار أنّ الدرس الصرّفي الحديث يفيد من معطيات علم الأصوات².

2.4 الخطاب اللساني في كتاب الدلالة الصوتية في اللغة العربية:

هذا الكتاب هو عبارة عن رسالة ماجستير لعام 1987م³، يتضمّن دراسة لسانية تنصب على علم الدلالة من خلال المستويات الصوتية والصرفية والنحوية⁴. ويمثّل أيضا «محاولة لتقنين العلاقة بين الأصوات ومدلولاتها ليكون مصدرا من مصادر تنمية اللغة العربية في ضوء ما وصل إليه علم اللغة الحديث من نتائج تحكم الصلة بين اللغة والمجتمع»⁵.

ومن ثمّ نصنّف هذه الدراسة ضمن لسانيات التراث التي تركز على:

- * موضوع الدلالة الصوتية في اللغة العربية.
- * وبمنهج هو إعادة قراءة المنجز التراثي في المجال الدلالي.
- * وغاية تمثل تقنين العلاقة بين الأصوات ومدلولاتها.

ويمكننا أن نصنّف القراءة اللسانية في هذا الكتاب أنّها قراءة قطاعية كونها اهتمّت بالمجال الدلالي اللغوي العربي القديم، كما أنّها قراءة تفاعلية بين الفكرين العربي القديم والغربي الحديث⁶.

¹ - ينظر: أحمد دحماني: علم الصرف في التراث والرؤيا التجديدية في ضوء البنية الصرفية الصوتية، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 13، العدد 01، عام 2021، ص 39.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 39.

³ - ينظر: السيرة العلمية للأستاذ صالح سليم عبد القادر الفاخري، مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية:

<https://www.maearabia.com/site/7881.html#:r=test=3%>.

⁴ - ينظر: صالح سليم الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، منتدى سور الأزيكية، ب. ت، ص 12.

⁵ - المرجع نفسه، ص 12.

⁶ - ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 136-137.

لقد اعتمد الأستاذ الفاخري على خطة بحثية في استخلاص الدلالة الصوتية بصيغة حديثة وذلك من خلال أربعة فصول¹.

- الفصل الأول بعنوان دراسات تمهيدية حول مسألة المعنى وعلم المعنى واللفظ والدلالة وأهمية الدلالة واكتساب اللفظ للدلالة وأنواع الدلالات.

- الفصل الثاني حول:

* دلالة حكاية الأصوات المسموعة

* دلالة حكايات بعض المصطلحات اللغوية

* تطوّر الكلمة في اللغة العربية

- الفصل الثالث حول دلالة الأصوات الهجائية وما في حكمها ويتضمّن:

* دلالة الأصوات الهجائية

* دلالة الحركات

* دلالة النبر والتنغيم

- الفصل الرابع حول دلالة الصيغ الصرفية وما في حكمها ويتضمّن:

* دلالة الصيغ الصرفية

* دلالة الاشتقاق من الأعيان

* دلالة النحت

لقد نبّه الفاخري في مقدمة بحثه إلى أنّ قضية ربط الألفاظ بمدلولاتها هي قضية قديمة في الفكر اللغوي عامّة والفكر اللغوي العربي بخاصّة، وأوّل من ينسب إليه هذا التفكير هو الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي قام بعدّة تحليلات لحكايات أصوات الأشياء وربطها بمدلولاتها، وتبعه في ذلك تلميذه سيبويه بنوع آخر من الإيحاءات الصرفية، ومن بعده ابن جني وصولاً إلى الزمن الحديث المتمثّل

¹ - ينظر: صالح سليم الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 15-16-133-205.

في دي سوسير وجسبرسن وهامبلت وبلومفيلد الذين يقولون أيضا بأنّ هناك نوعا من الألفاظ التي لها صلة بينها وبين مدلولاتها وخاصّة ما ارتبط منها بأصوات الطبيعة.

كما يذكر بعض اللغويين العرب المحدثين الذين نادوا بهذه الصلّة الدلالية منهم صبحي الصالح ومحمد المبارك وغيرهما¹.

إنّ هذا الخط المعرفي الذي عرضه الفاخري للدلالة الصوتية يوضّح موقفه اللساني، موقف تظهر فيه الحدائثة وكأثما امتداد للتّراث بدون تعقيدات ثقافية أو فكرية، وفي هذا الصدد يقول الأستاذ الفاخري أنّ البحث: «يعدّ تطورا لفكرة لغوية قديمة وداعيا لإعادة النّظر في مبدأ عرفية العلاقة بين الأصوات ومدلولاتها الذي قال به عدد من اللغويين فضلا عن أنّه استجلاء لجهود لغويي العربية في عصر التدوين، وهو أمر يغفله الباحثون المحدثون في علم اللّغة ممّن يتعرّضون بالدراسة للحركة اللغوية في القرون الوسطى»².

أي أنّ الفكرة قديمة والنظرة جديدة وفق ما تقتضيه اللسانيات الحديثة.

ويحاول الفاخري أن يكون بحثه متصلا بالبحوث اللغوية العربية في المجال الدلالي فيعرض لمظاهر الدلالة الصوتية عند لغويي العربية القائلين بها والتي يمكن تلخيصها في³:

- دلالة حكاية الأصوات المسموعة.

- دلالة حكاية الصيغ الصرفية.

- دلالة الأصوات المهجائية.

- دلالة النبر والتنغيم.

¹ - ينظر: صالح سليم الفاخري: الدلالة الصوتية في اللّغة العربية، ص 09- 10.

² - المرجع نفسه، ص 11.

³ - المرجع نفسه، ص 11.

وأهم النتائج التي توصل إليها في هذا الصدد هي أن¹:

- حكايات الأصوات المسموعة غالبا ما تكون مطابقة لما تُعبّر عنه، وقد تختلف من لغة إلى أخرى بسبب العوامل البنية والإمكانات الصوتية المتاحة في اللغة.
 - ارتباط الصيغ الصرفية والأوزان بدلالات معينة.
 - الأصوات الهجائية توحى بدلالات معينة.
 - النبر والتنغيم في اللغة العربية يكسب الكلمات معاني جديدة.
- أما الإضافة الجديدة التي ارتضاها للدلالة الصوتية فتمثلت في مظاهر أخرى غير هذه المظاهر الموجودة عند اللغويين وهي:

1 - دلالة الحركات وما تقوم به الحركات من بنيوية وإعرابية من أدوار في إبراز

المعنى:

يشير الفاخري إلى أنّ الحركات هي أصعب في النطق من الصواميت ويعرض لتجربة دانتال جونز الذي تحصل على نتائج مهمة في هذا المجال باستعانتة بالطبيب (H. T Goarg) الذي قام باستخدام الأشعة السينية (X Rang) لتحديد أقصى ارتفاع وأدنى انخفاض للسان في الفم حين النطق بالصوائت الضيقة والمتسعة وفق نظريته المسماة (نظرية حد الصائت) (Vowel limit) أو مقياس دانيال، وأهم ما يميّز هذه النظرية هي اشتغالها على ثماني صوائت أساسية أو أولية معيارية وأخرى غامضة الحدود والصفة نسبيا بالمقارنة مع الصوائت الأساسية².

¹ - ينظر: صالح سليم الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية ص 256-257.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 173.

في نظر الفاخري أنّ هذه النظرية صالحة للتطبيق على اللّغة العربية تماشياً مع المصطلحات المستعملة عند علماء العربية، ومن ثمّ فالنموذج غربيّ حدائليّ والمحتوى عربيّ أصيل، يمكن أن نوضحه على الشكل الآتي¹:

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 174 - 176 - 177.

يقارب هذه النظرية في العربية بتطبيقها على اللغة العربية ¹ :			النموذج الغربي: نظرية حد الصائت (Vowel) (limit):		
التمثيل لها	وصفها	الحركات	التمثيل لها	وصفها	الحركات
يُباع، قُبيل	صائت أمامي مرتفع، ضيق مدور وهي معيارية ثانوية	الحركة الأولى الكسرة المشمة ضمًا	في اللغة الإنجليزية (النحلة) Bee	صائت أمامي مرتفع ضيق مدور	الحركة الأولى i
قلبي، هوى، توراة	صائت أمامي متوسط مرتفع نصف ضيق غير مدور	الحركة الثانية الإمالة الصغرى	مثالها في الإنجليزية (رجال) Men	نصف ضيق مرتفع أمامي	الحركة الثانية e
بعد الراء في قوله تعالى (وَمَا أَدْرَاكَ)	صائت أمامي، متوسط، منخفض نصف متسع غير مدور	الحركة الثالثة الإمالة الكبرى	مثالها في الإنجليزية (ضرر - أذى) Hunt	نصف متسع منخفض غير مدور	الحركة الثالثة 3
كتب، ذهب، عتب	صائت أمامي منخفض متسع غير مدور	الحركة الرابعة الفتحة المرققة	مثالها في الإنجليزية (خفاش) Bat	أمامي متسع منخفض غير مدور	الحركة الرابعة ae
طريق، صديد، طلب، ظلم، ضرب	صائت أمامي منخفض متسع غير مدور	الحركة الخامسة الفتحة المفخمة	مثالها في الإنجليزية (فن) Art	منخفض متسع غير مدور	الحركة الخامسة ac
			مثالها في الإنجليزية (قانون) law	خلفي متسع غير مدور مدور نصف متسع مدور	الحركة السادسة
عتاب، دفاع، كتاب، سياق	صائت أمامي، متوسط مرتفع نصف ضيق غير مدور	الحركة السابعة الكسرة	مثالها في الإنجليزية (بحيرة) Lock	خلفي متوسط مرتفع نصف ضيق مدور	الحركة السابعة o
مكتوب، معلوم، مدعور، مُدَّتْكُمْ، كُتِبْكُمْ، علم، سَمِع	صائت خلفي مرتفع ضيق غير مدور وهو حركة ثانوية صائت خلفي مرتفع ضيق مدور	الحركة الثامنة - الضمة المشمة كسرا - الضمة	مثالها في الألمانية (وضع) Put	مرتفع ضيق مدور	الحركة الثامنة U

¹ - ينظر: صالح سليم الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 174 - 176 - 177.

كما يُبيّن أنّ الحركات في العربية منها ما يُثبت على الصوت ليكون حركة بنية ومنها ما يثبت على آخر الكلمة ليكون إعراباً، ومن ثمّ فإنّ هذه الحركات لها دور في إبراز الدلالة مثلاً، في حركات البنية تكون كلمة (كُتِبَ) مختلفة في مدلولها عن الكلمة (كُتِبَ) هذا في الأفعال وفي الأسماء مثالها العشاء بفتح العين، طعام العشيّ وبكسرهما أول الكلام، وغيرها من الأمثلة لدلالة حركة البنية¹، أمّا دلالة حركات الإعراب فنظرت إليها تبقى تراثية مستقاة من لغويينا قديمهم ومحدثهم «فالضمة علامة على أنّ الكلمة متحدث عنها، والكسرة علامة على إضافة الكلمة بأداة أو بغير أداة...»².

2 - دلالة حكاية اللّغات المذمومة وعيوب النطق:

يذكر الفاخري أنّ اللّغات المذمومة هي مصطلح يطلق على لهجات عربية خالفت اللّغة الفصحى في بعض الخصائص الصوتية، وفي نظره أنّها تحمل دلالة صوتية مثل: الكشكشة والكسكسة والعنونة والعجعة والاستبطاء والفضخخة وغيرها...³

كذلك دلالة عيوب النطق أو كما تسمّى بأمراض الكلام Speech Pathology لها دلالة صوتية بارزة منها: التأتأة والتتممة والفأفة...⁴

3 - دلالة الاشتقاق من الأعيان: وهو ما يمكن ملاحظته من صلة بين المشتق والمشتق

منه⁵.

¹ - ينظر: صالح سليم الفاخري: الدلالة الصوتية في اللّغة العربية، ص 177- 178.

² - المرجع نفسه، ص 191.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 97 إلى 107.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 109 إلى 114.

⁵ - ينظر: صالح سليم الفاخري: الدلالة الصوتية في اللّغة العربية، ص 231.

ما يمكن ملاحظته في هذا العنصر أنه اعتمد مرجعية تراثية في تعريف الاشتقاق، وذلك بالاعتماد على تعريف ابن جني (الخصائص)، كما يُشير إلى أنّ العرب الأوائل هم أول من تفتن لهذه الظاهرة اللغوية أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي وابن جني، ووقف على قضية اختلاف المحدثين حول أنواع الاشتقاق ومدلول كل نوع، منها وما وُجد عند عبد الله أمين وعلي وافي وصبحي الصالح، كما يتطرق إلى الاشتقاق عند الغربيين الذي يعتبر أحد فروع علم اللغة المخصّص لدراسة المفردات¹.

ربّما قصد الفاخري من خلال هذا العرض المعرفي إلى تقنين العلاقة بين الأصوات ومدلولاتها في ضوء ما استجدّ من اللسانيات الحديثة، إلاّ أنّه في نظرنا جسّد صورة لامتداد التراث إلى الحداثة باستثناء قضية الاشتقاق من الأعيان التي يعتبرها قضية أصيلة في العرف العربي، ويرى أنّ التوسع فيها دونما تهافت هو الأولى وهذا لما تقتضيه المصطلحات العلمية وظروف الحضارة².

4 - دلالة النَّحْت: وهو ما يمكن ملاحظته من صلة بين اللَّفْظ المنحوت والكلام

المنحوت منه.

كذلك هذه الظاهرة هي في نظر الفاخري قديمة عند العرب، واستمرّ صداها إلى العصر الحديث، وبيّن اختلاف العلماء العرب قديمهم وحديثهم حولها؛ فمنهم من دعا إلى نركها ومنهم من دعا إلى التوسع فيها³.

وفي نظره أنّ النحت له علاقة بالدلالة الصوتية ذلك «أنّ الألفاظ المنحوتة تحمل دلالة تربطها بذهن المتكلم والسامع بالأصل الذي نُحِت منه»⁴، من قبيل بسمل وسبحل وحوقل الذي بدّل على

¹ - ينظر: صالح سليم الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 232.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 257.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 245.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 253.

بسم الله، وسبحان الله، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله. أمّا الضوابط العلمية التي تضبط النحت فهو يعتمد على ما أقرّه مجمع اللّغة العربية¹.

بموجب ما سبق ذكره يتبيّن لنا أنّ الأستاذ الفاخري على الرّغم من أنّه طبّق نظرية "حدّ الصّائت" "Vowel Limit" على اللّغة العربية، وقارن بين الفكرين العربي والغربي في كثير من مواضع هذا البحث، إلاّ أنّه حافظ على السّمة التراثية في كلّ أركان الدراسة، ولم يُعرّض اللّغة العربية إلى مخاطر الحدائثة التي تنفي أو ترسم قطيعة مع التراث، فقد استحضره بشكل واسع بل وكان هدفه تطوير اللّغة من داخل التراث وبمصطلحات تراثية أصيلة، باستثناء مصطلح علم اللّغة الذي خالف الاستعمال المغاربي المتفق عليه والمتمثّل في اللّسانيات، وهذا من سمات الفوضى المصطلحية القائمة في الوطن العربي عامّة.

خلاصة:

من خلال النماذج الثلاثة للكتابات اللسانية المغاربية، يتّضح لنا أنّ الحدائثة لها وقع مخصوص تشترك فيه مع التراث الذي تخطّى الزمان ليحضر في النفوس العربية، مما جعل هذه الثنائية تسير في خطّ أفقيّ تُظهر فيه الامتداد حيناً، و تُخفيه حيناً آخر، لتُبدي التوافق و المقاربة، وعلى الرغم من أنّه مشهد غير ثابت كما تبين لنا من كتابة الأستاذ الفاخري، إلاّ أنّنا اجتهدنا في معرفه صوره و سماته؛ التي تسهّل علينا مهمّة فهم التراث و استيعاب الكثير من القضايا المتعلقة به، كما توضّح لنا مخاطر الحدائثة و تطويع آلياتها و مناهجها؛ على الوجه الذي تقتضيه خصوصية النظام اللغوي العربي.

¹ - ينظر: صالح سليم الفاخري: الدلالة الصوتية في اللّغة العربية، ص 253.

خاتمه

من السهل بمكان أن نلاحظ الصدى الواسع لثنائية الحداثة والتراث في الدراسات اللسانية المغاربية، ذلك أنّها تتمثل رباطا حضاريًا شديد الدقة والخطورة على حدّ سواء، وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى المرجعيات الثقافية والفكرية لكلّ من الحداثة والتراث، ومما لا شك فيه أنّ نقطة بداية الاستصلاح الفكري والحضاري إنّما هي اللّغة؛ التي تعتبر هويّة كل قوم وماضيهم الذي لا ينفكّ يُراود حاضرهم.

ثمّ إنّ المقصود من هذه الثنائية الواسعة والمتشعبة، هو اتصال الثقافة العربية باللسانيات الحديثة وأثرها على اللسانيات في المغرب العربي، وما نجم عنها من جدل، حاولنا أن نستجلي صوره من خلال توصيف لبعض الكتابات اللسانية المغاربية، وانتهينا فيه إلى النتائج التالية:

1. إنّ مفهوم الحداثة هو من المصطلحات التي تتداخل في مفهومها مع عدّة مفاهيم أخرى في الساحة اللغوية العربية؛ مثل التجديد والمعاصرة، و التحديث، وهذا في مقابل القديم أو التراث، وقد اتّضح لنا أنّ هناك فرق دقيق بين هذه المصطلحات، وهذا من شأنه كذلك أن يوضّح الهدف من الكتابة اللسانية عموماً.
2. إنّ الحداثة والتراث هما عنوانان للسانيات الغربية الحديثة والتراث اللغوي العربي القديم على الترتيب، تصدّرا الكتابات اللسانية المغاربية الحديثة.
3. تتمثل الحداثة عدّة حداثات : اتباعاً لتعدد مناحي الحياة و منها الحداثة اللغوية.
4. لقد وُصف التراث اللغوي العربي بالمعيارية في مواقف كثيرة، وقد عرضنا له في بحثنا بصفته منظومة علمية قائمة بذاتها، تراعى فيه الوصفية تمهيداً لأن يكون هذا التراث هو الموضوع الأساس للسانيات العربية في مختلف مستوياته (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية...)

بغض النظر عن القول الذي يجعل من الكتابات اللسانية التي موضوعها التراث اللغوي العربي على هامش اللسانيات.

5. إن مفهوم الجدل المتمثل في التنازع والمشادة بين الأطراف قد اصطبغت به الكتابات اللسانية المغاربية، واتخذت في ذلك اتجاهات ثلاث: اتجاه حدائي، واتجاه تراثي واتجاه توفيقى.

6. إن اللسانيات الغربية التي تمثل الحداثة أو قطع الصلة بالتراث، تعتبر من أشد العلوم ارتباطا بتاريخها وهذا ما ثبت بعد العودة إلى التراث الغربي من خلال كتابة صالح الكشو "مدخل في اللسانيات"؛ أي أنّ اللسانيات هي نتاج لماضيها وهي أيضا مادة لمستقبلها، ومن ثمّ جاز للسانيات العربية أيضا أن ترتبط بتراثها اللغوي العربي في جميع جوانبه، ومستوياته، النحوية والصرفية والصوتية، وهذا لا يُنقص من علمية هذه اللسانيات كما لا يمكن أن تُهمش بسببه.

7. رأينا من خلال جهود العلماء اللسانيين المغاربة أنّهم اتبعوا منهاجا متسلسلا في التعريف باللسانيات؛ بداية ترجمتها وتعريبها ثمّ التّأصيل لها باللّغة العربية، وفق مقارنة توضع بين اللسانيات وبين التراث اللغوي العربي، ثم تطبيق نظرياتها و مناهجها على النظام اللغوي العربي آخذين بعين الاعتبار خصوصية هذا النظام في أغلب الأحيان، و نقصد بالقول ما انتهجه الطيب دبه الذي يوافق رأي أستاذه عبد الرحمن الحاج صالح في التنظير اللساني الخاص.

8. لقد طَبَّقَ صالح الكشُو نظرية "النحو المعجم" على النحو العربي و لم يلمَّح إلى خصوصية

النظام اللغوي العربي، و هذا ما فعله صالح سليم الفاخري أيضا حينما طَبَّقَ نظرية "حد

الصَّائت"، أي أنَّهما لم يتعصَّبا للتراث اللغوي العربي بل فتحوا المجال للحدائثة اللغوية

لتنفذ إلى أركانه، و مع ذلك لا يمكن نكران ما توصَّلا إليه من نتائج علميَّة، قد تسهم في

إثراء البحث اللغوي العربي.

9. يظهر التنوع الفكري لدى اللسانيين المغاربة، وهذا من خلال تبنيهم للنظريات اللسانية

المختلفة (بنوية، توليدية، تداولية) والسبب في ذلك هو المرجعية الفكرية وكذا الانتماء

الجامعي الذي انتسبوا له في الدول الغربيَّة (أوروبية، أمريكية، ألمانية، ...) فمثلا: نجد عبد

الرحمن الحاج صالح -رحمه الله- قد تلقَّف اللسانيات من الجامعات الفرنسية فكان

بنويًا- ومرجعيته الفكرية هي التراث اللغوي العربي بعامة، وتراث الخليل بن أحمد

الفراهدى بخاصة ومنه نظريته الخليلية الحديثة، كذلك أحمد المتوكل (وظيفي) تلقَّن هذا

العلم من سيمون ديك الهولندي، وكانت له مرجعية فكرية من التراث اللغوي العربي.

10. رأينا أنَّ اللسانيات الغربية هي حديثة العهد بالبلاد العربية عامَّة، وبالبلاد المغاربية

بخاصة، والتي تلقَّفتها من بعد الاستقلال، فكان لزاما على اللسانيين الأوائل أن يمهَّدوا

لهذا العلم أولًا، ثم يؤصِّلوا لعلم لسانيّ عربي حديث؛ في هذه المرحلة اعتمدنا على

تصنيف مصطفى غلفان للكتابات اللسانية العربية (تمهيدية، لسانيات التراث، لسانيات

العربية)، ولاحظنا أنّ فكرة تهميش الكثير من الكتابات اللسانية قد انتقدت، كونها جعلت من التراث اللغوي موضوعا لها.

11. إنّ الكتابات اللسانية هي في مجملها جهود علمية لا يستهان بها، باعتبارها محاولة لترقية اللغة العربية وجعلها في مصاف العلوم الحديثة.

12. إنّ الحداثة الغربية و ما تحمله من مفاهيم تغريبية، قد تحمل أيضا في طياتها النفع إذا ما طوّعت وانتقينا منها الإجراءات والآليات التحليلية لدراسة اللغة العربية دراسة علمية موضوعية.

13. إنّ لسانيات التراث التي مثّلت المنهج الأبرز للسانيين المغاربة (التوفيقين)؛ هي من أصعب المناهج اللسانية تحقيقا، ذلك أنّها تتطلب الإحاطة بعلمين مختلفين زمانا ومكانا؛ علم من زمن الرقي العربي (التراث اللغوي العربي)، وعلم من زمن حديث وحاضر تمثّل في اللسانيات الغربية (المنهج البنوي، المنهج التحويلي التوليدي، المنهج التداولي)، ومّا يزيد من حدّة الصّعوبة هي محاولة مد الجسور بين هذين العلمين والتوفيق بينهما.

14. قد يربط اللسانيون المغاربة بين الحداثة والتراث بجسر لساني توفيق مبنّي على أساس من العلمية والموضوعية، ولكن قد يتلاشى في ظلّ خصوصية النظام اللغوي العربي (من اشتقاقية، أو أنّه نظام مفتوح على عدّة دلالات...) كما قد تتلاشى في ظلّ خصوصية المعتقد في مقابل مادّية النظرة الحداثيّة، وهذا ما استدعى تنظيرا لسانيا خاصّا باللّغة العربية.

15. تطرّقنا إلى قضية السوسيريات الجديدة في المغرب العربي باعتبارها مرحلة تلت مرحلة

التأصيل، ليحدث بعد ذلك جدل حول مصير لسانيات سوسير الأولى، وهذا ما نعتبره

مرحلة ما بعد الحداثة كونها فترة لاحقة تجبّ أختها السابقة.

16. إنّ الكتابات اللسانية المغاربية لم تقتصر على التمهيد للسانيات أو التأصيل لها، بل

انتقلت إلى مرحلة النقد لنتج لنا كتابات لسانية نقدية، والتي تتطلب نظرة فاحصة

— للكتابات السابقة، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على حرص الباحث العربي

عامّة- على جودة الكتابة التي تقدّم خدمة للعلم، إلاّ أنّه قد تخرج هذه الكتابات النقدية

في بعض الأحيان عن مسارها التقويمي إلى مسار آخر جزاء التلاسن وهذا لا يخدم العلم

في شيء.

17. إنّ التراث اللغوي العربي هو حلقة من التراث الإنساني العالمي، وهذا يظهر جلياً في

التأريخ اللساني الذي وضعه صالح الكشو للسانيات التوليدية التحويلية، والممتدّة إلى

تراثين لغويين من حضارتين مختلفتين (الحضارة العربية، والحضارة الغربية) إضافة إلى

حضارة الهنود الأوائل.

18. ممّا يلاحظ على اللسانيين المغاربة - على اختلاف انتماءاتهم المجتمعية (المغرب،

تونس، الجزائر، ليبيا- أنّهم قد أعجبوا بالتراث اللغوي العربي؛ فحظي بمكانة مرموقة في

كتاباتهم اللسانية، كما عملوا على قراءته قراءة رأوا النفع فيها، لإخراجه من الجمود

الذي عانى منه ردحاً من الزمن.

19. لقد أظهر الطيب دبه في كتاباته ما للغة العربية من خصوصية، و هذا ما دفعه إلى

القول بالتنظير اللساني الخاص، الذي يعتبر خطوة جريئة، تقتضي الخروج عن المبادئ

العامّة التي تنادي بها اللسانيات الحديثة.

في الأخير يمكننا القول أنّ الكتابات اللسانية المغاربية؛ على الرغم من الجدل الذي عمّ أرجاءها، وجعل منها ساحة للتنازع وتقديم الحجج والبراهين؛ إلا أنّها - في نظرنا - جهود لسانية أسالت الكثير من الحبر في سبيل النهوض بالفكر العربي، كما أنّها فتحت المجال أمام القارئ العربي للاطلاع على ماضيه من خلال تلك القراءات اللسانية المتنوّعة للتراث العربي، وما تعلّق بها من انتقادات، كل هذا سيزيد من وعي القارئ العربي لما تحمله ثنائية "الحداثة و التراث".

- انطلاقا مما آل إليه البحث من نتائج؛ يمكن اقتراح بعض التوصيات التالية:
- ضرورة توحيد الجهود العربية فيما يخص الحقل المصطلحي اللساني ، لما له من أهميّة في تحديد موضوع الدراسات فضلا عن أنّه ركيزة لرسم حدود العلوم و المعارف على تنوّعها.
- من المهمّ إبراز جهود العلماء اللسانيين المغاربة، و خاصّة منهم الجزائريين الذين عملوا على ترقية اللغة العربية و مازالوا مغمورين على الرغم من اجتهاداتهم الكثيرة.
- من المهمّ أيضا الاهتمام بالمواضيع التي تعنى بثنائية (الحداثة و التراث) اللسانية؛ لإبراز عدّة نقاط متشعبة فيها و التي من شأنها توضيح المفاهيم الأساس و تطويعها لاستخلاص المبادئ و النظريات المهمّة لترقية اللغة العربية.
- تكتيف الجهود العربية (مشرقا و مغربا) لتخطي الجدل اللساني المرتبط بهذه الثنائية، و الوقوف موقفا وسطا يقوم على الإيجابية التي تقدّم ضرورة النهوض باللغة العربية، بدل الاستبعاد و الاقصاء الذي يقوم على السلبية والتلاسن.

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

2- مصادر البحث:

1. مصطفى جلال: جدل التراث و الحداثة في الكتابات اللسانية النصية العربية، مجلة أبحاث مجلد 4 عدد 4 ص 63، 2012/50.
2. الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية - دراسة تحليلية إستراتيجية - مطبعة رويغي، الأغواط - الجزائر، ط 2، 1441هـ / 2019م،
3. الطيب دبه: التفكير السيميائي في اللغة والأدب، قراءة في تراث أبي حيان التوحيدي، دار عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، 2015.
4. الطيب دبه: اللسانيات وقضايا اللغة العربية، منشورات مخبر اللسانيات التقابلية وخصائص اللغات، كلية الآداب واللغات بجامعة الأغواط الجزائر، مطبعة الرويغي / الأغواط الجزائر ط 1، 1436هـ، 2014م.
5. صالح سليم الفاخري: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، عصمي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996.
6. صالح سليم الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، منتدى سور الأزيكية، ب ت.
7. صالح الكشو: النحو التحويلي العربي الاسم والفعل والحرف، مركز النشر الجامعي، تونس، أوريس للطباعة، مارس 2012.
8. صالح الكشو: مدخل في اللسانيات، الدار العربية للكتاب، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم - تونس - ليبيا، 1985.

3 - المعاجم:

1. إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار: المعجم الوسيط، ، تحقيق مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة، القاهرة.ب.ت
2. أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ط 2، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ج 1، 1389هـ/1969م.
3. إميل بديع يعقوب وميشال عاصي: المعجم المفصل في اللغة والأدب، نحو، صرف، بلاغة، عروض، إملاء، فقه اللغة، أدب، نقد، فكر أدبي، المجلد الأول، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، أيلول سبتمبر 1987.
4. جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط 1، 1979.
5. سمير حجازي: المتقن: معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، د. ط، لبنان، د. س، دار الراتب الجامعية.
6. الشريف الجرجاني (ت 816هـ) معجم التعريفات، قاموس اصطلاحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوّف والنحو والصّرف والعروض والبلاغة: تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د ط، د ت).
7. عبد القادر الفاسي الفهري بمشاركة نادية العمري: معجم المصطلحات اللسانية، انجليزي فرنسي، عربي، د ط، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، بيروت لبنان، ب،ت.
8. الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ): القاموس المحيط، بيروت، دار الجليل، (د. ط)، ج 1 (ب. ت).
9. مبارك مبارك: معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، ط 1، بيروت، لبنان، د ت.
10. مجّمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، القاهرة ، مصر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، تصدير إبراهيم مذكور، 1403، 1983هـ.

11. محمد حسن باكلا، ومحي الدين خليل الريح، وجورج نعمة سعد ومحمود إسماعيل الصيني وعلي القاسمي : معجم مصطلحات علم اللّغة الحديث، مراجعة: محمد حسن باكلا وكمال عمر بشر وعبد الحميد الشلقاني ومحمود إسماعيل الصيني وصالح جواد طعمة، نشر مكتبة لبنان، عام 1983، الطبعة الأولى.
 12. مكتب تنسيق التعريب : المعجم الموحد لمصطلحات اللّسانيات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط 2، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، 2002م.
 13. المنجد في اللّغة والأعلام: دار المشرق، بيروت، 1973، الطبعة 26.
 14. ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ج3، 2000م.
- المصادر والمراجع باللّغة العربية:
1. أحمد أمين: ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة 1997، مهرجان القراءة للجميع اهداءات 2003 أسرة رمزي ذكي القاهرة، الجزء 1 برعاية سوزان مبارك (العمال الدينية)
 2. أحمد الحملاوي: شذا العرف في فنّ الصّرف، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1967.
 3. أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين ودورها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 1، الجزائر، 1985.
 4. أحمد المتوكل: اللّسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط 2، 2010.
 5. أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط 1، 2001.

6. أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربيّة، دار الثقافة، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ط 1، 1985.
7. أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، البنية التحتية أو التمثل الدلالي التداولي، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 1995.
8. أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربيّة في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، 2001.
9. أحمد بن أحمد السجاعي: حاشية العلامة الفاضل مشكور المساعي أحمد بن أحمد السجاعي المتوفى عام 1197هـ على شرح جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري لمقدمته: قطر الندى وبل الصدى، الطبعة الأخيرة، منشورات الرضى - إيران.
10. أحمد بن محمد الهروي (401هـ): الغريين، تحقيق محمود محمد الطناحي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مطابع الأزهر التجارية، القاهرة، 1970.
11. أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده (ت 968هـ): مفتاح السعادة ومصباح الحياة في موضوعات العلوم، تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ب.ت.
12. أحمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2009.
13. أحمد حساني: مباحث في اللسانيات سلسلة الكتاب الجامعي، مبحث تركيب، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية - دبي - الكرامة شارع زعبل، الإمارات العربية المتحدة، ط 2، 1434هـ - 2013م / 1434هـ.
14. أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، طبعة مزيدة ومنقحة، 2008، ط 3، دار الفكر، آفاق معرفة متجدّدة، دمشق، برامكة، 2008.

15. أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، القاهرة، ط 6، سنة 1988.
16. أحمد مؤمن: اللسانيات النشأة والتطور، دائرة الإنجليزية، ط 2، معهد اللغات الأجنبية - جامعة قسنطينة، 2005.
17. أحمد نعيم الكراعين: علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، ط 1، 1993.
18. إدريس بن الحسن العلمي: في الاصطلاح: جمعه وقدم له وأخرجه ولده: أمل العلمي، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2002.
19. إمام عبد الفتاح: تطوّر الجدل بعد هيجل: جدل الفكر، دار التنوير، ط 1، 1984، بيروت.
20. البخاري عبد الله بن محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عند بني إسرائيل (3/ 1274)، ج (3269)، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه.
21. بسام جرار: دراسات في الفكر الإسلامي، مركز نون للأبحاث والدراسات القرآنية، البيرة فلسطين، 2017.
22. بشير إبرير: اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2021، الأبيار، الجزائر.
23. الهنساوي حسام: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1414هـ / 1994م.
24. بوقرة نعمان: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار - عنابة، الجزائر، 2006.

25. الترمذي في السنن: كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة (43/5) رقم 2676، وقال عنه حديث حسن صحيح (القاهرة: مصطفى البابي، تحقيق إبراهيم عطوة)، ط 1، 1382هـ - 1962م.
26. تمام حسان: العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 1، 1973.
27. التواتي بن التواتي: المدارس النحوية، دار الوعي، الجزائر، د، ط، 2008.
28. توفيق الزبيدي: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، (د ط)، 1984.
29. الجاحظ عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ، تحقيق د. علي أبو ملح، طبعة دار و مكتبة الهلال (الطبعة الأخيرة) سنة 2002.
30. جمال سعيد، وليد قصاب: خطاب الحداثة في الأدب، الأصول والمرجعيات، دار الفكر، دمشق، ط 1، 2005.
31. جمعان بن عبد الكريم: التطور الاستمولوجي للخطاب اللساني: غموض الأوليات، مكتبة لسان العرب، دار الفارابي للنشر، ط 1، بيروت، لبنان، 2010.
32. ابن جنّي أبو الفتح عثمان بن جنّي: الخصائص: تحقيق عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 2003 - 1424هـ، مج 1.
33. حافظ إسماعيل علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، بيروت، لبنان، 2009.
34. حافظ إسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي: أسئلة اللغة، أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، دار الأمان، الرباط، ط 1، 2009.
35. حافظ إسماعيلي علوي، أحمد الملاخ: قضايا استيمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، ط 1، 1430هـ - 2009م.

36. حسن حنفي: التراث والتجديد (موقفنا من التراث القديم)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 5، بيروت، لبنان، 2005.
37. حسن خميس سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق للنشر والتوزيع، نابلس، جامعة النجاح، الطبعة الأولى، فبراير 2000، وكذا مطبعة دار الشروق، عمان-الأردن.
38. الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي: أدب الدين والدنيا، دار المنهاج، ط 1، لبنان، 2013.
39. حسن محمد سليمان: التراث العربي الإسلامي: دراسة تاريخية ومقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، الجزائر، 1988.
40. حسني خاليد: مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، مكتبة نوميديا 56، مطبعة آنفو-جرائد، فاس، (د، ت)، (د، ط).
41. حسين السوداني: أثر فرديناند دي سوسير في البحث اللغوي العربي، التلقي العربي لللسانيات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات سلسلة دراسات معجمية ولسانية، ط 1، بيروت، تشرين الثاني/ نوفمبر 2019.
42. حلمي خليل: دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003.
43. حلمي محمد القاعود: الحداثة العربية، دار الاعتصام، 1998م/ 1418هـ.
44. حميدان عبد الله: الترجمة بين متناقضات النظرية إلى ضوابط التطبيق العلمي، إصدارات مركز البحوث كلية اللغات والترجمة السعودية، 1994.
45. خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصة، ط 2، حيدرة، الجزائر، 2000م.

46. اليداوي محمد: منهاج المترجم بين الكتابة والاصطلاح والهواية والاحتراف، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 1، 2005.
47. ابن رشد: تلخيص كتاب الجدل، تحقيق تشارلس بتروث، وأحمد عبد المجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979.
48. رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 3، 1417هـ / 1997م.
49. الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، القاهرة، (دون تاريخ).
50. زينب عبد العزيز: هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة - الحداثة والأصولية - ط 1، دار الكتاب العربي، سوريا، 2004.
51. سيويه أبو بشر عمرو بن عثمان: الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ت 80 هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1975م، ج 1.
52. ابن سينا، علي الحسين بن عبد الله: الشفاء (العبارة)، تحقيق: محمود الخضيرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1970.
53. السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت 911)، تاريخ الخلفاء، المحقق حمدي الأمرdash، مكتبة نزار مصطفى الباز الطبعة الأولى 1425، 2004م.
54. شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر، ط 1، بيروت، لبنان، 2004.
55. شكري عزيز الماضي: من إشكاليات التقد العربي الجديد، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1997.
56. شكري عياد: المذاهب الأدبية والتقدية عند العرب والغربيين، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1993.

57. صالح القرماذي: مقدمة مترجمي كتاب دروس في الألسنية العاقمة لسوسير، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، 1985.
58. صالح بلعيد: مقاربات منهاجية، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2004.
59. طه عبد الرحمان: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، منتدى سور الأزيكية، (المغرب - بيروت - لبنان)، ط 1، سنة 2006.
60. عبد الجليل مرتاض: اللّغة والتواصل، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د. ت.
61. عبد الرحمان الحاج صالح: السّماع اللّغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، د، ط، الجزائر، 2007.
62. عبد الرحمان الحاج صالح: السّماع اللّغوي العلمي عند العرب، (ورقة الغلاف) سلسلة علوم اللّسان عند العرب (1)، موفم للنشر، الجزائر، 2012، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر.
63. عبد الرحمان الحاج صالح: المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ضمن وقائع ندوة جهوية في موضوع: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، أبريل 1987، الرباط، المملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط 1، 1991.
64. عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، الجزء الأوّل، موفم للنشر، بحث بعنوان تكنولوجيا اللّغة والتراث اللّغوي العربي الأصيل، الجزائر، 2012.
65. عبد السلام المسدي: التفكير اللّساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط 2، 1986.
66. عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، المكتبة الفلسفية الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية الكتاب، 1986.

67. عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات عربي فرنسي - فرنسي عربي مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، 1984.
68. عبد السلام المسدي: ما وراء اللّغة (بحث في الخلفيات المعرفية)، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، 1994.
69. عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللّسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، بيروت - لبنان، 2010.
70. عبد العزيز حليلي: اللّسانيات العامّة واللّسانيات العربيّة، تعاريف أصوات، منشورات مجلة دراسات سيميائية أدبيّة لسانية، دراسات شال مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 1991.
71. عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة - نحو نظرية نقدية عربيّة - سلسلة عالم المعرفة، العدد 232، مطابع الوطن، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001.
72. عبد العزيز عتيق: علم النّحو والصّرف، مكتبة منيمنة، بيروت، ط 1، 2000 / 11 / 1963.
73. عبد العزيز مطر: لحن العامّة في ضوء الدّراسات اللّغوية الحديثة، الدار القومية للطباعة و النشر القاهرة 1966.
74. عبد الفتاح الحموز: نحو اللّغة العربية الوظيفي في مقارنة أحمد المتوكل، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن 2012.
75. عبد القادر الفاسي الفهري: اللّسانيات واللّغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، المغرب، دار توبقال للنشر، ط 1، 1985 - 1986 م.
76. عبد القادر الفاسي الفهري: اللّسانيات واللّغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 3، 1993 م.

77. عبد القادر الفاسي الفهري: اللّغة والبيئة، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003م.
78. عبد القادر الفاسي الفهري: المعجمية والتوسيط، دار توبقال، د ط، 1997م.
79. عبد القادر بن التواتي: البحث اللّساني عند العرب مناهجه وتطوّره، دار الضحى للنشر والإشهار، الجلفة، الجزائر، ط 2، سنة 2021.
80. عبد القادر عبد الجليل: اللّسانيات الحديثة، دار الصفاء، الأردن، ط 1، 2002.
81. عبد الكريم خليفة: اللّغة العربية والتعريب في العصر الحديث، منشورات مجمع اللّغة العربية، 1987، ط 1.
82. عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت 256هـ): صحيح البخاري، تقديم: أحمد محمد شاكر، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط 1، 2010، رقم الحديث 2697، كتاب الصلح.
83. عبد الوارث مبروك سعيد: في إصلاح الفكر النحوي، دار القلم، الكويت، 1985.
84. عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، 2003.
85. عدنان رضا النحوي: الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، ط 2، الباب الرابع، الفصل الأول.
86. عدنان علي رضا النحوي: الحداثة من منظور إيماني، دار النحوي للنشر والتوزيع، السعودية الرياض، ط 1، 1988م/ 1409هـ.
87. علي الزوين: منهج البحث اللّغوي: بين التراث وعلم اللّغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد العراق، ط 1، 1986.
88. علي ابن عقيل حاشية الخضري: المطبعة الميمنية، القاهرة، ج 1، سنة 1305هـ.
89. عيسى برهومة: مقدمة في اللّسانيات، الجامعة الهاشمية، الأردن، 2005.

90. غازي مختار طليمات: في علم اللّغة: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط 2، 2000.
91. فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللّساني العربي الحديث: دراسة في النشاط اللّساني العربي، ط 1، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة سنة 2004.
92. فخر الدين الطريحي الشيخ (ت 1085هـ): مجمع البحرين، بيروت، دار مكتبة الهلال (ب. ط)، 1985م، ج 2.
93. فصيح مقران: المدخل الجامع في أصول نظرية النحو العربي، دار الوسام العربي، ط 1، عنابة، الجزائر، 1432هـ - 2011م.
94. فهمي جدعان: نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى، دار الشروق، عمان، الأردن، ط 1، 1985.
95. (الزّمخشري) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، شرح يوسف الحمادي، (ب ت)، ج 4، مكتبة مصر، (شرح سورة الفجر).
96. كمال بشر: التفكير اللّغوي بين القديم والجديد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ب. ط، القاهرة، 2005.
97. لطفي فكري محمد الجودي: نقد خطاب الحداثة في مرجعيات التنظير العربي للنقد الحديث، ط 1، 2011، مؤسسة المختار، القاهرة، ص 116.
98. مؤيد آل صوينت ويوسف إسكندر (محّرّان): فرديناند دي سوسير: حياة في اللّغة، بيروت، منشورات ضفاف، 2017.
99. محمد الطيب قويدري: مفهوم التراث في النقد العربي القديم، دار إي كتب، ط 1، 2018م.

100. محمد جمال برعي: فن التدريب الحديث في مجال التنمية، مكتبة القاهرة الحديثة، الطبعة الأولى، 1970.
101. محمد رأفت سعيد: الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط 1، 2000.
102. محمد رشاد الحمزاوي: المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتمييطها، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1986.
103. محمد سبيلا: مدارات الحداثه، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2009.
104. محمد سليمان: أسئلة الهويات والمثاقفة في عصر العولمة، معهد إبراهيم للدراسات الإعلامية والثقافية، رام الله - فلسطين، ط 1، 2008.
105. محمد عابد الجابري: التراث والحداثه، دراسات ومناقشات، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1991.
106. محمد عابد الجابري: نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، ط 6، 1993، بيروت، الدار البيضاء، المغرب.
107. محمد عبد العزيز عبد الدائم: النظرية اللغوية في التراث العربي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط 1، 2006.
108. محمد عمارة: أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، دار الشروق الأوسط للنشر، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
109. محمد فهمي حجازي: اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1998.
110. محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1، 2004.

111. محمد محمود سيد أحمد طه نور: أعداء الحداثة، مراجعات العقل الغربي في تأزم فكر الحداثة: دار الوعي للنشر والتوزيع، ط 1، 1434هـ/2013م، (مركز الفكر المعاصر).
112. محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1413هـ رقم (599)، وقال رواه أبو داود وأبو عمرو الداني في الفتن.
113. محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، (ب ت)، (ب ط).
114. محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، القاهرة، مصر، د. ت.
115. محمود فهمي حجازي: علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، المكتبة الثقافية، عدد 249، القاهرة، 1970.
116. مصطفى حركات: اللسانيات العامة وقضايا العربية: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط 1، 1418هـ/1998م.
117. مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني - عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 4.
118. مصطفى غلفان: اللسانيات العربية وأسئلة المنهج، ط 1، 2013، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع.
119. مصطفى غلفان: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: حفريات النشأة والتكوين، ط 1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2006.
120. مصطفى غلفان: في اللسانيات العامة: تاريخها - طبيعتها - موضوعها - مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، 2010، ط 1.

121. مصطفى غلفان: لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2017.
122. المغربي عبد الفتاح: نظم المعلومات الإدارية، المكتبة العصرية للطباعة والتوزيع، جامعة المنصورة، 2002.
123. مقدمة منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط : سلسلة ندوات و مناظرات رقم 6: البحث اللساني السيميائي: 7،8،9، ماي 1981 ، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1405هـ- 1984م.
124. مهدي المخزومي: عبقرى في الصّرة، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، ط 2، 1406هـ- 1986م.
125. مولود قاسم نيت بلقاسم: أصالية أم انفصالية، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 1، 1991.
126. أبو نصر الفارابي: إحصاء العلوم: صححه ووقف على طبعه وصدره بمقدمة مع التعليق عليه عثمان محمد أمين، مطبعة السعادة، سنة 1350هـ- 1931م.
127. نصر محمد عارف: الحضارة الثقافية المدنية دراسات لمسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، منشورات الفكر الإسلامي، الرياض للكتاب الإسلامي، والولايات المتحدة الأمريكية، الدار العالمية 1995.
128. نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة: منشورات جامعة باجي مختار- عنابة- 2006.
129. هبة خياري: خصائص الخطاب اللساني، دار الوسام العربي، ط 1، الجزائر، 2009.
130. وليد محمد السّراقبي: سلسلة مصطلحات معاصرة (29): الألسنية مفهومها مبانيها المعرفية ومدارسها، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، 2019م.

131. يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت 643هـ): شرح المفصل، دار الطباعة المنيرية، مصر، ب. ت، ج 8.

132. يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2014.

133. يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ط 1، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، الجزائر. 2008.

4 - المراجع المترجمة:

1. بيار غيرو: السيمياء، ترجمة أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت، عام 1984.

2. بيير جيرو: علم الإشارة السيميولوجيا، ترجمة منذر عياشي، دار طلاس، دمشق، عام 1988.

3. ر، ه، روبنز: موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997.

4. روبنز: موجز تاريخ علم اللغة: ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة، المجلس الأعلى للثقافة، رقم 227، الكويت، تشرين الثاني / نوفمبر 1998.

5. روبير مارتان: مدخل لفهم اللسانيات، ايستيمولوجيا أولية مجال علمي: تر: عبد القادر المهيري؛ مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط 1، 2007.

6. زيغمونت باومان: الحداثة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2016.

7. فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة عبد القادر قنيني، مراجعة أحمد حبيبي، إفريقيا الشرق، 1987، مكتبة طريق العلم في سلسلة البحث السيميائي.

8. كاترين فوك، وبيارلي قوفيك: مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ترجمة المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

9. كانغيلام جورج: دراسة في تاريخ العلوم وفلسفتها، ترجمة محمد بن ساسي، ط 1، 2007، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
10. كون توماس: بنية الثورات العلميّة، ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، سنة 1992.
11. محاضرات في الألسنية العامّة: ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، دار النعمان للثقافة جونية بلبنان، 1984.
12. موريس قراس: في النحو التحويلي عرض للمنهجية التحويلية في أربعة أبحاث نقله من الفرنسية إلى العربية صالح الكشور، قدم له المؤلف، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة 1989، تونس (مطبعة STAG).
13. وليم كارسكو: النظر إلى الوراء لرؤية الآتي: إعادة اكتشاف دي سوسير، ترجمة محي الدين محسب، ضمن كتاب: العودة إلى سوسير، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط 1، 2017.
14. برينولا تور: لم تكن حدائين أبداً، ترجمة إياس حسن وعدنان محمد، دمشق، دار المدي للثقافة والنشر، ط 1، 2000م.
15. جورج مونا: تاريخ علم اللّغة منذ نشأته حتى القرن العشرين، تر: بدر الدين القاسم، د. ط، سلسلة الكتب العلمية، دمشق، سورية، 1982.
- 5 - البحوث والمقالات والحوليات والمؤتمرات:**
1. إبراهيم أولحيان: منتدى العلاقات الدولية العربية، الترجمة وإشكالات المثاقفة وسؤال الهوية الثقافية، إعداد وتقديم مجاب الإمام ومحمد عبد العزيز، الجلسة الثالثة، الترجمة والأدب، قطر 2014.
2. أحمد دحماني: علم الصرف في التراث والرّؤيا التجديدية في ضوء البنية الصرفية الصوتية، مجلة علوم اللّغة العربية وآدابها، المجلد 13، العدد 01، عام 2021.

3. أحمد قدور: اللسانيات والمصطلح: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (81)، الجزء (4).
4. أحمد محمد قدور (مراجعته لكتاب السيمياء لبيار غيرو)، في المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، العدد (21)، المجلد السادس، شتاء (1986).
5. إيمان لعور: تلقي مصطلح التفكيك في الخطاب النقدي العربي، كتاب (إشكالية المصطلح) يوسف وغليسي أنموذجا، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، المجلد 15، العدد 2، سنة 2021.
6. بشير إبرير: الخطاب اللساني العربي بين التراث والحداثة، مجلة الرافد، العدد 47، سنة 2001م.
7. بشير إبرير: علم المصطلح وأثره في بناء المعرفة، مجلة التواصل، العدد 25 مارس 2010، جامعة باجي مختار، عنابة.
8. جهينة سلطان سيف العيسى: قضية التحديث في ضوء الاتجاهات المعاصرة لعلم الاجتماع، حولية كلية الإنسانية والعلوم الاجتماعية، العدد الأول 1979م/ 1399هـ.
9. حافظ علوي إسماعيلي، ، النحو العربي واللسانيات الوصفية، مجلة فكر ونقد، ع (72). أكتوبر 2005.
10. حسين السّوداني: ترجمة المصطلح وتوطين اللّسانيات: مثال الترجمات العربية الخمس لدروس فرديناند دي سوسير، المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس، مجلة اللّسانيات العربيّة، شوال 1439هـ- يوليو 2018م، العدد 7.
11. حميد سمير: خطاب الحداثة، قراءة نقدية، مجلة روافد، ط 1، مارس 2009، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، الكويت.

12. خالد بن عبد الله بن محمد العبيدي: إشكالية التعريب في المصطلح اللساني، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، المجلد 3، العدد 4، 01/12/2015.
13. الخطاب اللساني المغاربي اتجاهاته ومضامينه، قسم اللغة العربية وآدابها، مجلة التواصل، عدد 19 سبتمبر 2007، نقلا عن المسدي: ما وراء اللغة.
14. درويش راضية: مكونات المثلث (الفعل) الديدانكتيكي، ودوره في العملية التعليمية، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد 7، العدد 01، 2019.
15. رشيد عبد الرحمن العبيدي: الألسنية المعاصرة والغربية، الأبحاث والدراسات، الذخائر، العدد شتاء 1420هـ / 2000م.
16. سعيدة زيغ: البؤرة في نظرية النحو الوظيفي، قراءة جديدة في تنميط أحمد المتوكل، مجلة التواصل في اللغات والثقافة والآداب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باجي مختار، عنابة، عدد 31، سبتمبر 2012.
17. سليمان بوراس: النظرية الخليلية الحديثة مفهوما ومبادئها، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة المسيلة، العدد الخامس، سنة 2018.
18. سمير ستيتية: نحو معجم لساني شامل موحد، مشكلات وحلول، مجلة أبحاث اليرموك (سلسلة الآداب واللغويات)، المجلد 1، العدد 2، 1992.
19. الشريف بوشحدان: الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب واللغات، بسكرة، جوان 2010، العدد السابع.
20. صالح القرمادي: دور الألسنية في المساهمة في التعريب، مجلة الأصالة، العدد 17/18، 1973.

21. صلاح الدين يحيى: مخطوطات فرديناند دي سوسير وأثرها في تأسيس اللسانيات السوسيرية الجديدة، مجلة إستانبول للدراسات العربية، المجلد الثاني، العدد الثاني، ديسمبر 2019.
22. عبد الحليم معزوز: المناهج اللسانية العربية بين واقع النشأة وآفاق التطور، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميللة (الجزائر)، مجلة ميللاف للبحوث والدراسات، المجلد 7، العدد 2/ ديسمبر 2021.
23. عبد الحليم مهور باشة: الحداثة الغربية وأنماط الوعي بها في الفكر العربي المعاصر دراسة مقارنة بين عبد الله العروي، وطه عبد الرحمن، مجلة تبين العدد 23 / 6 شتاء 2018.
24. عبد الرحمان الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث (2)، مجلة اللسانيات، جامعة الجزائر، المجلد 1، العدد 2، 1971.
25. عبد الرحمان الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، مج 2، العدد 1، جامعة الجزائر، 1972م.
26. عبد العزيز بن إبراهيم السويل، المصطلحات مشكلة علم اللغة العربي الحديث: دراسة لمعجم مصطلحات علم اللغة الحديث لخبذة من اللغويين العرب ، مجلة جامعة الملك سعود، الرياض م 7، الآداب (1)، (1415هـ / 1995م).
27. عبد العزيز حمودة: الخروج من التيه: دراسة في سلطة النصّ، عالم المعرفة، عدد 298، عام 2003.
28. عبد القادر الفاسي الفهري: ملاحظات أولى عن تطور البحث اللساني بالمغرب: ندوة اللغة العربية والنظريات اللسانية، كلية الآداب، فاس، ما بين 21 - 22 / 11 / 2007، جامعة نيوكاستل وجامعة محمد الخامس.

29. عبد القادر الفاسي الفهري: ملاحظات حول الكتابة اللسانية، مجلة تكامل المعرفة، العدد 9، المغرب، سنة 1984م.
30. عبد القادر المهيري: مظاهر التعريف في العربية، تأليف صالح الكشو، 427 صفحة، منشورات العلوم الإنسانية بصفافس 1997، حوليات الجامعة التونسية، عدد 42 / 1998.
31. عبد الوهاب صديقي: أوراق لسانية نقدية: قراءة في تصوّرات اللسانيين العرب المعاصرين لطبيعة العلاقة بين لسانيات التراث واللّسانيات الحديثة، مجلة اللّسانيات العربية، العدد 1، يناير 2015 الموافق ربيع الأول 1436هـ، (المملكة العربية السعودية).
32. عكرمة صبري: التجديد والتحديث: بحث مقدّم في المؤتمر العامّ التاسع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية المنعقد في القاهرة، جمهورية مصر العربية، في 8-11 ربيع الأوّل 1428هـ الموافق لـ 27-30 مارس 2007م.
33. علي بوشاقور: المصطلح اللساني بين الاختلاف والتوحيد في الأقطار المغاربية بحث مقدم لوحدة البحث واقع اللّسانيات وتطور الدّراسات اللّغوية في البلدان العربية، تلمسان، بعنوان: الملتقى المغاربي اللّغة العربية في المدرسة المغاربية -الواقع والاستشراف- 8-9 ماي 2018، الإصدار السادس، منشورات وحدة البحث تلمسان، سنة 2018.
34. علي صالح: الكتابة اللسانية العربية الحديثة، قراءة في المنهج، مجلة قضايا الأدب، المجلد الخامس، العدد الثاني، 2020، جامعة أحمد بوقرة بومرداس.
35. عمر أحمد مختار: المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية، مجلة عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الثالث، الكويت، 1989م.

36. العيد حنكة: خطاب الحداثة، قراءة في مشروع عبد العزيز حمودة النقدي، مجلة القارئ للدراسات الأدبية واللغوية والنقدية، المجلد 04، العدد 01، سنة 2021.
37. غنية الطيبي: اللسانيات العربية: الواقع والآفاق قراءة في تصوّر مصطفى غلفان، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلد 16، عدد 03، 2019.
38. لبصير نور الدين: المثاقفة بين غياب الأنا وحضور الآخر، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب واللغات، العدد 20 جوان 2018.
39. محروس السيد بريك: التلقي العربي الراهن لسوسير في ضوء مخطوطاته المكتشفة، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد 10، العدد 2، سنة 2017.
40. محمد الملاح: راهنية سوسير من خلال برنامج السوسيرية الجديدة، اللسانيات العربية مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، العدد 8، ربيع الآخر 1440هـ يناير 2019، المملكة العربية السعودية.
41. محمد شيت صالح اليحياوي: اللغويون قديما وحديثا، مجلة اللسان العربي، الرباط، العدد 20، 1983.
42. محمد صلاح الدين الشريف: قراءة اللسانيات العربية القديمة في ضوء المناهج اللسانية الحديثة، بحث مقدّم بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، الملك فهد ضمن بحوث محكمة في المؤتمر الدولي الثالث (التراث اللغوي والأدبي في ضوء المناهج الحديثة) قراءات معاصرة لقضايا في التراث اللغوي والأدبي والبلاغي، جامعة القصيم، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، بريدة 1440هـ / 2019م.
43. محمد يحياتن: اتجاهات البحث اللساني في الجزائر، المجلة العربية للدراسات اللغوية، المجلد السادس، العدد الأول والثاني 1408هـ، فبراير 1988م، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الخرطوم، السودان.

44. المدلاوي محمد: اللسانيات العربية المعاصرة ما بين البحث العلمي وثقافت التهافت، دراسات أدبية ولسانية، العدد 3، السنة الأولى ربيع 1986.
45. مسعود شريط: ترجمة المصطلح اللساني إلى اللغة العربية أزمة تمثل المفاهيم أو موضة اختلاف، مجلة إشكالات، معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي تامنغست، الجزائر، العدد الثاني عشر، ماي 2017.
46. مصطفى غلفان: جدلية العلم وتاريخه- اللسانيات والتراث اللغوي العربي نموذجاً: منشورات مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد (28)، العدد (8)، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، الدار البيضاء- المغرب سنة 2020.
47. منصور ميلود: الفكر اللساني عند الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح من خلال مجلة اللسانيات، مجلة العلوم الإنسانية- جامعة محمد خيضر بسكرة، المجلد 05، العدد 08، سنة 2005.
48. بن ناصر داية: المصطلح اللساني العربي الحديث من مشكل التعدد إلى دواعي التوحيد، مجلة الصرويتلت، الجزائر، العدد 19، 2017.
49. نصيرة جعيداني: إشكالية تطوّر العلم عند توماس كون، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر 2، أفكار وآفاق، المجلد 8، العدد 2، سنة 2020.
50. نعمان عبد الحميد بوثرة: الكتابة اللسانية العربية من الرؤية العربية إلى التأسيس الإسلامي للمنهج، قراءة وصفية في صور التلقي ونماذج الصياغة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، 2014.
51. هبة خياري: المرجعيات الفكرية في الخطاب اللساني العربي المعاصر، مجلة التواصل في اللغات والآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي مختار عنابة، المجلد 23، عدد 52، ديسمبر 2017.

52. يحي عبد الرؤوف جبر: الاصطلاح مصادره ومشاكله، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغرب ع 36، 1992.
53. يوسف عبد الله الجوارنة: أزمة توحيد المصطلحات العلمية العربية، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، غزة، فلسطين، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثاني، يونيو 2013.
54. يوسف منصر: الخطاب اللساني المغاربي اتجاهاته ومضامينه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، مجلة التواصل، عدد 19 سبتمبر 2007.
55. يوسف وسطاني: اللسانيات العربية في ضوء التراث ومقتضيات التطبيق المنهجي: مجلة إشكالات في اللغة والأدب، معهد الآداب واللغات - تامنغست، العدد التاسع ، 2016.

6 - المذكرات والرسائل الجامعية:

1. أحمد علي أحمد المكرفح: نقد المحدثين للدرس الصرفي والتراثي، عرض وتقويم، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عبد الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 1444هـ/ 2022م.
2. إيمان صبحي سلمان دلول: معجم محوسب لمعاني الأفعال الثلاثية المجردة في اللغة العربية، ماجستير في اللغة والنحو والصرف، كلية الآداب قسم اللغة العربية، 1435هـ- 2014م، غزة، فلسطين.
3. رضا زلاقي: الصوامت الشديدة في العربية الفصحى، دراسة مخبرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، تخصص الدراسات اللغوية النظرية، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، كلية الآداب واللغات، 2005-2006.

4. سارة بوزرزور: الترجمة وفعل المثاقفة في ترجمة رواية الزلزال للطاهر وطار، ترجمة مارسيل بوا -أمودجا- مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم الترجمة، جامعة وهران، 2009-2010.
5. سريسر مليكة: ترجمة معاني القرآن الكريم عند دونيز ماسون - دراسة تطبيقية- بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم الترجمة، مدرسة الدكتوراه للترجمة، 2011/2012.
6. شفيقة العلوي: الجملة في مغنى اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري، قراءة توليدية تحويلية، مذكرة ماجستير معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 1998.
7. صورية جغبوب : قضايا اللسانيات العربية الحديثة بين الأصالة والمعاصرة من خلال كتابات أحمد مختار عمر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علوم اللسان جامعة فرحات عباس، سطيف (الجزائر) (كلية الآداب واللغات) تحت إشراف أ، عز الدين صحراوي، سنة 2011-2012.
8. عبد الرحيم البار: التفكير اللساني عند عبد السلام المسدي، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية، 2015، جامعة محمد خيضر، بسكرة.
9. عبد الغاني قبايلي: أثر اللسانيات الغربية على اللسانيات العربية الحديثة -التفسيرية عينة- رسالة علمية (دكتوراه) ، كلية اللغة والأدب العربي والفنون قسم اللغة العربية والآداب العربي، جامعة باتنة 1، الجزائر، سنة 2017.
10. فطيمة زايدي: تيسير النحو العربي من خلال كتاب الوظائف التداولية في اللغة العربية لأحمد المتوكل، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، تخصص لسانيات عربية، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة باتنة (1)، سنة 2015-2016.

11. ياسين بوراس: البحث اللساني في الفكر العربي المغاربي المعاصر، بحث لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، تحت إشراف صالح بلعيد، سنة 2014م.
12. يوسف عمر لعساكر: الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته (جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجاً) دراسة لغوية دلالية، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر يوسف بن خدة، 2004 - 2005.

7 - المواقع الإلكترونية:

1. <http://www.dorar.net>
2. https://www.facebook.com/groups/1696552830368611/?locale=ar_AR حلقة عبد الرحمن الحاج صالح.
3. <https://www.youtube.com/watch?v=pc5qlerUHCQ>
4. فيديو مصور: أكاديمية بيت اللسانيات الدولية/ موقع إلكتروني: <https://www.youtube.com/watch?v=vodpjxwETUVTG> بعنوان: "هل تحتاج اللغة العربية إلى تنظير خاص؟ // الأستاذ الدكتور الطيب دبه.
5. موقع إلكتروني: أوفى مزيد عبد العزيز: تحليل النص القرآني، قسم علوم القرآن الكريم المرحلة الرابعة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة المستنصرية، الرابط الإلكتروني: <https://uomustansiriyah.edu.tq>PDF>
6. جامعة محمد الشريف Univ-Soukahras.dz/ar/module/332/question497 مساعدية- سوق أهراس . قسم اللغة والأدب العربي، www.Univ-Soukahras.dz/ar/dept/dla المقياس: لسانيات عربية.
7. حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية وإشكالات التلقي اللسانيات التمهيديّة أنموذجاً - رابط الموقع [https://www.aljabriabed.net/n58-09hafidi.\(2\).htm](https://www.aljabriabed.net/n58-09hafidi.(2).htm)
8. سمير حمدي: وحدة مغاربية ... ولكن في الأزمت، مجلة العربي الجديد، 8 نوفمبر 2021، موقع إلكتروني: <https://www.alaraby.co.uk,opinion>

9. الطيب عيسى دبه / Tayeb Deba / منصة أريد: Portail.arid.my.
10. الفيديو المصور: بعنوان الجلسة السادسة المسارح: مصطفى غلفان و حسين سودني
مؤتمر إشكالية مناهج البحث: الموقع: <https://www.youtube.com/watch?v=pc5qlerUHCQ>
11. مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، موقع إلكتروني أسس في 29 / 01 / 2012. اطلع عليه يوم الأحد 10 ربيع أول 1445هـ / 24 سبتمبر 2023م
<http://www.m-a-arabia.com/site/8781.html#:text=3%>
12. محمد مسعود بن مبخوت: حلقة عبد الرحمان الحاج صالح اللسانية يوم: 20 نوفمبر 2021، موقع إلكتروني.
13. مروان عطا مجيد: مفهوم الجدل في الفكر الإسلامي، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقيدة والفكر الإسلامي، العراق، 2019م / 1440هـ. رابط الموقع الإلكتروني:
https://www.researchgate.net/publication/335260270_mfhwm_aljdl_fy_alfkr_alaslamy
14. مصطفى غلفان: المنهج في اللسانيات العربية: تجاذب قراءة التراث ومعالجة اللغة: مؤتمر العلوم الاجتماعية والإنسانية، الدورة السابعة، 2019، 23 - 25 مارس 2019، فيديو، 56:46 دقيقة:
<https://www.youtube.com/watch?v=pc5qlerUHCQ>

المراجع الأجنبية:

Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale, (Edt.préparée parTullio de mauro), payot, paris,1984,

فهرس الموضوعات

مقدّمة:.....أ

مدخل:

عرض تمهيدي لمفاهيم أساس في جدلية الحداثة والتراث

تمهيد:.....1

أولاً- مفهوم التراث و الجدل و الحداثة:.....2

1. مفهوم التراث:.....2

1.1 - قراءة التراث بين المقدّس و التاريخي:.....4

1.1.1 - إحياء التراث:.....7

2.1.1 - استلهام التراث.....7

3.1.1 - إعادة قراءة التراث:.....8

2. مفهوم الجدل:.....8

3. مفهوم الحداثة:.....10

1.3 - مفهوم الحداثة في اللغة العربية (المفهوم اللغوي):.....10

2.3 - مفهوم الحداثة في الثقافة الغربية و العربية (المفهوم الاصطلاحي):.....12

1.2.3 - أصل الحداثة:.....12

2.2.3 - أسباب الحداثة:.....14

3.3 - نقد الحداثة:.....16

19	4.3- ما بعد الحداثة:
22	ثانيا- مفاهيم متداخلة مع مفهوم الحداثة:
22	1 - مفهوم التجديد:
24	2 - مفهوم المعاصرة:
25	3 - مفهوم التحديث:
27	ثالثا- تفاعل اللسان العربي مع اللسان الغربي:
27	1 - بداية المثاقفة العربية:
30	2 - الترجمة جسر للمثاقفة:
34	خلاصة:

الفصل الأول:

اللسانيات العامة و اللسانيات العربية الحديثة- من النشأة إلى النموذج البديل-

36	تمهيد:
36	أولا- بين اللسانيات العامة و الحداثة العربية- نظرة في مسار النموذج و تحوّلته-
37	1. مفهوم اللسانيات:
39	2. تاريخ اللسانيات:
41	1.2 - القسم الأول:
42	2.2 - القسم الثاني:
43	3 - موضوع اللسانيات:

47	4 - منهج اللسانيات:
50	1.4. مفهوم النظام.
50	2.4. مفهوم البنية.
52	5 - النموذج الغربي:
54	1.5- مفهوم النموذج عند توماس كون:
55	6 - الحداثة العربية و النموذج:
62	7 - النموذج البديل للحداثة العربية:
62	1.7- الحداثة العربية عند الجابري:
64	2.7- الحداثة العربية عند طه عبد الرحمن.
66	3.7- الحداثة العربية عند عبد العزيز حمودة.
68	ثانيا- اللسانيات العامة و اللسانيات الخاصة (الوصفية):
68	1 - مفهوم اللسانيات العامة و اللسانيات الخاصة:
70	2 - اللسانيات العربية القديمة (منظومة علمية قائمة بذاتها).
77	1.2. المصطلحات اللغوية العربية القديمة:
87	2.2. الدراسة اللغوية العربية القديمة:
88	1.2.2- دراسة الأصوات.
92	2.2.2- دراسة النحو و الصرف.
95	3.2.2- الدراسة الدلالية و المعجمية.
105	ثالثا- اللسانيات العربية الحديثة (الحداثة اللغوية العربية).

105.....	1 - النشأة.....
109.....	2 - ما بين اللسانيات العربية و لسانيات اللغة العربية.....
112.....	3 - سؤال المنهج في اللسانيات العربية.....
112.....	4 - اتجاهات البحث في اللسانيات العربية.....
118.....	5 - المنهج في اللسانيات العربية بين تجاذب قراءة التراث و معالجة اللغة العربية.....
127.....	خلاصة:.....

الفصل الثاني:

129.....	البحث اللساني في المغرب العربي - تجلياته و إشكالاته.....
129.....	تمهيد:.....
129.....	أولاً- اللسانيات في المغرب العربي من منظور البدايات.....
129.....	1 - النشأة:.....
133.....	2 - مراحل تلقّي المغرب العربي للسانيات.....
133.....	1.2. مرحلة اكتشاف آراء سوسير اللسانية.....
137.....	2.2. مرحلة ما بين القبول و التشكيك.....
139.....	3.2. مرحلة تشكّل خطاب لساني مغاربي.....
142.....	1.3.2. الخطاب اللساني التبسيطي أو التعليمي أو التأسيسي.....
142.....	2.3.2. الخطاب اللساني التراثي.....
144.....	3.3.2. الخطاب اللساني المتخصص.....

- 145.....4.3.2. الخطاب اللساني النقدي- ابستمولوجيا اللسانيات العربية-
- 147.....ثانيا- تجليات اللسانيات العربية في المغرب العربي.**
- 147..... 1 - لسانيات التراث - التراث صوب الحداثة-
- 150..... 2 - من جهود أعلام الكتابة اللسانية المغاربية الحديثة.
- 151.....1.2. جهود عبد الرحمن الحاج صالح في اللسانيات.
- 151.....1.1.2. التعريف بعبد الرحمن الحاج صالح.
- 153.....2.1.2. جهوده اللسانية.
- 162.....2.2. جهود أحمد حساني في اللسانيات.
- 162.....1.2.2. التعريف بأحمد حساني.
- 164.....2.2.2. الجهود اللسانية للباحث أحمد حساني.
- 167.....3.2. الجهود اللسانية لعبد القادر الفاسي الفهري.
- 167.....1.3.2. نبذة مختصرة عن حياة عبد القادر الفاسي الفهري.
- 168.....2.3.2. جهود الفاسي الفهري في اللسانيات.
- 172.....4.2. جهود أحمد المتوكل في اللسانيات.
- 172.....1.4.2. السيرة العلمية لأحمد المتوكل.
- 173.....2.4.2. جهود أحمد المتوكل في اللسانيات.
- 181.....5.2. الجهود اللسانية للباحث عبد السلام المسدي.

181.....	1.5.2. التعريف بعبد السلام المسدي.....
182.....	2.5.2. جهود عبد السلام المسدي في اللسانيات.....
189.....	6.2. الجهود اللسانية لصالح القرمادي.....
189.....	1.6.2. نبذة مختصرة عن حياة صالح القرمادي.....
190.....	2.6.2. جهود صالح القرمادي في اللسانيات.....
194.....	3- الكتابة اللسانية العربية في ضوء السوسيريات الجديدة.....
200	ثالثا- إشكالات البحث اللساني العربي
201.....	1 - إشكالات متعلقة بالقضايا العامة.....
203.....	2 - إشكالات متعلقة بالحدائثة و التراث.....
204.....	3 - إشكالية المصطلح اللساني في ظلّ تفاعل اللسان في المشرق و المغرب العربيين.....
211.....	1.3. مشكلة طرق التعامل مع المصطلح اللساني من حيث الجوانب الفنيّة.....
213.....	2.3. مشكل اضطراب دلالة المصطلح اللساني.....
217.....	3.3. نماذج متفرقة للتعددية المصطلحية.....
219.....	4.3. مقترحات لتوحيد المصطلح اللساني العربي الحديث.....
203	خلاصة:

الفصل الثالث:

- تجليات جدل الحداثة و التراث في الكتابة اللسانية المغاربية الحديثة- قراءة وصفية
 تحليلية في نماذج مختارة-..... 226
- تمهيد:..... 226
- أولاً- جدل الحداثة و التراث في الكتابة اللسانية عند الطيب دبّه..... 227
- 1 - السيرة العلمية للطيب دبّه..... 227
- 2 - أهميّة التراث عند الطيب دبّه..... 228
- 3 - الحداثة في منظور الطيب دبّه..... 229
- 4 - الخطاب اللساني عند الطيب دبّه..... 233
- 1.4. الخطاب اللساني في كتاب مبادئ اللسانيات البنوية..... 234
- 2.4. السمات المنهجية لكتاب مبادئ اللسانيات البنوية..... 237
- 3.4. تقنيات التحليل اللساني في كتاب مبادئ اللسانيات البنوية..... 240
- 4.4. مناقشة تقنيات التحليل اللساني لكتاب مبادئ اللسانيات البنوية في ظلّ ثنائية التراث
 والحداثة..... 242
- 5-الخطاب اللساني في كتاب التفكير السيميائي في اللغة و الأدب..... 267
- 1.5. كتاب التفكير السيميائي في اللغة و الأدب في ظلّ ثنائية الحداثة و التراث..... 269
- 6- كتاب اللسانيات و قضايا اللغة العربية في ظلّ ثنائية الحداثة و التراث..... 271
- 7-المصطلح اللساني عند الطيب دبّه بين ثنائية الحداثة و التراث..... 273

ثانيا- جدل الحداثة و التراث في الكتابة اللسانية عند صالح الكشو.....274

- 1 - السيرة العلمية لصالح الكشو.....274
- 2 - الحداثة و التراث عند صالح الكشو.....275
- 3 - مكانة التراث اللغوي العربي عند صالح الكشو.....275
- 4 - حضور التراث اللغوي الغربي عند صالح الكشو.....277
- 5 - الحداثة في منظور صالح الكشو.....280
- 6 - الخطاب اللساني عند صالح الكشو.....280
- 1.6. الخطاب اللساني في كتاب مدخل في اللسانيات.....280
- 1.1.6 السمات المنهجية لكتاب مدخل في اللسانيات.....283
- 2.1.6 مناقشة تقنيات التحليل اللساني لكتاب مدخل في اللسانيات في ظلّ ثنائية التراث و الحداثة....285
- 2.6. الخطاب اللساني في كتاب النحو التحويلي العربي الاسم و الفعل و الحرف.....293
- 1.2.6. جدل الحداثة و التراث في كتاب النحو التحويلي العربي.....298
- 2.2.6. تقنيات التحليل اللساني وفق نموذج " النحو المعجم " في كتاب النحو التحويلي العربي.....303

ثالثا- جدل الحداثة و التراث في الكتابة اللسانية عند صالح الفاخري.....307

- 1 - السيرة العلمية لصالح سليم عبد القادر الفاخري.....307
- 2 - مكانة التراث و أهميته عند سليم الفاخري.....308
- 3 - الحداثة في منظور سليم الفاخري.....309
- 4 - الخطاب اللساني عند صالح سليم الفاخري.....310
- 1.4. الخطاب اللساني في كتاب تصريف الأفعال و المصادر و المشتقات.....311

- 316....1.1.4. مناقشة كتاب تصريف الأفعال و المصادر و المشتقات في ظل ثنائية الحداثة و التراث.
- 323.....2.4. الخطاب اللساني في كتاب الدلالة الصوتية في اللغة العربية.
- 331.....: خلاصة
- 329.....: خاتمة
- 336.....: قائمة المصادر و المراجع
- 364.....: فهرس الموضوعات

الملخص:

عرف العالم العربي عامة و المغرب العربي خاصة يقظة فكرية، كانت دافعا لظهور الكتابات اللسانية التي حملت على عاتقها خدمة اللغة العربية، إما تطورا لها من داخل التراث، أو تحريرها من قيوده بنظرة حداثية غربية، و إما الوقوف وسطا مخافة الميلَة الواحدة، و هذا البحث هو إبراز لموقف اللسانيين المغاربة من هذه الجدلية من خلال بعض كتاباتهم، و هم: الطيب دبه من الجزائر، و صالح الكشوش من تونس، و صالح سليم الفاخري من ليبيا، ليتضح لنا أنّ للتراث مكانته الخاصة في فكرهم، مع وعي و تمحيص في تبني النظريات الحداثية.

الكلمات المفتاحية: الحداثة - التراث - الجدل - اللسانيات - المغرب العربي

Résumé :

Le monde arabe en général , et le Maghreb en particulier a connu en éveil intellectuel qui a été une source importante dans le développement des écrits linguistiques dans le but de servir la langue arabe ,en la développant sur le plan intérieur du patrimoine ou en la renforçant selon une vision moderne ou en se positionnant au milieu pour ne pas se pencher vers une seule position

Cette recherche met en évidence la position des linguistes maghrébins face à cette dialectique tels que le linguiste algérien Tayeb Deba et le tunisien Salah Kchaou et le libyen Salah Salim Elfakhiri , pour se rendre compte que le patrimoine linguistique occupe une place importante dans leurs pensée avec une conscience et une précision dans l'adoption des théories modernes.

mots cles : le modernisme – le patrimoine – la dialectique – la linguistique – la Maghreb arabe

abstract :

The Arab world in general and Arab Moghreb in particular knew an intellectual development that was a motivation of many linguistic writings which sought to serve arabic language ,as for developing it within the heritage , or to enhance it with a modern vision , or taking a middle position to avoid leaning toward one side.

this research highlights the position of maghrebin linguists regarding this dialectic throught their writings whome are : Tayeb Deba from Algeria ,Salah Kchaou from Tunisia and Salah Salim Elfakhiri from Libiya , it becomes obvious that heritage has its own place in their thoughts with awariness and scutiry in adopting modern theories

key words : the modernism – the heritage – the dialectic – linguistics – the Arab Moghreb